مجلة التأصيل جامعة دنقلا

العدد الثاني عشر يوليو ٢٠٢٦م
المجلد الثاني

هيئة التحرير

المشرف العام

أ.د. الوليد مصطفى إبراهيم موسى

رئيس التحرير

د. الأمين عثمان شعيب

نائب رئيس التحرير

د. صالحة سيد أحمد عبد الله

المحـــررون:

أ.د. أشرف إبراهيم عبد الله إبراهيم

د. عبد الله الطيب علي أحمد

د. أبو القاسم جمعة أحمد محمد

د. محمد علي محمود الزين

أ. أبو القاسم علي محمد عقيد

هيئة المستشارين

أ.د. عبد الحكيم حسن إبراهيم
أ.د. معاوية بابكر حسن المهدي
أ.د. كباشي حسين قسيمة إسماعيل
أ.د. الزهور حسن الماهل
أ.د. مهيد محمد المتوكل
أ.د. الطيب محمد المصطفى حياتي
أ.د. علي أحمد بابكر
أ.د. كمال الحاج الحسين عبد الرحمن
أ.د. كمال عبد الله المهللاوي
أ.د. قيس عبد الله إبراهيم الحاج
أ.د. أحمد محمد زين
د. أبو القاسم خليفة التهامي
د. رحاب عبد الرحمن الشريف
د. قاسم عمر أبو الخير
د. محمود محمد أحمد علي عثمان

قواعد النشر:

* تُعنى المجلة بنشر البحوث العلمية المقدَّمة إليها وفق رؤية تأصيلية.
* تقبل البحوث من كافة الباحثين داخل وخارج السودان.
* ألاَّ يكون البحث قد نشر أو قيد الإجراء للنشر في أية دورية علمية أخرى.
* ألاَّ تكون الورقة جزءً من رسالة جامعية أو كتاب منشور.
* يرسل البحث إلكترونياً على بريد المجلة بنوع خط Simplified Arabic بنط ١٤ بمسافة واحدة.
* يُقدم البحث مطبوعاً على ورق A4. على ملف وورد (٢٠٠٧).
* ألاَّ تزيد عدد الصفحات عن ٢٥ صفحة ولا تكون أقل من ١٢ صفحة، ويرفق مستخلصاً للبحث لا يزيد عن (٢٠٠ كلمة) باللغة العربية فقط، حيث يشتمل المستخلص على أهداف البحث وأهميته، ومشكلة البحث، والمنهج المتبع في البحث، والنتائج المتحصل عليها.
* مراعاة الجودة في الفكرة والأسلوب والمنهج والتوثيق العلمي والخلو من الأخطاء اللغوية والنحوية.
* تُوضع إحالات المراجع داخل النص على نمط جمعية علم النفس الأمريكية (APA) (ابن كثير، ٢٠٠٤ م، ١٥٢) ومن ثم تأتي تفاصيل المراجع كالآتي:

- اسم العائلة، الاسم الأول، سنة النشر، عنوان الكتاب، دار النشر، مكان النشر.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ٢٠٠٤ م، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفاء، القاهرة.

- في حالة التوثيق من المجلات: اسم المؤلف، سنة النشر، ويُوضع عنوان المقال بين علامتي تنصيص، ثم اسم الدورية، المجلد أو العدد، بلد النشر، ثم ترتيب صفحات المقال داخل العدد.

حسن، صالح رمضان، ٢٠٠٢ م، "الصحابي المجاهد، النعمان بن مقرن المزني"، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد الرابع والعشرون، دبي، ص ص٢٣٠-٢٤٨.

- بالنسبة للرسائل الجامعية: اسم الباحث، سنة النشر، عنوان الرسالة، نوع الرسالة (ماجستير - دكتوراه)، الجامعة المانحة للدرجة.

عبد الرازق، فائز أحمد، ٢٠٠٨ م، فاعلية استخدام مسرح العرائس في تنمية بعض الجوانب الاجتماعية والأخلاقية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة بور سعيد.

* تُعرض البحوث المقدَّمة للنشر في المجلة حال قبولها مبدئياً على محكمين من ذوي الاختصاص يتم اختيارهم بسريَّة تامة.
* للمجلة الحق في إجراء أي تعديلات شكلية تتناسب ورسالة المجلة.
* تعتذر المجلة عن النظر في البحوث المخالفة لقواعد النشر.
* تنقل حقوق طبع البحث ونشره إلى مجلة التأصيل جامعة دنقلا بعد إخطار صاحب البحث بقبول بحثه للنشر.
* الأفكار الواردة في المجلة تعبِّر عن رأي الباحثين وليس عن رأي المجلة.
* البحوث التي لا تنشر لا ترد لأصحابها.
* ترسل البحوث إلى رئيس تحرير المجلة على العنوان التالي: مجلة التأصيل جامعة دنقلا جمهورية السودان على البريد الإلكتروني الآتي: jruofd2018@uofd.edu.sd

أو الاتصال على التلفونات التالية: ٠٠٢٤٩١٢٣٣٢٣٢٦٤ - ٠٠٢٤٩٩١١٠٨٠٠٠١

محتويات العدد

الموضوع	الكاتب	صفحة
هيئة التحرير		ب
مستشارية التحرير		ج
قواعد النشر		د
محتويات العدد		و
كلمة العدد		ز
علل اختلاف الفواصل في الآيات المتشابهة	د. عبد الله البشير آدم	١
منهج العلامة محمد صفاء الدين الحسني في الفتوى	أ م د فؤاد محمود عطية	١٩
الاختلاف في الصحبة و أثره في التعليل	د. محمد بن عثمان بن ناصر المرشد	٣١
دمج المعاقين حركياً في المجتمع السوداني ٢٠٢٣-٢٠٢٦م	د. حنان ابراهيم عبد الله حسن	٦١
السياسة الجنائية المعاصرة دراسة في مفاهيم التجريم والعقاب	د. طارق السر محمد خير	٧٨
و اقع التنمية الاقتصادية بدولة غانا، المعوقات والحلول (٢٠٠٣م-٢٠٢٣)	د. أمل مكي عبد الرحمن بابكر د. أسمهان عبدالله محمد محمود	١٠١
فقه البيئة ومقاصد الشريعة في حفظ الموارد الطبيعية-دراسة فقهية مقاصدية	أحمد محمود حمدي حسوني	١٢٠
نشأة وتطور المدن في السودان القديم ٢٥٠٠ق.م - ٣٥٠م: دراسة أثرية لمدن كرمة، نبتة، ومروي	د. فائز حسن عثمان أحمد	١٣١
التحليل المورفومتري لحوض وادي نيالا بولاية جنوب دارفور (السودان) باستخدام نظم المعلومات الجغر افية (Gis)	د. حافظ عبد الرحمن يوسف ابكر	١٤٩
دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب (دراسة ميدانية من وجهة نظر أساتذة كلية التربية بجامعة البطانة محلية شرق الجزيرة السودان ٢٠٢٣ م.٢٠٢٤م)	د. أميرة الزبير إبراهيم خوجلي د. صفاء عبد القادر علي عمر	١٦٦
الصحة النفسية في القرآن الكريم "جامعة الملك فيصل أنموذجاً"	د. خزامى محمد سلامه العيسى	١٩٣
المناسبات القر آنية عند الطبري في تفسيره (جامع البيان)	م. د صلاح صبار خربيط	٢٢٣
طر ائق التدريس الحديثة ودورها في تطوير مهارات التربية لدى طلاب الثانوية في محافظة ديالى	همسة جاسم أحمد	٢٣٣
الضغوط النفسية التي تواجه العاملين في المهن السياسية ودورها في الأداء المتميز "دراسة وصفية ارتباطية مقارنة"	د. عادل محمد عبد الرحيم علي	٢٤٩
التشكيل الدرامي في الشعر السياسي المعاصر قراءة في شعر عبد القادر الكتيابي	د. سلوى عثمان أحمد محمد	٢٥٩

كلمة العـــدد

الأخوة القراء الكرام...

نحمد الله لكم أولاً على فضله وتسييره لبلوغ مجلتكم هذا المدى الذي يأتي بعددها الثاني عشر للسنة السابعة، وعلى تميُّز هذا العدد بحمد الله بصدوره في مجلدين.

ثم إننا في هيئة تحرير المجلة نحمد لكم وثيق اتصالكم وكريم تفضلكم بالآراء والاقتراحات التي كان لها الأثر الكبير في استمرار مسيرة المجلة نحو التميز العلمي والمدّ البحثي في مجالاتٍ متجددة في الحياة العامة، وهو الدور المأمول من الباحثين والنقاد نحو مجتمعٍ علميٍ وحياةٍ راشدة.

يأتي هذا العدد حاملاً مجالاتٍ بحثيةٍ يتطلع لها القراء باستشرافٍ وتأتي فيها بوافر الملاحظات التغذيةُ الراجعةُ.

على رأس هذه المجالات تأتي الدراسات القرآنية، وفيها تجدون من الموضوعات؛ "الفواصل القرآنية" وعلل اختلافها في حل مُشكِل المتشابه في القرآن. ومن موضوعاتها "الصحة النفسية" ومعالجة القرآن الكريم لهذا المُشكِل، بدراسة ميدانية في "جامعة الملك فيصل". ومن موضوعات الدراسات القرآنية كذلك "المناسبات" ومنهج الإمام الطبري في النظر فيها من خلال تفسيره الموسوم بـ"جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن".

أما في مجال "الدراسات الحديثية" فتأتي دراسة تحليلية لمنهج الإمام البخاري في تصحيح الحديث النبوي وذلك بالتطبيق على "حديث الإفك". ومن الدراسات الحديثية كذلك دراسة في الاختلاف في مفهوم "الصُحبة" عند علماء السنة النبوية وأثر ذلك في إعلال الحديث عند بعض نقاد الحديث النبوي.

ومن المجالات البحثية في هذا العدد "الفقه الإسلامي"، وتأتي فيه دراسةٌ تحليليةٌ لمنهج الفتوى في الإسلام بدراسة منهج العلامة محمد صفاء الدين الحسني في الفتوى. وفي الدراسات المقاصدية يأتي "فقه البيئة" من منظور مقاصدي لحفظ الموارد الطبيعية. أما في باب "الأحكام الفقهية" فتأتي في هذا العدد دراسة فقهية في الأحكام الفقهية للحيوان في باب "فقه العبادات".

وفي مجال بحوث الدراسات الإسلامية تتصدر " مشكلة العطالة وآليات الحد من تفاقمها" من منظور إسلامي. ودراسة فقهية في معايير التمييز بين الطبيعي والمغشوش في جودة عسل النحل.

وللتشريع والقضاء مجالٌ فيما يحمله هذا العدد من دراسات؛ ففيه دراسة في "السياسة الجنائية" المعاصرة في التجريم والعقاب، ودراسة في "رقابة القضاء" على سير "التحكيم" وأحكامه، ودراسة في جريمة الإجهاض.

ومن المجالات البحثية في هذا العدد "الدراسات التربوية" وتأتي فيها دراسة ميدانية في "دور الاستاذ الجامعي في الحد من القلق من الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب" الدائرة في السودان. ودراسة في " معايير هيئة تقويم التعليم والتدريب في الإشراف التربوي ".

وفي الدراسات التاريخية تأتي دراسة عن "نشأة وتطور المدن في السودان القديم" لمدن "كرمة" و"نبتة" و"مروي". ودراسة في "أزمة الغذاء في مصر خلال العصر العثماني".

وفي مجال الدراسات الاقتصادية تجدون في هذا العدد دراسة لقياس "أثر تطبيق نظام القيمة العادلة على جودة المعلومات المحاسبية" في "بنك أم درمان الوطني" في السودان. ودراسة عن "واقع التنمية الاقتصادية بدولة غانا".

وفي مجال الدراسات الجغرافية تأتي دراسات لنطاقات جغرافِيَّة سودانية، منها: التحليل المورفومتري لحوض "وادي نيالا" بإقليم دارفور، ودراسة عن "أثر الجفاف على الزراعة المطرية" بوسط السودان، ودراسة عن "تأثير انخفاض منسوب نهر النيل على الزراعة".

القراء الكرام

إننا نسعى بكم نحو التجويد المستمر وذلك بما يصلنا من آراء تجودون بها، وتوصيات بناءة على النحو الذي أثَّر بصورة كبيرة فيما لمستموه من تطور في المحتوى والإخراج.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

هيئة التحرير

علل اختلاف الفواصل في الآيات المتشابهة

د. عبد الله البشير آدم(•)

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى إبراز بلاغة التركيب والتأليف بين آيات القرآن الكريم والتي مع تشابهها في ألفاظها قد تختلف في فواصلها لتتناسب مع سياق الآية. وتتمثل أهميته وبإضافة مفاهيم أخرى حول هذا العلم تكمن في خروجه عنما عرف به هذا العلم باختصاصه بمعرفة من عد ومن لم يعد إلى ما يحمله من معان تكشف عن دقة التعبير القرآني. وتتمثل مشكلة البحث في اختلاف الفواصل في الآيات التي تتشابه، وعلى أي أساس يجمع بين الآية وفاصلتها. وقد اتبع في ذلك المنهج الاستقرائي، بجمع نماذج من الآيات التي تتشابه في معانيها أو ألفاظها وتختلف في فواصلها مع تحليل أسباب هذا الاختلاف ومن أهم نتائج البحث أن اختلاف الفواصل في الآيات المتشابهة لفظاً إما أن يكون مراعاة لما تقدمها من آيات تستدعي أن يكون لفظ الفاصلة مختلفا، أو مراعاة للمساواة بين الفواصل لتكون على نسق واحد. وأن التناسب بين الآية ورأسها يشمل ما تختم به رؤوس الآي من حروف تتفق في صفاتها مع موضوع الآية.

الكلمات المفتاحية: اختلاف، الفواصل، المتشابهة

مقدمة

الحمد لله الذي من علينا بأعظم نعمة في الوجود بأن جعلنا خير أمة أخرجت للناس، وأنزل علينا أفضل كتبه، ومعجزته الخالدة، القرآن العظيم والذي يحوي علوما شتى وكل علم منها يحوي دقائق وأسرارا يهدي الله إليها من يشاء من عباده وينور بصيرته لإدراكها، ومن تلك العلوم علم فواصل القرآن الكريم والذي يتعلق بالكلمات أواخر الآي، وقد تناولت خلال هذا البحث أسرار التركيب اختلاف الفواصل في الآيات التي تتناول موضوعاً واحدا، ومن أهم توصيات البحث إجراء المزيد من البحوث التي تتعلق بالفواصل وتعلقها بما قبلها

أهمية البحث

يستمد البحث أهميته من تعلقه بكتاب الله أولا ثم بعلم الفواصل لكونها سببا لفهم كثير من الآيات عند الوقف عليها إذ يكتمل المعنى عندها، وبإضافة مفاهيم أخرى حول هذا العلم وخروجه عن المتعارف عليه بأنه علم يختص بمعرفة ما يعد آية وما لا يعد إلى البحث عن المعاني التي تحملها الفاصلة من خلال ربطها بما قبلها وبالجمع بينها وبين نظائرها

موضوع البحث

نزل القرآن بلسان عربي مبين، ونزل على قوم شغلهم البيان حتى كان أعظم بضاعتهم، وتفعل الكلمة فيهم ما لا تفعل السيوف، وقد كانوا مجبولين بحكم البيئة والنشأة وأمية الكتابة على حب البيان

(•) أستاذ مساعد - قسم القراءات - كلية القرآن الكريم - جامعة دنقلا – السودان.

الرفيع المليء بالصور الإيقاعية المساعدة على تذكر المادة اللفظية كالقوافي والأسجاع وكل ما يعطي نغماً موسيقياً لفظياً، وكان على القرآن لكي يؤثر فيهم أن يعلو على بيانهم، وهكذا جاء القرآن ممثلاً أرقى استعمال للغة من لغات البشر، وتشرفت العربية بهذا الشرف الرفيع.

ومن أساليب القرآن الممتعة، وتراكيبه الرصينة المبدعة فواصله (رؤوس آياته) والفواصل: جمع فاصلة، والفاصلة في القرآن: هي آخر كلمة في الآية، وهي بمثابة السجعة في النثر، وبمنزلة القافية في النظم، وسميت فاصلة لأنها فصلت بين الآيتين، والآية التي هي رأسها، والآية التي بعدها، ولعل هذه التسمية أخذت من قوله تبارك وتعالى: (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) (سورة هود:2)، وقوله جلّ ذكره: (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (فصلت: ٣).

وصور الإعجاز في القرآن كثيرة، ومنها إعجازه اللغوي، ومن مظاهر الإعجاز اللغوي استعماله للفواصل التي لا يضاهيها شيء من قوافي الشعر، في جمال تناسقها ووقعها على النفس، سيما إذا ارتبطت بالأحكام التجويدية - كالمد والغنة- التي اختص بها القرآن فوجد العرب فيها من جمال الوزن وحسن التركيب مالم يجدوه في أشعارهم، فآمنوا به. عليه، فإن دراسة الفواصل القرآنية تقع ضمن دراسة صور الإعجاز في القرآن الكريم.

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في ملاحظة اختلاف الفواصل في بعض الآيات التي تتشابه في موضوعها بل وأحياناً في نصها فما علة هذا الاختلاف؟ وما مرجعه؟ وما هي العلاقة التي تربط الآيات المتشابهة التي تحوي هذه الفواصل؟ وهل يقتصر علم الفواصل على معرفة من عدها ومن لم يعد؟ يحاول البحث الإجابة عن هذه الأسئلة بالأدلة من القرآن وأقوال العلماء.

الدراسات السابقة

أشار بعض العلماء في تفاسيرهم إلى علل اختلاف الفواصل الآيات المتشابهة كابن عاشور في "التحرير والتنوير" وكأبي حيان في "البحر المحيط" إلا أنني لم أجد من أفرد لها مؤلفا خاصا أشير فيه إلى هذه العلل.

حدود البحث

قد اقتصرت هذه الدراسة على أسباب الاختلاف في بعض الفواصل للآيات المتشابهة

أهداف البحث

١- إبراز جمال التركيب والتناسق التام بين الفاصلة والآية القرآنية

٢- بيان أرجح الأقوال عن علم الفواصل من حيث التوقيف والاجتهاد

٣- تحرير بعض المصطلحات المتعلقة بعلم الفواصل كرأس الآية والفاصلة

٤- الربط بين علمي الفواصل والإعراب

منهج البحث

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي، وذلك من خلال جمع نماذج من الآيات القرآنية التي تتشابه في موضوعها ونصها مع الاختلاف في فواصلها وقد راعى البحث الإجراءات التالية.

إجراءات البحث

١- نسخ الآيات القرآنية من مصحف المدينة واتباع العدد الكوفي في عدها كما في المصحف

٢- إعراب الفواصل

٣- تقسيم الفواصل حسب موقعها الإعرابي

٤- ذكر علل اختلاف الفواصل في الآيات المتشابهة في موضوعها.

تعريف بعلم الفواصل واختلاف العلماء فيه بين التوقيف والاجتهاد

الفاصلة في اللغة

الفَصلُ: بَوْنُ ما بين الشَّيئينِ. والفَصْلُ من الجَسَد: موضِعُ المَفْصِل، وبين كل فَصْلَيْنِ وَصْلٌ. والفَصْلُ: القَضاء بين الحقّ والباطل، واسمُ ذلكَ القضاءِ فَيصَلٌ. وقضاءٌ فَيْصَليٌّ وفاصِلٌ. وحُكْمٌ فاصِلٌ. والفَصيلةُ فَخِذُ الرجلِ من قومه الذين هو منهم. والفُصلانُ جمعُ الفَصيل، وهو وَلَدُ الإبِل. والفَصيلُ: حائطٌ قصيرٌ دون سور المدينة والحِصْنِ. والانفِصالُ مطاوَعَةُ فَصلٍ. والمَفصِل: اللِّسانُ. والمَفصِلُ أيضاً: كلُّ مكان في الجَبَل لا تَطلُعُ عليه الشمسُ(الفراهيدي، 126/7). قال الهُذليّ:

مَطافيل أبكارٍ حديثٍ نِتاجُها ... يُشابُ بماءٍ مثلِ ماءِ المفاصل (الهذلي،1965م ،141/1)

قال الخليل: الفاصلة في العروض: أن يجمع ثلاثة أحرف متحركة والرابع ساكن مثل فَعَلَنْ.

قال: فإذا اجتمعت أربعة أحرف متحركة فهي الفاضلة بالضاد معجمة مثل: فعلتن.

والفصل عند البصريين: بمنزلة العماد عند الكوفيين، كقول الله عز وجل: (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)(الأنفال: 32)، فقوله: "هو" فصل وعماد، ونصب الحق لأنه خبر كان، ودخلت "هو" للفصل. وأواخر الآيات في كتاب الله فواصل، بمنزلة قوافي الشعر، واحدتها فاصلة.

وقول الله عز وجل: (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُه)(فصلت: ٣)، له معنيان: أحدهما: تفصل آياته بالفواصل، والمعنى الثاني: فصلناه: بيناه. وقوله جل وعز:(آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ)(الأعراف: ١٣٢)، بين كل آيتين مهلة. وقيل: مفصَّلات مبيَّنات. ويقال: فصل فلان من عندي فصولا: إذا خرج. وفصل مني إليه كتاب: إذا نفذ، قال الله جل وعز: (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ)(يوسف: ٩٥)،أي: خرجت. وفصل يكون لازما وواقعا، وإذا كان واقعا فمصدره الفصل، وإذا كان لازما فمصدره الفصول(الهروي،2001م،136/12).

الفاصلة اصطلاحاً:

قال الداني: "الفاصلة كلمة آخر الجملة" (الزركشي ،957م،53/1)

وقال القاضي أبوبكر: (الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني) (الباقلاني،1997م،270).

فهناك فرق بين التعريفين فالداني يسمي الكلمة آخر الجملة برُمتها فاصلة أما القاضي أبوبكر فينحصر مفهوم الفاصلة عنده في جزء من هذه الكلمة وهو بعض حروفها.

مثال ذلك قوله تعالى: (وَالْفَجْرِ)(الفجر: ١) فكلمة (والفجر) تعتبر فاصلة عند الداني أما عند القاضي أبوبكر فالفاصلة هي الراء فقط. قلت: وإطلاق مسمى الفاصلة على آخر كلمة في الآية أشمل وأبلغ في بيان الإعجاز القرآني ولا شك أن الكلمة تتضمن الحرف أما عكس ذلك فلا يمكن تحقيقه.

الفرق بين الفواصل ورؤوس الآي

الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس، وكذلك الفواصل يكن رؤوس آي وغيرها، وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية". "ولأجل كون معنى الفاصلة هذا، ذكر سيبويه في تمثيل القوافي:

(يَوْمَ يَأْتِ) (هود: 105) و (مَا كُنَّا نَبْغ)(الكهف: ٦٤)- وليسا رأس آية بإجماع- مع (إِذَا يَسْرِ) (الفجر: ٤) وهو رأس آية باتفاق"

اختلاف العلماء في الفاصلة القرآنية بين التوقيف والاجتهاد

تباينت أقوال العلماء المشتغلين بعلم الفواصل فيه فمنهم من يرى أنه توقيفي عن النبي صلى الله عليه وسلم وأن باب الاجتهاد قد أغلق في هذه المسألة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد بيَّن مواضعها، ومنهم من يرى أنه أمر اجتهادي لذلك سأسرد أقوال الفريقين واستدلالهم مع ترجيح القول الأصوب.

أولاً: القائلون بالتوقيف في الفاصلة وأدلتهم

من أشهر القائلين بذلك الإمام الداني فقد ذكر عدداً من الأدلة سأكتفي بذكر دليلين مرجعهما لأحد أمرين هما:

١- التوقيف عن طريق الوحي

ومن ذلك ما رُوي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: "آخر آية نزلت: (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) (البقرة:281) قال المَلَك: اجعلها على رأس ثمانين ومئتين من البقرة. (القرطبي، 1964، 357/3).

٢- النهي عن الاجتهاد في معرفة العدد

ومن ذلك ما رواه الأعمش عن عاصم عن زر بن حبيش قال: "قال عبد الله بن مسعود: تمارينا في سورة من القرآن، فقلنا: خمس وثلاثون آية، ست وثلاثون آية، قال: فانطلقنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدنا عليًّا يناجيه، فقلنا: إنا اختلفنا في القراءة، فاحمَّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عليٌّ: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تقرؤوا كما عُلّمت"[١]

ثم قال: "ففي هذه السنن والآثار التي اجتلبناها في هذه الأبواب مع كثرتها واشتهار نقلتها دليل واضح وشاهد قاطع على أن ما بين أيدينا مما نقله إلينا علماؤنا عن سلفنا من عدد الآي، ورؤوس الفواصل، والخموس، والعشور، وعدد جمل آي السور على اختلاف ذلك واتفاقه مسموع من رسول الله صلى

---

[١]) مسند الإمام أحمد، باب مسند الإمام علي، حديث رقم 832، 200/2

الله عليه وسلم ومأخوذ عنه وأن الصحابة رضوان الله عليهم هم الذين تلقوا ذلك منه كذلك تلقِّيا كتلقيهم منه حروف القرآن واختلاف القراءات سواء، ثم أداه التابعون رحمة الله عليهم على نحو ذلك إلى الخالفين أداء، فنقله عنهم أهل الأمصار وأدوه إلى الأمة وسلكوا في نقله وأدائه الطريق التي سلكوها في نقل الحروف وأدائها، من التمسك بالتعليم بالسماع، دون الاستنباط والاختراع؛ ولذلك صار مضافاً إليهم، ومرفوعاً عليهم دون غيرهم من أئمتهم ، كإضافة الحروف وتوقيفها سواء وهي إضافة تمسك ولزوم واتباع، لا إضافة استنباط واختراع"(الداني،1994م،38-39).

وممن سلك نهج الإمام الداني في القول بتوقيف العد العلامة السخاوي- فيرى أن التوقيف يرجع إلى اختلافهم في عد الفواصل المتشابهة فلو كان الأمر بالاجتهاد لما اختلفوا في ذلك- حيث قال: "وقال بعض من عُني بهذا الشأن: جَمَلنا عدد آي القرآن مع آي فاتحة الكتاب، كل ذلك في العدد الكوفي، فكان ذلك ستة آلاف آية ومائتي آية وستا وثلاثين آية وجَملنا ذلك كله للمدني الأخير وهو عدد إسماعيل بن جعفر المدني، فكان ستة آلاف آية ومائتي آية وأربع عشرة آية.

وكان في المدني الأول ستة آلاف ومائتي آية وسبع عشرة آية. وحسبناه في عدد أهل البصرة، فكان ستة آلاف ومائتي آية وأربع آيات. وجمعناه على عدد أهل الشام فكان ستة آلاف ومائتي آية وسبعا وعشرين آية وجمعناه على عدد المكّي فكان ستة آلاف آية ومائتي آية وخمسا وعشرين آية.

فإن قيل فما الموجب لاختلافهم في عدد الآي: النقل والتوقيف؛ ولو كان ذلك راجعاً إلى الرأي لعد الكوفيون (الر)(يونس: ١) كما عدوا (الم) (البقرة: ١) آية، وكيف عدوا(المص) (الأعراف: ١) آية ولم يعدوا (المر)(الرعد: ١) وقد مر في السور من هذا كثير، يدلك على التوقيف (السخاوي،1997م،318-320). وعلى نهجه وقوله سار الإمام الزركشي حيث قال: (ثم لا بد من التنبيه على أحكام تختص بهذه الفواتح الشريفة الأول: أن البصريين لم يعدوا شيئا منها آية وأما الكوفيون فمنها ما عدوه آية ومنها ما لم يعدوه آية وهو علم توقيفي لا مجال للقياس فيه... وقال بعضهم: (الصحيح أنها إنما تعلم بتوقيف من الشارع، لا مجال للقياس فيه كمعرفة السورة، فالآية طائفة حروف من القرآن، علم بالتوقيف انقطاعها معنى عن الكلام الذي بعدها في أول القرآن، وعن الكلام الذي قبلها في آخر القرآن) (الزركشي،1997م،267/1).

القائلون بالاجتهاد في العد

ينقسم القائلون بالاجتهاد في العد إلى قسمين؛ قسم يقول بالتوقيف في بعض آيات القرآن الكريم أو معظمها والاجتهاد فيما لا نص فيه، فهم يقولون بدخول الاجتهاد في العد فيما لم يثبت فيه نص، ولهذا القول أنصاره قديما وحديثاً، أما القسم الثاني فيتمثل فيمن يقول بأن العد كله اجتهاد، ولم يثبت نص في تحديد آية منه ولم يقل بذلك إلا الباقلاني رحمه الله.

أولاً: القائلون بالاجتهاد والتوقيف

ذهب بعض العلماء قديماً وحديثاً إلى أن عد الآي فيه توقيف –وهذا ما تؤيده النصوص الواردة في ذلك وبعض الأدلة التي سبق بيانها، وفيه اجتهاد، إذ أنه لم يرد في كل آي القرآن نصوص تثبت التوقيف فيها، وممن اختار هذا الرأي الإمام الشاطبي حيث قال

ولكن بعوث البحث لافل[1]حدها ... على حدها تعلو البشائر بالنصر :(الشاطبي،27-28)

قال عبد الفتاح القاضي: "لما قدَّم المصنف أن عدد الآي ثابت بالتوقيف واستدل عليه بما تقدم، وكان ذلك موهماً أن هذا العلم نقلي محض لا مجال للعقل فيه، استدرك لدفع هذا التوهم فبيَّن أن ليس معنى كونه نقلياً أن جميع جزئياته كذلك، بل معنى ذلك أن معظمه نقلي، وقد استنبط منه قواعد كلية، رُدَّ إليها ما لم يُنص عليه من الجزئيات بالاجتهاد(القاضي،1395هـ،118) وممن قال هذا القول العلامة القسطلاني، وعبدالرزاق موسى(موسى، 1989 م،17)

واستدل القائلون بهذا القول بأدلة كثيرة منها:

إن رسول الله عد على أصحابه القرآن تيسيراً عليهم في تعلمه وتعليمه. كما وسع الله عليهم فيه فأنزله منجما وعلى سبعة أحرف. وجعله سوراً متعددة مختلفة الطول والقصر كذلك وسع الرسول صلى الله عليه وسلم وزاد في هذه السعة فعده عليهم ليتعلموه ويعلموه أعشاراً وأخماساً. والصحابة رضوان الله عليهم نقلوه إلى من بعدهم كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما حافظوا على نقل حروفه وألفاظه حافظوا كذلك على عد آيه.

ثانيا: ثبوت العد في بعض الآيات مع شدة تعلقها بما بعدها وعدم انقطاع الكلام عندها ولو كان العدد يعتمد الرأي والاجتهاد لما عدت هذه الآيات لشدة تعلقها بما بعدها. مثال ذلك قوله تعالى: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى)(العلق: 9) فإنها شديدة التعلق بما بعدها وهو (عَبْدًا إِذَا صَلَّى)(العلق: 10) فهذا دليل على ثبوت العدد بالتوقيف.(موسى ،1989 م، 17-18)

القائلون بالاجتهاد المحض في العد

انفرد بهذا القول الإمام أبوبكر الباقلاني حيث قال: "بل نقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحد في عدد آيات السور حداً، ولا وقفهم عليه في ذلك على شيء، ولا كان هو صلى الله عليه وسلم يعد ذلك وإن جاز أن يكونوا هم قد كانوا يعدون في عصره وعند القراءة عليه لأنفسهم، فلا ينكر ذلك عليهم، بل يخليهم وما عدوا وإذا كان ذلك كذلك لم يلزمنا شيء مما قلتم، لأنه لا نص من الرسول على عدد الآي ومقاديرها.

فإن قالوا: وما الدليل على ذلك؟ قيل لهم: من الأدلة عليه علمنا بأنه لو كان صلى الله عليه قد نص لهم قدر الكلام الذي يكون آية، أوجب أن يكون بيانه لذلك كبيانه لتأليف آيات كل سورة، وكبيانه للقرآن نفسه، ولوجب في مستقر العادة ظهور ذلك عنه، وتوفر الدواعي والهمم على ضبطه وذكره وحراسته وتقييده، كما وجب عليهم بتأليف آيات كل سورة، وبالقرآن نفسه. لارتفع الخلاف عليهم في ذلك والنزاع، ولما لم يظهر ذلك ولم نجد أنفسنا عالمة بهذه الجملة من توقيف الرسول ودينه كما نجدها عالمة بتوقيفه على نزول جميع القرآن من عند ربه، وعلى تأليف آيات السور وكلماتها: علمنا

---

(1) يقال: رجل فل، وقوم فل، وربما قالوا: فلول وفلال. وفللت الجيش: هزمته. وفله يفله بالضم، يقال فله فانفل، أي كسره فانكسر. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد.باب (فلل).(1793/5).

أنه لا نص كان منه على هذا الباب، ولا قول ظهر منه في ذلك ولا أمر يجب حفظه وإذاعته، ولزم القلوب العلم به. ومما يقوي ذلك ويشهد له أن ثبت أنه قد وردت بهذه الرواية، فروى يحيى بن سعيد الأموي عن الأعمش عن عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال: "تمارينا في سورة من القرآن، فقال بعضنا خمس وثلاثون، وقال بعضنا ست وثلاثون، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغير لونه، وأسر إلى علي عليه السلام شيئا، فسألنا عليا: ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إن الله يأمركم أن تقرؤوا القرآن كما علمتموه ".وهذا الخبر يدل على أنه لم يأمرهم بعد الآي بل نهاهم عنه إذ ذاك، أو أطلقه لهم ووكله إلى آرائهم وما يؤديهم الاجتهاد إلى أنه فصل وموضع آخر الآية، ليستعينوا بذلك على الحفظ ويقيدوه، ويدل أيضا على أنهم كانوا يعدون عدا مختلفا. فإن قالوا: فهل تقطعون بهذا الخبر على أن القوم كانوا يعدون في زمن الرسول صلى الله عليه أم لا؟ قيل لهم: لا لأنها من أخبار الآحاد التي لا توجب علما. فإن قيل: أفتجوزون أن يكونوا قد كانوا يعدون إذ ذاك؟ قيل لهم: يجوز ذلك. فإن قيل: فهل تجوزون أن يكون عددهم لآيات السور وقدر الآيات متفقا أو أن يكون ذاك مختلفا؟ قيل لهم: أجل، يجوز أن يكونوا قد عدوه في عصره صلى الله عليه عددا متفقا غير مختلف، غير أنهم عدوا ذلك لأنفسهم استعانة به على تقييد الحفظ وضبط السور من غير أن ينص لهم الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك، فلذلك لم ينقل عنه شيء في هذا الباب، فلما انقرض ذلك العصر ولم ينقل ذلك العدد عنهم لأنه لم يكن من فرائض دينهم ولا مما نص لهم الرسول عليه وأحدهم به: ذهب على من بعدهم العدد الذي كانوا اتفقوا عليه في زمن الرسول، والناس من بعدهم يعدون ذلك لأنفسهم، وبحسب ما أداهم الاجتهاد إليه.(الباقلاني،2001، 1/226-229).

مناقشة الأقوال

أولاً: القائلين بالجمع بين الاجتهاد والتوقيف في عد الآي

من يقول بدخول الاجتهاد في علم العدد يشكل عليهم عدم قدرتهم على تمييز ما كان منه توقيفياً، وما كان منه اجتهاديا، إلا إن كانوا يقصدون بعض مباحثه، وهل علماء العدد الذين رووه، اخترعوه من عند أنفسهم؟، كيف وقد ترتب على معرفة رؤوس الآي أحكام في القراءات من إمالة وغيرها، وفي الفقه من إجزاء ثلاث آيات قصيرة أو آية طويلة عند من يوجب قراءة شيء بعد الفاتحة، أو الخطبة أو التعبد بقراءة عدد معين من الآيات في القيام من الليل.

فإذا قلنا بالاجتهاد في معرفة رؤوس الآي، أجزنا أيضاً الاجتهاد في القراءة، ولا قائل به. ويشكل عليهم أيضاً ورود الرواية به بأسانيدها، فإن كان اجتهاداً فلماذا يتفق جميع من ألَّف في هذا الفن على مجمل مسائله دون خلاف فيها؟،وإن كانوا حال نقلهم له يعلمون أنه اجتهاد فلماذا نُسب إلى الأمصار التي أرسل إليها عثمان المصاحف؟ ومن الذي سوغ لهم الاجتهاد ورضيه وقبله؟ ثم نرى الأمة كلها تتبع أفراداً في ما قالوه وتؤيدهم فيما نقلوه، ولم يختلفوا عنهم في شيء منه مع علمهم أنه اجتهاد منهم لا يلزمهم متابعتهم فيه، فكيف يختلفون في مسائل فقهية فيها آثار، ويتفقون في نقل قضايا اجتهادية

يُسلم لأصحابها بها دون مخالف لهم أو اعتراض اختلاف القراءات للتسهيل على الناس، قيل إن الأمر نفسه ينطبق على عد الآي.

من كل ما تقدم يرى الباحث أن هذا العلم توقيفي، متبعاً في ذلك جماهير العدد، وعلى رأسهم الإمام الداني، للأسباب التالية

١- الاجتهاد لا يلزم فيه اتباع أبدا، بل يلزم صاحبه دون غيره

٢- القائلون بأنه كله علم اجتهادي، لم يقل به إلا الباقلاني، وسأبين عدم صحة هذا القول منفرداً لشذوذه.

٣- أن بعض أسانيد علم العدد تنسب إلى أهل الأمصار ومن رواها عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كالعدد المكي، وبعضها ينسب إلى الخلفاء الراشدين كالإمام علي كرم الله وجهه ورضي عنه، وكعدد أهل الكوفة رواه حمزة الزيات عن ابن أبي ليلى عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وكالعدد الدمشقي: هو ما رواه يحيى الذماري عن عبد الله بن عامر اليحصبي عن أبي الدرداء وينسب هذا العدد إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه.(القاضي، 1404هـ، 26) ،وقد أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بالتمسك بسنة الخلفاء الراشدين

٤- عدم وجود آثار تؤكد تعليمه صلى الله عليه وسلم عد آيات كل سورة لا ينفي وجود ذلك إذ أن الأمر نفسه ينطبق على القراءات القرآنية.

مناقشة رأي الباقلاني

قلت: إن قوله: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحد في عدد آيات السور حدا ،هذا قول يخالف ما ورد في السنة المطهرة من الأحاديث التي بين النبي صلى الله عليه وسلم عدد آي بعض السور فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه ولسلم قال:" إن سورة في القرآن ثلاثون آية، شفعت لصاحبها حتى غفر له: (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ) (الملك: ١)[١] وقوله بجواز عدهم بين يديه وعدم إنكاره لذلك فهذا إقرار منه صلى الله عليه وسلم، وقوله: لو أن النبي صلى الله عليه وسلم نص لهم قدر الكلام الذي يكون آية، أوجب أن يكون بيانه لذلك كبيانه للقرآن نفسه. "فإن كيفية نقل العدد هي كيفية نقل القراءات وهي القرآن نفسه على القول بأن القرآن والقراءات بمعنى واحد وليس عندنا حديث واحد عن نقل قراءة سورة واحدة بل أوجه القراءات على حسب الرواية ثم الاختيار من الرواة"(الجعبري،1435هـ،69).

وقد رد عليه الإمام الداني وإن لم يصرح بذكر اسمه فقال : "وقد زعم بعض من أهمل التفتيش عن الأصول، وأغفل إمعان النظر في السنن والآثار، أن ذلك كله معلوم من جهة الاستنباط، ومأخوذ أكثره من المصاحف دون التوقيف والتعليم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبطلان ما زعمه وفساد ما قاله غير مشكوك فيه عند من له أدنى فهم وأقل تمييز ،إذا كان المميز عن الله عز وجل قد أفصح

---

[١]) سنن ابن ماجة، باب ثواب القرآن، (رقم:3786).(703/4)

بالتوقيف بقوله صلى الله عليه وسلم :(من قرأ آية كذا وكذا، ومن قرأ الآيتين...) ألا ترى أنه غير ممكن ولا جائز أن يقول ذلك لأصحابه الذين شهدوه وسمعوا ذلك منه وقد علموا للمقدار الذي أراده وقصده، وأشار إليه ،وعرفوا ابتداءه واقصاه ومنتهاه"(الداني، 1994م، 39-40).

طرق معرفة الفاصلة

١- التلقي عن النبي صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: "الحمد لله رب العالمين سبع آيات إحداهن بسم الله الرحمن الرحيم (الفاتحة: ١)، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب"[١]

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا. (السيوطي، 1994م، 215/1). قلت وهذا يدل على تعليمه صلى الله عليه وسلم لأصحابه عد الآي.

٢- القياس

وهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب ولا محذور في ذلك لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل والوقف على كل كلمة جائز ووصل القرآن كله جائز، فاحتاج القياس إلى طريق تعرفه وفاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر، وقافية البيت في النظم ،وما يذكر من عيوب القافية من اختلاف الحذو، والإشباع والتوجيه فليس بعيب في الفاصلة ،وجاز الانتقال في الفاصلة والقرينة والقافية والأرجوزة من نوع إلى آخر بخلاف قافية القصيد ومن ثم ترى (يرجعون) مع (عليم) و(الميعاد) مع (الثواب)و (كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ)(الإسراء: ٥٩)،و(لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ) (مريم: ٩٧)، و(لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)(طه: ١١٣)، و (مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) (الطلاق: ١١) و(أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الطلاق: ١٢) بالطلاق حيث لم يشاكل طرفيه (السيوطي،1998م،24/1).

التناسب بين الفاصلة القرآنية و آيتها

لا شك أن الفاصلة دائما ما تكون متناسبة مع ما تحمله الآية من المعاني بل وتتناسب بما تحمله تلك الحروف التي تختم بها من صفات مع موضوع الآية. مثال ذلك قول الله عز وجل: (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (المائدة: ١١٨) ووجب أن يوصف بالحكيم أيضا؛ لأن الحكيم من يضع الشيء في محله، والله تعالى هو أحكم الحاكمين. وقد خُتمت الفاصلة بحرف الميم وهو حرف مجهور أغن. وهما صفتان تتناسبان مع خطاب نبي الله عيسى مع ربه فيما يتعلق بمصير قومه. وبما أن العرب هم أهل الفصاحة والإحاطة باللغة بما تحمله من معاني فقد كانوا يستشعرون فواصل الآيات ويتوقعونها حتى قبل سماعها تسوقهم إلى ذلك فطرتهم فقد سمع أعرابي قول الله

---

(١) البيهقي، السنن الصغير، باب افتتاح فاتحة الكتاب،49/1حديث رقم383

تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (المائدة: ٣٨) وأكملها القارئ بقوله :(والله غفور رحيم) بدلا من والله عزيز حكيم فقال أعرابي سمع الآية بهذا الخطأ : هذا لا يكون لا يصدر هذا الكلام عن الله فلا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه.(ابن عقيلة، 1427هـ، 315/3) وروى أبو الخليل عن أبي قتادة قال: "لما نزلت هذه الآية إلى آخرها قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «فتبارك الله أحسن الخالقين» "فنزلت:(فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) (المؤمنون: 14).(الثعلبي، 1436هـ، 43/7) وهذا يدل على فصاحة عمر رضي الله عنه وقوة إدراكه. وتذوقه للغة.

علل اختلاف الفواصل في الآيات المتشابهة

ذكر علماء اللغة أن المتشابه اللفظي يطلق في اللغة على ما تماثل من الأشياء، وأشبه بعضه بعضاً والمراد به الغامض المشكل مما استأثر الله سبحانه بعلمه كعلم المغيبات، وعلم الساعة، أو أنه مما التبس فهم المراد منه، من حيث خرج ظاهره عن دلالته على المراد به، لشيء يرجع إلى اللغة، أو العقل أو غير ذلك.(زرزور، 1970م، 15،53)

أما النوع الثاني- وهو مجال البحث فهو المتشابه اللفظي، والمراد به: الآيات التي تكررت في القرآن الكريم، في القصة الواحدة من قصص القرآن أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة وصور متعددة وفواصل شتى، وأساليب متنوعة، تقديماً وتأخيراً، وذكراً وحذفاً، وتعريفاً مع اتفاق المعنى العام لغرض بلاغي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره (الششري، د.ت،٣-٤).

وسأتطرق خلال هذا البحث إلى عرض نماذج لآيات من القرآن الكريم اختلفت الفواصل فيها مع تشابه كبير في المعنى مع الكشف عن العلة في ذلك كله. ولا شك أن هذا مما يكشف لنا جليا عن بلاغة القرآن وإعجاز تركيبه

١- اختلاف الأفعال في الفواصل المتشابهة

يقول تعالى: (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ)(المؤمنون: ٥٢) ويقول: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (الأنبياء: ٩٢).

تشترك الفاصلتان في إعرابهما فـ الفاء في (فَاتَّقُونِ)، (فَاعْبُدُونِ) هي الفاء الفصيحة و(فَاتَّقُونِ، فَاعْبُدُونِ) فعلا أمر مبنيان على حذف النون، والواو فاعل، والنون للوقاية، والياء المحذوفة لرسم المصحف مفعول به.(درويش، 1415هـ، 521/6).

الملاحظ في الآيتين اتفاقهما في الألفاظ واختلافهما في الفاصلة فختمت آية الأنبياء بالفاصلة (فَاعْبُدُونِ) بينما ختمت آية المؤمنون بالفاصلة (فَاتَّقُونِ) وكلاهما فعل أمر. وسبب ذلك أن سورة الأنبياء لم يرد فيها ذكر لفظ التقوى في أمر ولا خبر من أولها إلى آخرها، وورد الأمر بالعبادة في قوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) (الأنبياء: ٢٥).أما سورة المؤمنون فقد تكرر فيها ذكر التقوى في ثلاثة مواضع، أولها قوله تعالى:(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (المؤمنون: ٢٣) وفي ما بعد الآية المتكلم فيها (قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ)(المؤمنون: ٨٧)، فَرُوعي في الأولى ما تقدمها، ونوسب بالثانية ما اكتنفها، وأيضاً فإن

العبادة مأمور بها ليحصل الاتقاء، فهي مقدمة في الطلب لتحصيل ما يتسبب عنها إذا كانت الإجابة، وعلى ذلك ورد دعاء الخلق، قال تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ٢١) وفي سورة المؤمنون المذكورة: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) فالاتصاف بالتقوى ثان عن الاتصاف بالعبادة، فقيل في الأنبياء: (فَاعْبُدُونِ) وفي سورة المؤمنون: (فَاتَّقُونِ) وكلاهما ذكر على مقتضى الترتيب، وأيضاً فإنا إذا اعتبرنا ما قدم من قصص الرسل في السورتين وجدنا الوارد في سورة الأنبياء مقصوراً على ذكر منحهم وتخليصهم وتأييدهم من لدن قوله تعالى في إبراهيم: (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ) (الأنبياء: ٥١) وقوله: (وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ)(الأنبياء: ٧٣) فتضمنت هذه الآي بضعة عشر نبياً، أولهم إبراهيم وآخرهم من أعقب ذكره بالآية المذكورة، وقد اقتصر من قصصهم في هذه الآي على ما يطلع المؤمنين على تكفله سبحانه بالمصطفين من عباده وما اختصهم به، ولم يرد مع ذلك تكذيب قومهم لهم، ولا ما يرجع إلى هذا وكل هذا تأنيس وذكر نعم وآلاء وألطاف يناسبها قوله: :(فَاعْبُدُونِ) لكونه أمراً بالعبادة مجرداً عما في قوله: (فَاتَّقُونِ) من التخويف. (الغرناطي، د.ت، 345/2).

٢- اختلاف الصفة في الفواصل المتشابهة

قال تعالى: (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ) (الأعراف: ٨١). قال: (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) (النمل: ٥٥).

وبإعراب الفاصلتان نجد أن بينهما اتفاقا في الحكم الإعرابي فـ(مُسْرِفُونَ)و(تجهلون) صفتان مرفوعتان بالواو، والنون عوضا عن التنوين في الاسم المفرد(الدعاس وآخرون، 1425هـ، 375).

الاختلاف بين الآيتين في فاصلتيهما فالفاصلة في آية الأعراف(مُسْرِفُونَ) وفي آية النمل (تَجْهَلُونَ)، فالمسرف مجهل بإسرافه، والجاهل مسرف بأفعاله، إذ الإسراف مجاوزة الحد الواجب إلى الفساد، فيجوز أن يكون لوط عليه السلام لما كانت له مع قومه مقامات قال في بعضها هذا اللفظ، وفي بعضها اللفظ الآخر، ولم يناف أحدهما الآخر. ثم اختصاص مسرفين بسورة الأعراف، فلأن الآيات التي قبلها فواصلها أسماء جمعت هذا الجمع، من حيث قال: (وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)(الأعراف:٧٤) فكانت فاصلة هذه الآية: (مُفْسِدِينَ) وفاصلة ما بعدها: (مُؤْمِنُونَ) وما بعدها: (كَافِرُون) وبعدها: (الْمُرْسَلِينَ) وبعدها: (جَاثِمِينَ) وبعدها: (النَّاصِحِينَ)، وبعد ذلك إذ انتهى إلى هذه الآية (الْعَالَمِينَ) فكان الاسم أحق بالوضع في هذا المكان لتتساوى الفواصل، وفي سورة النمل تقدم الآية التي فاصلتها: (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ). (الإسكافي، 2001م، 632-633)

قال تعالى:(أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (النمل: 86) وقال: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ)(يونس: ٦٧)

بإعراب الفاصلتين نجد أن جملة (يؤمنون، يسمعون) صفة القوم (درويش، 1415هـ، 273/4).

ختمت آية يونس بالفاصلة (يَسْمَعُونَ) لأنها مسوقة مساق الاستدلال والامتنان فخاطب بها جميع الناس من مؤمن وكافر فجاءت بصيغة الخطاب، وجعلت دلالتها لكل من يسمع أدلة القرآن فمنهم مهتد وضال ولذلك جيء فيها بفعل يسمعون المؤذن بالامتثال والإقبال على طلب الهدى.

وأما هذه الآية فمسوقة مساق التعجيب والتوبيخ فجعل ما فيها آيات لمن الإيمان من شأنهم ليفيد بمفهومه أنه لا تحصل منه دلالة لمن ليس من شأنهم الإنصاف والاعتراف ولذلك أوثر فيه فعل يؤمنون.(عاشور، 1984هـ، 45/20).

قال تعالى: (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) (آل عمران: 126) وقال: (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)(الأنفال :١٠).

يتضح جليا اختلاف الحكم الإعرابي للفاصلتين، فنلاحظ أن (حَكِيمٌ) خبر ثان مرفوع(صافي، 1418هـ، 179/9).(الْحَكِيمِ) صفة لله. (الدعاس، 1425هـ، 159). ففي قوله تبارك وتعالى: (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) مراعاة لأواخر الآي وهناك ليست آخر آية لتعلق يقطع بما قبله فناسب أن يأتي العزيز الحكيم على سبيل الصفة وكلاهما مشعر بالعلية كما تقول أكرم زيدا العالم وأكرم زيدا إنه عالم والضمير في وما جعله عائد على الإمداد المنسبك من أني ممدكم أو على المدد أو على الوعد الدال عليه يعدكم إحدى الطائفتين أو على الألف أو على الاستجابة أو على الإرداف أو على الخبر بالإمداد أو على جبريل أقوال محتملة مقولة أظهرها الأول. (أبو حيان، 280/5) كما أن آية الأنفال تقدم فيها أوعاد جليلة كقوله تعالى: (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ) (الأنفال: 7) ثم قال: (وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) ثم قال:(لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) فهذه أوعاد علية لم يتقدم إفصاح بمثلها في آية آل عمران فناسبها تأكيد الوصفين العظيمين من قدرته جل وتعالى على كل شيء وحكمته في أفعاله فقال: (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)، ولما لم يقع في آية آل عمران إفصاح بما في آية الأنفال وردت الصفتان تابعتين دون تأكيد وجاء كل على ما يناسب ولم يكن عكس الوارد في تعقيب الآيتين ليناسب وذلك واضح والله أعلم.

٣- اختلاف الجمل التي لا محل لها من الإعراب في الفواصل المتشابهة

قال تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ) وقال:(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (القصص: ٧١-٧٢).

تتحد الفاصلتان في إعرابهما، فالهمزة حرف استفهام إنكاري والفاء حرف استئناف ولا نافية (تَسْمَعُونَ)، (تبصرون) مضارع وفاعله، والجملة مستأنفة لا محل لها.(الدعاس،1425هـ،440/2)

فالآية الأولى ختمت بالفاصلة (تَسْمَعُونَ) وختمت الأخرى بالفاصلة (تُبْصِرُونَ) وقد قرن بالضياء. أفلا تسمعون؟ لأن السمع يدرك ما يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده، وقرن بالليل. أفلا تبصرون؟ لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه، قال الزمخشري:"

ومن رحمته"، من هنا للسبب، أي وبسبب رحمته إياكم، جعل لكم الليل والنهار(أبو حيان، 1994م، 321/8).

٤- اختلاف الخبر في الفواصل المتشابهة

قال تعالى: (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) (البقرة: ٥٩) وقال: (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ)(الأعراف: ١٦٣) جملة:(يظلمون) و(يفسقون) في محلّ نصب خبر كانوا (صالح، 1418هـ، 170/1).

على الرغم من التشابه الكبير بين الآيتين واتحاد موضوعهما إلا أن آية البقرة ختمت بالفاصلة (يَفْسُقُونَ) بينما ختمت آية سورة الأعراف بالفاصلة (يَظْلِمُونَ)يقول ابن عاشور:" وعبَّر هنا (بما كانوا يظلمون) وفي البقرة (بما كانوا يفسقون) لأنه لما اقتضى الحال في القصتين تأكيد وصفهم بالظلم وأدي ذلك في البقرة بقوله: فأنزلنا على الذين ظلموا، استثقلت إعادة لفظ الظلم هنالك ثالثة، فعدل عنه إلى ما يفيد مفاده، وهو الفسق، وهو أيضاً أعم، فهو أنسب بتذييل التوبيخ، وجيء هنا بلفظ يظلمون لئلا يفوت تسجيل الظلم عليهم مرة ثالثة، فكان تذييل آية البقرة أنسب بالتغليط في ذمهم، لأن مقام التوبيخ يقتضيه" (ابن عاشور،1984هـ،145/9).

قلت: أن أكثر بني إسرائيل كانوا فاسقين يدل على ذلك قوله تعالى: (مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (آل عمران: ١١٠)، لذلك لم يستخدم أداة الجر "من" التي تفيد التبعيض في آية البقرة لأن ما قارب الشيء أعطي حكمه أما آية سورة الأعراف فقد ختمت بلفظة يظلمون والظلم هو الشرك كما قال تعالى :(إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) وذلك يقتضي استثناء هذه الفئة المتصفة به من بني إسرائيل تفريقا بين الموحدين وغيرهم.

قال تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)(الأنعام: ١١) وقال: **(**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) (النمل: ٦٨) . «الْمُجْرِمِينَ» مضاف إليه وجملة كيف كان.. سدت مسد مفعولي فانظروا (الدعاس، 414/2). «الْمُكَذِّبِينَ» مضاف إليه مجرور بالياء لأنه جمع مذكر. وجملة «كَيْفَ كانَ» في محل نصب مفعول به للفعل انظروا(ابن عاشور، 1984هـ1 /291).

وعلة اختلاف الفاصلتين في ما تقدم الآية الأولى قوله تعالى: (فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ) (الأنعام: ٥) ناسب قوله: **(عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)** ولم يتقدم مثله في الأخرى.(ابن جماعة،1990م،156).

قال تعالى: (فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) (يونس: ١٠٨) وقال: (فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ)(الزمر: ٤١) وقال:(فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ) (النمل: 92) (بوكيل) خبر ما الحجازية محلا.(درويش، 1415هـ، 305/4)

والعلة في اختلاف الفاصلتين أن آية يونس مرتبطة بقوله تعالى فيما قبلها:(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (يونس:99) فلما تقدمها هذا ومعناه هو

المعنى المراد في قوله تعالى في سورة الزمر: (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) فقيل هنا على لسانه صلى الله عليه وسلم: (وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) وتناسب ذلك وارتبط ارتباطا لا يلائم الموضع خلافه.

وأما آية النمل فإنها راجعة إلى قوله تعالى فيما تقدمها: (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ) (النمل: ٧٩-٨٠) فناسب هذا أتم مناسبة قوله تعالى: "ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين" ولم يكن قوله: "فقل إنما أنا من المنذرين" ليناسب المتقدم في سورة يونس ولا قوله: "وما أنا عليكم بوكيل" ليلائم ما تقدم هنا (الغرناطي، د.ت، 251/1)

يقول تعالى: (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ)، ثم قال: (يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (المنافقون: ٧-٨). جملة: «لا يفقهون، لا يعلمون» في محلّ رفع خبر لكنّ(الدعاس، 1425ه، 257/28).

للسائل أن يسأل عن نفي الفقه عنهم أولا ونفي العلم في الآية الثانية؟ وهل كان يمكن وقوع ما نفي في الأولى منفيا في الثانية ووقوع ما نفي في الثانية في الأولى؟

والجواب، والله أعلم: أن الاعتزاز بالدين والاطلاع على تشريف المؤمن به واعتزازه بسببه أمر لا يوصل إليه إلا بعلم ويقين لا طريق لمنافق إليه ما دام على نفاقه، وإنما يعلمه ويصل إلى رحمة الله به المؤمن العالم حق العلم بما منح الله المؤمنين، من الاعتزاز بدينه سبحانه، والاعتصام باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم، والتمسك بما جاء به، فنفي ذلك عن المنافقين بين لا خفاء فيه، ولا يناسب سواه. وأما ما رامه من قطع الرفد والإنفاق وما يرجع إلى ذلك عن المؤمنين حتى يتفرقوا عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ويفردوه، فإن ذلك أمر لو تثبتوا فيه مع كفرهم ونفاقهم وأمعنوا النظر لعلموا بجري العادة أن أرزاق العالم لا تتوقف على منع مانع منهم، بل مشيئة جميعهم في هذا غير نافذة، وأن وصول أرزاق العباد إليهم أمر ليس لمخلوق فيه يد كنزول المطر وإرسال الرياح، وذلك مما لا طمع لمخلوق في إرساله ولا إمساكه. فلو فقه المنافقون، وتفهموا السنة الجارية لما فاهوا بمقالهم، (ولكن المنافقين لا يفقهون)، فنفي الفقه عنهم هنا أنسب شيء، فلا يلائم وقوع أحد المنفيين في موضع الآخر(الدعاس، 1425ه، 474/2).

٥- اختلاف الفواصل في الجمل الفعلية التي لا محل لها من الإعراب

قال تعالى: (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (القصص: ٦٠) وقال:(فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (الشورى: ٣٦) جملة: «لا تعقلون... » لا محلّ لها معطوفة على استئناف مقدّر أي أغفلتم فلا تعقلون.(صافي، 1418ه، 279/20). جملة: «يتوكّلون» لا محلّ لها معطوفة على جملة الصلة.(صافي، 1418ه ، 48/25). والحجة في اختلاف الفاصلتين أن قوله تعالى في آية القصص: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) ملتحم أوضح التحام بما اتصل به من قوله: (أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) (القصص: ٦١) فكأنه قد قيل -بعد

قوله: وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى -أفلا تعقلون ما بين الأمرين، ثم أخبر بقوله: (أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) في العذاب الذي لا آخر له فقوله (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) من تمام ما قبله وذلك بين التناسب. ولما ورد قبل آية الشورى: (وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ)(الشورى:٧)،قوله: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا) (الشورى: ١٣) إلى قوله: (فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ)(سورة الشورى : ١٥) وقوله: (أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ)(سورة الشورى: ١٨)، قوله:(تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ) (الشورى: ٢٢)، وقوله: (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) (الشورى: ٣١)، ناسب هذا المتقدم من التخويف ما ينبئ المؤمنين المستجيبين بأصناف قوله:(وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى) بقوله تعالى: (لِلَّذِينَ آمَنُوا) أي صدقوا بكل هذا وعلى انفراده سبحانه بالخلق والأمر فتوكلوا عليه، فأعقبت كل آية منها بما يناسبها ووردت على ما يجب (الغرناطي، 384/2)

٦- اختلاف الحال في الفواصل المتشابهة

قال تعالى: (ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ)(الأنعام: ١٣١)، وقال: وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (هود: ١١٧). «وَأَهْلُهَا غافلون، وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ» حال من «القرى» في محل نصب(الخراط، 1426هـ ، 295/1).

وسبب اختلاف الفاصلتين أنه لما تقدم هنا قوله تعالى: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ) (الأنعام:١٣٠) فقدم سبحانه ذكر بعثة الرسل للجن والإنس وإنذارهم وتذكيرهم بالآيات وتعريف الخلق بالجزاء الأخروي على مقتضى قوله تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) (الإسراء: ١٥) فلا عذر لأحد وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى:(أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ) (المائدة: ١٩) فلم يتركوا سدى ولا عذر لمغض ولا متغافل بعد تنبيهه (ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ) (الأنعام : ١٣١) فهذا مناسب وتقدم آية هود قوله تعالى: (فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ) (هود: ١١٦) ولو كانوا ينهون عن الفساد في الأرض لكانوا مصلحين فلم يكونوا ليؤخذوا بالعقاب (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)(هود: ١١٧) فقد ناسب كلاً من الآيتين ما أعقبت به ولم يكن ليناسب آية الأنعام (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)ولا آية هود (وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ) (الغرناطي، د.ت، 1 /170)

الخاتمة

بعد هذا البحث مع جزئية تتعلق بعلم الفواصل (أواخر الآيات) وتناسبها مع ما قبلها تبين مدى الارتباط الوثيق والتعبير الدقيق في كتاب الله تعالى وجمال التركيب بين الكلمات صدق ربنا جل جلاله إذ يقول ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا. ومما توصل إليه الباحث:

١- أن هنالك اختلافا بين علماء الفواصل في مفهوم الفاصلة فمنهم من يرى أنها آخر كلمة في الآية ومنهم من حصرها في الحرف الأخير.

٢- وجود فرق بين الفواصل ورؤوس الآي وأن بينهما علاقة الجزء بالكل.

٣- أن الاختلاف بين الفواصل في الآيات يتضح جليا بالرجوع إلى الآيات قبلها والتي تحمل أفكارا مختلفة تعتبر هي السبب الرئيس لهذا الاختلاف.

٤- أن التعبير عن الفاصلة برأس الآية أفضل وأدق لأنه يشير إلى خاتمة الآية أما الفواصل يكنَّ رؤوس آي وغيرها، وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية.

٥- أن علم الفواصل علم توقيفي لا اجتهاد فيه شأنه شأن علم القراءات إذ لم يثبت فيه نص عن النبي صلى الله عليه وسلم يبين فيه جميع فواصل القرآن الكريم

٦- أن علم الفواصل لا تقتصر فائدته على معرفة عدد الآي بل تتعدى ذلك إلى إثراء المعنى القرآني سيما عند الفواصل المختلفة للآيات المتشابهة

التوصيات

١- كتابة المزيد من البحوث المتعلقة بسبب اختلاف الفواصل للآيات المتشابهة بصورة أدق لتشمل صفات حروفها وعلاقتها بالآية

٢- حث الباحثين على الربط بين علمي الفواصل والتفسير

قائمة المصادروالمراجع

١. ابن جماعة، محمد بن إبراهيم بن سعد الله، د.ت، "كشف المعاني في المتشابه من المثاني"، تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف، ط١، المنصورة: دار الوفاء.

٢. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد، د.ت، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة،

٣. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. 1984"التحرير والتنوير" الدار التونسية للنشر، تونس

٤. ابن عقيلة المكيّ، محمد بن أحمد بن سعيد، د.ت، "الزيادة والإحسان في علوم القرآن". تحقيق: محمد صفاء حقي وآخرون. ط١، مركز البحوث والدراسات، الشارقة

٥. ابن ماجة، أبو عبد الله، محمد بن يزيد القزويني. د.ت "سنن ابن ماجة". تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، دار إحياء الكتب العربية.

٦. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي. 1420ه "البحر المحيط". تحقيق: صدقي محمد جميل، د.ط، دار الفكر، بيروت

٧. الباقلاني أبوبكر، محمد بن الطيب بن محمد.1990 م "إعجاز القرآن". تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر.

٨. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي." السنن الكبرى".(د.ت)،تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم، د.ت، "الكشف والبيان عن تفسير القرآن" تحقيق: محمد بن عاشور، ط١، جدة: دار التفسير.

١٠. الجعبري، برهان الدين، إبراهيم بن عمر "حسن المدد في معرفة العدد" 1435هـ. تحقيق: بشير بن حسن الحميري، ط2، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

١١. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (د.ت)"الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية" .تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،ط٤، دار العلم للملايين ،بيروت.

١٢. الخراط، أ. د. أحمد بن محمد، د.ت، "المجتبى من مشكل إعراب القرآن". (د.ط) المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

١٣. الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله الأصبهاني.2001م "درة التنزيل وغرة التأويل". دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين. ط1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

١٤. الداني، أبو عمرو، عثمان بن سعيد بن عثمان ،1994م "البيان في عدّ آي القرآن". تحقيق: غانم قدوري الحمد، ط١، مركز المخطوطات والتراث، الكويت

١٥. الدعاس، أحمد محمد حميدان، إسماعيل محمود القاسم. 1425هـ" إعراب القرآن الكريم" ط١، دار المنير ودار الفارابي، دمشق

١٦. الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر،1957م "البرهان في علوم القرآن". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة.

١٧. السخاوي، علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد، 1997م، "جمال القراء وكمال الإقراء". تحقيق د. مروان العطيَّة، د. محسن خرابة، ط1، دار المأمون للتراث، بيروت.

١٨. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ١٩٧٤م، "الإتقان في علوم القرآن"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

١٩. السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، ١٩٨٨م "معترك الأقران في إعجاز القرآن". ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٠. الشثري، صالح بن عبد الله، د.ت، "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية"، ط٣، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٢١. الشعراء الهذليون، "ديوان الهذليين". ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي.1965م، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

٢٢. عبد الرزاق علي إبراهيم موسى، د.ت، "مرشد الخلان إلى معرفة عد آي القرآن". ط١، القاهرة، المكتبة العصرية.

٢٣. الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، د.ت، "ملاك التأويل". د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٤. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، د.ت. "كتاب العين". تحقيق: د/مهدي المخزومي، د/إبراهيم السامرائي (د.ط)، دار ومكتبة الهلال.
٢٥. القاضي، عبد الفتاح عبد الغني، د.ت، "الفرائد الحسان في عد آي القرآن" ط١، المدينة المنورة: مكتبة الدار.
٢٦. القاضي، عبد الفتاح عبد الغني، 1395هـ "بشير اليسر"، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة
٢٧. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، د.ت، "الجامع لأحكام القرآن ".تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2،القاهرة: دار الكتب المصرية،(د.ن).
٢٨. محمود بن عبد الرحيم صافي، 1418هـ، "الجدول في إعراب القرآن الكريم ". دار الرشيد، دمشق.
٢٩. محي الدين بن أحمد مصطفى، 1415هـ، "إعراب القرآن وبيانه"، ط٤، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص: سوريا
٣٠. الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري، (د.ت) "تهذيب اللغة". تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١.

منهج العلامة محمد صفاء الدين الحسني في الفتوى

أ م د فؤاد محمود عطية(•)

المستخلص:

يعد الشيخ محمد صفاء الدين الحسني (رحمه الله) من العلماء الذين تركوا أثرا في محافظة ديالى، ورغم علمه وأثره لم يكتب عنه إلا نتف قليلة لا تفيه حقه، لأنه يعد من المحدَثين، ولد في بغداد سنة ١٩٠٣ وأكمل تعليمه فيها ، ثم نقل إلى محافظة ديالى١٩٣٤، وعمل في التدريس والخطابة والإفتاء ، بل انه أصبح رأس الفتوى فيها لحيازته على شروط المفتي ،و توفي رحمه الله عام ١٩٧٥. يهدف البحث إلى: التعرف على شخصية الشيخ محمد صفاء الدين وعلمه وأثره. ومعرفة منهجه في الفتوى. وتتمثل أهمية البحث في: إلقاء الضوء على الفترة التي عاشها رحمه الله، والتي غابت عن أذهان كثير من الناس. وابراز الاثر الذي تركه الشيخ رحمه الله في المحافظة. وتكمن مشكلة البحث فهي السؤال التالي: هل كان الشيخ ملتزما بمنهج الفتوى من حيث تسلسل المصادر؟ وهل كان الشيخ يعقد مجالس للفتوى؟ وهل كان الشيخ يفتي على غير مذهبه؟، هذا وقد اتبعت المنهج التاريخي والوصفي. توصل البحث للنتائج التالية: الشيخ محمد صفاء الدين عاش في زحمة من الأحداث منذ ولادته حتى وفاته مما أثر على نتاجه العلمي. والفتوى لها شروطها وأهليتها، وقد حاز الشيخ على هذه الشروط، فكان رأس الفتوى في ديالى. والتقوى في الفتوى كانت صفة ملازمه له بل كانت سمة من سماته. وكان الشيخ حنفي المذهب، الا انه يفتي للناس حسب ما تقتضيه مصلحة المستفتي، ميسرا لهم.

الكلمات المفتاحية: الشيخ - المنهج - الفتوى- صفاء الدين

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فان حاجة الناس لأهل العلم كحاجتهم للطعام والشراب، يقول الحسن البصري رحمه الله: (لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم) أي أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية إلى حد الإنسانية. وان منصب الإفتاء يعد من أهم المناصب في الشريعة، إذ به يعرف الناس الحلال والحرام وما خفي من الأحكام، ولا يتصدر لهذا المنصب إلا من كان متبحرا بعلوم الشريعة، وتبرز أهمية هذا البحث بما يلي:

١.الشيخ محمد صفاء الدين الكيلاني يعد من العلماء الذين تركوا بصمة كبيرة في هذه المحافظة، حيث أفنى عمره بطلب العلم والتدريس والتربية والتأليف، وكان رجل الفتوى في محافظة ديالى في زمانه.

٢.لم يكتب عنه إلا نتف قليلة لا تفيه حقه فهي أما لا زالت مخطوط وأما مختصرة جدا.

٣.إلقاء الضوء على الفترة التي عاشها رحمه الله، والتي غابت عن أذهان كثير من الناس.

(•) كلية التربية - الجامعة العر اقية

أما مشكلة البحث فهي:

١.هل كان الشيخ ملتزما بمنهج الفتوى من حيث تسلسل المصادر؟

٢.هل كان الشيخ يعقد مجالس للفتوى؟

٣.هل كان الشيخ يفتي على غير مذهبه؟

الكتابات والبحوث التي تم تأليفها حول الموضوع فهناك بحثين فقط وهما:

١.العقد الثمين في ترجمة العلامة الشيخ محمد صفاء الدين: الشيخ أسامة محمد فتاح العاني وهو لا يزال مخطوط.

٢ـ منهج العلامة الشيخ صفاء الدين عبد الله الحسني القادري المدرس في الإفتاء: الشيخ الدكتور قاسم أحمد جاسم، بحث منشور في مجلة تكوين العالم المؤصل، ملحق منهجية الإفتاء عند علماء العراق، السنة الثانية، ملحق العدد السادس عشر ـ ذو القعدة (١٤٤٢هـ). وهو تقرير من ثلاث صفحات فقط.

هذا وقد اتبعت المنهج التاريخي والوصفي

حياته الشخصية:

اسمه ونسبه ولقبه وولادته ووفاته:

هو محمد صفاء الدين (آل شيخ الحلقة القادرية) بن عبد الله بن عبد القادر بن عبد الله مصطفى بن قاسم بن عبد القادر بن عبد الرزاق ثم يتسلسل نسبه إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني ثم إلى الحسن المثنى[١] بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) (العاني اسامة: العقد الثمين ،٧.٨)، فهو هاشمي النسب، ويلقبون ب (آل شيخ الحلقة القادرية) . ولد (رحمه الله) في بغداد / محلة باب الشيخ[٢] سنة ١٣٢١هـ الموافق ١٩٠٣م، توفي والده وعمره ستة عشر فكان في رعاية أخوه الكبير محمد نجيب.

وبعد عمر حافل بالعلم والعمل والتدريس والإفتاء والبذل والعطاء، ناهز فيه الاثنين والسبعين عاما، وبعد مرض لازمه شهر واحد , توفي الشيخ محمد صفاء الدين الكيلاني صبيحة يوم الأحد ١٥ جمادى الاولى / ١٣٩٥هـ الموافق ٢٥ مايس ١٩٧٥م ، وصلي عليه في جامع الفاروق في بعقوبة ، ونقل في موكب مهيب إلى بغداد ، ودفن في مقبرة الشيخ عبد القادر الكيلاني بعد صلاة المغرب من نفس اليوم .

حياته العلمية:

---

[١] الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي، المدني الإمام أبو محمد، وكان قليل الرواية والفتيا مع صدقه وجلالته، حدث عن أبيه، وعبد الله بن جعفر، ولد سنة ٣٧هـ ، توفي سنة تسع وتسعين وقيل سبع وتسعين للهجرة. (ابن الاثير، الكامل، ١٥/٢ والعسقلاني، الاصابة ،٦٠/٣ـ٦٤) .

[٢] باب الشيخ هي التسمية التي تطلق على المحلة التي يقع فيها ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني في بغداد من جهة الرصافة، حيث كانت تسمى باب الأزج لكن اسمها تغير إلى باب الشيخ نسبةً إليه.

أولاً: نشأته وعلمه:

نشأ رحمه الله في بيت أخيه الكبير وكان من أهل العلم والفضل والأدب، وكان عابدا، وادخله المدارس الدينية في بغداد، واخذ يتردد على كبار علماء بغداد ومشايخها ويرتشف من علمهم، وقد برع في علوم اللغة والقرآن والفقه وأصوله والحديث والتاريخ والمنطق والكلام وعلم العقائد بل وحتى الفلك والرياضيات (العقد الثمين ، ١٠/٩) .

ثانياً: شيوخه

من الشيوخ الذين تتلمذ عليهم: الشيخ مصطفى الشيخلي (العقد الثمين، ١٠/٩) ، والشيخ عبد القادر الخطيب[١] وقد تلقى جل علمه منه فقد لازمه تسع سنين (العقد الثمين، ٩) ، والشيخ قاسم القيسي[٢] فقد لازمه سنين كثيرة حتى منحه الإجازة العلمية ، والشيخ محمد سعيد الجبوري (العقد الثمين ،٩) ، والشيخ رشيد آل شيخ داود النقشبندي (تكوين،١١٦، والعقد الثمين ،٩) والشيخ عبد الجليل آل جميل[٣] .

ثالثا: تلاميذه: أما تلاميذه فهم كثر ومنهم:

١. الشيخ أسامة محمد فتاح العاني ولد سنة ١٩٤٨م في مدينة بعقوبة مركز محافظة ديالى وكان من أكثر التلاميذ ملازمة له، وقد رافقه منذ دخوله إلى محافظة ديالى عام ١٩٦١م حتى وفاته (رحمه الله) وله مصنفات عديدة ورسائل في النحو والفقه والأصول والتراجم وقد خلفه في الامامة والخطابة في جامع الفاروق (لقاء مع اسامة عبد الفتاح العاني، الاربعاء ، ٢٤ /٧ /٢٠٢٤).

---

[١] **الشيخ العلامة أبو محي الدين الشيخ عبد القادر ابن الشيخ عبد الرزاق بن صفر أغا القيسي ، ولد في محلة الفضل وهي من الأحياء القديمة ببغداد سنة ١٣١٣هـ الموافق سنة ١٨٩٥م ، اختص بعلم القراءات واليه انتهت مشيختها ، لقب بالخطيب لأنه تولى الخطابة في جامع الإمام أبي حنيفة مدة طويلة. توفي رحمه الله يوم الاثنين ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٨٩هـ الموافق ٨ أيلول ١٩٦٩م . (منهج العلامة الشيخ صفاء الدين الحسني ، د قاسم أحمد جاسم ، ١١٦ ، وملتقى اهل الحديث .٥ ، ٢٨/٤٤) .**

[٢] هو الشيخ قاسم بن أحمد بن خليل بن حمد القيسي، عالم ومفتي العراق، ولد في بغداد سنة (١٢٩٣هـ- ١٨٧٦م) ، حَفِظَ القرآن الكريم في سن مبكرة وبرع في العلوم الشرعية والكتابة وحُسن الخط، عُيّن عضوًا في مجلس المعارف في بغداد، بعدها أصبح عضوًا في المجلس العلمي في وزارة الأوقاف، شَغِلَ منصب الإمامة والخطابة في الحضرة القادرية، وأصبح مُفتي بغداد، ورئيس جمعية الهداية الإسلامية، توفي رحمه الله سنة (١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م)، ودُفن في مقبرة الحضرة القادرية .(**منهج العلامة الشيخ صفاء الدين الحسني ، ١١٦ ، و ١٠٠٠عالم عظيم في الاسلام ، بلا) .**

[٣] **وهو الشيخ عبد الجليل بن أحمد عبد الرزاق آل جميل، ولد في بغداد سنة (١٢٨٧ هـ/ ١٨٦٩م)، ودرس على شيوخها وعلماؤها، شغل منصب أمين الفتوى في بغداد، وكان عضواً في المجلس العلمي، جاهد الاحتلال البريطاني فقبض عليه ونفي إلى الهند، توفى في يوم ١٣ محرم (١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٧م). العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، ٢٢٠. وتاريخ جامع الإمام الأعظم ومساجد الأعظمية (١٩٦٥م) ،١٨٠/١ و ١٨١. والدليل العراقي الرسمي (١٩٣٦م)، ٩٠٠).**

٢.عبد المنعم محمد صفاء الدين: ولد سنة (١٩٣٨م)، درس على يد والده أكثر من سبع سنين، وأكمل كلية العلوم الإسلامية (١٩٥٩م)، عمل إمام وخطيب في مساجد عدة منها الشابندر والصديق وغيرها: عمل مدرسا في المدرسة الاسلامية في بعقوبة، توفي رحمه الله في سنة (٢٠١٨م) (لقاء مع د. عمر الكيلاني ٣١ / ٧ /٢٠٢٤).

٣.عبد الله الملا حسين الساعدي، ولد في قرية السواعد التابعة لناحية المعبر، وهي أحد نواحي مدينة بعقوبة، أكمل البكالوريوس في كلية اللغة العربية والقانون في القاهرة وهو نزيل المدينة المنورة الان. (لقاء مع الشيخ اسامة العاني، الاربعاء، ٢٤ /٧ /٢٠٢٤).

٤.طه الملا حسين الساعدي، ولد في قرية السواعد التابعة لناحية المعبر وهي أحد نواحي مدينة بعقوبة، أكمل البكالوريوس في الأزهر الشريف ثم عمل أمام وخطيب في جامع الشابندر في بعقوبة ثم انتقل الى المدينة المنورة. (لقاء مع الشيخ اسامة العاني، الاربعاء،٢٤ /٧ /٢٠٢٤).

٥.عبد الستار ويس السامرائي البدري، ولد سنة ١٩٥٢م في بعقوبة درس على يد الشيخ ثم انتقل الى جامع الآصفية في بغداد، ثم أكمل دراسة البكالوريوس في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، قم أكمل الماجستير والدكتوراه في في باكستان.(لقاء مع الشيخ اسامة العاني، الاربعاء ، ٢٤ /٧ /٢٠٢٤).

٧.الشيخ حسن ملا علي بكتاش .ولد في قضاء المقدادية التابعة لمحافظة ديالى، درس على يد الشيخ لمدة سنة واحدة ثم أكمل الدراسة الإعدادية في بغداد ثم أكمل البكالوريوس في المدينة المنورة، توفي رحمه الله سنة ٢٠١٣ م. (لقاء مع ولده الدكتور محمد حسن ملا علي، ٥/٣/ ٢٠٢٤).

رابعاً: مصنفاته:

لقد عاصر رحمه الله عدة حقب منها الدولة العثمانية ثم الاحتلال البريطاني للعراق والعهد الملكي، ثم فترة الشيوعين وعهد عبد الكريم قاسم ، ثم عبد السلام عارف وأخيه عبد الرحمن ثم مجيء البعثيين في عهد احمد حسن البكر ، وهذه الفترة كانت فترة اضطرابات وانقلابات وثورات وعدم استقرار أثرت في المجتمع العراقي وبالتالي اثر على الشيخ رحمه الله مما أدى إلى الإقلال من جهده في التصنيف ،إضافة في كون الشيخ رحمه الله مشغولا بين الدرس والوعظ وخطب الجمعة والفتوى ، ورغم ذلك استطاع ان يصنف بعض المصنفات في النحو منها شرح منظومة الشيرازي[١]، وكذلك له تعليقات وهوامش وحواش في اللغة والفقه والتفسير والقراءات ، وكان جزء منها أوراق يضعها في طيات الكتب ، ولو جمعت لكانت مجلدات ضخمة ، وله أيضا الدرر البهية في الخطب المنبرية ويتكون من مجلدين ، المجلد الأول تم طبعه عام ٢٠٠٨ م ويتكون من ٣٦٠ صفحة ، والمجلد الثاني يتكون من ٣٧٨ صفحة ولا يزال مخطوطا لم يتم طبعه . وله أيضا كتاب في علم العقائد وسماه: (نثر الدر والجمان على كتاب

[١] وتسمى البستان للشاعر مشرف الدين أبو محمد مصلح الديم بن عبد الله المعروف بسعدي الشيرازي، وهو شاعر فارسي (ت ٦٩٠هـ) لقب بكوكب الغزل. (القصيدة المعربة في منظومة البستا، ٩).

بديع المعاني[1] في شرح عقيدة الامام أبي عبد الله محمد الشيباني[2]) وهو لا يزال مخطوط. (العقد الثمين , ١٨ ـ ١٩)، وقد تم طبعه في خمسة مجلدات وهو في طور التحقيق. وفي عام ٢٠٠٦ قامت مجموعة من المجرمين والغوغاء بحرق المكتبة الخاصة بولده الشيخ عبد المنعم وتم حرق جل مؤلفات الشيخ صفاء الدين ولم يسلم منها إلا كتاب الدرر البهية في الخط المنبرية وكتاب نثر الدر والجمان لأنها كانت في دار ولده الآخر موفق الدين.

حياته المهنية وأخلاقه:

أولاً: حياته المهنية:

بعد ان أكمل دراسته العلمية وحصل على الإجازة العلمية، تولى وظيفة الإمامة في مسجد معروف في محلة باب الشيخ في بغداد بتاريخ ١٠ / آب /١٩٢٦م، وفي ٢/ شباط /١٩٣٠م تولى التدريس في مدرسة البدوي الدينية في بغداد، وفي ١ / أيلول /١٩٣٤م نقل إلى لواء ديالى كما كانت تسمى سابقا والى جامع بعقوبة الكبير بصفة مدرسا وواعظا، وفي سنة ١٩٣٨ تولى الإمامة والخطابة في جامع الشابندر في بعقوبة، وفي ١٤ /حزيران /١٩٦٨ نقل إلى جامع الفاروق في بعقوبة، واستمر في عمله إلى ان أحيل إلى التقاعد بعد بلوغه السبعين عاما، بعدها أخذ يمارس أعماله في التدريس والوعظ حسبة لله حتى وفاته (رحمه الله) (العقد الثمين, ١٠.١١) .

ثانيا: أخلاقه ومذهبه ومشربه وثناء العلماء عليه:

كان (رحمه الله) سليم القلب، نقي الطوية، حسن المعشر، صادق فيما يقول، ولا يجامل على حساب الحق، قوي الشكيمة، شديد الحياء، متواضع، كريما، مضيافا على قلة ذات يده، وكان شديد الغضب لكنه سريع الرضى، عزيز النفس (العقد الثمين ,١٢ ـ١٣). كان (رحمه الله) حنفي المذهب ولكنه كان يدرس أيضا الفقه الشافعي، ويقدر سائر المذاهب ويمقت اللامذهبية، وكان صوفي المشرب على نهج أهل التصوف الحقيقي كالجنيد البغدادي وعبد القادر الكيلاني، وكان كثيرا ما يردد مقولة (من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق)[3] . وقد أثنى عليه أهل العلم حتى أن هناك مقولة درج عليها علماء وخطباء محافظة ديالى وهي: (العلماء ثلاث الشيخ محمد صفاء الدين والشيخ علي عبد الحميد

---

[1] **وهي لمحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن، أبو الفضل، نجم الدين بن قاضي عجلون، فقيه شافعيّ، دمشقي المولد والمنشأ. سكن القاهرة، وولي بها إفتاء دار العدل وتدريس الفقه في جامع طولون. وتوفي في ببليس، عائدا إلى دمشق سنة (٨٧٦هـ)، ودفن بالقاهرة. من كتبه (التاج في زوائد الروضة على المنهاج، ومغني الراغبين في منهاج الطالبين)، (الضوء اللامع لأعيان القرن التاسع، ٨٦/٨).**

[2] **محمد بن أحمد بن أبي بكر بن عرام بن إبراهيم بن ياسين بن أبي القاسم ابن محمد الربعي الشيباني الأسواني الإسكندراني الشافعي تقي الدين أبو عبد الله الإمام المحدث الفقيه المفتي، ولد سنة ٧٠٣ هـ، من آثاره: شفاء الغليل وعافية العليل في أجوبة للسائل النبيل، توفي رحمه الله سنة (٧٧٧ هـ). (ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ١/ ٤٠، وإنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ (١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م)، ١/ ١٧٧.١٧٨).**

[3] **هذا الكلام ينسب إلى الإمام مالك، وبعد التتبع تبن أن الأمام مالك لم يصدر منه هكذا كلام، وإنما وجدت كلام في نفس المعنى لأبي بكر الوراق. (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (١٤٠٥هـ)، ١٠ / ٢٣٦) .**

الجنابي[1] والشيخ محمد معصوم[2]) رحمهم الله جميعا، يقول تلميذه الشيخ أسامة العاني: (لقد فاق الشيخ محمد صفاء الدين بعلمة كثير من شيوخه). (لقاء مع الشيخ اسامة العاني، الاربعاء، ٢٤ /٧ /٢٠٢٤).

ويقول الدكتور قاسم الجوراني[3] : (لقد رأيته عالما فاضلا تقيا صالحا بليغ العبارة خطيبا وواعظا ذا مهابة، وصاحب سمت جميل) (تكوين، ١١٧). وكان مرجعا للفتوى في محافظة ديالى جميعها (العقد الثمين، ١٦).

ثالثا: ثباته وشجاعته:

كان الشيخ رحمه الله من العلماء العاملين، شجاعا لا يخاف في الله لومة لائم، وقد شهد الناس والحوادث بذلك، وهذه المواقف أورثته حب الناس وثقتهم فيه، ومن الأحداث : بعد ثورة ١٩٥٨م برز الشيوعيين كلاعب رئيسي في الأحداث، وبدؤوا يفرضون أنفسهم بالقوة وحدث صراع بينهم من جهة وبين الإسلاميين وعموم الناس من جهة أخرى، وفي ذلك الوقت انبرى لهم الشيخ (رحمه الله) وبدأ يسفه آرائهم في خطب الجمعة وفي المحاضرات وفي المناسبات مما حدا بهم ان يحاولوا إسكاته تارة بالترغيب وأخرى بالترهيب، وأرسلوا له عدت رسائل تهديد ، ورغم ذلك لم يتزحزح عن موقفه وبقي ثابتا إلى أن انفضت الأزمة، وفي تلك الأثناء تطوع عدد من الناس لحماية بيته ليلا. ومثال آخر على ثباته جاء احد القسيسين من النصارى إلى محافظة ديالى وأراد أن يبني كنيسة في بعقوبة، فأفتى الشيخ (رحمه الله) بعدم جواز بناء الكنائس إلا ما كان موجودا قبل الفتوحات، وزاره في ذلك الوقت محافظ ديالى الأستاذ منير فهمي الجراح فأفتاه بعد جواز بنائها إلا ما اقر عليه النصارى قبل الفتح، وصنف في ذلك بحثا كاملا بين فيه آراء العلماء من جميع المذاهب في المسألة، وأرسله إلى المسؤولين في ذلك الوقت، ويقي ثابتا على موقفه حتى تم إلغاء بناء الكنيس (لقاء مع الشيخ اسامة العاني، الاربعاء ، ٢٤ /٧/ ٢٠٢٤).

---

[1] وهو الشيخ علي بن عبد الحميد بن إسماعيل بن حسين الجنابي ، ولد سنة ١٩٢٠م في ناحية المنصورية التابعة لمحافظة ديالى ، وتتلمذ على يد والده (رحمه الله) وأخيه الأكبر خضير ، ثم انتقل إلى المدرسة العلمية في ناحية السعدية وحفظ ألفية ابن مالك ومتون كثيرة في أكثر العلوم ، وحصل على الإجازة العلمية سنة ١٩٥١م ، وتنقل إماما وخطيبا في جامع عمار بن ياسر في ناحية المنصورية ، توفي رحمه سنة ١٩٨٢م . (الشيخ علي بن عبد الحميد بن إسماعيل بن حسين الجنابي ، مخطوط) .

[2] هو الشيخ محمد معصوم الشيخ محمد عارف حسين النقشبندي ، ولد سنة ١٩١٤م في ناحية السعدية في محافظة ديالى ، واخذ الإجازة العلمية عن والده (رحمه الله) ، عين خلفا لوالده في جامع النقشبندي في ناحية جلولاء وكان هذا الجامع أيضا مدرسة إسلامية ، صنف كتابا في علم الفرائض ولا يزال مخطوطا لم يطبع ، توفي رحمه الله سنة ١٩٧٥م .(لقاء مع حفيده الأستاذ عبد الرحمن محمد نجم الدين بتاريخ ٣/ ٨ /٢٠٢٤) .

[3] الشيخ الدكتور قاسم احمد جاسم الجوراني عضو هيئة كبار العلماء في المجمع الفقهي العراقي ومفتي ديالى .

منهج الشيخ محمد صفاء الدين الكيلاني في الفتوى:

ماهية المنهج والفتوى:

اولاً: تعريف المنهج في اللغة: النَّهْج، الطّريق. ونَهَج لي الأمْرَ: أوضَحَه، وطريقٌ نَهْجٌ بَيّنٌ واضِحٌ، والنَّهْج، الطّريق. ونَهَج لي الأمْرَ: أوضَحَه، والمنهج والمِنهاجُ الطريقُ الواضِحُ[1]، يقول تعالى: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) (المائدة: ٤٨).

ثانيا: المنهج في الاصطلاح: عرف المنهج بتعاريف كثيرة، ولكن جميعها لم تخرج عن التعريف اللغوي الذي هو الطريق أو المذهب، لذا حين يقال منهج فلان أي طريق ومذهبه في العمل، ونستطيع أن نعرفه بأنه: الطريق الموصل إلى هدف ما أو حقيقة معينة. واو هو كما عرفه الشيخ عبد الرزاق عفيفي: (هو مجموعة الركائز والأسس المهمة التي توضح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأمة لتحقيق الآثار التي يصبو إليها كل منهم) (العلامة الشيخ عبد الرازق عفيفى ومعالم منهجه الأصولى(١٤٢٠هـ)، ٨) .

وتبرز أهمية المنهج بما يلي:

١. السير العمى بخطوات سليمة متسمة بالوضوح والبيان.

٢- اختصار الطريق للوصول إلى الغاية المنشودة والهدف المرسوم.

٣- انه ضمان بإذن الله من التعثر والعقبات التي تحول دون الوصول إلى المقصود.

٤- تحقيق النفع المنشود والأثر المعقود.

٥- التزود بأهم رصيد في حياة العلماء وما هو أهم من مجرد المعلومات إلا وهو قضية المنهج القويم لنسير على مسارهم الصحيح (العلامة الشيخ عبد الرازق عفيفي ومعالم منهجه الأصولي١٤٢٠هـ، ٨).

ثالثا: تعريف الفتوى في اللغة: الفتوى لغة: (الفَتْوَى) بالواو وبفتح الفاء وبالياء فتضم، وهي اسم من أَفْتَى العالم إذا تبين الحكم واسْتَفْتَيْتُهُ سألته أن يفتي، ويقال أصله من الفَتِيّ وهو الشاب القوي والجمع الفَتَاوِي، أفتاه في الأمر: أبانه له. وأفتى الرجل في المسألة واستفتيته فيها فأفتاني إفتاء، أفتيت فلانا رؤيا رآها إذا عبرتها له، وأفتيته في مسألته إذا أجبته، يقال: أفتاه في المسألة يفتيه إذا أجابه، والاسم الفتوى، وأفْتاهُ في الأمْرِ: أبانَهُ له، والفُتْيَا والفُتْوَى وتُفْتَحُ: ما أفْتَى به الفَقِيهُ، والفتوى الجواب عما يشكل من المسائل الشرعية أو القانونية (لسان العرب، ١١٣/٤، والقاموس المحيط ،١٧٠٢/١، والمصباح المنير، ٤٦٢/٢، والمعجم الوسيط، /٦٧٣).

رابعا: الفتوى في الاصطلاح: عرفت الفتوى بتعريفات كثيرة ولا أريد أن أتطرق إليها لملال الطول ولكثرة تكرارها ، لكن الذي أميل إليه أن الفتوى هي ما عرفه ابن القيم بأنها: (إخبار عن حكم الله في الواقعة) (إعلام الموقعين،(١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) ، ١٤٤/٤، و، ورفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب ، (١٩٩٩ م - ١٤١٩ هـ) ، ٤٤٤/٢) .

خامسا: شروط المفتي:

١. أن يكون عدلاً مجتنباً للمعاصي القادحة في العدالة .

٢.أن يكون عارفاً بكتاب الله تعالى وما يتعلَّق به، ولا يشترط فيه الحفظ وإنما يكفيه حفظ آيات الأحكام .

٣.أن يكون عارفاً بالسنة ، فإذا أراد الاستدلال بحديث على حكم حادثة، فإنه لابد أن يعرف عنه مثل معرفته عن الآية كما قلنا سابقاً.

٤.أن يكون عالماً بالمجمع عليه من الأحكام، وذلك لئلا يجتهد في مسألة قد أجمع العلماء على حكمها.

٥.أن يكون عالماً بالمختلف فيه من الأحكام، فيعرف المسألة وأدلة كل فريق ، لذا حرص الأئمة الأربعة ومن تبعهم على معرفة الاختلافات والمناظرات والمحاورات في المسائل التي اختلف فيها بين الصحابة.

٦.أن يكون عالماً بعلم أصول الفقه .

٧.أن يكون عالماً بالقياس ؛ حيث إن أكثر من نصف الفقه مبني عليه، فيعرف أركانه ، وشروطه وتفاصيل مسائله .

٨.ن يكون عالماً باللغة العربية وقواعدها من لغة ونحو وبلاغة وبديع ، وأن يعرف كل ما يتوقف عليه فهم الألفاظ.

٩.أن يكون عارفاً بمقاصد الشريعة ، فيعرف المجتهد مقاصد الشارع العامة من تشريع الأحكام .

١٠.أن يكون خبيراً بمصالح الناس ، وأحوالهم ، وأعرافهم ، وعاداتهم (روضة الناظر، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) ،٣٦٧/٣ وما بعدها ، والإبهاج ، (١٤١٦هـ- ١٩٩٥ م) ، ١١/١)).

وهذه الشروط، هي شروط المجتهد المطلق، ولا يُشترط لكل مفت أن يتصف بها.

ومثل ذلك المفتي في داخل مذهب من المذاهب، سواء كان مجتهدَ ترجيحٍ، أو مجتهدَ تخريجٍ، أو كان متبصرا، أو كان مجتهد فتيا، فلا يُشترط له التحقق بكل هذه الشروط.

ويُشترط لوجوب الإفتاء:

١ - أن يكون ذلك في مسألة قد نزلت، فالمسائل التي لم تنزل بعد لا يجب على المفتي أن يُعْمِلَ ذِهْنَهُ ويَكِدَّ في استخراج حكمها. وكان مالك إذا سُئل عن مسألة يقول: (هل نزلت ؟، فإن كانت قد نزلت استعنا بالله عليها، وإن لم تكن قد نزلت، فإن لها رجالا يعاصرونها، فأولئك أدرى بحكم ما عاصرهم) .

٢ - وأن يكون مكلفا، لأن غير المكلف لا يلزمه الاجتهاد.

٣ - وأن يكون سائلُه صاحبَ النازلة، أو يتعلق بها حكم له، فإن كان السائلُ غيرَ صاحبِ النازلة، ولا له اتصال به ولا تعلق به، لم تلزم إجابته (شرح ورقات إمام الحرمين، نشره موقع شذرات شنقيطية).

ويقول السمعاني (المفتي من العلماء من استكملت فيه ثلاث شرائط: أحدها : أن يكون من أهل الاجتهاد وقد قدمنا شروط المجتهد وصفته ، والثانى : أن يستكمل أوصاف العدالة فى الدين حتى يثق بنفسه فى التزام حقوقه ويوثق به في القيام بشروط ، والثالث : أن يكون ضابطا نفسه من التسهيل كافا لها عن الترخيص حتى يقوم بحق الله تعالى في إظهار دينه ويقوم بحق مستفتيه) (قواطع الأدلة ،٤٣٨/٣و٤٣٩) .

منهج الشيخ محمد صفاء الدين في الفتوى:

بما ان الشيخ رحمه الله كان على المذهب الحنفي لا بد من ذكر الاصول التي سار عليه الأحناف في إستباط الفتوى وهي : القرآن الكريم ثم السنة النبوية المطهرة ثم الإجماع ثم أقوال الصحابة (رضي الله عنهم) ثم القياس ثم الاستحسان ثم العرف (متن المنار ١ و٢ و٧) . وبما انه (رحمه الله) اتصف بصفات المفتي وانطبقت عليه شروطه ، لذا فكان لزاما عليه أن يبرز للفتوى لخلو محافظة ديالى من مفت بدرجة علمه وتقواه , وسوف نبين منهجه الذي سار عليه في الفتوى :

١. كان يدلل على فتواه بالأدلة الشرعية مقدما القران ثم السنة ثم إجماع أهل العلم ثم يقيس النظير بالنظير، ثم يجتهد حسب ما يره مناسبا آخذا بالدليل بعيدا عن هوى النفس وهكذا، ومثال ذلك طلاق بثلاث تطليقات في مجلس واحد فهو يفتي بها ثلاث طلقات وتبين المراة من الزوج بينونة كبرى (لقاء الشيخ اسامة العاني ٢٤ /٧/ ٢٠٢٤).

٢ـ كان له مجلس خاص في الفتوى في جامع بعقوبة الكبير يحضره بعض الأعيان والأدباء والفضلاء وطلبة العلم الشرعي يجيب فيه عن الأسئلة الشرعية التي ترفع اليه (العقد الثمين ، ص١٦) .

٣ـ كان حريصا على حضور طلبة العلم لمجلس الفتوى ، وكان يكثر من استخدام المصادر في الفتوى ، وفي احد المرات رجع إلى أكثر من عشرة مصادر ، رغم معرفته بالفتوى ولكن ليعلمهم عدم التعجل في الفتوى (العقد الثمين ، ص١٦) .

٤ـ كان يتثبت في الفتوى ولا يتعجل بها ، والتي لم يتثبت منها يحيلها إلى الشيخ امجد الزهاوي والشيخ نجم الدين الواعظ (رحمهم الله) (العقد الثمين ، ص١٦) .

٥ـ كان شجاعا في الفتوى ، ولا يخاف أحدا إلا الله ، ولا يجامل على حساب الحق ، ودليل ذلك حين جاء احد القسيسين من النصارى إلى محافظة ديالى وأراد ان يبني كنيسة في بعقوبة فأفتى (رحمه الله) بعدم جواز بناء الكنائس ألا ما كان موجودا قبل الفتوحات ، وزاره في ذلك الوقت محافظ ديالى الأستاذ منير فهمي الجراح فأفتاه بعد جواز بنائها إلا ما اقر عليه النصارى قبل الفتح ، وألف في ذلك بحثا كاملا بين فيه أراء العلماء من جميع المذاهب في المسألة، وأرسله إلى المسؤولين في ذلك الوقت ، ويقي ثابتا على موقفه حتى تم إلغاء بناء الكنيسة (العقد الثمين ، ١٦) .

٦ـ كان الشيخ رحمه الله حنفي المذهب ، ولا يخرج عن المذهب في الفتوى ، ولكن لم يكن متعصبا ، بحيث إذا اقتضت حاجة أو مصلحة للناس أفتى بغير مذهبه تخفيفا عن الناس ورفعا للحرج عنهم ، ومن ذلك مسألة المفقود حيث كان يفتي بمذهب المالكية بانتظار الزوجة أربع سنين للتخفيف عن الناس ورفعا للحرج عنهم (تكوين ، ١١٧ .١١٨).

٧ ـ كان الشيخ (رحمه الله) له أسلوب طيب في إيصال الفتوى للناس، فتارة تراه يمزح ، وأخرى يغضب ويحمر وجهه من باب تعظيم حرمات الله تعالى ، وحين يرى استخفاف الناس بالأحكام الشرعية (تكوين ، ١١٧ .١١٨).

٨ ـ كانت فتواه رحمه الله لها الأثر الكبير في تحقيق هوية المحافظة، ووأد الفتن فيها، وإبراز منهج أهلها ، وكان لها الأثر في جمع شتات الناس ، وتقوية روابطهم والتفافهم حول علمائهم (تكوين ، ١١٧ ـ

١١٨). ومن ذلك : الأحداث يعد ثورة ١٩٥٨م برز الشيوعيين كلاعب رئيسي في الأحداث ، وبدأوا يفرضون أنفسهم بالقوة ، وحدث صراع بينهم من جهة ، وبين الإسلاميين وعموم الناس من جهة أخرى ، وفي ذلك الوقت انبرى الشيخ (رحمه الله) لهم وبدأ يسفه أرائهم في خطب الجمعة وفي المحاضرات وفي المناسبات مما حدا بالشيوعيين أن يحاولوا إسكاته تارة بالترغيب وأخرى بالترهيب ، وأرسلوا له عدت رسائل تهديد ، ورغم ذلك لم يتزحزح عن موقفه وبقي ثابتا حتى انفضت الازمة (تكوين ، ١١٧ .١١٨) .

٩ـ كان رحمه ورعا في عامة شؤونه، مبتعدا عن مواطن الشبهات، وكان أكثر ورعا في فتواه ، وقد روى احد طلابه انه كان يقيد الأوقات التي لا يؤم فيها الناس في المسجد المعين فيه بسجل ، وفي نهاية الشهر يخصمها من أصل مجموع راتبه الذي كان يتقاضاه في ذلك الوقت ، ويرجعها إلى دائرة الوقف (تكوين ، ١١٧ .١١٨، ولقاء مع الشيخ اسامة العاني ٢٤ /٧ /٢٠٢٤).

١٠.كان يخاطب الناس بلغتهم التي يفهمونها، وكان يتجنب وعورة المصطلحات الصعبة، وكان دائما يتمثل في علي (رض الله عنه) : (حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) (البخاري ٣٧/١ ، رقم ١٢٧) .

١١ـ كان يفرغ سمعه وبصره للمستفتي ولا يشغل نفسه بأي امر أخر غير كلام المستفتي، وقد يجعل المستفتي يعيد الكلام أكثر من مرة حتى يتأكد من الواقعة (لقاء مع د عمر الكيلاني ٣١ / ٧ /٢٠٢٤) .

١٢ـ كان رحمه الله يتأنى ولا يتعجل الفتوى، وكان حريصا على حضور كل من له علاقة في الفتوى المطروحة حتى ولو كانت تلك العلاقة بسيطة، وقد ينظر المستفتي يوم أو يومين أو أكثر حتى يتأكد من الفتوى، وان لم يحيط بها ويتثبت منها يرسل المستفتي إلى الشيخ أمجد الزهاوي، أو يستعلم ويستفهم منه (رحمهم الله جميعا) (لقاء مع د عمر الكيلاني ٣١ / ٧ /٢٠٢٤).

١٣ـ كان رحمه الله في بعض الأحيان ترده بعض الفتاوي على شكل رسائل مكتوبة، فكان يرد بجواب تحريري أيضا، وكان يعتني بالجواب من حيث المضمون ومن حيث الخط (العقد الثمين، ١٧).

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقنا لإتمام ما شرعنا به، وقد ختمنا بحثنا بما يلي:

١. محافظة ديالى كغيرها من بقاع هذا الوطن فيها علماء كثر ولكن لم نجد من دون عنهم إلا قليل من المصنفات.

٢ـ الشيخ محمد صفاء الدين عاش في زحمة من الأحداث منذ ولادته حتى وفاته مما أثر على نتاجه العلمي.

٣ـ الفتوى لها شروطها وأهليتها، وقد حاز الشيخ رحمه الله على هذه الشروط فكان رأس الفتوى في ديالى.

٤. رغم انه حنفي المذهب إلا انه لم يكن جامدا في الفتوى على مذهبه فقط وانما يفتي للناس حسب ما تقتضيه مصلحة المستفتي، ميسرا له.

٥. التقوى في الفتوى، كانت صفة ملازمه له بل كانت سمة من سماته رحمه الله.

المصادروالمراجع

١. إبراهيم مصطفى. أحمد الزيات. حامد عبد القادر. محمد النجار: المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

٢. ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر(١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة.

٣. أبو الطيب الفاسي، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان / ط/١.

٤. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (١٤٠٥هـ) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي - بيروت، ط/ ٤.

٥. الأعظمي، الشيخ هاشم (١٩٦٥ م) تاريخ جامع الإمام الأعظم ومساجد الأعظمية، مطبعة العاني - بغداد.

٦. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م) الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط٣.

٧. البو عينين، خالد بن محمد بن علي البو عينين: ١٠٠٠عالم عظيم في الإسلام.

٨. الجنابي، الدكتور عبد الله علي عبد الحميد: الشيخ علي بن عبد الحميد بن اسماعيل بن حسين، مخطوط.

٩. د. نادية هناوي سعدون (القصيدة المعربة في منظومة البستان: دراسة في الاتجاهات الموضوعية والسمات الفنية)، مقال نشر في مجلة جيل الدراسات الادبية والفكرية.

١٠. درويش، محمود فهمي (١٩٣٦م) الدليل العراقي الرسمي، بغداد.

١١. السبكي، تاج الدين أبي النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (١٩٩٩م - ١٤١٩هـ) رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، عالم الكتب - لبنان / بيروت، ط/١.

١٢. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر: الضوء اللامع لأعيان القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.

١٣. الشيخ الدكتور قاسم أحمد جاسم، ذو القعدة (١٤٤٢هـ) (منهج العلامة الشيخ صفاء الدين عبد الله الحسني القادري المدرس في الافتاء) مجلة تكوين العالم المؤصل، ملحق منهجية الافتاء عند علماء العراق، السنة الثانية، ملحق العدد السادس عشر، ذو القعدة (١٤٤٢هـ).

١٤. العاني، الشيخ اسامة محمد فتاح: العقد الثمين في ترجمة العلامة الشيخ محمد صفاء الدين، مخطوط.

١٥. العاني، الشيخ اسامة محمد فتاح، لقاء في دارة يوم الاربعاء الموافق ٢٤ /٧ /٢٠٢٤.

١٦. عبادة، عبد الحميد: العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، تحقيق الدكتور عماد عبد السلام رؤوف - مطبعة أنوار دجلة - بغداد - مسجد آل جميل.

١٧. العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ): الإصابة في تميز الصحابة ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

١٨. العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر (١٩٨٦م) إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ: تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ط/٢.

١٩. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط.

٢٠. الكيلاني، عمر عبد المنعم، لقاء في داره بتاريخ ٣١ / ٧ /٢٠٢٤م.

٢١. المجمع الاعلى للتصوف. مكتب ديالى، ١٣ أوغسطس ٢٠١٩: تاريخ علماء ديالى.

٢٢. معصوم، عبد الرحمن محمد نجم الدين: لقاء بتاريخ ٣/٨ /٢٠٢٤.

٢٣. المقري، أحمد بن محمد بن علي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية – بيروت.

الاختلاف في الصحبة و أثره في التعليل

د. محمد بن عثمان بن ناصر المرشد

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى معرفة الاختلاف في الصحبة وأثره في التعليل من خلال دراسة حديث: "توضأ ونضح به فرجه"، وبيان الضوابط المتفق عليها والمختلف فيها لإثبات الصحبة. تكمن أهمية هذا البحث في دراسة نوع من مصطلحات علوم الحديث (الحديث المعلّ)، وبيان أثر الاختلاف في الصحبة على الحكم بالعدالة، والتعريف بمناهج الأئمة في إثبات الصحبة أو نفيها. وتتمثل في تحديد الضوابط التي تثبت الصحبة، وهل كل من ذُكر في كتب الصحابة يُعد صحابياً، والحكم على صحة حديث الحكم بن سفيان، وهل هو صحابي وهل أبوه صحابي. اتبع الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي، من خلال تتبع طرق الحديث، ودراسة أسانيده، وتحليل أقوال العلماء في تعريف الصحابي وطرق إثبات صحبته، مع التطبيق على رواة الحديث محل الدراسة. توصل البحث إلى أن الراجح في تعريف الصحابي هو تعريف الحافظ ابن حجر، وأن للحكم بن سفيان وأبيه حالاً مجهولة، والحديث مضطرب الإسناد ضعيف، لكنه يصح بشواهده، كما تبين أن اشتراط البلوغ وطول الملازمة ليس بصحيح، وأن إخبار التابعي الثابت الثقة يُقبل في إثبات الصحبة عند الجمهور.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢).

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء: ١).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعد:

إن من أفضل الأعمال التي ينبغي على المرء إعمار وقته بها، هو خدمة السنة النبوية، ومن هذه الأعمال التي في مجال السنة النبوية، دراسة مصطلحات علوم الحديث، فأحببت أن أبحث موضوع "الاختلاف في الصحبة وأثره في التعليل"، وذلك من خلال دراسة حديث: ((توضأ ونضح به فرجه))، كبحث علمي في دراسات علل الحديث في السنة النبوية.

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:

١- دراسة نوع من مصطلحات علوم الحديث، وهو الحديث المعل.

٢- بيان الرواة المختلف في صحبتهم، وتعلقه بالحكم عليه بالعدالة أو عدمها، ومعرفة مناهج بعض الأئمة في طرق إثباتهم الصحبة أو نفيها للراوي.

٣- معرفة المتصل والمرسل، والمرفوع من الموقوف.

٤- تنمية الملكة في دراسات علل الحديث عند المحدثين.

هدف البحث:

معرفة الاختلاف في الصحبة وأثره في التعليل، من خلال دراسة حديث: ((توضأ ونضح به فرجه)).

مشكلة البحث:

ما الضوابط التي اتفق عليها أنها تثبت الصحبة، وما الضوابط التي وقع فيها الاختلاف على إثبات الصحبة، وهل كل من ألف في معرفة الصحابة؛ يلزم من ذكره للرجل أن يكون الرجل صحابيًا، وهل يلزم من ذكر الرجل في كتب الصحابة؛ أن يكون صحابيًا عند من ذكره، وهل الحكم بن سفيان، صحابي، وهل أبوه صحابي، وهل الحديث صحيح.

الدراسات السابقة للموضوع:

بعد البحث في قواعد المعلومات من خلال فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية، ومركز الملك فيصل وغيرهما، وسؤال أهل الاختصاص لا اعلم احدًا أفرد هذا الموضوع ببحث مستقل، وإنما وقفت على دراسات لها تعلق بالموضوع بشكل عام، وهي على ما يلي:

١- نقعة الصديان فيمن في صحبتهم نظر من الصحابة، وغير ذلك، للحسن بن محمد بن الحسن الصاغاني، (ت:٦٥٠)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢- منهجية التمييز بين المختلف فيهم من الصحابة، دراسة نقدية، إعداد: عبد ربه سلمان عبد ربه أبو صعيليك، إشراف: محمد الأحمدي أبو النور، دار النوادر، ٢٠١٢م.

٣- بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، لعلي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، ابن القطان، (ت: ٦٢٨هـ)، تحقيق: الحسين آيت سعيد، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٤- الإنابة إلى معرفة المختلف فيهم من الصحابة، لمغلطاي بن قليج بن عبد الله مغلطاي البكجري، (ت:٧٦٢هـ)، تحقيق: السيد عزت المرسي، وإبراهيم اسماعيل القاضي، ومجد عبد الخالق الشافعي، إشراف: محمد عوض المنقوش، مكتبة الرشد، ١٤١٩هـ.

٥- الرواة المختلف في صحبتهم ممن لهم رواية في الكتب الستة، جمعًا ودراسة، إعداد: كمال قالمي الجزائري، "رسالة دكتوراة" الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

٦- الرواة المختلف في صحبتهم في تقريب التهذيب، جمع ودراسة، إعداد: أحمد دين محمد نواب خان، إشراف: محمد بن إبراهيم الحلواني، بحث تكميلي لنيل "درجة الماجستير" جامعة المدينة العلمية، ماليزيا، ١٤٣٢هـ.

- **منهج العمل في البحث:** ويمكن إجماله في النقاط الآتية:

أ- عزو الآيات القرآنية إلى سورها.

ب- أضع في بداية الحديث رقمه بين قوسين: (()).

- **التخريج ويتبين في النقاط الآتية:**

أ- إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فأقتصر في تخريجه عليهما، دون حاجة للحكم عليه.

ب - إذا كان الحديث ليس في الصحيحين فأراعي ما يلي:

- أخرج الحديث تخريجًا موسعًا، إذا كان فيه فائدة.

- اذكر جزء الإسناد من المدار إلى نهاية السند.

- إذا كان الحديث حسنًا، أو ضعيفًا، فأذكر سبب تحسينه، وإذا كان الحديث ضعيفًا، فأذكر علة ضعفه في ضوء أقوال العلماء.

تعريف الصحابي لغةً واصطلاحًا.

أولًا: تعريف الصحابي لغةً:

قال أحمد بن فارس: صحب: الصاد والحاء والباء: أصل واحد يدل على مقارنة شيء ومقاربته، من ذلك الصاحب، والجمع: الصحب، كما يقال: راكب وركب(ابن فارس، د.ت، ٣٣٥/٣).

وقال أبو طاهر محمد الفيروزآبادى: صحبه، كسمعه، صحابة، ويكسر، وصحبة: عاشره. وهم: أصحاب وأصاحيب وصحبان وصحاب وصحابة وصحابة وصحب، واستصحبه: دعاه إلى الصحبة ولازمه**(الفيروزآبادي، ٢٠٠٥م، ١٠٤)**.

فيتبين من ذلك أن المعنى اللغوي للصحابة: يدل على الملازمة والمرافقة، قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب: لا خلاف بين أهل اللغة في أنّ القول: صحابي، مشتق من الصحبة، وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص، بل هو جار على كل من صحب غيره، قليلًا كان أو كثيرًا، كما أن القول مكلم ومخاطب، وضارب مشتق من المكالمة، والمخاطبة والضرب وجار على كل من وقع منه ذلك، قليلًا كان أو كثيرًا، وكذلك جميع الأسماء المشتقة من الأفعال، وكذلك يقال: صحبت فلانًا حولًا ودهرًا وسنةً وشهرًا ويومًا وساعةً، فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره، وذلك يوجب في حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبي -ﷺ-، ولو ساعة من نهار، هذا هو الأصل في اشتقاق الاسم(البغدادي د.ت، ٥١).

ثانيًا: تعريف الصحابي اصطلاحًا:

أولًا: قال سعيد بن المسيب: "الصحابة لا نعدهم إلا من أقام مع رسول الله -ﷺ- سنةً أو سنتين، وغزا معه غزوة أو غزوتين"(البغدادي، د.ت، ٥٠).

وهذا التعريف منتقد من وجوه:

١- أنه لا تصح روايته عن سعيد، لأن في سنده الواقدي، وهو متروك الحديث، قاله البخاري، والنسائي، وغيرهما(البخاري، ٢٠٠٥م، ١٢٣؛ النسائي، ١٣٩٦هـ، ٩٢؛ ابن عدي، ١٩٩٧م، ٤٨٠/٧؛ ١٩٨٠، ١٨٠/٢٦).

٢- أن العمل على خلاف هذا القول، وقد تعقبه الحافظ ابن حجر، فقال: "والعمل على خلاف هذا القول، لأنهم اتفقوا على عد جمع جم في الصحابة لم يجتمعوا بالنبي -ﷺ- إلا في حجة الوداع"(ابن حجر، ١٣٧٩هـ، ٤/٧).

٣- اشترط هذا التعريف طول الصحبة، والصحيح أنه لا يشترط بل يكفي مجرد اللقاء ولو للحظة، قال شيخ الاسلام ابن تيمية: "والأصحاب: جمع صاحب والصاحب: اسم فاعل من صحبه يصحبه، وذلك يقع على قليل الصحابة وكثيرها، لأنه يقال: صحبته ساعة، وصحبته شهرًا، وصحبته سنةً"(**ابن تيمية، د.ت، ٥٧٥**) **ثانيًا:** قال البخاري في صحيحه: "من صحب النبي -ﷺ- أو رآه من المسلمين، فهو من أصحابه"(البخاري، ١٤٢٢هـ، ٢/٥).

وقال الإمام علي ابن المديني: "من صحب النبي -ﷺ- أو رآه، ولو ساعة من نهار، فهو من أصحاب النبي -ﷺ-"(ابن حجر، ١٣٧٩ه، ٥/٧)[١].

وقد انتقد هذا التعريف من وجوه:

١ - اشتراط طول الصحبة، من قوله: "صحب": لأنها تفيد طول الملازمة.

٢- ذكره لرؤيا، فيخرج به من كان أعمى من الصحابة كعبد الله بن أم مكتوم -رضي الله عنه-.

٣- فاته في هذا التعريف، أنه لم يشترط الوفاة على الإسلام.

ثالثًا: قال ابن عمر الواقدي: "رأيت أهل العلم يقولون: كل من رأى رسول الله -ﷺ-، وقد أدرك الحلم، فأسلم، وعقل أمر الدين ورضيه، فهو عندنا ممن صحب النبي -ﷺ-، ولو ساعة من نهار، ولكن أصحابه على طبقاتهم وتقدمهم في الإسلام(البغدادي، د.ت، ٥٠).

وقد اشترط في هذا التعريف، البلوغ، قال أبو إسحاق الأبناسي: "والصحيح أن البلوغ ليس شرطًا في حد الصحابي، وإلا لخرج بذلك من أجمع العلماء على عدهم في الصحابة كعبد الله بن الزبير، والحسن، والحسين -رضي الله عنهم-"(**الأبانسي، ١٩٩٨م، ٤٩٠/٢**).

رابعًا: قال الإمام أحمد ابن حنبل: كل من صحبه سنةً أو شهرًا أو يومًا أو ساعةً أو رآه فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمع منه، ونظر إليه(البغدادي، د.ت، ٥١؛ ابن أبي يعلى، د.ت، ٢٤٣/١).

وهذا التعريف منتقد بما سبق.

خامسًا: قال عمرو بن يحيى: "الصحابي: هو من طالت صحبته للنبي -ﷺ-، وأخذ عنه العلم"(ابن حزم، د.ت، ٩٢/٢).

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: "وهذا الذي ذكره البخاري، هو الراجح".

وانتقد العلماء هذا القول من وجوه:

١ - أن قائله عمرو بن بحر الجاحظ، وهو من أئمة المعتزلة، قال الذهبي: "كان من أئمة البدع، وقال ثعلب: غير ثقة ولا مأمون، وكان كذابًا على الله وعلى رسول الله -ﷺ-، وعلى الناس"(الذهبي، ١٩٦٣م، ٢٤٧/٣؛ ابن حجر، ١٩٧١م، ٣٥٧/٤١؛ العراقي، ٢٠٠٢م، ١٢٥/٢).

٢- أن ما اشترط من طول الصحبة، فتقدم نقده.

٣- أن ما ذكر من أخذ العلم، فلا يلزم أن يكون كل صحابي من الآخذين للعلم عن رسول الله -ﷺ-.

سادسًا: قال الحافظ ابن حجر: "وأصح ما وقفت عليه من ذلك، أن الصحابي: من لقي النبي -ﷺ- مؤمنًا به، ومات على الإسلام".

فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى.

ويخرج بقيد: "الإيمان": من لقيه كافرًا، ولو أسلم بعد ذلك، إذا لم يجتمع به مرة أخرى.

وقولنا: "به": يخرج من لقيه مؤمنًا بغيره، كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة. ويدخل في قولنا: "مؤمنًا به": كل مكلف من الجن والإنس، فحينئذ يتعين ذكر من حفظ ذكره من الجن الذين آمنوا به بالشرط المذكور.

وخرج بقولنا: "ومات على الإسلام": من لقيه مؤمنًا به ثم ارتد، ومات على ردته والعياذ بالله.

ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت، سواء اجتمع به -ﷺ- مرة أخرى أم لا، وهذا هو الصحيح المعتمد.

ثم قال: وهذا التعريف مبني على الأصح المختار عند المحققين، كالبخاري، وشيخه أحمد ابن حنبل، ومن تبعهما، ووراء ذلك أقوال أخرى شاذّة"(ابن حجر، د.ت، ١٥٨/١، **ابن حجر، ١٤٢٢هـ**).

والذي يظهر: أن تعريف الحافظ ابن حجر، هو التعريف المختار، حيث أنه أشملهم.

طرق إثبات الصحبة.

- طرق إثبات الصحبة:

وسأتناول فيه:

الاتصاف بالصحبة شرف عظيم لمن اتصف به، ولذا وضع العلماء ضوابط لما تعرف به الصحبة، وتسمى: طرق إثبات الصحبة، وهي:

أولًا: التواتر: من تواترت صحبته كأبي بكر، وعمر، وزوجات النبي -ﷺ-، فهم من الصحابة بلا خلاف.

ثانيًا: الاستفاضة والشهرة القاصرة عن التواتر، مثل: عُكاشة بن محصن، وضمام بن ثعلبة السعدي، -رضي الله عنهما-.

ثالثًا: أن يروى عن أحد الصحابة أن فلانًا له صحبه، مثال ذلك: شهادة أبي موسى الأشعري، لحُممة الدوسي -رضي الله عنهما-، بأنه من الصحابة، عن حميد بن عبد الرحمن الحميري: ((أَنَّ

حُمَمَةَ -رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -ﷺ-، غَزَا أَصْبَهَانَ مَعَ الْأَشْعَرِيِّ، وَفُتِحَتْ أَصْبَهَانُ فِي زَمَانِ عُمَرَ -ﷺ-، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ حُمَمَةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُحِبُّ لِقَاءَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ صَادِقًا فَاعْزِمْ لَهُ بِصِدْقِهِ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَاحْمِلْهُ عَلَيْهِ وَإِنْ كَرِهَ، اللَّهُمَّ لَا تَرْجِعْ حُمَمَةَ مِنْ سَفَرِهِ هَذَا، فَمَاتَ بِأَصْبَهَانَ، فَقَامَ الْأَشْعَرِيُّ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا وَاللَّهِ فِيمَا سَمِعْنَا مِنْ نَبِيِّكُمْ -ﷺ- وَلَا مَبْلَغُ عِلْمُنَا إِلَّا أَنَّ حُمَمَةَ شَهِيدٌ))[1].

رابعًا: إخباره عن نفسه أنه صحابي بعد ثبوت عدالته والتقوى، وقبل مضي مائة سنة من وفاته -ﷺ-، وذلك لما صح عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-، قال: ((صَلَّى النَّبِيُّ -ﷺ- صَلاَةَ العِشَاءِ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ، قَامَ النَّبِيُّ -ﷺ-، فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ، فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةٍ، لاَ يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ اليَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ، فَوَهِلَ النَّاسُ فِي مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- إِلَى مَا يَتَحَدَّثُونَ مِنْ هَذِهِ الأَحَادِيثِ، عَنْ مِائَةِ سَنَةٍ، وَإِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: لاَ يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ اليَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ))، يريد بذلك أنها تخرم ذلك القرن[2]، وفي حديث جابر بن عبد الله -ﷺ-، يقول: ((سَمِعْتُ النَّبِيَّ -ﷺ-، يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِشَهْرٍ: تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ؟، وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ، وَأُقْسِمُ بِاللهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ))[3].

خامسًا: شهادة التابعي لأحد بالصحبة، واشترطوا لذلك:

١ - أن يصح السند لذلك التابعي.

٢ - أن يكون التابعي، ثقة.

وقد جاء عن أبي بكر الأثرم، قال: "قلت لأبي عبد الله يعني: أحمد ابن حنبل: إذا قال رجل من التابعين: حدثني رجل من أصحاب النبي -ﷺ-، فالحديث صحيح؟ قال: نعم"(البغدادي، د.ت، ٤١٥).

سادسًا: أن هناك ضوابط أخرى تعد قرائن على الصحبة، وهي:

١- أنهم كانوا لا يؤمّرون في المغازي إلا الصحابة.

٢- وكان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي -ﷺ-، فدعا له.

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (١ / ٤٠٦) رقم (٥٠٧) عن يونس قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا أبو عوانة، عن داود الأودي، عن حميد بن عبد الرحمن الحميري، فذكره. قال البوصيري: إسناده حسن. ينظر: إتحاف الخيرة المهرة، للبوصيري (٥ / ٢٥٧) رقم (٤٦٢٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء) (١ / ١٢٣) رقم (٦٠١) عن أبي اليمان، قال: أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: حدثني سالم بن عبد الله بن عمر، وأبو بكر ابن أبي حثمة، أن عبد الله بن عمر، فذكره.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب فضائل الصحابة -رضي الله تعالى عنهم-، باب قوله -ﷺ-: لا تأتي مائة سنة، وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم) (٤ / ١٩٦٦) رقم (٢١٨ - (٢٥٣٨)) عن هارون بن عبد الله، وحجاج بن الشاعر، قالا: حدثنا حجاج بن محمد، قال: قال ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله، فذكره.

٣- لم يبق بمكة والطائف أحد في سنة عشر من الهجرة إلا أسلم، وشهد حجة الوداع مائة وأربعة عشر ألف حاج، فمن كان في ذلك الوقت موجودًا اندرج فيهم، لحصول رؤيتهم النبي -ﷺ-، وإن لم يرهم هو -ﷺ-.

٤- ذكره في كتب تراجم الصحابة(العلائي، ١٤١٠هـ، ٢٩؛ ابن حجر، ١٤١٥هـ، ١/١٥).

الضوابط التي اتفق عليها أنها تثبت الصحبة.

وقد اتفق العلماء على ضوابط تثبت بها الصحبة، وهي:

١- الإسلام.

٢- إثبات الصحبة بالنص من القرآن الكريم، وذلك مثل قول الله سبحانه تعالى: (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٤٠).

فهذا النص يثبت صحبة سيدنا أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، حيث استقر الإجماع على أن المعني بالصاحب في هذه الآية: هو أبو بكر، قال أبو حيان محمد الأندلسي: "قال العلماء: من أنكر صحبة أبي بكر، فقد كفر؛ لإنكاره كلام الله -تعالى-، وليس ذلك لسائر الصحابة"(أبو حيان، ١٤٢٠هـ، ٥ / ٤٢١).

٣- الخبر المتواتر، وذلك كما في صحبة العشرة المبشرين بالجنة، فقد تواترت الأخبار بثبوت صحبتهم لرسول الله -ﷺ-، وكذلك كبار أصحاب رسول الله -ﷺ-، الذي حضر بيعة العقبة الأولى، والثانية.

٤- الخبر المشهور، كما في صحبة عكاشة بن محصن، وضمام بن ثعلبة، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وأبي سعيد الخدري، وأبي موسى الأشعري، -رضي الله عنهم-، فهؤلاء ومن على شاكلتهم، لا يكاد يرتاب مسلم في ثبوت صحبتهم للرسول الكريم -ﷺ-، وتمتعهم بالإيمان به، والأخذ عنه، والاستضاءة بنوره -ﷺ-.

الضوابط التي وقع فيها الاختلاف على إثبات الصحبة.

وقد اختلف بعض العلماء على ضوابط تثبت بها الصحبة، وهي:

١- البلوغ: وممن اشترط البلوغ محمد بن عمر الواقدي، في تعريفه، ولكن الراجح أنه لا يشترط، قال أبو الفضل عبد الرحيم العراقي: "والتقييد بالبلوغ، شاذ"**(العراقي، ٢٠٠٢م، ٢/١٢٦)**، وقال جلال الدين السيوطي: "ولا يشترط البلوغ على الصحيح، وإلا لخرج من أجمع على عده في الصحابة، كالحسن، والحسين، وابن الزبير، ونحوهم"(السيوطي، د.ت، ٢/٦٦٩).

٢- الملازمة: -طول الصحبة-، وقد تقدم الكلام عليه.

٣- أخذ العلم: وهذا حكاه الآمدي عن عمرو بن يحي، والصحيح: أنه لا يشترط، قال أبو سعيد العلائي: "أنه لا يعرف خلاف بين العلماء في أن من طالت صحبته، ولم يحدث عنه -ﷺ-، بشيء، أنه معدود من

الصحابة، لكن وقوع مثل ذلك نادر جدًا، إذ لا يلزم من عدم وصول رواية عن ذلك الصاحب إلينا أن لا يكون روى شيئًا عن النبي -ﷺ-، مما سمعه أو شاهده(العلائي، ١٤١٠هـ، ٣٣).

٤- إخبار الصحابي عن نفسه، أنه صحابي:

وقد ذهب العلماء في هذا الطريق إلى أربعة مذاهب:

المذهب الأول: أنه يقبل قوله: إني صحابي، مطلقًا من غير شرط، وذهب إلى ذلك ابن عبد البر، قال محمد السخاوي: "أن ابن عبد البر، قد جزم بالقبول من غير شرط، بناء على أن الظاهر سلامته من الجرح، وقوي ذلك بتصرف أئمة الحديث في تخريجهم أحاديث هذا الضرب في مسانيدهم"(السخاوي، ٢٠٠٣، ٩٣/٤).

المذهب الثاني: أنه يقبل قوله بشرطين:

الأول: أن يكون ذلك بعد ثبوت عدالته.

الثاني: أن يكون بعد ثبوت معاصرته للنبي -ﷺ-.

قال أبو عبد الله الزركشي: "لو قال العدل المعاصر للنبي -ﷺ-: أنا صحابي، يقبل منه"(الزركشي، ١٩٨٥م، ١٥٣/٣)، وقال أبو الحسن علي المرداوي: "فلو قال معاصر عدل: أنا صحابي، قبل عند أصحابنا، والجمهور(المرداوي، ٢٠٠٠م، ٢٠٠٨/٤)، وكذلك ذهب إلى ذلك أبو الحسن ابن اللحام البعلي، وحسن العطار، وغيرهما(العطار، د.ت، ١٩٩/٢).

والمعاصرة التي اشترطوها في إثبات الصحبة: هي أن يكون في المدة الممكنة، وهي بمضي مائة سنة وعشر سنين من هجرة النبي -ﷺ-، لقوله -ﷺ-، في آخر عمره لأصحابه، وذلك لما صح عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-، قال: (صَلَّى النَّبِيُّ -ﷺ- صَلاَةَ العِشَاءِ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ، قَامَ النَّبِيُّ -ﷺ-، فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ، فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةٍ، لاَ يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ اليَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ، فَوَهِلَ النَّاسُ فِي مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- إِلَى مَا يَتَحَدَّثُونَ مِنْ هَذِهِ الأَحَادِيثِ، عَنْ مِائَةِ سَنَةٍ، وَإِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: لاَ يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ اليَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ)، يريد بذلك أنها تخرم ذلك القرن[1]، وفي حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-، يقول: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ -ﷺ-، يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِشَهْرٍ: تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ؟، وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ، وَأُقْسِمُ بِاللهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ)[2].

وعلى ذلك، أن من ادعى الصحبة، وكانت المعاصرة غير ممكنة، فإنه لا يقبل قوله.

المذهب الثالث: عدم قبول قوله: إني صحابي، وذهب إلى هذا القول ابن القطان، قال محمد الشوكاني: "ومن يدع الصحبة، لا يقبل منه حتى نعلم صحبته، وإذا علمناها؛ فما رواه فهو على السماع حتى نعلم غيره"(الشوكاني، ١٩٩٩م، ١٩٠/١)، وإليه ميل الطوفي في مختصره، وهو ظاهر كلام ابن القطان المحدث، وبه قال أبو عبد الله الصيمري(ابن النجار، ١٩٩٧م، ٤٧٩/٣).

---

(١) تقدم تخريجه (ص١١).

(٢) تقدم تخريجه (ص١٢).

المذهب الرابع: التفصيل في ذلك: قال محمد السخاوي: "التفصيل بين مدعي الصحبة اليسيرة، فيقبل، لأنها مما يتعذر إثباتها بالنقل، إذ ربما لا يحضره حالة اجتماعه بالنبي ﷺ- أو رؤيته له أحد، أو الطويلة وكثرة التردد في السفر والحضر، فلا، لأن مثل ذلك يشاهد وينقل ويشتهر، فلا يثبت بقوله"(السخاوي، ٢٠٠٣م، ٩٢/٤).

٥- إخبار أحد التابعين الموثقين عند أهل الحديث، بأن فلانًا صحابي:

وقد اختلف العلماء فيه على قولين:

الأول: أنه يقبل قوله وتثبت به صحبة من أخبر عنه، قال الحافظ ابن حجر في إثبات طرق الصحبة: "أن يخبر أحد التابعين، بأنه صحابي، بناء على قبول التزكية من واحد عدل، وهو الراجح"(ابن حجر، ١٤١٥هـ، ١٥/١)، وقال زكريا السنيكي: "وكذا تعرف بقول آحاد ثقات التابعين"(السخاوي، ٢٠٠٣م، ٩٠/٤).

القول الثاني: أنه لا يقبل قوله، ولا تثبت به صحبة من أخبر عنه، قال محمد السخاوي: "قال بعض شراح اللمع: لا أعرف فيه نقلًا، قال: والذي يقتضيه القياس فيه، أنه لا يقبل ذلك، كما لا يقبل مراسيله؛ لأن تلك قضية لم يحضرها"(السخاوي، ٢٠٠٣م، ٩٣/٤).

وحقيقة الخلاف أنه مبني في الحقيقة على خلاف آخر، وهو: هل تقبل التزكية إذا صدرت من مزك واحد؟ أو لابد فيها من التعدد؟ فمن ذهب إلى عدم إثبات الصحبة، بقول التابعي: إن فلانًا صحابي، جرى على أن التزكية غير مقبولة إذا صدرت من مزك واحد، بل لابد فيها من اثنين.

٦- اللقاء، وهو من الضوابط التي اتفق الأكثر عليها أنها تثبت الصحبة، قال ابن عبد الشكور البهاري: "عند جمهور المحدثين، الصحابي: من لقيه مسلمًا، ومات على إسلامه"(الكنوي، ٢٠٠٢م، ١٩٦/٢)، إلا أن يحيى بن عثمان المصري، لا يشترط ذلك، فقال: "وممن دفن بمصر من أصحابه -ﷺ-، ممن أدركه ولم يسمع منه: أبو تميم الجيشاني، واسمه: عبد الله بن مالك"**(الأبناسي، ١٩٩٨م، ٢٩٥/٢)**، وقال أبو عمر ابن عبد البر: "أن اسم الصحبة وفضيلتها حاصلة لكل من رآه أو أسلم في حياته أو ولد وإن لم يره، ولو كان ذلك قبل وفاته -ﷺ-، بساعة؛ لكونه معه في زمن واحد، وجمعه وإياه عصر مخصوص"(العلائي، ١٤١٠هـ، ٣٥).

دراسة تطبيقية على الحكم بن سفيان، والاختلاف في صحبته.

(١)- عَنِ الْحَكَمِ، عَنْ أَبِيهِ: ((أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ-، كَانَ إِذَا تَوَضَّأَ أَخَذَ حَفْنَةً مِنْ مَاءٍ فَقَالَ بِهَا -هَكَذَا وَوَصَفَ شُعْبَةُ- نَضَحَ بِهِ فَرْجَهُ))، فذكرته لإبراهيم فأعجبه. قال الشيخ ابن السني: قال أبو عبد الرحمن: الحكم، هو ابن سفيان الثقفي -رضي الله عنه-.

تخريج الحديث:

أخرجه النسائي في سننه (كتاب الطهارة، باب النضح) (٨٦/١) رقم (١٣٤) عن إسماعيل بن مسعود قال: حدثنا خالد بن الحارث، عن شعبة، عن منصور، عن مجاهد، عن الحكم، عن أبيه، فذكره.

ومداره على منصور بن المعتمر، واختلف عليه فيه، وله عشرة طريق:

١- عن منصور، عن مجاهد، عن الحكم، عن أبيه.

أخرجه النسائي في السنن الكبرى (كتاب الطهارة، باب النضح) (١٢٦/١) رقم (١٣٤) عن إسماعيل بن مسعود عن خالد بن الحارث الهجيمي. ومحمد ابن منده في معرفة الصحابة (ص: ٧٧٥) من طريق عفان بن مسلم الباهلي. كلاهما: (خالد بن الحارث، وعفان بن مسلم) عن شعبة بن الحجاج العتكي. وأخرجه محمد ابن منده في معرفة الصحابة (ص: ٧٧٥). والطبراني في المعجم الكبير (٢١٦/٣) رقم (٣١٧٨) من طريق وهيب بن خالد الباهلي. وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (١٣٨٦/٣) رقم (٣٥٠٠) من طريق سفيان بن سعيد الثوري. ثلاثتهم: (شعبة بن الحجاج، ووهيب بن خالد، وسفيان بن سعيد) عن منصور، عن مجاهد، عن الحكم، عن أبيه، به نحوه.

٢- عن منصور، عن مجاهد، عن الحكم أو ابن الحكم، عن أبيه.

أخرجه أبو داود في سننه (كتاب الطهارة، باب في الانتضاح) (٤٣/١) رقم (١٦٨) عن نصر بن المهاجر، حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا زائدة، عن منصور، عن مجاهد، عن الحكم أو ابن الحكم، عن أبيه، به نحوه.

٣- عن منصور، عن مجاهد، عن الحكم أو ابن أبي الحكم، عن أبيه.

أخرجه الروياني في مسنده (٤٥٧/٢) رقم (١٤٧٧) عن عمرو بن علي، نا أبو داود، نا شعبة، عن منصور قال: سمعت مجاهدًا يحدث عن الحكم أو ابن أبي الحكم، عن أبيه، به نحوه.

٤- عن منصور، عن مجاهد، عن الحكم، أو أبي الحكم رجل من ثقيف عن أبيه.

أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٥٩٨/٢) رقم (١٣٦٤) عن شعبة، عن منصور، عن مجاهد، عن الحكم، أو أبي الحكم رجل من ثقيف عن أبيه. والبيهقي في السنن الكبرى (٢٥٠/١) رقم (٧٥٥). وفي معرفة السنن والآثار (٣٥٠/١) رقم (٨٧٤) من طريق يونس بن حبيب العجلي. وعبد الباقي ابن قانع في معجم الصحابة (٢٠٥/١). وفي معجم الصحابة (٣١٦/١) من طريق علي بن محمد الأموي. كلاهما: (يونس بن حبيب، وعلي بن محمد) عن سليمان بن داود الطيالسي. وأخرجه الطبراني في الكبير (٢١٦/٣) رقم (٣١٧٦) من طريق الحجاج بن المنهال الأنماطي. وأخرجه البيهقي في الكبرى (٢٤٩/١) رقم (٧٥٣) من طريق حفص بن عمر الأزدي. ثلاثتهم: (سليمان بن داود، والحجاج بن المنهال، وحفص بن عمر) عن شعبة، عن منصور، عن مجاهد، عن الحكم، أو أبي الحكم رجل من ثقيف عن أبيه، به نحوه إلا علي بن محمد الأموي، مثله.

٥- عن سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن رجل من ثقيف عن أبيه.

أخرجه أبو داود في سننه (كتاب الطهارة، باب في الانتضاحة) (٤٣/١) رقم (١٦٧) عن إسحاق بن إسماعيل اليتيم. وأحمد في مسنده (٢٠١/٢٧) رقم (١٦٦٤١). وفي مسنده (٢٦٧/٣٨) رقم (٢٣٢٢٦). وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢٧٧/١) رقم (٦٠٩). والبيهقي في السنن الكبرى (٢٥٠/١) رقم (٧٥٤). وفي معرفة السنن والآثار (٣٥١/١) رقم (٨٧٧) من طريق محمد بن أبي عمر العدني. ثلاثتهم: (إسحاق بن إسماعيل، وأحمد ابن حنبل، ومحمد بن أبي عمر) عن سفيان بن

عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن رجل من ثقيف عن أبيه، به نحوه. فهذه خمسة أقوال فيها عن أبيه.

٦- عن منصور، عن مجاهد، عن الحكم بن سفيان.

أخرجه النسائي في سننه (كتاب الطهارة، باب النضح) (٨٦/١) رقم (١٣٥) عن أحمد بن حرب عن قاسم بن يزيد الجرمي. وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٧١٨/٢) رقم (١٩١٩) من طريق عفيف بن سالم البجلي. كلاهما: (قاسم بن يزيد، وعفيف بن سالم) عن سفيان بن سعيد الثوري. وأخرجه النسائي في سننه (كتاب الطهارة، باب النضح) (٨٦/١) رقم (١٣٥) من طريق عمار بن رزيق الضبي. وابن ماجه في سننه (كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في النضح بعد الوضوء) (١٥٧/١) رقم (٤٦١). وأبو بكر ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥٥/١) رقم (١٧٨١). وفي مسنده (٨٥/٢) رقم (٥٨٥). والطبراني في المعجم الكبير (٢١٦/٣) رقم (٣١٨٠). وفي الطبراني في المعجم الكبير (٢١٧/٣) رقم (٣١٨٢) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٧١٩/٢) رقم (١٩٢٢) من طريق زكريا بن أبي زائدة الوادعي. وعبد الباقي ابن قانع في معجم الصحابة (٢٠٦/١). وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٧١٨/٢) رقم (١٩٢٠) من طريق سلام بن أبي مطيع الخزاعي. والطبراني في الكبير (٢١٧/٣) رقم (٣١٨٣). وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٧١٨/٢) رقم (١٩٢١) من طريق قيس بن الربيع الأسدي. خمستهم: (سفيان بن سعيد، وعمار بن رزيق، وزكريا بن أبي زائدة، وسلام بن أبي مطيع، وقيس بن الربيع) عن منصور، عن مجاهد، عن الحكم بن سفيان، به مثله، إلا رواية سفيان بن سعيد، وعمار بن رزيق، نحوه.

٧- عن منصور، عن مجاهد، عن رجل من ثقيف.

أخرجه أبو بكر الإسماعيلي في معجم أسامي شيوخه (٥٦٧/٢) عن أبي محمد إسحاق بن بنان الأنماطي حدثنا محمد بن شجاع المروزي، حدثنا وكيع بن الجراح، حدثنا مسعر، عن منصور، عن مجاهد، عن رجل، من ثقيف، به مرفوعًا نحوه.

٨- عن منصور، عن مجاهد، عن سفيان بن الحكم الثقفي أو الحكم بن سفيان الثقفي.

أخرجه أبو داود في سننه (كتاب الطهارة، باب في الانتضاح) (٤٣/١) رقم (١٦٦). وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢٧٧/١) رقم (٦٠٨). وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرطهما، وإنما تركاه للشك فيه، وليس ذلك مما يوهنه". والبيهقي في السنن الكبرى (٢٥٠/١) رقم (٧٥٥) من طريق أحمد بن سيار المروزي. كلاهما: (أبو داود، وأحمد بن سيار) عن محمد بن كثير العبدي. وأحمد في مسنده (١٥٧/٢٩) رقم (١٧٦٢٠) عن يحيى بن سعيد القطان. وفي مسنده (١٥٧/٢٩) رقم (١٧٦٢٠) عن عبد الرحمن بن مهدي العنبري. وفي مسنده (١٠٦/٢٤) رقم (١٥٣٨٦). وابن منده في معرفة الصحابة (ص: ٧٧٤) من طريق يعلى بن عبيد الطنافسي. وعبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (١٥٢/١) رقم (٥٨٧). ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير (٢١٦/٣) رقم (٣١٧٤). وأخرجه ابن منده في معرفة الصحابة (ص: ٧٧٤) من طريق قبيصة بن عقبة السوائي. والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢٧٧/١) رقم (٦٠٨) من طريق الفضل بن دكين الملائي. وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرطهما، وإنما تركاه للشك فيه، وليس ذلك مما يوهنه". سبعتهم: (محمد بن كثير، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي،

ويعلى بن عبيد، وعبد الرزاق بن همام، وقبيصة بن عقبة، والفضل بن دكين) عن سفيان بن سعيد الثوري. وأخرجه أحمد في مسنده (١٥٧/٢٩) رقم (١٧٦٢٠). وابن قانع في معجم الصحابة (٢٠٦/١). وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٧١٧/٢) رقم (١٩١٨) من طريق زائدة بن قدامة الثقفي. وعبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (١٥٢/١) رقم (٥٨٦) عن معمر بن راشد الأزدي. والطبراني في الكبير (٢١٧/٣) رقم (٣١٨١) من طريق المفضل بن مهلهل السعدي. أربعتهم: (سفيان بن سعيد، وزائدة بن قدامة، ومعمر بن راشد، والمفضل بن مهلهل) عن منصور، عن مجاهد، عن سفيان بن الحكم الثقفي أو الحكم بن سفيان الثقفي، به نحوه.

٩- عن منصور، عن مجاهد، عن الحكم أو أبي الحكم بن سفيان.

أخرجه أحمد في مسنده (١٠٤/٢٤) رقم (١٥٣٨٤). وفي مسنده (٣٩٧/٢٩) رقم (١٧٨٥٣). وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢١٦/٣) رقم (٣١٧٤) من طريق عثمان بن أبي شيبة العبسي. كلاهما: (أحمد ابن حنبل، وعثمان بن أبي شيبة) عن جرير بن عبد الحميد الضبي. وابن الجعد في مسنده (ص: ١٣٠) رقم (٨٢١). وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢١٦/٣) رقم (٣١٧٦) من طريق الحجاج بن المنهال الأنماطي. كلاهما: (علي بن الجعد، والحجاج بن المنهال) عن شعبة بن الحجاج العتكي. وابن قانع في معجم الصحابة (٢٠٥/١) من طريق روح بن القاسم التميمي. وابن قانع في معجم الصحابة (٢٠٥/١) من طريق سفيان بن سعيد الثوري. وابن قانع في معجم الصحابة (٢٠٥/١) والطبراني في المعجم الكبير (٢١٦/٣) رقم (٣١٧٩) من طريق الوضاح بن عبد الله اليشكري. خمستهم: (جرير بن عبد الحميد، والحجاج بن المنهال، وشعبة بن الحجاج، وروح بن القاسم، وسفيان بن سعيد، والوضاح بن عبد الله) عن منصور، عن مجاهد، عن الحكم أو أبي الحكم بن سفيان، به نحوه. وهذه أربعة أقوال فيها عن الحكم بن سفيان.

١٠- عن وكيع، عن عبد الله بن أبي زياد، عن مجاهد.

أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥٤/١) رقم (١٧٧٣) عن وكيع، عن عبد الله بن أبي زياد، قال: ((رَأَيْتُ مُجَاهِدًا يَتَوَضَّأُ فَنَضَحَ فَرْجَهُ، وَذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ-، فَعَلَهُ))، هكذا مرسلًا عن وكيع، عن عبد الله بن أبي زياد، عن مجاهد. والراجح: طريق منصور، عن مجاهد، عن الحكم، عن أبيه، وقد رجح هذا الطريق جمع من الأئمة: قال أبو حاتم: "الصحيح: مجاهد، عن الحكم بن سفيان، عن أبيه"(ابن أبي حاتم، ٢٠٠٣م، ٥٥٨/١)، وقال أبو عيسى: "سألت محمدًا عن الحديث، فقال: الصحيح ما روى شعبة ووهيب، وقالا: عن أبيه(الترمذي، ١٤٠٩هـ، ٣٧)"، وقال ابن حجر: "وكذا قال الذهلي عن ابن المديني"(ابن حجر، ١٣٢٦هـ، ٤٢٦/٢). وأيضًا: أن هذا الطريق عن أبيه، جاء من خمس طرق. وعن الحكم، جاء من أربع طرق. فيقدم الأكثر. وأيضًا: أنه رواه شعبة بن الحجاج، ووهيب بن خالد، وسفيان بن سعيد، وكلهم أئمة ثقات، فتقدم روايتهم.

- وقد جاء له أكثر من شاهد:

(١)- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- ((تَوَضَّأَ مَرَّةً مَرَّةً، وَنَضَحَ فَرْجَهُ)).

أخرجه الدارمي في مسنده (٥٥٤/١) رقم (٧٣٨) عن قبيصة، أنبأنا سفيان، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، فذكره. وأخرجه البزار في البحر الزخار (٤٢٤/١١) رقم (٥٢٨٠) عن محمد بن الليث البصري. ومحمد ابن المنذر في الأوسط (٢٤٤/١) عن محمد بن إسماعيل الصائغ. كلاهما: (محمد بن الليث، ومحمد بن إسماعيل) عن قبيصة، أنبأنا سفيان، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، به نحوه. وهذا حديث إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات، رجال الشيخين، وقد صحح إسناده، حسين الداراني(الدرامي، ٢٠٠٠م، ٥٥٤/١، ح ٧٣٨)، وقال الألباني: "سنده صحيح على شرط الشيخين"(الألباني، د.ت، ٦٦)، إلا أن البزار في حديث آخر، قال: "وأما حديث قبيصة، أنه توضأ وانتضح، فأخطأ فيه، إنما كان نضح قدميه، فحمله على نضح الفرج إذ اختصره"(البزار، ١٤٣٠هـ، ٤٢٦/١١)، ولكن الجميع صرحوا بأنه -ﷺ- نضح فرجه.

(٢)- عَنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ -ﷺ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: ((عَلَّمَنِي جِبْرَائِيلُ الْوُضُوءَ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْضَحَ تَحْتَ ثَوْبِي، لِمَا يَخْرُجُ مِنَ الْبَوْلِ بَعْدَ الْوُضُوءِ)).

أخرجه ابن ماجه في سننه (كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في النضح بعد الوضوء) (١٥٧/١) رقم (٤٦٢) عن إبراهيم بن محمد الفريابي، قال: حدثنا حسان بن عبد الله، قال: حدثنا ابن لهيعة، عن عقيل، عن الزهري، عن عروة، قال: حدثنا أسامة بن زيد، عن أبيه زيد بن حارثة، فذكره. وأحمد في مسنده (٢٥/٢٩) رقم (١٧٤٨٠). وابن أبي شيبة في مسنده (١٧٦/٢) رقم (٦٦١). وعنه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٠١/١) رقم (٢٥٩). وأخرجه عبد بن حميد في مسنده (ص: ١١٨) رقم (٢٨٣) عن الحسن بن موسى الأشيب. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨٥/٥) رقم (٤٦٥٧). والبيهقي في الكبرى (٢٥٠/١) رقم (٧٥٦) من طريق عبد الله بن يوسف الكلاعي. والطبراني في المعجم الكبير (٨٥/٥) رقم (٤٦٥٧). وابن عدي الجرجاني في الكامل في ضعفاء الرجال (٢٤٨/٥). والدارقطني في سننه (١٩٨/١) رقم (٣٩٠). وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١١٤٠/٣) رقم (٢٨٥٨). والخطيب البغدادي (٨٨/١٢) رقم (٣٤٩١) من طريق كامل بن طلحة الجحدري. والبزار في البحر الزخار (١٦٧/٤) رقم (١٣٣٢). ومحمد ابن المنذر في الأوسط (٢٤٣/١) رقم (١٥١) من طريق الحجاج بن محمد المصيصي. ومحمد ابن المنذر في الأوسط (٢٤٣/١) رقم (١٥٢) من طريق أسد بن موسى الأموي. والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢٤٠/٣) رقم (٤٩٥٨) من طريق سعيد بن عفير الأنصاري. سبعتهم: (الحسن بن موسى، وعبد الله بن يوسف، وكامل بن طلحة، والحجاج بن محمد، وأسد بن موسى، وسعيد بن عفير) عن عبد الله بن لهيعة الحضرمي. وأخرجه الطبراني في الأوسط (١٧٤/٤) رقم (٣٩٠١) عن علي بن سعيد الرازي عن محمد بن عاصم الرازي عن سعيد بن شرحبيل عن الليث بن سعد الفهمي. كلاهما: (عبد الله بن لهيعة، والليث بن سعد) عن عقيل، عن الزهري، عن عروة، عن أسامة بن زيد، عن أبيه زيد بن حارثة، به نحوه. وخالفهم الهيثم بن خارجة الخراساني، فرواه عن رشدين عن عقيل، عن الزهري، عن عروة، عن أسامة بن زيد، ولم يذكر أبيه. أخرجه أحمد في مسنده (١٠٦/٣٦) رقم (٢١٧٧١).

وإبراهيم الحربي في غريب الحديث (٨٩٥/٢). والدارقطني في سننه (١٩٨/١) رقم (٣٩١) من طريق حمدان بن علي الوراق. ثلاثتهم: (أحمد ابن حنبل، وإبراهيم بن إسحاق، وحمدان بن علي) عن الهيثم بن خارجة عن رشدين بن سعد المهري. وأخرجه الحارث بن محمد في مسنده (٢١٠/١) رقم (٧٢) عن الحسن بن موسى عن عبد الله بن لهيعة الحضرمي. كلاهما: (رشدين بن سعد، وعبد الله بن لهيعة) عن عقيل بن خالد الأيلي. وأخرجه الدارقطني في سننه (١٩٨/١) رقم (٣٩١) من طريق رشدين بن سعد عن قرة بن عبد الرحمن المعافري. كلاهما: (عقيل بن خالد، وقرة بن عبد الرحمن) عن الزهري، عن عروة، عن أسامة بن زيد، به نحوه. وهذا حديث إسناده حسن، وذلك أن الطبراني في الأوسط، رجال إسناده ثقات إلا محمد بن عاصم الرازي، وسعيد بن شرحبيل، فحدثهما حسن، وقد تابع فيه الليث بن سعد الفهمي، وهو ثقة، عبد الله بن لهيعة(ابن حجر، ١٩٨٦م، ٢٣٧، ٣١٩، ٤٦٤، ٤٨٥).

(٣)- عَنْ عَلِيٍّ -ﷺ-، قَالَ: ((وَضَّأْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-، فَنَضَحَ عَانَتُهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)).

أخرجه أبو بكر الشافعي في الفوائد (١٣٠/١) رقم (٨٥) عن عبد الله بن ناجية، ثنا عباد بن يعقوب، ثنا ابن زيد بن علي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن علي، فذكره. وهذا حديث إسناده حسن، رجاله ثقات، إلا عباد بن يعقوب الرواجني، والحسين بن زيد الهاشمي، وحديثهما حسن(ابن حجر، ١٩٨٦م، ١٦٦، ٢٩١).

(٤)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -ﷺ-، أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قال: ((جَاءَنِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِذَا تَوَضَّأْتَ فَانْتَضِحْ)).

أخرجه الترمذي في سننه (أبواب الطهارة عن رسول الله -ﷺ-، باب في النضح بعد الوضوء) (٧١/١) رقم (٥٠) عن نصر بن علي، وأحمد بن أبي عبيد الله السليمي البصري، قالا: حدثنا أبو قتيبة سلم بن قتيبة، عن الحسن بن علي الهاشمي، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة، فذكره. وقال الترمذي: "هذا حديث غريب. وسمعت محمدًا، يقول: الحسن بن علي الهاشمي، منكر الحديث، وفي الباب عن أبي الحكم بن سفيان، وابن عباس، وزيد بن حارثة، وأبي سعيد، وقال بعضهم: سفيان بن الحكم، أو الحكم بن سفيان، واضطربوا في هذا الحديث. وأخرجه ابن ماجه في سننه (كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في النضح بعد الوضوء) (١٥٧/١) رقم (٤٦٣). والطوسي في مختصر الأحكام (٢٢٤/١) رقم (٢٨٥٨) عن الحسين بن سلمة اليحمدي. وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٢٣٨/١١) رقم (٦٣٥٦) عن إبراهيم بن محمد الناجي. والعقيلي في الضعفاء (٢٣٤/١) من طريق محمد بن فراس الضبعي. وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٩/٢) من طريق عبد الله بن عمر الزهري. أربعتهم: (الحسين بن سلمة، وإبراهيم بن محمد، ومحمد بن فراس، وعبد الله بن عمر) عن سلم بن قتيبة الشعيري، به نحوه غير أنه عند ابن ماجه جاء بلفظ: قال رسول الله -ﷺ- ((إذا توضأت، فانتضح))، هكذا بصيغة الأمر، وليس فيه: ((جاءني جبريل)). وهذا حديث إسناده ضعيف، رجاله ثقات، إلا الحسن بن علي الهاشمي،

قاله البخاري، وابن أبي حاتم، وغيرهما(البخاري، د.ت، ٢٩٨/٢؛ ابن أبي حاتم، ١٩٥٢م، ٢٠/٣)، وقال الألباني عن الحديث: "منكر"(الألباني، ١٩٩٢م، ٤٧٧/٣).

(٥)- عَنْ جَابِرٍ -ﷺ-، قَالَ: ((تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَنَضَحَ فَرْجَهُ)).

أخرجه ابن ماجه في سننه (كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في النضح بعد الوضوء) (١٥٧/١) رقم (٤٦٤) عن محمد بن يحيى قال: حدثنا عاصم بن علي، قال: حدثنا قيس، عن ابن أبي ليلى، عن أبي الزبير، عن جابر، فذكره. وأخرجه ابن عدي الجرجاني في الكامل في ضعفاء الرجال (٢٩٥/٨) عن أحمد بن الحسين الصوفي، عن سفيان بن وكيع، عن زيد بن الحباب، عن نوح بن أبي مريم، عن أبيه عن أبي الزبير، به نحوه. وأخرجه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٢٩٥/٨) عن محمد بن صالح العكبري، عن سفيان بن وكيع عن زيد بن الحباب عن نوح بن أبي مريم، عن أبي الزبير، به نحوه، ولم يقل محمد بن صالح: عن نوح بن أبي مريم، عن أبيه، وإنما قال: عن أبي الزبير[١]. وهذا حديث إسناده ضعيف جداً، محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى الأنصاري، ضعيف الحديث، ضعفه شعبة، وزائدة، ويحيى القطان، وابن معين، وأحمد ابن حنبل، والنسائي، وابن حبان، وغيرهم(ابن حنبل، ١٤٢٢هـ، ٣٤٣/٧؛ النسائي، ١٣٩٦هـ، ٩٢؛ العقيلي، ١٩٨٤م، ٩٨/٤؛ ابن أبي حاتم، ١٩٥٢م، ٣٢٢/٧؛ القيسراني، ١٩٩٤م، ٢٤٣/٢؛ ابن عدي، ١٩٩٧م، ٣٨٨/٧؛ المزي، ١٩٨٠م، ٦٢٢/٢٥؛ الذهبي، ١٩٨٥م، ٣١٠/٦؛ الذهبي، ١٩٦٣م، ٦١٣/٣؛ ابن حجر، ١٩٨٦م، ٤٩٣)، وقال أبو الفضل محمد ابن القيسراني: "نوح هذا متروك الحديث"(القيسراني، ١٩٩٦م، ٨٠٥/٢، رقم ١٥٥٨)، وقال محمد ابن عبد الهادي: "هذا إسناد غير قوي"[٢].

(٦)- عَنْ يَزْدَاد بن فَسَاءَةَ الفَارِسِيُّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: ((إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَنْتُرْ ذَكَرَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)).

أخرجه ابن ماجه في سننه (كتاب الطهارة وسننها، باب الاستبراء بعد البول) (١١٨/١) رقم (٣٢٦) عن علي بن محمد، قال: حدثنا وكيع، قال: حدثنا زمعة بن صالح، عن عيسى بن يزداد اليماني، عن أبيه، فذكره. وأخرجه أحمد في مسنده (٣٩٩/٣١) رقم (١٩٠٥٣). وابن أبي شيبة في مسنده (١٤٩/١) رقم (١٧١٠) عن وكيع بن الجراح الرؤاسي. وابن ماجه في سننه (كتاب الطهارة وسننها، باب الاستبراء بعد البول) (١١٨/١) رقم (٣٢٦) من طريق الفضل بن دكين الملائي. وابن أبي شيبة في مسنده (١٤٩/١) رقم (١٧٠٨) عن عيسى بن يونس السبيعي. وعبد الباقي ابن قانع في معجم الصحابة (٢٣٨/٣). والبيهقي في الكبرى (١٨٢/١) رقم (٥٥٢) من طريق روح بن عبادة القيسي. وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٦٩/١) رقم (١٠٥٠) من طريق معتمر بن سليمان التيمي. خمستهم: (وكيع بن الجراح، والفضل بن دكين، وعيسى بن يونس، وروح بن عبادة، ومعتمر بن سليمان) عن زمعة بن صالح

---

(١) في المطبوع عن أبي الزبير بن عبد الله، ولعله خطأ من النساخ، لأن أبا الزبير، اسمه: محمد بن مسلم القرشي، وليس محمد بن عبد الله، ولعله أراد عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله.

(٢) تعليقة محمد ابن عبد الهادي على العلل، لابن أبي حاتم (ص: ٦٧).

اليماني. وأخرجه أحمد في مسنده (٣١/٤٠٠) رقم (١٩٠٥٤). وعبد الباقي ابن قانع في معجم الصحابة (٢٣٨/٣). والبيهقي في الكبرى ((١٨٢/١) رقم (٥٥٢) من طريق زكريا بن إسحاق المكي. كلاهما: (زمعة بن صالح، وزكريا بن إسحاق) عن عيسى بن يزداد اليماني، عن أبيه، به مثله إلا عند أبي نعيم وعبد الباقي ابن قانع، والمعتمر بن سليمان، نحوه.

وهذا حديث إسناده ضعيف، فقد تابع زكريا المكي، زمعة بن صالح إلا أن فيه:

١- عيسى بن يزداد اليماني، مجهول، قاله أبو حاتم، وابن معين، وقال ابن القطان، والعقيلي: "لا يعرف إلا بهذا الحديث"، ولم أقف على ما يفيد عدالته إلا ذكر ابن حبان له في الثقات(البخاري، د.ت، ٣٩٢/٩؛ ابن أبي حاتم، ١٤٢٣هـ، ٥٢٣/١؛ ابن أبي حاتم، ١٩٥٢م، ٢٩١/١؛ العقيلي، ١٩٨٤م، ٣٨١/٣؛ العجلي، ١٩٨٥، ٢١٦/٥؛ المزي، ١٩٨٠، ٥٧/٢٣؛ ابن حجر، ١٩٨٦م، ٤٤١؛ العراقي، ١٩٩٥م، ٤٧).

٢- أبيه أزداد، ويقال: يزداد بن فساءة الفارسي اليماني، مولى بحير بن ريسان المرادي، والد عيسى بن يزداد، مختلف في صحبته.

فقد ذكره في جملة الصحابة: ابن قانع، وابن منده، وابن عبد البر، وأبو نعيم. وقال ابن معين: "لا يعرف من عيسى، ولا أبوه". وقال البخاري: "هو مرسل، لا صحبة له". وقال ابو حاتم: "لا يصح حديثه، وليس له صحبة، ومن الناس من يدخله في المسند على المجاز، وعيسى، وأبوه، مجهولان". وقال ابن عبد البر: "يقال له صحبة، وأكثرهم لا يعرفونه. وقد قيل: حديثه مرسل". وقال الذهبي: "أزداد الفارسي اليماني، عنه ابنه في نثر الذكر للاستبراء، لم يصح". ونتيجة حاله أنه: تابعي مجهول، وهو قول الأكثر، ولم أقف على من صرح بأنه صحابي، إلا من ذكره في كتب تراجم الصحابة، وقد ذكره ابن حبان في طبقة الصحابة، فقال: "يقال: إن له صحبة، إلا أني لست أحتج بخبر زمعة بن صالح". فلم يصح حديثه، وكذلك ضعف حديثه الأئمة، وقالوا حديث مرسل، أي: أنه تابعي. وابنه عيسى، مجهول لا يعرف حاله، وقال ابن القطان، والعقيلي: "لا يعرف إلا بهذا الحديث"(البخاري، د.ت، ٣٩٢/٦؛ ابن أبي حاتم، ٢٠٠٣م، ٥٢٣/١؛ ابن أبي حاتم، ١٩٥٢م، ٢٩١/٦؛ ابن أبي حاتم، ١٣٩٧هـ، ٢٣٨؛ العجلي، ١٩٨٥م، ٤٤٩/٣؛ القرطبي، ١٩٩٢م، ١٥٨٩/٤؛ ابن الأثير، د.ت، ١٩١/١؛ المزي، ١٩٨٠م، ٢١٦/٢؛ الذهبي، ١٩٩٢م، ٢٣٠/١؛ ابن حجر، ١٤١٥هـ، ١٩٩/١؛ ابن حجر، ١٣٢٦هـ، ١٩٩/١؛ ابن حجر، ١٩٨٦م، ٢١٥-٢١٧-٩٧؛ العلائي، ١٩٨٦م، ١٤٣؛ العراقي، ١٩٩٥م، ٤٧؛ أبو زرعة، د.ت، ٢٣).

- وقد جاء موقوفًا:

(١)- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، قال: ((شَكَا إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي أَكُونُ فِي الصَّلَاةِ، فَيُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّ بِذَكَرِي بَلَلًا، قَالَ: قَاتَلَ اللَّهُ الشَّيْطَانَ، إِنَّهُ يَمَسُّ ذَكَرَ الْإِنْسَانِ فِي صَلَاتِهِ لِيُرِيَهُ أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ، فَإِذَا تَوَضَّأتَ، فَانْضَحْ فَرْجَكَ بِالْمَاءِ، فَإِنْ وَجَدْتَ، قُلْتَ: هُوَ مِنَ الْمَاءِ، فَفَعَلَ الرَّجُلُ ذَلِكَ فَذَهَبَ)).

أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (١٥١/١) رقم (٥٨٣) عن الثوري، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، وغيره، عن ابن عباس، فذكره. وهذا حديث إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات، رجاله رجال الشيخين (العراقي، ١٩٩٥م، ١٤٧)،.

(٢)- عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، قال: ((كَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا تَوَضَّأَ، نَضَحَ فَرْجَهُ))، قال عبيد الله: "وكان أبي يفعل ذلك". أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥٤/١) رقم (١٧٧٥) عن علي بن مسهر، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، فذكره. وهذا حديث إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات، رجاله رجال الشيخين. وفي لفظ عن مسلم بن صبيح، يقول: رأيت ابن عمر -رضي الله عنهما-: ((تَوَضَّأَ، ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَصَبَّهَا بَيْنَ إِزَارِهِ وَبَطْنِهِ عَلَى فَرْجِهِ)). أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (١٥٣/١) رقم (٥٩٠) عن سفيان بن عيينة، عن الحسن بن عبيد الله قال: سمعت مسلم بن صبيح، فذكره. وهذا حديث إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات، رجاله رجال الشيخين، غير الحسن بن عبيد الله النخعي، فمن رجال مسلم.

دراسة إسناد الحديث:

١- إسماعيل بن مسعود الجحدري، أبو مسعود البصري.

روى عن: خالد بن الحارث، ومعتمر بن سليمان، وبشر بن المفضل، وغيرهم. وروى عنه: النسائي، وزكريا السجزي، وعمر البغدادي، وغيرهم. من العاشرة، مات سنة ثمان وأربعين، أخرج له (س). ونتيجة حاله أنه: ثقة، وثقه النسائي، وأبو الحسن الهيثمي، وذكره ابن حبان الثقات(ابن حبان، ١٩٨٨م، ١٠٢/٨؛ ابن حجر، ١٩٨٦م، ١١٠؛ الهيثمي، ١٩٩٤م، ٢٩٧/٤، رقم ٧٥٨١).

٢- خالد بن الحارث بن عبيد بن سليم الهجيمي، أبو عثمان البصري.

روى عن: شعبة الحجاج، وسفيان الثوري، وعبيد الله بن عمر، وغيرهم. وروى عنه: إسماعيل ابن مسعود، وأحمد ابن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم. من الثامنة، مات سنة ست وثمانين ومولده سنة عشرين، أخرج له (ع). ونتيجة حاله أنه: ثقة، وثقه ابن سعد، والإمام أحمد، وأبو حاتم الرازي، وغيرهم(ابن سعد، ١٩٩٠م، ٢١٤/٧؛ ابن أبي حاتم، ١٩٥٢م، ٣٢٥/٣؛ ابن حبان، ١٩٨٨م، ٢٦٧/٦؛ المزي، ١٩٨٠م، ٣٥/٨؛ ابن حجر، ١٩٨٦م، ١٨٧؛ المبرد، ١٩٩٢م، ٤٨).

٣- شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم، أبو بسطام الواسطي، ثم البصري.

روى عن: منصور بن المعتمر، وأبان بن تغلب، وعمرو بن مرة، وغيرهم. وروى عنه: خالد بن الحارث، وأيوب السختياني، وسليمان بن مهران، وغيرهم. من السابعة، مات سنة ستين ومائة، أخرج له (ع). أجمع الأئمة على توثيقه، وإمامته، وإتقانه. قال سفيان الثوري: "شعبة أمير المؤمنين في الحديث". وقال ابن حبان: "كان من سادات أهل زمانه حفظًا، وإتقانًا، وورعاً، وفضلًا، وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين، وجانب الضعفاء والمتروكين، وصار علمًا يقتدى به، وتبعه عليه بعده أهل العراق". وقال الحاكم: "شعبة إمام الأئمة في معرفة الحديث بالبصرة، رأى أنس بن مالك، وعمرو بن سلمة الصحابيين، وسمع من أربعمائة من التابعين". وقال ابن حجر: "لا يحمل عن مشايخه إلا صحيح حديثهم"، وقال أيضًا: "لا يروي عن شيوخه المدلسين، إلا ما هو مسموع لهم"(البخاري، د.ت،

٢٤٤/٤؛ ابن سعد، ١٩٩٠م، ٢٠٧/٧، العجلي، ١٩٨٥م، ٢٢٠؛ ابن أبي حاتم، ١٩٥٢م، ٣٦٩/٤؛ ابن حبان، ١٩٨٠م، ٤٤٦/٦؛ الذهبي، ١٩٨٠م، ٢٠٢/٧؛ المزي، ١٩٨٠م، ٤٧٩/١٢؛ ابن حجر، ١٣٧٩هـ، ١٢٠/١١؛ ابن حجر، ١٣٢٦هـ، ٣٣٨/٤؛ ابن حجر، ١٩٨٦م، ٢٦٦).

٤- منصوربن المعتمربن عبد الله السلمي، أبو عتاب الكوفي.

روى عن: مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، وغيرهم. وروى عنه: شعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري، وأيوب السختياني، وغيرهم. من الخامسة، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، أخرج له (ع). ونتيجة حاله أنه: ثقة ثبت، وثقه ابن سعد، والعجلي، وأبو حاتم الرازي، والدارقطني، وغيرهم(الدارقطني، ٢٠٠٤م، ١٠٨/٣، رقم ٢١٦٩؛ الدارقطني، ١٩٨٥م، ٤١٢/٤؛ ابن سعد، ١٩٩٠م، ٣٢٨/٦؛ ابن معين، ١٩٧٩م، ٥٨٨/٢؛ ابن المديني، ١٩٨٠م، ٥٨؛ أحمد بن حنبل، ٥٦/١؛ العجلي، ١٩٨٥م، ٤٤، ابن أبي حاتم، ١٩٥٢م، ١٧٧/٨؛ ابن أبي حاتم، ١٣٩٧هـ، ١٩٨/١؛ ابن حبان، ١٩٨٠م، ٤٧٣/٧؛ أبي نعيم، ١٩٧٤م، ٤٠/٥؛ المزي، ١٩٨٠م، ٥٤٦/١٨؛ الذهبي، ١٩٨٥م، ٤٠٢/٥؛ الذهبي، ١٩٩٨م، ١٤٢/١؛ القيسي، ١٩٩٣م، ٤٢/٢؛ ابن حجر، ١٣٢٦هـ، ٣١٢/١٠؛ ابن حجر، ١٩٨٦م، ٥٤٧؛ ابن المبرد، ١٩٩٢م، ١٥٦).

٥ - مجاهد بن جبر المخزومي مولاهم، أبو الحجاج المكي.

روى عن: الحكم بن سفيان، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وغيرهم. وروى عنه: منصور بن المعتمر، وأيوب السختياني، وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم. من الثالثة، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة، أخرج له (ع). ونتيجة حاله أنه: ثقة، وثقه ابن سعد، وابن معين، وأبو زرعة، وأبو حاتم الرازي، وابن حزم، وغيرهم(ابن سعد، ١٩٩٠م، ١٩/٦؛ ابن معين، ١٩٧٩م، ٥٢٨/٣؛ أبي داود، ١٩٨٣م، ١٧١؛ ابن أبي حاتم ١٩٥٢م، ٣١٩/٨؛ ابن حبان، ١٩٨٠م، ٤١٩/٥؛ المزي، ١٩٨٠م، ٢٢٨/٢٧؛ الذهبي، ١٩٨٥م، ٤٤٩/٤؛ القيسراني، ١٩٩٤م، ٧١/١؛ العراقي، ١٩٩٥م، ٤٣٩/٣؛ ابن حجر، ١٣٢٦هـ، ٤٢/١٠، ابن حجر، ١٩٨٦م، ٥٢٠).

٦- الحكم بن سفيان بن عثمان بن عامر الثقفي.

روى عن: النبي -ﷺ-، وأبيه. وروى عنه: مجاهد بن جبر. أخرج له (د س ق). أخرج له (د س ق). قال ابن معين: "صحابي له حديث، وعنه: مجاهد، وفيه اضطراب". وقال أبو زرعة: "له صحبة". وقال أبو حاتم: "له صحبة". وقال إبراهيم الحربي: "له صحبة". وقال ابن حبان: "له صحبة". وقال ابن عبد البر: "وسماعه منه عندي صحيح، لأنه نقله الثقات، منهم الثوري، ولم يخالفه من هو في الحفظ والإتقان مثله". وقال الذهبي: "له صحبة". وذكره من جملة الصحابة ابن سعد، وأبو القاسم البغوي، وابن قانع، وابن منده، وأبو نعيم. وقال الإمام أحمد: "حدثنا أسود بن عامر قال: قال: شريك سألت أهل الحكم بن سفيان فذكروا أنه لم يدرك النبي -ﷺ-". وقال البخاري: "قال بعض ولد الحكم بن سفيان: لم يدرك الحكم النبي -ﷺ-، ولم يره". وقال أبو القاسم: "وروي عن ابن عيينة، قال: سألت آل الحكم بن سفيان، عن الحكم بن سفيان، فقالوا: لم تكن له صحبة". ونتيجة حاله أنه: مجهول،

حيث أن أعلم الناس به هم أهل بيته، وقد ذكروا أنه لم يدرك الحكم النبي -ﷺ-، ولم يره، ولم أقف له إلا على هذا الحديث، قال أبو القاسم: "ولا أعلم للحكم بن سفيان غير هذا الحديث". وأما قول ابن عبد البر، أجاب عنه أبي الحسن ابن القطان، فقال: "فإن شعبة، وهو من هو قد قال ذلك، ووهيب أيضًا قد قاله"(ابن سعد، ١٩٩٠م، ٥٢/٦؛ البخاري، د.ت، ٣٢٩/٢؛ ابن أبي حاتم، ١٩٥٢م، ١١٦/٣؛ ابن حنبل، ١٩٨٨م، ٢٤٨/٣؛ الترمذي، د.ت، ٣٧، رقم ٢٧؛ البغوي، ٢٠٠٠م، ١٠٦/٢؛ ابن حبان، ١٩٨٠م، ٨٥/٣؛ ابن حبان، ١٩٩١م، ٩٨؛ القرطبي، ١٩٩٢م، ٣٦١/١؛ المزي، ١٩٨٠م، ٩٤/٧؛ الذهبي، ١٩٩٢م، ٣٤٤/١؛ ابن حجر، ١٤١٥هـ، ٩٠/١؛ ابن حجر، ١٣٢٦هـ، ٤٢٦/٢؛ ابن حجر، ١٩٨٦، ١٧٥؛ الألباني، ١٩٨٨م، ٨٥٨/٢، رقم ٤٦٩٧).

٧- سفيان بن عثمان بن عامر الثقفي.

روى عن: النبي -ﷺ-. وروى عنه: مجاهد بن جبر. ونتيجة حاله أنه: مجهول، لم أقف على من قال بصحبته إلا أبا حاتم الرازي، حيث يرى أن أباه، سفيان بن عبد الله بن ربيعة الثقفي، الذي أخرج له مسلم في الصحيح، وحديثه في البصريين، وقال بعضهم: في أهل الطائف، إلا أن البخاري، وغيره، لم يذكروا من أبناءه الحكم بن سفيان. وأيضًا: أن أسم الحكم بن سفيان: هو الحكم بن سفيان بن عثمان بن عامر بن معتب الثقفي، من أهل مكة، فاسمه ليس يوافق ترجمة سفيان بن عبد الله بن ربيعة، فأجدادهم تختلف. وأيضًا: الحكم بن سفيان، من أهل مكة، وسفيان بن عبد الله، حديثه في البصريين، وقال بعضهم: في أهل الطائف(الطبري، د.ت، ٨٦/٤؛ ابن أبي حاتم، ١٩٥٢م، ٢١٨/٤؛ ابن حبان، ١٩٨٠م، ٣/ ٨٥؛ القرطبي، ١٩٩٢م، ٢/ ٦٣٠؛ المزي، ١٩٨٠م، ١٦٩/١١؛ ابن حجر، ١٣٢٦هـ، ١١٥/٤).

الحكم على الحديث:

إسناده ضعيف، وذلك:

١- الاضطراب الشديد في إسناده.

٢- الاختلاف في صحبة الحكم بن سفيان، وأبيه، حيث أن حالهما مجهول، وقد اختلف في اسمهما اختلافًا كثيرًا، ولم أقف لهما إلا على هذا الحديث.

٣- أن الراجح طريق منصور، عن مجاهد، عن الحكم، عن أبيه، ولا يكون أخبر الحكم بن سفيان، عن النبي -ﷺ- إلا بواسطة أبيه، وحاله مجهول.

وأما المتن فروي بأسانيد صحيحه غير أسناد الحكم بن سفيان، وأبيه، كما سبق، قال الألباني: "أن اضطرابه شديد محير، لا يمكن ترجيح وجه منها على آخر، حتى إن ابن أبي حاتم نقل في العلل، تصحيحين متناقضين في ذلك، قال: فقال أبو زرعة: الصحيح: مجاهد عن الحكم بن سفيان، وله صحبة، وسمعت أبي يقول: الصحيح: مجاهد عن الحكم بن سفيان عن أبيه، ولأبيه صحبة، وكذا قال الترمذي في العلل عن البخاري، والذهلي عن ابن المديني: مثل قول أبي حاتم. وبالجملة: فهذا الاضطراب يستلزم ضعف الإسناد، لكن الحديث صحيح باعتبار ما له من الشواهد"(أبي داود، ١٩٩٩م، ١ / ٢٩٦، رقم ١٥٩).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على عبده ورسوله سيدنا محمد بن عبد الله خير الأنام وبدر التمام؛ أرسله ربّه بالآيات البينات والمعجزات الباهرات، وعلى آله وصحبه، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنه من خلال كتابتي لهذا البحث المتواضع - توصلت إلى نتائج منها ما يلي:

- أن التعريف الراجح في الصحابي، هو ما ذكره الحافظ ابن حجر: وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي: "من لقي النبي -ﷺ- مؤمنًا به، وما الإسلام".
- أن الصحبة تثبت برؤيته -ﷺ- مع الإسلام، وبالنص من القرآن الكريم، أو الخبر المتواتر، أو الشهرة المستفيضة، ولا يشترط البلوغ، ولا طول الملازمة، ولا أخذ العلم عنه -ﷺ-.
- أن ما ذهب إليه يحيى بن عثمان المصري، بأنه لا يشترط اللقاء، لا يصح، والجمهور على خلافه.
- لا يستلزم ذكر الرجل في كتب الصحابة أن يكون صحابيًا عند من ذكره.
- أن الصحبة تثبت بالإسناد الصحيح، ولا تثبت بالإسناد الضعيف.
- أن الحكم بن سفيان، وأبيه حالهما مجهول، ولم أجد لهما إلا هذا الحديث، والحديث مضطرب اضطرابًا شديدًا، والطريق الصحيح، هو طريق منصور، عن مجاهد، عن الحكم بن سفيان، عن أبيه، وقد روي الحديث مرفوعًا وموقوفًا بإسناد صحيح.
- أن الاختلاف في الصحبة له تأثير في تعليل الحديث.

فهرس المصادروالمراجع

١. ابن أبي حاتم، أبي محمد، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي الرازي، ابن أبي حاتم (١٢٧١هـ-١٩٥٢م)، الجرح والتعديل، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن، الهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

٢. ابن أبي حاتم، أبي محمد، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي، (١٤٢٧هـ-٠٠٦م)، العلل، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف، وعناية د. سعد بن عبد الله الحميد، ود. خالد بن عبد الرحمن الجريسي، مطابع الحميضي، الطبعة الأولى.

٣. ابن أبي حاتم، أبي محمد، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي، (١٣٩٧هـ)، المراسيل، تحقيق: شكر الله نعمة الله قوجاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى.

٤. ابن أبي حاتم، محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م)، تعليق محمد ابن عبد الهادي على العلل، تحقيق: سامي بن محمد بن جاد الله، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى.

٥. ابن أبي شيبة، أبو بكر ، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي (١٤٠٩هـ)، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة

الأولى.

٦. ابن أبي شيبة، أبي بكر، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي (١٩٩٧م)، مسند ابن أبي شيبة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، وأحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى.

٧. ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (د.ت)، طبقات الحنابلة، لأبي الحسين، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت.

٨. ابن الأثير، أبي الحسن، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري (د.ت)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١.

٩. ابن الأثير، أبي الحسن، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، (١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

١٠. ابن المِبرَد الحنبلي، يوسف بن حسن ابن عبد الهادي الصالحي (١٩٩٢م)، بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم، تحقيق: د. روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١.

١١. ابن المديني، أبي الحسن، علي بن عبد الله بن جعفر السعدي بالولاء المديني، البصري (١٩٨٠م)، العلل، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية.

١٢. ابن النجار، أبي البقاء، محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (١٤١٨هـ- ١٩٩٧م ، شرح الكوكب المنير، تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية.

١٣. ابن تيمية، أبي العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، د.ت، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.

١٤. ابن حبان، أبي حاتم، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، الدارمي، البُستي (١٣٩٦هـ)، المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، الطبعة الأولى.

١٥. ابن حبان، أبي حاتم، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، الدارمي، البُستي (١٤١١هـ-١٩٩١م)، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تحقيق: مرزوق على ابراهيم، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى.

١٦. ابن حبان، أبي حاتم، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، الدارمي، البُستي (١٩٨٨م)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان

الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.
١٧. ابن حجر، أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني (١٤٢٢هـ)، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ابن حجر، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير بالرياض، الأولى.
١٨. ابن حجر، أبي الفضل، أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى.
١٩. ابن حجر، أبي الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (١٣٧٩هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت.
٢٠. ابن حجر، أبي الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (١٣٩٠هـ-١٩٧١م)، لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعرف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية
٢١. ابن حجر، أبي الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (١٣٢٦هـ)، تهذيب التهذيب، دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى.
٢٢. ابن حزم، علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (د.ت)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
٢٣. ابن حنبل، أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (١٤٢١هـ-٢٠٠١م)، مسند الإمام أحمد ابن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.
٢٤. ابن حنبل، أبي عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م)، الجامع في العلل ومعرفة الرجال لأحمد ابن حنبل، رواية المروذي، وغيره، تحقيق: د. وصى الله بن محمد عباس، الدار السلفية، بومباي، الهند، الطبعة الأولى.
٢٥. ابن حنبل، أبي عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (١٤١٤هـ)، سؤالات أبي داود للإمام أحمد ابن حنبل في جرح الرواة وتعديلهم، تحقيق: د. زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ـ
٢٦. ابن حنبل، أبي عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (١٤٢٢هـ)، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، دار الخاني، الرياض، الطبعة الثانية.
٢٧. ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر، محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، د.ت. تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.
٢٨. ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م)، شرح علل الترمذي، تحقيق: د. همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الأولى.

٢٩. ابن سعد، أبي عبد الله، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

٣٠. ابن عدي، أبي أحمد، عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد الجرجاني (١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

٣١. ابن فارس، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، د.ت، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

٣٢. ابن مرزوق، أبو الحسين، عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي (١٤١٨هـ)، معجم الصحابة، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى.

٣٣. ابن معين، أبو زكريا، يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء، البغدادي (١٩٧٩م)، تاريخ ابن معين رواية الدوري، تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط١.

٣٤. ابن معين، أبو زكريا، يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء، البغدادي، تاريخ ابن معين رواية عثمان الدارمي، تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف، دار المأمون للتراث، دمشق.

٣٥. ابن معين، أبو زكريا، يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء، البغدادي (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م)، معرفة الرجال عن يحيى بن معين وفيه عن علي بن المديني، وأبي بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن نمير، وغيرهم، ورواية أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز، تحقيق: محمد كامل القصار، مجمع اللغة العربية، دمشق، الطبعة الأولى.

٣٦. ابن معين، أبي زكريا، يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء، البغدادي (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م)، سؤالات ابن الجنيد، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى.

٣٧. ابن مندة، أبي عبد الله، محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (د.ت)، الفوائد، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة.

٣٨. ابن مَنْدَه، أبي عبد الله، محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، معرفة الصحابة، تحقيق: أ.د: عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى.

٣٩. الأبناسي، أبي إسحاق، إبراهيم بن موسى بن أيوب، الأبناسي، ثم القاهري، الشافعي (١٤١٨هـ-١٩٩٨م)،الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح، تحقيق: صلاح فتحي هلل، مكتبة

الرشد، الطبعة الأولى.
٤٠. أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (١٤١٥هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
٤١. أبو حيان، محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (١٤٢٠هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت.
٤٢. أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السَّجِسْتاني (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني في الجرح والتعديل، تحقيق: محمد علي قاسم العمري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى.
٤٣. أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني (١٤٠٨هـ)، المراسيل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة الأولى ـ
٤٤. أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، د.ت، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
٤٥. أبو داود، سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (١٤١٩هـ- ١٩٩٩م)، مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى.
٤٦. أبو زرعة، أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، (د.ت)، تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل، أتحقيق: عبد الله نوارة، مكتبة الرشد، الرياض.
٤٧. أبو طاهر السِّلَفي، أحمد بن محمد ابن سِلَفَه الأصبهاني (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م) الطيوريات، من أصول: أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي الطيوري، تحقيق: دسمان يحيى معالي، وعباس صخر الحسن، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى.
٤٨. أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (١٩٩٠م)، تأريخ أصبهان "أخبار أصبهان"، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
٤٩. أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى.
٥٠. أبي نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني (١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، السعادة، بجوار محافظة مصر.
٥١. أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثُنى التميمي، الموصلي (١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤م)، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى.
٥٢. الأزدي، أبو عروة، معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، البصري، نزيل اليمن (١٤٠٣

هـ)، جامع معمر بن راشد، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي، ببيروت، الطبعة الثانية.

٥٣. الألباني، أبو عبد الرحمن، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، د.ت، تمام المنة في التعليق على فقه السنة، دار الراية، الطبعة الخامسة.

٥٤. الألباني، أبي عبد الرحمن، محمد ناصر الدين الألباني، د.ت. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى.

٥٥. الألباني، محمد ناصر الدين الألباني (١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م.)، صحيح الجامع الصغير وزيادة، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثالثة

٥٦. الألباني، محمد ناصر الدين الألباني (١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لأبي عبد الرحمن، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى.

٥٧. البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري، د.ت، التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن.

٥٨. البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، الضعفاء: تحقيق: أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين، مكتبة ابن عباس، الأولى،.

٥٩. البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري (١٤٢٢هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى .

٦٠. البزار، أبو بكر، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي المعروف بالبزار (١٤٣٠هـ)،مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، الطبعة الأولى.

٦١. البغوي، أبو القاسم، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م)، معجم الصحابة، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان، الكويت، الطبعة الأولى.

٦٢. البيهقي، أبو بكر البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة.

٦٣. البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (١٤١٢هـ-١٩٩١م)، معرفة السنن والآثار، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية كراتشي، باكستان، دار قتيبة، دمشق، بيروت، دار الوعي، حلب، دمشق، دار الوفاء، المنصورة، القاهرة، الطبعة الأولى.

٦٤. البيهقي، أبي بكر البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (١٤١٠هـ-١٩٨٩م)، السنن الصغير، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات

الإسلامية، كراتشي، باكستان، الطبعة الأولى.
٦٥. الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م)، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية.
٦٦. الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، (١٤٠٩هـ)، علل الترمذي الكبير، تحقيق: صبحي السامرائي، ومحمود خليل الصعيدي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى.
٦٧. الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، (د.ت)، العلل الصغير، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦٨. الحاكم، أبي عبد الله، محمد بن عبد الله بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (١٤١١هـ- ١٩٩٠م)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
٦٩. الحميدي، أبو بكر، عبد الله بن الزبير القرشي الأسدي الحميدي المكي (١٩٩٦م)، مسند الحميدي، تحقيق: حسن سليم أسد الدَّارَانيّ، دار السقا، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى.
٧٠. الخطيب البغدادي، أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، د.ت، الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أبو عبد الله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
٧١. الخطيب البغدادي، أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (١٤٠٧هـ)، موضح أوهام الجمع والتفريق، تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى .
٧٢. الدارقطني، أبو الحسن، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الدارقطني (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م)، سنن الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
٧٣. الدارقطني، أبو الحسن، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الدارقطني (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى.
٧٤. الدارمي، أبو محمد، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي، التميمي السمرقندي (١٤١٢ هـ-٢٠٠٠ م)، مسند الدارمي المعروف بـ(سنن الدارمي)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى.
٧٥. الذهبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، تذكرة الحفاظ، تحقيق: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
٧٦. الذهبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي

(١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة, الطبعة الثالثة.

٧٧. الذهبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ومؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة الأولى.

٧٨. الذهبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (١٣٨٢هـ- ١٩٦٣م.)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى

٧٩. الذهبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥ م)، من تكلم فيه وهو موثوق أو صالح الحديث، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الطبعة الأولى.

٨٠. الرازي، أبو القاسم، تمام بن محمد الجنيد البجلي الرازي ثم الدمشقي (١٤١٢هـ)، الفوائد، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى.

٨١. الرازي، أبو زرعة الرازي(١٩٨٢م)، أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

٨٢. الرُّوياني، أبو بكر محمد بن هارون الرُّوياني (١٤١٦هـ)، مسند الروياني، تحقيق: أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة - القاهرة، الأولى.

٨٣. الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م)، المنثور في القواعد الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، الثانية.

٨٤. السخاوي، أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة، مصر، الأولى.

٨٥. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (د.ت)، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، دار طيبة.

٨٦. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، د.ت، ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية.

٨٧. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٩٩٩م)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق، كفر بطنا، دار الكتاب العربي، ط١.

٨٨. الصنعاني، أبو بكر، عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (١٤٠٣هـ)، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية.

٨٩. الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد اللخمي الشامي، (١٤٠٥ هـ-١٩٨٤م)، مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى.

٩٠. الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد اللخمي الشامي، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، المعجم الكبير

للطبراني قطعة من المجلد الحادي والعشرين، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية، د. سعد بن عبد الله الحميد، و د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي، الطبعة الأولى.

٩١. الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد اللخمي الشامي، د.ت، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

٩٢. الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد اللخمي الشامي، د.ت، المعجم الكبير المجلدان الثالث عشر والرابع عشر، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف، وعناية د. سعد بن عبد الله الحميد، و د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي.

٩٣. الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد اللخمي الشامي، د.ت، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

٩٤. العجلى، أبو الحسن، أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفي (١٩٨٤م)، تاريخ الثقات، دار الباز، ط١.

٩٥. العجلي، أبو الحسن، أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفي (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م)، معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة الأولى.

٩٦. العراقي، أبو الفضل، عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي (، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م)، شرح (التبصرة والتذكرة- ألفية العراقي)، تحقيق: عبد اللطيف الهميم، وماهر ياسين فحل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

٩٧. العراقي، أبي الفضل، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي (١٤١٦هـ- ١٩٩٥م)، ذيل ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

٩٨. العطار، حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي، د. ت، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، ، دار الكتب العلمية.

٩٩. العقيلي، أبو جعفر، محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي (١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م)، الضعفاء الكبير، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

١٠٠. العلائي، أبو سعيد، خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م)، جامع التحصيل في أحكام المراسيل، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية.

١٠١. العلائي، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي (١٤١٠هـ)، تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الأولى.

١٠٢. الفسوي، أبو يوسف، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي (١٤٠١هـ-١٩٨١م)،

المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية.

١٠٣. الفيروزآبادى، أبي طاهر، محمد بن يعقوب (١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة.

١٠٤. القرطبي، أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (١٩٩٢م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١.

١٠٥. القزويني، أبو عبد الله، محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، د.ت، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

١٠٦. القيسراني، أبو الفضل، محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، المعروف بابن القيسراني (١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، ذخيرة الحفاظ، تحقيق: د. عبد الرحمن الفريوائي، دار السلف، الرياض، الطبعة الأولى.

١٠٧. القيسراني، أبي الفضل، لمحمد بن طاهر المقدسي الشيباني، المعروف بابن القيسراني (١٤١٥هـ-١٩٩٤م)، تذكرة الحفاظ "أطراف أحاديث كتاب المجروحين لابن حبان"، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى.

١٠٨. القيسي، محمد بن عبد الله ابن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، (١٩٩٣م)، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى.

١٠٩. الكَسّي، أبو محمد، عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، ومحمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى.

١١٠. الكناني، أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم البوصيري الكناني (١٩٩٩م)، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، بإشراف: ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١.

١١١. اللكنوي، عبد العلي محمد بن نظام الدين محمد السهالوي اللكنوي، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية.

١١٢. المرداوي، أبو الحسن، علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، تحقيق: عبد الرحمن الجبرين، وعوض القرني، وأحمد السراح، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الأولى.

١١٣. المزي، أبو الحجاج، يوسف بن عبد الرحمن المزي (١٤٠٠ هـ-١٩٨٠م)، تهذيب الكمال في أسماء، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى.

١١٤. مسلم، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، (ت: ٢٦١هـ)،

الجامع الصحيح، المسمى "صحيح مسلم"، دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة، بيروت.

١١٥. النجدي، يوسف بن محمد الدّخيل النجدي ثم المدني(١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م) سؤالات الترمذي للبخاري حول أحاديث في جامع الترمذي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى.

١١٦. النسائي، أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب الخراساني، النسائي (١٤٢١هـ- ٢٠٠١م)، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى.

١١٧. النسائي، أبي عبد الرحمن، أحمد بن شعيب الخراساني، الطبقات، (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م)، تحقيق: مشهور حسن، وعبد الكريم الوريكات، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، الطبعة الأولى.

١١٨. النسائي، أبي عبد الرحمن، أحمد بن شعيب الخراساني، النسائي (١٣٩٦هـ)، الضعفاء والمتروكون، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، الطبعة الأولى.

١١٩. النسائي، أبي عبد الرحمن، أحمد بن شعيب الخراساني، النسائي (١٤٠٦ هـ-١٩٨٦م)، المجتبى من السنن، السنن الصغرى للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية.

١٢٠. النووي، أبي زكريا، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، د.ت. المجموع شرح المهذب -مع تكملة السبكي والمطيعي، دار الفكر.

١٢١. النيسابوري، أبي بكر، محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (١٩٨٥م)، الأوسط في السنن والإجماع، تحقيق: أحمد بن محمد حنيف، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط١.

١٢٢. الهيثمي، أبي الحسن، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة.

دمج المعاقين حركيا في المجتمع السوداني ٢٠٢٣-٢٠٢٦م

د. حنان ابراهيم عبد الله حسن(•)

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى دراسة واقع دمج المعاقين حركيًا في المجتمع السوداني في الفترة ٢٠٢٣ الى ٢٠٢٦، والتحديات التي تواجه عملية الدمج، واستكشاف الأدوار الممكنة لمؤسسات الدولة، ومنظمات المجتمع المدني، وكليات تنمية المجتمع في تعزيز الإدماج الاجتماعي المستدام. تكمن أهمية البحث دعم برامج الدمج الاجتماعي والاقتصادي للمعاقين حركياً. وتمثلت مشكلة البحث في غياب واضح لدمج ذوي الاعاقة في المجتمع، اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، مدعومة بالنظريات وتطبيقها في المجتمع السوداني في فترة الحرب. وتناولت الدراسة جانب عن الاعاقة والدمج والنظريات عن والدمج وتمكين المعاقين والحقوق القانونية وتطبيقها في المجتمع السوداني في هذه الفترة بالتركيز على قضايا الوصول للخدمات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية لدمج المعاقين حركيا والمشاركة المجتمعية لهم، وتوصلت الدراسة إلى أن ضعف البنية التحتية، وغياب السياسات الداعمة، وقلة الوعي المجتمعي، وتداعيات الصدمات النفسية تمثل أبرز معوقات الدمج في المجتمع السوداني بعد الحرب. كما أبرزت النتائج أهمية تبني نموذج التأهيل المجتمعي المرتكز على المجتمع (CBR) وتعزيز الشراكات بين الجامعات السودانية خاصة كليات تنمية المجتمع والمؤسسات الحكومية والمنظمات الإنسانية، بما يسهم في بناء قدرات المعاقين حركيًا وتمكينهم من المشاركة الفاعلة في عملية التنمية.

الكلمات المفتاحية: التأهيل - المجتمع – السودان - المعاقين

المقدمة

الإنسان هو اللبنة الأساسية في بناء أي مجتمع وهو أحد أهم عناصر الإنتاج في أي منشأة وقد يصاب الإنسان بأحد الإعاقات التي قد تعوقه عن قيامه بأدواره الاجتماعية في الأسرة والمدرسة والعمل والمجتمع ككل، ومن ضمن الإعاقات التي قد تصيب الإنسان الإعاقة الحركية. والتي زادت معدلاتها في الوقت الحاضر نظراُ لعدة أسباب، كالحروب سواء الأهلية أو الخارجية بين الدول. وراثية مثل انتقال سالبة أو مشوهة من الوالدين للأبناء. وأخرى بيئية مكتسبة مثل: نقص الوعي الصحي في المجتمع. وزيادة معدلات تلوث البيئة بكافة أنواعه. وزيادة استخدام المكينة في الصناعة. وزيادة حوادث الطريق.

أدّت الحرب في السودان إلى تدهور خطير في الأوضاع الإنسانية، وكان من أبرز نتائجها ازدياد أعداد الأشخاص ذوي الإعاقة الحركية نتيجة الإصابات المباشرة، وانهيار النظام الصحي، ونقص خدمات الإسعاف والتأهيل. وتُعد هذه الفئة من أكثر الفئات هشاشة، مما يستدعي وضع حلول شاملة تضمن حمايتهم ودمجهم في المجتمع.

(•) جامعة النيلين – كلية تنمية المجتمع - التخصص علم اجتماع

دمج المعاقين في المجتمع يعني تمكينهم من المشاركة الكاملة في كافة جوانب الحياة (تعليم، عمل، انشطة اجتماعية) على قدم المساواة مع الاخرين عبر ازالة الحواجز وتوفير الفرص والبيئات الداعمة مما يعزز من جودة حياتهم، استقلاليتهم ويساهم في بناء مجتمع أكثر شمولا وتفهما، ويتطلب ذلك تغييرات في التشريعات، توعية المجتمع تأهيل الكوادر، توفير التكنلوجيا المساعدة مع التركيز على قدراتهم وتغيير المفاهيم السلبية حول الإعاقة.

يشمل دمج الاشخاص المعاقين حركيا هدفا انسانيا وتنمويا يسهم في تحقيق العدالة والمساواة وتنمية راس المال البشري في السودان بالرغم من وجود تشريعات واجراءات على المستوى الدولي والوطني تظل الحواجز الاجتماعية والاقتصادية والبنيوية تحول دون مشاركة كاملة وفعالة لهذه الفئة (السودان صدق على اتفاقية حقوق للأشخاص ذوي الاعاقة في ٢٠٠٩ ويملك تشريعات وطنية ذات صلة).

منهجية الدراسة:

يستخدم المنهج الوصفي التحليلي التطبيقي يقوم على تحليل النظريات والنماذج العلمية، يصف الواقع الجديد للإعاقة بعد الحرب (الإصابات، النزوح، الفقر) يحلل السياسات والخدمات القائمة ونقاط الضعف.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة الدراسة في:

الزيادة الكبيرة في أعداد المعاقين حركيًا بعد الحرب.

ضعف الخدمات الصحية والتأهيلية.

غياب سياسات واضحة لدمج ذوي الإعاقة في المجتمع.

تفاقم الفقر والبطالة بين المعاقين وأسرهم

عدم كفاية دمج ذوي الاعاقات الحركية في مؤسسات التعليم والعمل والحياة العامة وغياب بيانات قومية محدثة ودراسات محلية كافية

أهداف البحث

وصف الوضع الحالي لذوي الاعاقات الحركية في السودان (تعليم - صحة - عمل)

التعرف على أسباب ازدياد الإعاقة الحركية بعد الحرب

التعرف على الاثار الصحية والاجتماعية والاقتصادية للإعاقة الحركية.

اقتراح حلول عملية قابلة للتطبيق في الواقع السوداني.

إبراز دور الدولة والمجتمع المدني والجامعات

تحليل العوائق أمام الدمج

توصيات اقتراحات لتعزيز الدمج

اهمية البحث

تكمن في تقويم إطار لواقع الدمج والاقتراح سياسات قابلة للتطبيق داخل السياق السوداني

تسهم في لفت انتباه صناع القرار لقضية إنسانية ملحّة.
تساعد في وضع سياسات إعادة الإعمار الشامل.
تدعم برامج الدمج الاجتماعي والاقتصادي للمعاقين حركيا

الإطار النظري للدراسة:

الإعاقة الحركية:

أولا: تعريف الاعاقة الحركية(Motor Disabiliy Concept)

تعرف بأنها: حالة تحد من مقدر الفرد على القيام بوظيفة واحدة او أكثر من الوظائف التي تعتبر العناصر الاساسية لحياتنا اليومية من قبيل العناية بالذات او ممارسة العلاقات الاجتماعية او النشاطات الاقتصادية. وذلك ضمن الحدود التي تعتبر طبيعية.

وتعرف ايضا بانها: الحالات التي يعاني اصحابها من مشكلات في الحركة ناتجة عن خلل او قصور في نمو الجهاز العصبي المركزي او خلل في الاداء الوظيفي لبعض اجهزة الجسم تصل شدة وخطورة هذه الاصابة الي تحد من نشاط وحيوية صاحبها مما يؤثر تأثيرا واضحا على أدائه الحركي وانتاجه.

وتعرف أيضا بأنها تلك الإعاقات التي تنتج عن قصور أو عجز في الجهاز الحركي. وتحدث نتيجة لحالات الشلل الدماغي. أو شلل الاطفال. أو بتر طرف من أطراف الجسم نتيجة مرض أو حادث يؤدي إلى تشوه في العظام. أو المفاصل أو ضمور ملحوظة في عضلات الجسم. وربما تكون العوامل المسببة لهذه الإعاقات عوامل وراثية أو مكتسبة.

كما وتعرف منظمة الصحة العالمية "الإعاقة" بأنها: حالة من عدم القدرة على تلبية الفرد لمتطلبات أداء دوره الطبيعي في الحياة المرتبط بعمره وجنسه وخصائصه الاجتماعية والثقافية. وذلك نتيجة للإصابة أو العجز في أداء الوظائف الفسيولوجية أو السيكولوجية.

وتعرف منظمة العمل الدولية "المعاق" بأنه: كل فرد نفصت إمكانياته للحصول على عمل مناسب والاستقرار فيه. نقصاً فعلياً نتيجة لعاهة جسيمة أو عقلية.

ويعرف (محمد المكي، ١٩٩٠، ٤٢) المعاق حركيا بأنه: شخص يعاني من أو Marschner بينما يعرف مارشنو تلف في احدى الوظائف الجسيمة او البدنية. بصرف النظر عما إذا كان ذلك راجعا لعيب خلقيا او مكتسبا.

صاحبت الإعاقة الانسان في كل مراحل حياته سواء كانت من خلال الولادة او خلال الحياة، وتطورت معها الاسباب والانواع فإعاقة الحروب تختلف عن الولادية او الوراثية او الصناعية ومن هذا المنطلق لا يخلو مجتمع مهما بلغ من سبل التقدم والتطور من وجود اعاقات على اختلاف انواعها ودرجاتها، وهذا الامر هو ما يجعل موضوع الاعاقة يحظى باهتمام كبير. ولقد خطت دول العالم خطوات واسعة في مجال رعاية وتأهيل المعاقين، وقدمت الخدمات اللازمة لهذه الفئة باعتبارهم جزء من المجتمع لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات.

يرى (أبو النصر، ٢٠١٢م، ٢٢) يصاب الانسان بأحد الاعاقات التي قد تعوقه عن قيامه بأدواره الاجتماعية في الاسرة والمدرسة والعمل والمجتمع ككل، وكذلك فان الاعاقة غالبا ما تؤثر سلبا على التوافق النفسي والاجتماعي والوظيفي للشخص المعاق.

قد تكون الإعاقة حافزا على تنمية القدرات وتحسين المهارات، وذلك للتغلب على الاثار السلبية للإعاقة على الشخص المعاق.

عرف المجلس العربي للطفولة والتنمية للإعاقة بأنها: (حالة من القصور أو الخلل في القدرات الجسمية أو الذهنية ترجع إلى عوامل وراثية أو بيئية تعوق الفرد تعلم او اداء بعض الاعمال التي يقوم بها الفرد السليم المشابه له في السن.

ذكر نعمان (٢٠٠٢، ٨) بانه شخص يعاني من قصور نتيجة اصابته بمرض عضوي او حسي او عقلي، يعجزه عن اداء واجباته الاساسية، او مزاولة اعماله والاستمرار فيها بمعدل الطبيعي كما ذكر حنفي (١٩٨١م، ٢٢) بأنهم افراد يعانون نتيجة لعوامل مختلفة ينتج عن قصور القدرة على تعلم او اكتساب خبرات او مهارات واداء اعمال يقوم بها الفرد العادي السليم المماثل له في العمر والخافية الثقافية او الاقتصادية او الاجتماعية او المجتمعية.

ومن ذلك ترى الباحثة ان الاعاقة انها قصور وظيفي من الناحية الجسمانية والانتاجية، هو من لا يستطيع ان يكفل لنفسه كل ضروريات الحياة بسبب الحروب والنزاعات في السودان مما ادى الى نقص امكانياته العادية.

بالإضافة إلى ذلك تصبح لهم احتياجات تعليمية ونفسية وحياتية واقتصادية وصحية يلزم المجتمع بتوفيرها لهم باعتبارهم مواطنين وبشر قبل ان يكونوا معاقين كغيرهم من افراد المجتمع.

وايضا ذكرت عطيات (١٩٦٤م، ١٨٦) انها حالة تحد من مقدرة الفرد على القيام بوظيفة واحدة او اكثر من الوظائف التي تعتبر من العناصر الاساسية للحياة اليومية للعناية بالذات او ممارسة العلاقات الاجتماعية او النشاطات الاقتصادية ذلك ضمن الحدود التي تعتبر طبيعية.

كما يذكر محمد عبد المنعم (١٩٦٤م، ٦) بانه الشخص الذي استقر به عائق او أكثر يوهن من قدرته ويجعله في أمس الحاجة الى عون خارجي او هو من فقد قدرته على مزاولة عمله، او القيام بعمل اخر نتيجة لقصور بدني او جسمي او عقلي سواء كان هذا القصور بسبب حرب او حادث او مرض او عجز وراثي.

خصائص المعاقين:

من خلال التعريفات السابقة لمصطلحي الاعاقة والمعاقين يمكن تحديد خصائص الاعاقة في الاتي كما حددها الدكتور مدحت محمد ابو النصر:

- الاعاقة من التأخير والتعريق اي تكبيل اليدين او بمعنى عاهة او عيب او تشوه بمعنى عجز او نقص او قصور.
- الاعاقة نسبية وليست مطلقة تختلف من شخص الي اخر ومن زمن لآخر.
- الاعاقة جزئية وليس كلية اصابت جزء او عنصر او حاسة او قدرة او وظيفة.

. الاعاقة ظاهرة طبيعية موجودة في كل المجتمعات سواء المتقدمة او النامية او المتخلفة.
. زادت هذه الظاهرة في العصر الحديث نتيجة زيادة الحروب والكوارث والتصنيع والحوادث والاوبئة واستخدام الكيماويات والجرائيم الذرية في الحروب.
. الاعاقة مشكلة متعدد في ابعادها ومتداخلة في جوانبها حيث يتشابك فيها الجانب الطبي بالاجتماعي بالنفسي والتعليمي والتأهيلي وذلك بصورة يصعب الفصل بينهم.
. الاعاقة تنتج اما عن عوامل وراثية او عوامل بيئية مثل(أمراض معدية، أمراض غير معدية، إصابات أخرى).
. الاعاقة انواع عديدة (اعاقة جسمية، اعاقة حسية، نفسية، عقلية، اجتماعية).
. الاعاقة عند ظهورها او وجودها في بداية الامر يمكن التغلب عليها بشكل كبير.
. الاعاقة ليست نغمة فقط بل وبالتأكيد نعمة على الشخص المعاق.

خصائص الإعاقة الحركية:

الخصائص المعرفية:

إن النمو المعرفي يتطور بفعل الحركة النشطة والتفاعل المستمر مع البيئة، والمعوق قد يترك عالمه بطريقة مختلفة عن غيره.

الخصائص اللغوية:

إن كثير من المعوقين حركيا يعانون من صعوبات في التواصل مع الغير، ان الصعوبات تشمل اللغة التعبيرية واللغة الاستيعابية أيضا لذلك تم تطوير ادوات متنوعة لمساعدة المعوقين حركيا وجسميا على التواصل بطريقة فعالة، ومن تلك الادوات لوحات التواصل والأنظمة الرمزية والادوات والاجهزة الالكترونية.

الخصائص الاجتماعية والانفعالية:

يواجه المعاقين حركيا وجسميا مشكلات وصعوبات اجتماعية وانفعالية بسبب اعاقتهم وما يرتبط بها من اتجاهات الاباء والاقران والاشخاص الاخرين المهمين في حياتهم، ان انهيار شبكة العلاقات ستجعل المعاق عاجز عن التوافق مع نفسه او التكيف مع مجتمعه ولن يتحقق التوافق النفسي الاجتماعي للمعوق الا اذا توفرت له شبكة من العلاقات الاجتماعية والانفعالية مع بيئته الاسرية والمجتمعية، لذلك يحتاج الى العديد من الخدمات المختلفة.

المشكلات المترتبة على الاعاقة الحركية:

المشكلات النفسية:

الشعور الزائد بالنفص، الشعور الزائد بالعجز، وعدم الشعور بالأمن والاطمئنان نحو حالته الجسمية، صعوبة تكوين علاقات بالآخرين وتجلب المحيطين لانعدام الثقة بالنفس التي تجعل المعاق بانه يشعر أقل مرتبة من الاشخاص العاديين، الشعور بالتوتر الداخلي وعدم الاتزان الانفعالي لنتيجة سيطرة الاعاقة عليه، ضعف الشعور بالانتماء مما يجعل المعوق في عدم توافق مع المجتمع.

المشكلات الاجتماعية:

مشكلات العمل (وقد تؤدي الاعاقة إلى ترك المعوق لعمله أو تغير دوره إلى ما يتناسب مع وضعه).

مشكلات الاصدقاء (شعوره بعدم الندبة يؤدي به إلى الانعزال والانطواء).

المشكلات الترويحية (تؤثر الإعاقة على قدرة المعوق في الاستمتاع بوقت فراغه).

مشكلات اقتصادية:

تحمل الكثير من نفقات العلاج، انقطاع الدخل، قد تكون الحالة الاقتصادية سببا في عدم العلاج.

المشكلات التعليمية:

١. إدارة المعوقين في السودان:

بدأت خدمات المعاقين بالسودان عام ١٩٦٠م بالنشاء أول معهد لرعاية المعوقين (معهد النور لتعليم المكفوفين) ثم تطورت الخدمات حتى تم انشاء وزارة الشئون الاجتماعية ككيان مستقل عام ١٩٦٧م وكانت خدمات المعوقين ضمن اهتمامات قسم المساعدات العامة. وبعدها تطورت الخدمة حتى اصبحت ادارة متخصص عام ١٩٨١م سميت وحدة تأهيل المعوقين بالرعاية الاجتماعية، اهميتها متابعة المعاهد الحكومية القائمة وهي معهد النور للمكفوفين ومعهد الصم والبكم والتخاطب والمعهد النموذجي للتدريب المهني للمعوقين بسوبا والان حولت كثير من المعاهد إلى وزارة الشئون الاجتماعية والثقافية تم انضمامهم إلي وزارة التربية والتعليم وكذلك عملت الإدارة في التوعية الثقافية لمعرفة المعاقين عن طريق البرامج الإذاعي والتلفزيوني العام. لتحقيق بعض من الأهداف العامة لرعايتهم.

٢. المجلس القومي لرعاية وتأهيل المعاقين:

تم إصدار قانون رعاية وتأهيل المعاقين لسنة ١٩٤٨م لتحقيق قرارهم ثم انشاء المجلس القومي لرعاية وتأهيل المعوقين ذو شخصية اعتبارية برئاسة وزارة التخطيط الاجتماعي والوزير المختص وعدد واحد وخمسون عضوا يمثلون الوزارات والمصالح والاتحادات والجمعيات التطوعية العامة في هذا المجال ويكون المجلس مسئولا عن ادارته أمام الوزير (رضا علي سعيد، ٢٠٠١م، ١٥).

ومن اختصاص المجلس وضع السياسات العامة والخطط والبرامج لرعاية وتأهيل المعاقين ودمجهم والاشراف في المجتمع أما الاشراف الفني على المجالس في الولايات والتنسيق معها وبدأ المجلس أعماله سنة ١٩٨٦م حيث قام بالعديد من الانجازات أهمها إجازة عدد من للوائح التي تتمثل في التي:

١. لائحة وتنظيم اعمال المجلس.

٢. لائحة العطاءات والتسهيلات.

٣. لائحة إنشاء وتنظيم معاهد ومراكز المعاقين.

٤. لائحة صندوق مال رعاية وتأهل المعاقين.

وأصدر امر بإنشاء الأمانة العامة لمجلس رعاية المعاقين وعدد من اللجان الأخرى من خلال وزارة الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية.

مراحل الاهتمام بالإعاقة في ولاية الخرطوم ذكرت رضا علي سعيد(٢٠٠١م، ١٣)

١- المرحلة الاولى: انشاء مركز التدريب المهني للمعاقين جسديا بسوبا١٩٨٧م

المرحلة الثانية: إنشاء الوحدة الانتاجية للمعاقين بمدينة الصحافة شرق والجهات المنفذة لهذا المشروع هي:

أ-وزارة الرعاية الاجتماعية وشؤون المرأة والطفل

ب- منظمة العمل الدولية

ج- الوكالات الاسلامية للإغاثة

وتم تنفيذ الوحدة عام ١٩٩١م والغرض من انشائها توفير فرص العمل للمعاقين مع غيرهم من الاسوياء.

المرحلة الثالثة: برنامج دمج المعاقين بالمجتمع والهدف منه التركيز على عدم انشاء مراكز وحدات تدريبية جديدة بل يتم الاستفادة من الامكانيات المحلية لتدريب المعاقين مثل الحاقهم بالورش والمصانع الخاصة بأصحاب العمل والصناعات الصغيرة لينالوا قسطا من المهارات الحرفية البسيطة على حسب نوع اعاقتهم مما تكسبهم مهارة تساعدهم على الاعتماد على انفسهم وتعمل على رفع روحهم المعنوية بعد التدريب يعمل البرنامج على توظيف المعاقين ومساعدتهم في امتلاك مشروعات زيادة الدخل وذلك عن طريق قروض ميسرة من المؤسسات التي تدعم هذه المشروعات وبدأت هذه المرحلة عام ١٩٩٩م.

اهتمت وزارة التخطيط الاجتماعي بفئات المعاقين ضمن أهدافها وسياساتها وذلك في إطار الاستراتيجية القومية الشاملة للبلاد وأصبح هناك ادارة متخصصة تقوم بالتخطيط والتنسيق والتدريب على المستوى القومي وكان من اهم موجهات هذه الادارة ان الانسان هو هدف التنمية الاجتماعية التي غايتها الانسان والانسان هو جزء من المجتمع

ثانيا: أنواع حالات الإعاقة الحركية: كما ذكر لبيب (١٩٩٢م، ١٧).

تعددت تصنيفات الإعاقة. ويرجع ذلك إلى تطور المعرفة في مجال رعاية المعاقين. ويمكن تقسيم أو تصنيف المعاقون في ضوء العوامل التالية.

١. حالات البتر: وهم أولئك الأفراد المصابين بفقد الاطراف العليا او السلفي او جزء منهما او كلامها نتيجة للحوادث او الحروب. مما تجعل حياة الفرد أكثر صعوبة. بل وتزيد من حدة مشكلات خاصة المهنية والتشغيلية.

٢. حالات الاقعاد: وهم المقعدون الذين لديهم سبب ما يعوق حركتهم ونشاتهم نتيجة فقدان او خلل او مرض أصاب عضلاته او مفاصله او عظامه بطريقة تحد من وظيفتها العادية وبالتالي تؤثر على حياته المهنية والتشغيلية.

٣. حالات شلل الاطفال: وهو مرض يصيب الاطفال الرضع ويؤدي الي حدوث درجة من درجات الاعاقة الحركية. التي توثر على استخدامه لعضلاته او اطرافه وما يتولد عنه من تأثير على حياته بصورة كلية او جزئية.

ويقصد بمفهوم المعاق حركيا عاملين مما يلي:

١. الشخص المصاب بإصابات جسدية او اصابة في أجزاء الحركة او بأمراض داخلية يفقده الحركة كليا او جزئيا.

٢. الشخص الذي تقدم لجمعيات ومؤسسات تأهيل المعاقين لطلب التأهيل أو لصرف أجهزة تعويضية تساعد على الحركة أو ممارسة بعض الأعمال أو لطلب المساعدات الاجتماعية أو أي حق من حقوق الإنسان.

أ. معاقين ترجع إعاقتهم إلى عوامل خلقية عن طريق انتقال بعض الأمراض أو العاهات من الأجداد والآباء إلى الأبناء أو نتيجة إصابة الجنين أثناء الحمل أو الوضع.

ب . معاقين ترجع اعاقتهم الي عوامل بيئية (مكتسبة غير وراثية) مثل الامراض المعدنية وغير المعدنية والحوادث والإصابات.

٣.من حيث ظهور الإعاقة مثل:

أ.اصحاب عجز ظاهر: مثل المكفوفين والمقعدين والصم ومبتوري الأطراف.

ب .أصحاب عجز غير ظاهر: مثل مرضى الدرن والربو والقلب والسكر والفشل الكلوي

توجد تصنيفات عديدة للإعاقة الحركية، حسب درجة أو شدة الإعاقة.

فهنالك إعاقة حركية شديدة او متوسطة او بسيطة. وهنالك اعاقة حركية ظاهرة يمكن ملاحظتها ورؤيتها من جانب الاخرين مثل الاعاقات الحركية الجسيمة ومنها: شلل الاطفال والبتر في ميادين القتال وتشهوه الأطراف وكسور العظام وتشوه العمود الفقري. وكذلك هنالك اعاقات حركية مرضية غير ظاهرة مثل: الإعاقات الصحية مثل إصابة الإنسان بأمراض متعددة والتي تؤثر تأثيراً على ممارسة الفرد لحياته الطبيعية في المجتمع وعلى أدائه الذي يقل عن الشخص العادي.

وهنا يمكن تصنيف الإعاقة الحركية إلى هذه الأنواع:

١. إصابات الجهاز العصبي المركزي: نذكر منها: الشلل الدماغي وشلل الأطفال وإصابة الحبل الشوكي وتصلب الأنسجة العصبية.

٢. إصابات الهيكل العظمي: نذكر منها: بتر الاطراف وتشوها وكسور العظام واتهابها والتهاب وتيبس المفاصل وتشوه العمود الفقري.

٣. اصابات العضلات: نذكر منها ضمور العضلات وتليف العضلات وانحلال وضمور عضلات النخاع الشوكي.

٤. الاصابات الصحية: ويقصد بها الأمراض المختلفة التي قد تصيب الإنسان والتي تؤثر تأثيرا سلبياً على حركته وتنقله.

ثالثاً: أنواع الإعاقة الحركية:

تعدد انوع الاعاقة الحركية وتنتج عن اصابة الاجهزة الحركية او الاصابة العضوية مما يؤثر تاثيرا بالغا على النواحي النفسية والانفعالية او العقلية والاجتماعية للمعاق. ومن اهم انواع الاعاقة الحركية المقعدين والمصابين بعاهات حركية كفقد الايدي او الارجل او احدهما وشلل الاطفال و المصابين بامراض مزمنة.

وفيما يلي عرضا لاكثر انواع الاعاقة الحركية انتشارا:

١. البتر:

ويقصد بالبتر ازاله طرف نتيجة للحروب والاشتباكات وسقوط الدانات عشوائيا على المواطنين او حوادث السير أو عدم نمو الاطراف او جزء منها والبتر إما أن يكون ولاديا أو مكتسبا وقد يكون نتيجة لحوادث الحريق وحوادث الصناعة

٢-شلل الاطفال:

عبارة عن اعاقة تنتشر بين الاطفال وبصفة خاصة بين سن(١٥) سنة وتقل نسبة الاصابة به فيما بعد هذا السن و اثبتت الدراسات العلمية ان شلل الاطفال يرجع الي اضطرابات نيرولوجية عصبية. ويشكل هذا المرض مشكلة تربوية وتأهيلية خطيرة ومن علاماته عدم قدرة الطفل على الحركة بسهولة وصعوبة التآزر ويؤثر على التوافق التكيف النفسي والاجتماعي.

٣- الشلل الدماغي:

وهو عبارة عن اضراب حركي يرتبط بالتلف الدماغي وغالباً ما يظهر على صورة شلل او ضعف او عدم توازن حركي والشلل الدماغي اعاقة للنمو الطبيعي ويؤثر سلبا على مختلف مظاهر النمو لدى الطفل ونسبة انتشاره المعتمدة (٣) لكل (١٠٠) طفل وتصل بالدول النامية الي (٥) لكل (١٠٠) طفل.

٤. العمود الفقري المفتوح:

ويعتبر تشوه ولادي بالغ الخطورة ينتج عن عدم انسداد القناة العصبية اثناء مراحل التخلق بشكل طبيعي ونسبة انتشاره (٢) لكل (١٠٠٠) طفل.

٥. الاستسقاء الدماغي:

تجمع غير طبيعي للسائل المخي الشوكي في الدماغ. ويودي إلى توسيع حجيرات الدماغ. والضغط على الخلايا العصبية وبالتالي تلف الدماغ مما يقود الي التخلف العقلي والشلل والنوبات التشنجية.

٦. العظام الهشة:

ومن اعراض المرض قابلية العظام للبروتين وهو مرض نادر يصيب واحد لكل أربعين ألف.

رابعا: اسباب الاعاقة الحركية:

تعددت وتنوعت اراء العلماء حول اسباب الاعاقة الحركية بصفة عامة. واسباب الاعاقة الحركية بصفة خاصة. وتختلف اسباب الاعاقة نتيجة تفاوت الظروف الاجتماعية والاقتصادية ومدى ما يوفره كل مجتمع لتحقيق الرعاية لأفراده. حيث توجد هناك عوامل كثيرة تعتبر مسئولة عن ارتفاع اعداد المعاقين ويمكن توضيح ذلك كما يلي:

أسباب ازدياد الإعاقة الحركية بعد الحرب:

الإصابات الناتجة عن الأسلحة والاشتباكات نقص الرعاية الطبية الفورية انهيار المستشفيات ومراكز التأهيل. الألغام والمخلفات الحربية سوء التغذية وتأخر العلاج.

آثار الإعاقة الحركية:

١- الآثار الصحية

مضاعفات جسدية مزمنة والحاجة المستمرة للعلاج الطبيعي والأجهزة المساعدة.

٢- الآثار النفسية

الاكتئاب والقلق وفقدان الثقة بالنفس، صعوبة التكيف مع الإعاقة المفاجئة.

٣- الآثار الاجتماعية

العزلة الاجتماعية، نظرة الشفقة أو التمييز.

٤- الآثار الاقتصادية

فقدان مصدر الدخل، زيادة العبء المالي على الأسرة

مفهوم وأهمية الدمج:

اشتراك ذوي الاعاقة في الانشطة البرمجية والمجتمعية مع ضمان حصولهم على الموارد والفرص لأقرانهم غير المعاقين دون عزلهم في مؤسسات منفصلة

اهمية الدمج تحقيق العدالة والمساواة الاجتماعية تغير النظرة المجتمعية السلبية وتمكينهم من العيش بكرامة واستقلالية وتعزيز نموهم الاجتماعي وتحقيق الذات

آليات وتطبيقات الدمج:

١. التعليم: الحاقهم بالمدارس العادية مع توفير دعم متخصص (معلمون مساعدون. حجرات مصادر. وسائل تعليمية)

٢. التوظيف: توفير بيئات عمل ملائمة ومناسبة، وفرص تدريب وتطوير وتعديلات مرنة تلبي احتياجاتهم

٣. الحياة اليومية: تهيئة الاماكن العامة وتوفير وسائل مواصلات تتيح لهم المشاركة في الانشطة المجتمعية، مع مع استثمار التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي لكسر العزلة

ايجابيات الدمج: كما ذكر الخطيب (١٩٩٢م، ١٨)

١. إعطاء فرصة للمعوق ضمن البيئة التعليمية والانفعالية السلوكية
٢. تخليص أسرة المعوق من الوصمة جراء الشعور بحالة العجز

تحديات الدمج وكيفية التغلب عليها:

١. التحديات النفسية: الشعور بالدونية الانطوائية، وصعوبة تكوين العلاقات التي يمكن التغلب عليها بالتأهيل النفسي

٢. التحديات المجتمعية: قلة الوعي وتغير الصورة النمطية السلبية ويمكن مواجهتها بالندوات والمبادرات الاجتماعية

المعاقون حركياً في السودان: كما ذكره عبد الحميد (١٩٧٩، ١٠١)

يواجهون تحديات كبيرة تتمثل في نقص المراكز المتخصصة، صعوبة الإدماج التعليمي والاجتماعي، نقص التمويل للمرافق المهيأة، ونقص الكوادر المتخصصة كالأخصائيين الاجتماعيين، مما يؤدي إلى عزلهم وتهميشهم، على الرغم من وجود تشريعات وقوانين تهدف لدمجهم، إلا أن التطبيق يواجه

عقبات مثل عدم توفر الميزانيات لتجهيز المدارس وتوفير المعينات الحركية اللازمة، وتتطلب معالجة هذه التحديات جهوداً حكومية ومجتمعية لتمكينهم وتوفير بيئة دامجة.

أبرز التحديات التي تواجههم:

- **تعليمياً:** صعوبة الدمج في المدارس العامة بسبب رفض بعض العائلات، ونقص الموارد اللازمة في المدارس الحكومية (مثل المزلقانات والمعدات).
- **صحياً وتأهيلياً:** نقص المراكز التأهيلية، ونقص المعينات الحركية (كراسي متحركة، عصي)، ونقص الأخصائيين الاجتماعيين، خاصة في الولايات مثل الخرطوم وكسلا.
- **اجتماعياً و اقتصادياً:** التميز الاجتماعي، عدم توفر فرص توظيف مناسبة، وغياب الأنشطة الترويحية والدمج المجتمعي، وتدهور الحالة النفسية بسبب الإهمال.
- **تشريعية وتطبيقية:** وجود التزامات دستورية وقانونية، لكن التطبيق الفعلي يواجه تحديات تمويلية وتنظيمية.
- **جهود وقائمة مقترحات للتحسين**
- **مراكز التأهيل:** هناك مراكز تأهيل تعمل على تدريب المعاقين وتأهيلهم، ولكنها تحتاج إلى دعم وتطوير.
- **البرامج الاجتماعية:** هناك محاولات لتنفيذ برامج لدمجهم في المجتمع، لكنها غير كافية.
- **المقترحات:**

توفير مراكز تدريب مهني وحرفي لتنمية قدراتهم.

تجهيز المدارس العامة بالمواصفات اللازمة لدمجهم.

زيادة الوعي المجتمعي لتقبلهم ودمجهم.

توفير الدعم النفسي والاجتماعي اللازم.

ترى الباحثة: ان المعاقون حركياً في السودان يواجهون واقعاً صعباً مليئاً بالعقبات، ويتطلب تجاوز هذه التحديات تضافر جهود الحكومة والمجتمع ومنظمات المجتمع المدني لتوفير بيئة شاملة تضمن حقوقهم وتدمجهم بفعالية في الحياة العامة، وذلك من خلال توفير البنية التحتية، وتوفير الكوادر المتخصصة، وتغيير المفاهيم المجتمعية نحوهم.

أسباب الإعاقة الحركية في السودان تتنوع بين **العوامل الوراثية** (مثل العيوب الخلقية والشلل الدماغي)، و**الأمراض** (كشلل الأطفال والتصلب المتعدد)، و**الإصابات** (خصوصاً الناتجة عن حوادث السير والحرب الدائرة، مما يؤدي إلى بتر الأطراف)، بالإضافة إلى **سوء التغذية**، وتدهور النظام الصحي وضعف التأهيل يزيد من تفاقم هذه المعاناة، خاصة مع تزايد عدد المصابين بسبب الصراعات

النظريات المفسرة للدراسة (التي يمكن استخدامها في السودان):

يمكن الاعتماد على عدة نظريات اجتماعية وتربوية لشرح ودعم دمج الأشخاص ذوي الإعاقة الحركية في المجتمع السوداني، وغالباً يُفضَّل الجمع بين أكثر من نظرية بما يتناسب مع الواقع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي في السودان. من أهم هذه النظريات:

النظرية الاجتماعية للإعاقة (Social Model of Disability)

١- ترى هذه النظرية أن الإعاقة ليست مشكلة فردية ناتجة عن العجز الجسدي، بل هي نتاج الحواجز البيئية والاجتماعية والثقافية التي يفرضها المجتمع وهي الأكثر استخداماً وحداثة في دراسات الدمج، وتتناسب مع السودان خاصة بعد الحرب، حيث زادت الاعاقات بسبب سقوط الدانات على المواطنين والاصابات والالغام

الفكرة الأساسية:

الإعاقة ليست في الشخص نفسه، بل في البيئة والمجتمع التي لا توفر التهيئة المناسبة.

تطبيقها في السودان:

تُستخدم هذه النظرية كأساس رئيسي للدراسة

ضعف تهيئة المؤسسات التعليمية والصحية كإزالة الحواجز تُمكِّن المعاق من المشاركة الكاملة بتهيئة المباني العامة والمدارس والجامعات.

عدم ملاءمة البنية التحتية ووسائل النقل بتعديل وسائل النقل لتناسب الكراسي المتحركة.

تغيير النظرة المجتمعية السلبية تجاه المعاقين خاصة بعد الحرب والتركيز على الحقوق بدلاً من الشفقة.

سن تشريعات تحمي حقوقهم في التعليم والعمل

٢- نظرية الدمج الاجتماعي(Social Integration Theory)

الفكرة الأساسية:

تحقيق المشاركة الكاملة للفرد في الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية دون عزله.

تطبيقها في السودان:

الدمج التعليمي كدمج المعاقين حركياً في المدارس والجامعات النظامية الواقع في السودان محدودية فرص التعليم العلي للمعاقين حركيا

غياب البرامج المجتمعية الدامجة كإشراكهم في الأنشطة المجتمعية والرياضية

الدمج المهني ضعف سياسات التوظيف الشامل كدعم مشاركتهم في سوق العمل

٣- نظرية التمكين (Empowerment Theory)

الفكرة الأساسية:

تمكين المعاق من امتلاك المهارات والقدرة على اتخاذ القرار وتمكينهم من التحكم في حياتهم والمشاركة الفاعلة.

اهميتها وتطبيقها في السودان:

ارتفاع نسبة البطالة وسط المعاقين ودور كلية تنمية المجتمع في التدريب والتأهيل كالتدريب المهني والحرفي.

التمكين الاقتصادي بدعم المشروعات الصغيرة.

إشراك المعاقين في صنع السياسات والقرارات المتعلقة بهم

٤- نظرية رأس المال الاجتماعي(Social Capital Theory)

الفكرة الأساسية

تركز على أهمية العلاقات الاجتماعية والدعم الأسري والمجتمعي في تحسين جودة الحياة:

الواقع وتطبيقها في السودان:

دعم دور الأسرة في دمج المعاق.

تشجيع المبادرات المجتمعية ومنظمات المجتمع المدني.

بإنشاء مجموعات دعم للمعاقين إمكانية توظيف العادات التكافلية إيجابياً

٥- نظرية الحقوق الإنسانية (Human Rights Theory)

الفكرة الأساسية:

الإعاقة قضية حقوق إنسان وليست إحساناً أو شفقة، ويجب ضمان المساواة وعدم التمييز.

الأساس القانوني:

اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة.(CRPD)

الحق في التعليم والعمل والصحة.

تطبيقها:

الاستناد إلى اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة.

المطالبة بالحق في التعليم والعمل والصحة.

محاربة التمييز والإقصاء

المطالبة بتشريعات وطنية.

مراقبة تطبيق القوانين

الخلاصة:

النظرية الاجتماعية للإعاقة مع دمجها بنظرية التمكين ونظرية الحقوق الإنساني

هي الإطار الأكثر واقعية وملاءمة للواقع السوداني. دمج الأشخاص ذوي الإعاقة الحركية في المجتمع السوداني

تعتمد الدراسة على:

النظرية الاجتماعية للإعاقة (إطار رئيس)

نظرية التمكين (إطار داعم)

نظرية الحقوق الإنسانية (إطار قانوني)

وذلك لتحليل:

واقع دمج المعاقين حركياً في السودان

التحديات الاجتماعية والاقتصادية

سبل الدمج بعد الحرب

الخاتمة

تشتمل الخاتمة على (النتائج والتوصيات)

نتائج الدراسة:

١.الحرب زادت من اعداد ذوي الاعاقة الحركية وعمقت فجوة الدمج في المجتمع والتعليم والرعاية ولا يمكن تحقيق التنمية المستدامة دون تمكين ودمج الأشخاص ذوي الإعاقة وضمان حقوقهم الإنسانية كاملة

٢.صعوبات في دمج ذوي الاعاقة حركيا في التعليم قصور البنية التحتية والتعليمية الداعمة للأشخاص المعاقين حركيا مثل عدم وجود الاجهزة المساعدة والممرات الملائمة.

٣- لا توجد احصاءات حديثة منظمة عن اعداد ذوي الاعاقة واحتياجاتهم بعد الحرب مما يعيق عملية التخطيط

٤- نقص الوعي المجتمعي يزيد من العوائق امام الدمج اقتصاديا واجتماعيا

التوصيات:

أولاً: تُعد قضية الإعاقة الحركية بعد الحرب في السودان تحديًا وطنيًا يتطلب تضافر جهود الدولة والمجتمع المدني والمؤسسات الأكاديمية.

ثانيا: كما هدفت نظرية الدمج الاجتماعي الى دمج المعاقين في التعليم، سوق العمل والأنشطة المجتمعية، بتأسيس مدارس إسعافية دامجة للنازحين وتطوير البنية التحتية لتناسب احتياجاتهم في الإعاقة، ومشاريع إنتاجية صغيرة وإشراكهم في مجال السلام المجتمعي.

ثالثا: المنهج الحقوقي يربط الدمج بحقوق الانسان والاتفاقيات الدولية، يعزز المطالبة بالحقوق بدل الاحسان، بتفعيل قانون الاشخاص ذوي الاعاقة ودمجهم في صنع القرار المحلي حول الخدمات التي تهمهم، بما يتوافق مع مبادي اتفاقية حقوق الاشخاص المعاقين حركياً، الرقابة المجتمعية على الخدمات

رابعا: تعزيز الوعي المجتمعي لأهمية الدمج وازالة الوصمة الاجتماعية

خامسا: تفعيل دور الجامعات وكليات تنمية المجتمع بتسيير قوافل تأهيل ودمج، وتطبيق برامج دعم نفسي وتعليمي مستمر خصوصا في المناطق التي لاتزال اماكن نزاع

سادسا: توفير وسائل مساعدة (كراسي، عكازات)

أهم الحلول بعد ازدياد المعاقين حركيا نتيجة الحرب في السودان:

أولاً: الحلول الصحية والطبية، توسيع خدمات التأهيل الطبي، إنشاء مراكز تأهيل حركي في الولايات المتأثرة بالحرب

دعم اقسام العلاج الطبيعي والاطراف الصناعية.

توفير الاطراف الصناعية والاجهزة المساعدة (كراسي متحركة، عكازات، أطراف صناعية بأسعار مدعومة) شراكات مع منظمات دولية كالصليب الأحمر.

التأهيل النفسي: برامج دعم نفسي للمعاقين واسرهم للتعامل مع الصدمة وفقدان القدرة الحركية.

ثانيا: الحلول الاجتماعية: (دمج المعاقين في المجتمع) تغيير النظرة السلبية للإعاقة عبر الاعلام والمساجد والمدارس، واشراكهم في الانشطة المجتمعية والثقافية.

دعم الأسرة: برامج إرشاد أسري لكيفية التعامل مع الشخص المعاق، مساعدات مالية للسر الفقيرة التي ترعى معاقين، انشاء جمعيات وروابط للمعاقين تمثيل صوتهم والدفاع عن حقوقهم امام الدولة والمؤسسات.

ثالثا: الحلول التعليمية: كتهيئة المدارس والجامعات مداخل مناسبة، منحدرات، دورات مياه ملائمة وتسهيلات في الحضور الامتحانات.

التعليم التقني والمهني (دورات في الحاسوب، التصميم، الخياطة، الحرف، إدارة المشروعات الصغيرة.

التعليم عن بعد للذين يصعب تنقلهم.

رابعا: الحلول الاقتصادية: فرص عمل مناسبة، تخصيص نسبة من الوظائف الحكومية

شجيع العمل من المنزل والعمل الرقمي تمويل المشروعات الصغيرة، قروض ميسرة ومنح بدون مشاريع منزلية (تجارة إلكترونية، تصنيع بسيط. الإعانات الاجتماعية، وراتب شهري ثابت للمعاقين.

خامسًا: الحلول القانونية والسياسية

تفعيل قوانين حماية ذوي الإعاقة ضمان حق العلاج، التعليم، والعمل. محاسبة الجهات التي تميز ضدهم.

إحصاء وطني للمعاقين بعد الحرب، قاعدة بيانات دقيقة لتوجيه الدعم والموارد بشكل عادل

إدماج قضايا الإعاقة في خطط إعادة الإعمار تصميم المدن والمرافق وفق مفهوم البيئة الميسّرة للجميع

سادسًا: دور المجتمع المدني والجامعات

الاستفادة من كليات تنمية المجتمع في التوعية المجتمعية، التدريب المهني، الدعم النفسي والاجتماعي.

إشراك الطلاب والأساتذة في برامج ميدانية لخدمة المعاقين.

معالجة قضية المعاقين حركيًا بعد الحرب ليست عملاً خيريًا فقط، بل استثمار في الإنسان وإعادة بناء المجتمع السوداني على أسس العدالة والكرامة.

من اهم الحلول المقترحة لمعالجة ازدياد الإعاقة الحركية بعد الحرب في السودان

أولًا: الحلول الصحية

إنشاء مراكز تأهيل حركي في كل ولاية.

توفير الأطراف الصناعية والأجهزة المساعدة مجانًا أو بأسعار رمزية.

تدريب كوادر وطنية في العلاج الطبيعي.

ثانيًا: الحلول الاجتماعية

برامج توعية مجتمعية لتغيير النظرة السلبية للإعاقة.

دعم نفسي واجتماعي للمعاقين وأسرهم.

إنشاء جمعيات متخصصة لذوي الإعاقة.

ثالثًا: الحلول التعليمية

تهيئة المؤسسات التعليمية للمعاقين.

توفير التعليم التقني والمهني.

دعم التعليم عن بُعد.

رابعًا: الحلول الاقتصادية

تخصيص فرص عمل مناسبة.

تمويل مشاريع صغيرة للمعاقين.

صرف إعانات شهرية ثابتة لغير القادرين على العمل.

خامسًا: الحلول القانونية

تفعيل قوانين حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة.

إدماج قضايا الإعاقة في خطط إعادة الإعمار.

إنشاء قاعدة بيانات وطنية للمعاقين.

دور الجامعات وكليات تنمية المجتمع

تنفيذ برامج تدريب مهني.

التوعية المجتمعية.

تقديم الاستشارات النفسية والاجتماعية.

إشراك الطلاب في الخدمة المجتمعية.

المصادروالمراجع

١. ابو النصر، مدحت محمد، ٢٠١٢م، الإعاقة والمعاق رؤية حديثة، القاهرة.

٢. أحمد عبد الله، ٢٠١٥م، الإعاقة والدمج الاجتماعي، القاهرة، دار المعرفة.

٣. احمد كمال احمد، ١٩٩٠م، التخطيط الاجتماعي، دار النشر، القاهرة.

٤. الأمم المتحدة، ٢٠٠٦م، اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة.

٥. حنفي، إسماعيل محمد، ١٩٨١م ، ورقة عمل، التكافل لرعاية المعاقين تجاه رعاية الفئات الخاصة، القاهرة.

٦. الخطيب، جمال محمد، ١٩٩٢م ، تعديل سلوك الاطفال المعوقين، دليل الاباء والمعلمين، دار النشر والتوزيع، عمان، الأردن.

٧. سعيد، رضا علي، ٢٠٠١م ، جهود وزارة التخطيط الاجتماعي في رعاية وتأهيل الاطفال المعاقين، ورقة عمل

٨. الصليب الأحمر الدولي، آثار النزاعات المسلحة على الإعاقة.

٩. عبد الرحمن، محمد، ٢٠١٨م، الإعاقة والدمج الاجتماعي، دار المعرف.
١٠. العيسوي، عبد الرحمن، ٢٠١٢م، علم الاجتماع والإعاقة، الإسكندرية،
١١. كمال، عبد الحميد يوسف، ١٩٧٩م، تأهيل وتدريب المعوقين بالسودان، دار النشر الخرطوم.
١٢. محمد عبد المنعم، ١٩٦٤م، الخدمة الاجتماعية الطبية والتأهيل، دار النهضة العربية، القاهرة.
١٣. المكي، فيصل محمد ١٩٩٠م، شخصية الطفل المعوق والطفل المريض، دار النشر جامعة الخرطوم.
١٤. منظمة الإسكوا، ٢٠١٨م ، الإعاقة والتنمية المستدامة في الدول العربية.
١٥. منظمة الصحة العالميةWHO) تقارير الإعاقة والنزاعات المسلحة
١٦. ناشر، عطيات عبد الحميد، ١٩٦٤م، الرعاية الاجتماعية للمعوقين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
١٧. الهيتي، هادي نعمان، ٢٠٠٢م ، الاتصال الجماهيري حول ظاهرة الإعاقة بين الأطفال، مجلة الطفولة والتنمية.
١٨. وزارة التنمية الاجتماعية السودانية (تقارير الإعاقة).
١٩. وزارة التنمية الاجتماعية السودانية، تقارير ذوي الإعاقة.

مراجع أجنبية:

1. Barnes, C., & Mercer, G. (2010). Exploring Disability. Polity Press.
2. Oliver, M. (1990). The Politics of Disablement. London: Macmillan.
3. United Nations (2006). Convention on the Rights of Persons with Disabilities.
4. World Health Organization (2011). World Report on Disability.

السياسة الجنائية المعاصرة دراسة في مفاهيم التجريم والعقاب

د. طارق السر محمد خير(•)

المستخلص

تعد "السياسة الجنائية المعاصرة: دراسة في مفاهيم التجريم والعقاب" حجر الزاوية في موازنة استقرار المجتمع مع حقوق الأفراد، حيث يسعى هذا البحث لبيان التحول الاستراتيجي من العقاب التقليدي إلى المنع والإصلاح. تكمن مشكلة الدراسة في مدى فاعلية التوفيق بين حماية المصالح العليا للدولة وضمانات العدالة الناجزة، ويهدف البحث لتحليل معايير تفريد العقوبة وآليات التأهيل الحديثة. اعتمدت الدراسة المنهجين الاستقرائي والوصفي التحليلي، وانتظم هيكلها في أربعة مباحث تناولت: (مفاهيم السياسة الجنائية، دورها الوقائي والتجريمي، تقدير العقوبة ووقف تنفيذها، وسياسات الإصلاح والتأهيل). خلص البحث إلى أن السياسة الجنائية حراك مرن يجمع بين العلم والقانون لمعالجة جذور الجريمة وتفريد العقوبة وفق الخطورة الإجرامية. وتوصي الدراسة بتحديث التشريعات لمواكبة الجرائم المستحدثة، وتفعيل البحث الاجتماعي للقضاة، وتطوير الورش المهنية لضمان دمج النزلاء كأفراد منتجين.

مقدمة

تعتبر "السياسة الجنائية" إطار فكري وعملي يجمع بين نصوص التشريع وواقع التطبيق، فهي النسق الذي ترسمه الدولة لمواجهة الجريمة عبر مراحل التجريم والعقاب والوقاية. إن جوهر السياسة الجنائية الحديثة لم يعد يقتصر على مجرد إيقاع الجزاء، بل امتد ليشمل فلسفة إصلاحية وتأهيلية تسعى لاستعادة الجاني كفرد منتج في نسيج المجتمع. وفي ظل التطورات المعاصرة، أصبح لزاماً على الأنظمة القانونية، ومنها القانون السوداني، مواءمة تدابيرها مع مبادئ حقوق الإنسان ومعايير العدالة الدولية. إن هذه السياسة توازن بدقة بين حق المجتمع في الأمن وحق الفرد في محاكمة عادلة ومعاملة إنسانية تليق بآدميته، مما يجعل من دراسة آليات تقدير العقوبة ووقف تنفيذها، فضلاً عن برامج التأهيل والتهذيب داخل المؤسسات العقابية، ركيزة لضمان استقرار النظام العام وتحقيق السلم الاجتماعي.

أهمية البحث:

١- خطورة الجريمة تقتضي وجود سياسة جنائية تهدف إلى المنع والوقاية من الجريمة.

٢- تشتد الحاجة إلى الإصلاح والتأهيل لتقليل نسب العود للإجرام.

٣- لجوء القضاء أحياناً لوقف التنفيذ، تظهر الحاجة لبيان الضوابط القانونية التي تضمن نزاهة هذه الممارسات في القانون السوداني.

(•) أستاذ القانون الدولي المشارك

أهداف البحث:

١- توضيح مفهوم السياسة الجنائية وخصائصها النسبية والعلمية، وتحليل مجالاتها.

٢- إبراز الدور الوقائي والتجريمي للسياسة الجنائية في حماية المصالح الفردية والعامة، واستعراض التدابير الاحترازية وسلطات منع الاخلال بالسلام العام.

٣- تحليل معايير تقدير العقوبة وتشديدها وتخفيفها في القانون السوداني، ومناقشة آليات الإصلاح والتأهيل عبر التعليم والعمل والرعاية الاجتماعية.

مشكلة البحث:

١- ما هو الإطار المفاهيمي للسياسة الجنائية، وما هي المجالات والخصائص التي تميزها عن غيرها من السياسات العامة؟

٢- كيف وازنت السياسة الجنائية في القانون السوداني بين حماية الحقوق الأساسية للأفراد وبين حماية المصالح العليا للمجتمع من خلال سياسة التجريم والوقاية؟

٣- إلى أي مدى تنجح السياسة العقابية المعاصرة في تحقيق غايتي الردع والإصلاح من خلال سلطة تقدير العقوبة وبرامج التأهيل والتهذيب داخل السجون؟

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي من خلال تتبع النصوص القانونية والقواعد المنظمة للسياسة الجنائية، والمنهج الوصفي التحليلي لتفكيك مفاهيم السياسة العقابية والتأهيل.

تعريف السياسة الجنائية وخصائصها ومجالاتها:

تعريف السياسة الجنائية:

عرفت السياسة الجنائية بعدة تعريفات يمكن تناولها على النحو التالي:

١- هي نسق التدابير والمعايير التي يجابه بها مجتمع ما في مرحلة تاريخية معينة الظاهرة الإجرامية بحسبانها تجريداً قانونياً من ناحية وحقيقة إنسانية اجتماعية من ناحية أخرى بغرض الوقاية منها ومكافحتها وعلاجها (ياسين، ١٩٧٣م، ١٤٧).

٢- هي فرع من المعرفة يحدد الأصول الواجب إتباعها للوقاية من الإجرام بتدابير تتخذ سواءً على المستوى الفردي أم على المستوى الجماعي، والمبادئ اللازمة للسير عليها في معاملة المجرمين تفادياً لإجرامهم من جديد (بهنام، د.ت، ٢٦٥).

٣- هي مجموعة من الوسائل القمعية أي الجزائية التي تواجه بها الدولة الجريمة (العوجي، ١٩٨٠م، ١٢٣).

٤- هي مجموعة من الوسائل التي تحددها الدولة للمعاقبة على وقوع الجريمة وهي العلم الذي يدرس النشاط الذي يجب أن تمارسه الدولة لمنع الجرائم" (محمد، ٢٠٠٩م، ٩).

٥- مجموعة من المبادئ التي ترسم لمجتمع ما في مكان وزمان معين اتجاهاته الأساسية في التجريم وفي مكافحة ظاهرة الجريمة، والوقاية منها، وعلاج السلوك الإجرامي (السراج، ١٩٩٠م، ٧٩).

يرى الباحث أن السياسة الجنائية هي منظومة متكاملة تجمع بين القواعد القانونية المجردة والواقع الاجتماعي، فهي الاستراتيجية الشاملة التي تتبناها الدولة ليس فقط لمعاقبة الجاني، بل لرسم خارطة طريق تبدأ من الوقاية الاستباقية وتنتهي بإعادة تأهيل المجرم لضمان أمن المجتمع واستقراره.

خصائص السياسة الجنائية:

الخاصية العلمية:

تتمثل مهمة السياسة الجنائية في توجيه وتطوير القانون الوضعي عبر كافة مراحله؛ بدءاً من إرشاد المشرع عند سن القواعد (التجريم والعقاب)، وصولاً إلى توجيه القاضي أثناء التطبيق والتنفيذ، معتمدةً في ذلك على تكامل الجوانب الفقهية والقضائية والتشريعية (بهاء الدين، ٢٠١٦م، ١٢).

الخاصية النسبية:

تُعد النسبية سمة جوهرية للسياسة الجنائية لكونها "رد فعل" لظاهرة إجرامية متغيرة؛ إذ تختلف وسائل الوقاية والمكافحة باختلاف البيئة والظروف الاجتماعية التي تشكل السلوك الإنساني.

إن الوسائل التي قد تصلح لمكافحة الجريمة في دولة معينة قد تكون غير مجدية أو عديمة الجدوى في دولة أو مجتمع آخر نظراً لاختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية (سرور، ١٩٧٢م، ٣٣-٣٥).

الخاصية السياسية:

تنبثق السياسة الجنائية من الوضع الاجتماعي العام، حيث تُصاغ ملامحها وفقاً للأيديولوجيا السائدة والنظام السياسي للدولة؛ فالإطار القانوني في الأنظمة الديمقراطية يتباين جوهرياً عنه في الأنظمة الدكتاتورية، كما يتأثر بالقيم الدينية والمذهبية ومراحل التطور الاجتماعي التي تمر بها الدولة (بهاء الدين، ٢٠١٦م، ١٢).

السياسة الجنائية في مجتمع بعينه تختلف وتتميز عن بقية المجتمعات البشرية، وعليه ليس كل من يتوصل إليه علم الإجرام العالمي من نتائج ودراسات يتلقفها صانعوا السياسة الجنائية في بلدان أخرى ويطبقوها على مجتمعاتهم، بل أن هناك معايير وضوابط اجتماعية واقتصادية وسياسية ودينية لكل مجتمع(حمو، ٢٠١٢م، ١٨).

يرى الباحث أن قوة السياسة الجنائية تكمن في مرونتها وقدرتها على التكيف؛ فهي علمية في استنادها للبحث، ونسبية في استجابتها لمتغيرات الزمان والمكان، وسياسية في تعبيرها عن فلسفة الدولة، مما يجعلها أداة حية تتطور بتطور القيم والمصالح التي يسعى المجتمع لحمايتها

مجالات السياسة الجنائية

سياسة التجريم:

تُعنى السياسة الجنائية بحماية المصالح الاجتماعية (فردية وجماعية) عبر الموازنة الدقيقة بينهما لضمان استقرار القانون الجنائي ضمن استراتيجية الدولة العامة. ولا تقتصر مهامها على منع الجريمة والعقاب، بل تمتد لتحديد مبادئ التجريم في مراحلها الأولى؛ إذ يضطر المشرع أحياناً لتعديل

نصوصه وفقاً لما تمليه المصلحة الاجتماعية المتغيرة تبعاً للظروف السياسية والاقتصادية، لضمان توافق دائرة التجريم مع المصالح الجديرة بالحماية فعلياً (سرور، ١٩٧٢م، ١٩).

وهنا تباشر الدولة وظيفتها الجزائية لحماية المصالح الاجتماعية فتختار الإطار والأسلوب الأكثر صلاحية والأقرب إلى التعبير عن مدى تقدير المجتمع لأهمية هذه المصالح فتتخذ المصالح الجديرة بالحماية الجنائية وفقاً لظروف واحتياجات كل مجتمع..فالجريمة أياً كان نوعها هي إضرار بمصالح المجتمع الأساسية وهي بهذه المعنى تختلف عن باقي الأفعال المخالفة أو المؤثرة في القوانين غير الجنائية ، فتلك الافعال الأخيرة لا تنال من المصالح الأساسية للمجتمع في شيء ، إذ أن تلك المصالح الأساسية فقط هي التي يختص بحمايتها القانون الجنائي لأنها تمثل الحد الأدنى لضمان استقرار وتوازن المجتمع دون القوانين التي تراعي باقي المصالح الثانوية أو الأقل أهمية "(بوادي، د.ت، ٨٣).

سياسة العقاب:

تعد السياسة العقابية الأداة التنفيذية للسياسة الجنائية، حيث تضع المبادئ الناظمة للعقوبات وتطبيقها. وباعتبار العقوبة مكملاً ذاتياً لعملية التجريم، يلتزم المشرع بالربط بينهما؛ فلا يقوم التجريم قانوناً إلا باقترانه بجزاء محدد، مما يفرض استحضار نوع العقوبة وطبيعتها كجزء لا يتجزأ من صياغة النص التجريمي (سرور، ١٩٧٢م، ١٩).

فالعقوبة هي عبارة عن جزاء يوقعه المجتمع في مواجهة الخطر والعلاقة بين الخطر والعقوبة تتكون من شقين: **الأول** يتمثل في تطور أغراض العقوبة بتغير الأخطار التي تهدد المصالح محل الحماية الجنائية. **والثاني:** يتعلق بتدرج العقوبة شدة وخفة بتدرج جسامة الخطر (بوادي، د.ت، ٩٨).

سياسة المنع والوقاية:

تُركز سياسة المنع على المرحلة الاستباقية للجريمة، عبر اتخاذ تدابير إجرائية تهدف إلى تجفيف منابع الانحراف والقضاء على العوامل المهيأة للجريمة؛ تجسيداً لمبدأ "الوقاية خير من العلاج"، وضماناً لعدم تحول الفرص الكامنة إلى سلوكيات إجرامية فعلية، وللسياسة المنعية أهمية بالغة قبل وقوع الجريمة، لأن العقوبة لا تكفي وحدها لمنع الجريمة لأنها تفترض انتظار وقوعها وهو حدث يجب تجنبه، ولا تتحقق الحماية الاجتماعية على نحو فعال إلا بتضييق الخناق على جذور الإجرام.

إن وجه التداخل هو تحديد معنى الخطورة فالعقوبات والتدابير الاحترازية أو المانعة سواءاً بسواء تستهدف علاج خطورة الشخص، ووجه الخلاف بين الاثنين هي أن الخطورة التي تستهدفها العقوبة هي خطورة مقترنة بالجريمة ولذا تسمى بالخطورة الإجرامية أما الخطورة التي يستهدفها التدبير المانع فهي سابقة على الجريمة ولذا تسمى بالخطورة الاجتماعية، يتجسد التداخل بين سياسة المنع والسياسة الاجتماعية في استهدافهما المشترك للأسباب الاجتماعية للجريمة، إلا أنهما يختلفان في النطاق؛ فالتدابير المانعة تنحصر في معالجة الخطورة الاجتماعية تحديداً، بينما تهتم السياسة الاجتماعية بكافة المشكلات المجتمعية بصرف النظر عن ارتباطها بالإجرام، وتقتصر في معالجتها على العوامل الاجتماعية دون غيرها من مسببات الجريمة (سرور، ١٩٧٢م، ٢٢).

يرى الباحث أن مجالات السياسة الجنائية تشكل حلقة دائرية متصلة؛ حيث يحدد التجريم سقف الحماية، ويحقق العقاب الردع والعدالة، بينما تمثل سياسة المنع صمام الأمان الحقيقي، مما يوجب على المشرع تحقيق التوازن الدقيق بين هذه المسارات لضمان فاعلية النظام الجنائي ككل.

الدور الوقائي والتجريمي للسياسة الجنائية

تجريم الأفعال الضارة بالفرد وحماية الحقوق الأساسية للإنسان

حماية الحق في الحياة والسلامة الجسدية والكرامة

حق الحياة هو من أسمى الحقوق بل هو أساسها جميعاً إذ لا يعقل التفكير في ممارسة أي حق آخر من دون ضمان أولى وحماية كافية لهذا الحق المتأمل في الإنسان (عبد الله، ١٩٩٧م، ٢٦٦).

لكل إنسان حق أصيل في الحياة والكرامة والسلامة الشخصية، ويحمي القانون هذا الحق، ولا يجوز حرمان أي إنسان من الحياة تعسفاً (الوثيقة الدستورية السودانية، ٢٠١٩م، مادة ٤٤، دستور السودان الانتقالي، ٢٠٠٥م، مادة ٢٨).

ولحماية حق الحياة رتب القانون السوداني عقوبة الاعدام قصاصا على مرتكب جريمة القتل العمد (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ٢/١٣٠).

أما حماية السلامة الجسدية من الجراح، فقد نص القانون على: "(١) من يرتكب جريمة تسبيب الجراح العمد يعاقب بالقصاص إذا توافرت شروطه فإذا لم تتوافر تلك الشروط أو سقط القصاص يعاقب بالسجن مدة لا تجاوز ثلاث سنوات أو بالغرامة أو بالعقوبتين معاً وذلك دون مساس بالحق في الدية" (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ١٣٩) كما نصت القانون على: "(١) يعد مرتكباً جريمة الأذى كل من يسبب لإنسان ألماً أو مرضاً ويعاقب بالسجن مدة لا تجاوز ستة أشهر أو بالغرامة أو بالعقوبتين معاً"(القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ١٤٢).

وبشأن كرامة الإنسان وحمايته من التعذيب، نصت الوثيقة الدستورية على: "لا يجوز إخضاع أحد للتعذيب أو المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللا إنسانية أو المُهينة أو الحاطة بالكرامة الإنسانية"(الوثيقة الدستورية السودانية، ٢٠١٩م، مادة ٥١) كما تلتزم الدولة باحترام الكرامة الإنسانية والتنوع وتؤسس على العدالة والمساواة (الوثيقة الدستورية السودانية، ٢٠١٩م، مادة ٢/٤).

وفي جانب الحرية الشخصية، نصت الوثيقة الدستورية على: "لكل شخص الحق في الحرية والأمان، ولا يجوز إخضاع أحد للقبض أو الحبس، ولا يجوز حرمانه من حريته أو تقييدها إلا لأسباب ووفقاً لإجراءات يحددها القانون" (الوثيقة الدستورية السودانية، ٢٠١٩م، مادة ٤٦). وتعتبر الحرمة من الاعتقال التعسفي من المبادئ الدستورية، وتعني عدم إيقاف أو اعتقال أي فرد إلا بالاستناد إلى قانون (عبد الله، ١٩٩٧م، ٢٦٧)، وهي تعبر عن حق الإنسان في ألا يقبض عليه إلا في الأحوال المنصوص عليها في القانون (عبد البر، ٢٠٠٤م، ٤٢٢).

حماية العرض والنسل

تعتبر الجرائم الماسة بالعرض من أخطر الأفعال الضارة بالفرد والمجتمع، ولذلك شدد القانون الجنائي السوداني في عقوباتها صيانة للأخلاق والنسل. وقد نص القانون على عقوبة جريمة الزنا: من يرتكب جريمة الزنا يعاقب: (أ) بالإعدام رجماً إذا كان محصناً (ب) بالجلد مائة جلدة إذا كان غير محصن"(القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ١٤٦). كما نص بشأن الاغتصاب على: "من يرتكب جريمة الاغتصاب يعاقب بالجلد مائة جلدة وبالسجن مدة لا تجاوز عشر سنوات ما لم يشكل الاغتصاب جريمة الزنا أو اللواط المعاقب عليها بالإعدام" (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ٣/١٤٩).

حماية المال والملكية الخاصة

أولى المشرع السوداني حماية فائقة للحق في الملكية الخاصة وتجريم الاعتداء على الأموال بكافة صورها، حيث نصت الوثيقة الدستورية على: "(١) لكل مواطن الحق في الحيازة أو التملك وفقاً للقانون. (٢) لا يجوز نزع الملكية الخاصة إلا بموجب قانون وللمصلحة العامة، وفي مقابل تعويض عادل وفوري، ولا تصادر الأموال الخاصة إلا بموجب حكم قضائي" (الوثيقة الدستورية السودانية، ٢٠١٩م، مادة ٦١). وأكد دستور ٢٠٠٥م في المادة ٤٣ ذات المبدأ.

وعرف قانون المعاملات المدنية لسنة ١٩٨٤م حق الملكية بأنها: "سلطة المالك في أن يتصرف في ملكه تصرفاً مطلقاً عيناً منفعة واستقلالاً.. لمالك الشيء وحده أن ينتفع بالعين المملوكة وغلتها وثمارها ونتاجها ويتصرف في عينها بجميع التصرفات الجائزة شرعاً" (قانون المعاملات المدنية السوداني، ١٩٨٤م، مادة ٥١٦).

وجرم القانون الجنائي السرقة الحدية حيث نص على: "(١) من يرتكب جريمة السرقة الحدية يعاقب بقطع اليد اليمنى من مفصل الكف (٢) إذا أدين الجاني مرة أخرى يعاقب بالسجن مدة لا تقل عن سبع سنوات" (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ١٧١). ونص بخصوص السرقة التعزيرية على: من يرتكب جريمة السرقة يعاقب بالسجن مدة لا تجاوز سبع سنوات كما تجوز معاقبته بالغرامة أو بالجلد بما لا يجاوز مائة جلدة" (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ١٧٤).

أما جريمة النهب، فقد نص القانون على: " (٢) من يرتكب جريمة النهب يعاقب بالسجن مدة لا تجاوز ثلاث سنوات بالإضافة إلي أي عقوبة أخرى مقررة لما يترتب على فعله" (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ٢/١٧٥).

يرى الباحث أن المشرع السوداني نجح في مواءمة النصوص الدستورية مع القواعد الجنائية لضمان قدسية الحق في الحياة والجسد والملك، حيث لم يكتفِ بالتجريم النظري، بل وضع جزاءات رادعة (كالقصاص والحدود) تعكس مدى جسامة الاعتداء على كيان الفرد وكرامته المادية والمعنوية.

حماية المصالح العامة للمجتمع:

تتمثل المصالح العامة للمجتمع في ثلاثة محاور: الأمن القومي الذي يصون سيادة الدولة، والاقتصاد الذي يضمن قوتها ونزاهة تعاملاتها، والنظام العام الذي يكفل السكينة والطمأنينة العامة. وقد أفرد القانون الجنائي لعام ١٩٩١م نصوصاً رادعة لمواجهة الأفعال التي تهدد هذه المصالح.

حماية الأمن القومي والسيادة

يُعد الأمن القومي الغاية الأسمى للدولة، ولذلك وضع المشرع عقوبات مغلظة تصل إلى الإعدام لكل من يسعى لتقويض أركان الدولة أو التخابر مع أعدائها.

جاء في المادة (٥٠) بشأن تقويض النظام الدستوري: "من يرتكب أي فعل بقصد تقويض النظام الدستوري للبلاد أو بقصد تعريض استقلالها أو وحدتها للخطر، يعاقب بالإعدام أو السجن المؤبد أو السجن لمدة أقل مع جواز مصادرة جميع أمواله" (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ٥٠). وحول إثارة الحرب ضد الدولة، نصت المادة (٥١) على: "(١) يعد مرتكباً جريمة إثارة الحرب ضد الدولة ويعاقب بالإعدام أو السجن المؤبد أو السجن لمدة أقل مع جواز مصادرة جميع أمواله من: (أ) يثير الحرب ضد الدولة عسكرياً بجمع الأفراد أو تدريبهم أو السلاح أو المهمات أو الشروع في ذلك أو يحرض على ذلك أو يؤيده بأي وجه" (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ٥١).

أما بخصوص التخابر والتجسس، فقد نصت المادة (٥٢) على تجريم التعامل مع دولة معادية: "من يقوم دون إذن بالعمل في خدمة أي دولة يعلن السودان أنها دولة معادية أو بمباشرة أي أعمال تجارية أو معاملات أخرى معها أو مع وكلائها يعاقب بالسجن مدة لا تجاوز عشر سنوات أو بالغرامة أو بالعقوبتين معاً" (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ٥٢). كما نصت المادة (٥٣) بشأن التجسس: "يعد مرتكباً جريمة التجسس ويعاقب بالإعدام أو بالسجن المؤبد أو السجن لمدة أقل مع جواز مصادرة جميع أمواله من يتجسس على البلاد بأن يتصل بدولة أجنبية أو وكلائها أو يتخابر معها أو ينقل إليها أسراراً وذلك بقصد معاونتها في عملياتها الحربية ضد البلاد أو الأضرار بمركز البلاد الحربي فإذا لم يكن التجسس بذلك القصد ولكن يحتمل أن يضر بالبلاد سياسياً أو اقتصادياً، يعاقب بالسجن مدة لا تجاوز عشر سنوات أو بالغرامة أو بالعقوبتين معاً" (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ٥٣).

وفي إطار حماية المؤسسة العسكرية، نصت المادة (٥٨) على عقوبة التحريض على التمرد: "من يحرض أي فرد من أفراد القوات النظامية على التمرد أو الخروج عن الطاعة أو التخلي عن واجبه نحو الدولة يعاقب بالسجن مدة لا تجاوز سبع سنوات كما تجوز معاقبته بالغرامة" (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ٥٨). كما حظر القانون التدريب العسكري غير المشروع (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ٦١)، ومنظمات الإجرام والإرهاب التي تهدف لتهديد الجمهور أو السلطة العامة (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ٦٥).

حماية الاقتصاد القومي ونزاهة التعاملات:

تستهدف الحماية القانونية للاقتصاد ضمان الثقة في العملة والتعاملات المالية، ومنع الغش الذي قد يقوض المركز المالي للدولة أو الأفراد. وتعتبر جريمة تزييف العملة من الجرائم الخطيرة، وقد أوجب القانون على ارتكابها السجن مدة لا تجاوز سبع سنوات كما تجوز معاقبته بالغرامة" (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ١١٧) كما نص على تجريم تزييف طوابع الإيرادات والدمغات (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ١١٨).

ولضمان الشفافية ومنع تهريب الأموال من التنفيذ القضائي، نص القانون على تجريم التصرف في الأموال بطريق الغش، "من يقوم بقصد الغش بنقل مال أو حق متعلق بذلك المال أو بإخفائه أو بالتخلي عنه أو بالتصرف فيه قاصداً بذلك منع الحجز على ذلك المال أو الحق أو منع أخذه تنفيذاً لحكم أو أمر صادر أو يعلم باحتمال صدوره من محكمة أو سلطة عامة مختصة أو يقبل أي مال أو حق متعلق به أو يتسلمه أو يطالب به مع علمه بعدم وجود حق له فيه قاصداً بذلك منع الحجز أو التنفيذ المذكور يعاقب بالسجن مدة لا تجاوز سنة أو بالغرامة أو بالعقوبتين معاً (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ١١١) كما جرم القانون التعامل بوحدات غير صحيحة للوزن أو الكيل أو القياس حمايةً للثقة في المعاملات التجارية (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ١٢١).

حماية النظام العام والطمأنينة العامة

النظام العام هو الركيزة التي تضمن عيش الأفراد في سكينة وصحة وأخلاق، وقد جرم القانون الأفعال التي تؤدي إلى الفوضى أو الإزعاج أو المساس بالآداب.

في جانب السلم الاجتماعي، جرم إثارة الكراهية: "من يعمل على إثارة الكراهية أو الاحتقار أو العداوة ضد أي طائفة أو بين الطوائف بسبب اختلاف العرق أو اللون أو اللسان وبكيفية تعرض السلام العام للخطر يعاقب بالسجن مدة لا تجاوز سنتين أو بالغرامة أو بالعقوبتين معاً" (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ٦٤)، كما جرم القانون الجنائي نشر الأخبار الكاذبة التي تسبب ذعراً للجمهور (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ٦٦)، والشغب والإخلال بالسلام (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ٦٧)، والإخلال بالسلام العام (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ٦٩)، وفي جانب الصحة العامة، جرم القانون تلويث البيئة (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ٧١)، وبيع أطعمة ضارة بالصحة (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ٨٢).

ولحماية الآداب العامة، نصت المادة (١٥٢) على: "من يأتي في مكان عام فعلاً أو سلوكاً فاضحاً أو مخلاً بالآداب العامة أو يتزيى بزي فاضح أو غير محتشم مما يسبب ضيقاً للشعور العام، يعاقب بالجلد بما لا يجاوز أربعين جلدة أو بالغرامة أو بالعقوبتين معاً" (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ١٥٢). كما تضمن القانون حماية سير العدالة ومنع اعتراض الموظفين العامين أثناء أداء واجبهم وفق المادتين (٩٩) و(١١٥) من القانون الجنائي السوداني.

يرى الباحث أن حماية المصالح العليا للدولة في القانون السوداني اتسمت بالشدة والشمول؛ إذ امتدت يد التجريم لتطال كل فعل يمس أمن الدولة، أو اقتصادها، أو سكينتها العامة، مما يبرهن

على أن السياسة الجنائية تعتبر استقرار الكيان الجمعي شرطاً أساسياً لممارسة الأفراد لحقوقهم الخاصة.

السياسة الوقائية والتدابير الاحترازية لمنع الجريمة

الواجبات الوقائية لقوات الشرطة والقوات النظامية

أرسى المشرع السوداني في قانون الشرطة وقانون الإجراءات مبدأ التدخل الاستباقي كواجب أصيل على عاتق أجهزة إنفاذ القانون لحماية المجتمع من الجرائم المحتملة.

جاء في المادة (١٣) من قانون الشرطة بشأن الواجبات العامة: "تكون قوات الشرطة مسئولة عن تنفيذ أحكام القانون والقيام بجميع الواجبات والمهام الموكلة إليها بموجب هذا القانون أو أي قانون آخر أو أوامر تصدرها الجهة المختصة وعلى وجه الخصوص القيام بالواجبات الآتية: (أ) حفظ الأمن والطمأنينة العامة، (ب) منع الجريمة وكشف ما وقع منها والتحري فيها، (ج) حماية الأرواح والكرامة والأعراض والأموال" (قانون شرطة السودان، ٢٠٠٨م، مادة ١٣)، كما أكدت المادة (١١) على التزام الشرطة بمبدأ "منع وقوع الجريمة والحد من آثارها" (قانون شرطة السودان، ٢٠٠٨م، مادة ١١).

وفي قانون الإجراءات الجنائية، شدد المشرع على واجب التدخل الفوري لمنع الجريمة، خاصة في حالة حيث نصت المادة (١١٧) على:

(١) على كل شرطي أو إداري شعبي أو أي شخص يخوله القانون حفظ الأمن والنظام العام أن يبذل قصارى جهده للحيلولة دون وقوع الجريمة أو استمرارها.

(٢) على كل شخص أن يساعد شرطة الجنايات العامة أو وكيل النيابة أو القاضي عندما تطلب منه المساعدة بوجه معقول إيقاف أي إخلال بالسلام أو لمنع أي إتلاف للمال أو للحيلولة دون وقوع أي جريمة تستعمل فيها القوة.

(٣) على كل شخص أن يبلغ أعجل ما يتيسر له أقرب وكيل نيابة أو شرطي أو إداري شعبي متى علم بخطر وقوع جريمة أو بحدوثها إذا كانت من الجرائم الموجهة ضد الدولة أو المتعلقة بالقوات النظامية أو بمعارضة السلطة العامة أو بمنظمات الإجرام والإرهاب أو بالسلامة والصحة العامة أو من جرائم التزييف والتزوير أو القتل بأنواعه أو الإجهاض أو الاستدراج أو الخطف أو الاعتقال غير المشروع أو الحرابة أو النهب أو استلام المال المسروق أو الإتلاف الجنائي (قانون الإجراءات الجنائية السوداني، ١٩٩١م، مادة ١١٧).

التعهد بحسن السير والسلوك (التدابير الاحترازية)

تمثل "التعهدات" جوهر السياسة الوقائية في مواجهة الأشخاص الذين تظهر عليهم بوادر إجرامية أو يهددون السلم الاجتماعي، دون أن يكونوا قد ارتكبوا جريمة محددة بعد، وقد نصت المادة (١/١١٥) على التعهد بحفظ السلام: إذا ثبت للمحكمة أي إخلال بالتعهد أو الكفالة فيجب تدوين أوجه ثبوت الإخلال وأن تطلب المحكمة ممن التزم بالتعهد أو الكفالة أن يدفع الضمانة المقدرة أو أن يبين السبب الذى يعفيه من الدفع فإذا لم يبد أسباباً كافية للإعفاء ولم يقم بالدفع فيجوز تحصيل

المبلغ منه أو من تركته إذا توفى وذلك بالطرق المنصوص عليها لتحصيل الغرامة في هذا القانون (قانون الإجراءات الجنائية السوداني، ١٩٩١م، مادة ١١٥).

ولمواجهة خطورة معتادي الإجرام، منح القانون النيابة العامة سلطة تقدير الموقف، فإذا تبين من التحري أن من الأرجح للمحافظة على السلام العام والطمأنينة العامة أن يوقع الشخص تعهداً بضمانة أو بكفالة أو بدون ذلك فعلى وكالة النيابة أن تصدر أمراً بذلك، يجوز للمحكمة أن تصدر أمراً بالقبض على الشخص المعنى وحبسه أو بوضعه تحت مراقبة الشرطة أو بأن يوقع تعهداً بضمانة أو بكفالة أو بدون ذلك" (قانون الإجراءات الجنائية السوداني، ١٩٩١م، مادة ١١٨).

سلطات منع الاخلال بالسلام العام وإزالة المخاطر العامة

تشمل السياسة الوقائية أيضاً السيطرة على التجمهرات غير المشروعة وإزالة مصادر الإزعاج التي قد تتطور إلى جرائم أو فوضى عارمة.

بشأن التجمهرات، نصت المادة (١٢٤) على: يجوز لأى ضابط مسئول أو وكيل نيابة أن يأمر أي تجمهر غير مشروع أو أي تجمهر يحتمل أن يرتكب جريمة الشغب أو جريمة الإخلال بالسلام العام أن يتفرق وعلى أفراد ذلك التجمهر عندئذ التفرق (قانون الإجراءات الجنائية السوداني، ١٩٩١م، مادة ١٢٤) ، ونصت المادة (١٢٥) على:

(١) إذا لم يتفرق التجمهر عند صدور الأمر أو تصرف بطريقة مخالفة للأمر فيجوز للضابط المسئول أن يأمر بتفريق ذلك التجمهر باستعمال أقل قوة ضرورية على ألا يلجأ لاستعمال السلاح الناري بتفريق التجمهر إلا بإذن من وكيل النيابة.

(٢) يجوز للضابط المسئول أو لوكيل النيابة أن يطلب مساعدة أي شخص لأغراض تفريق التجمهر.

(٣) يجوز لشرطة الجنايات العامة إلقاء القبض على من شارك في التجمهر المذكور(قانون الإجراءات الجنائية السوداني، ١٩٩١م، مادة ١٢٥).

ونصت المادة (١٢٧) على: يجوز لأى وال أو معتمد في حدود دائرة اختصاصه أن يصدر أمراً يحظر أو يقيد أو ينظم بموجبه أي اجتماع أو تجمهر أو موكب في الطرق أو الأماكن العامة مما يحتمل أن يؤدى إلى الإخلال بالسلام العام (قانون الإجراءات الجنائية السوداني، ١٩٩١م، مادة ١٢٧).

يرى الباحث أن السياسة الوقائية السودانية تجاوزت مفهوم "رد الفعل" إلى "المبادأة والتدخل"، وذلك عبر منح الأجهزة النظامية والعدلية سلطات تقديرية واسعة لمواجهة حالات الخطورة الإجرامية قبل وقوعها، وهو ما يجسد الانتقال النوعي نحو العدالة الاستباقية التي تهدف إلى تجفيف منابع الجريمة.

السياسة الجنائية في تقدير العقوبة ووقفها:

السياسة الجنائية في تقدير العقوبة في القانون السوداني

تنبني السياسة الجنائية المعاصرة على التوازن بين جسامة الجريمة المرتكبة وبين شخصية الجاني وما تنطوي عليه من خطورة إجرامية، وذلك لتمكين القاضي من ممارسة سلطته التقديرية في تفريد العقوبة بما يحقق الردع العام والإصلاح الفردي.

الخطورة الإجرامية

تُعد الخطورة الإجرامية الركيزة الأساسية التي يستند إليها القاضي السوداني عند تقدير العقوبة أو التدبير الاحترازي، وهي حالة نفسية تتطلب تحليلاً دقيقاً لشخصية المجرم.

تعددت الرؤى الفقهية في تعريف الخطورة الإجرامية تبياناً لوجهات النظر الاجتماعية والنفسية؛ فمنهم من يراها حالة نفسية يمر بها الشخص فتؤثر على سلوكه (حسني، ١٩٦٧م، ٧١).

وتعرف أيضاً بأنها الأمارات التي تبين ما يبدو على المجرم من فساد وتحدد كمية الشر التي يجب أن يتوقع صدورها عنه، فهي تعني أهلية المجرم الجنائية (حبيب، ١٩٨٠م، ١٩).

بناءً على هذا، يقتضي تقدير درجة الخطورة البحث في مدى الأهلية الجنائية للمجرم وبحث الأحوال الاجتماعية المحيطة به، إذ توجد حالات يكون فيها للشخص قدر كبير من الأهلية الجنائية مع قدرة كافية على التجاوب الاجتماعي، وحالات أخرى يقل فيها أحدهما ويرتفع الآخر(سرور، ١٩٦٤م، ٤٩١)، وعُرفت بأنها الاحتمال الأكثر وضوحاً في أن يصبح الشخص مرتكباً للجرائم أو أن يعود إلى ارتكاب جرائم جديدة (عازر، ١٩٦٨م، ١٨٦).

الخصائص المتصلة بالجريمة وتقدير الخطورة

يستند القاضي في تقدير العقوبة إلى خصائص معينة تميز حالة الخطورة الإجرامية عن غيرها من النظم القانونية.

أولاً: الخطورة حالة نفسية وشاذة

الخطورة هي حالة نفسية كامنة في العقد المكبوتة في اللاشعور التي توجه سلوك الإنسان وجهة إجرامية دون وعي منه (عازر، ١٩٦٨م، ١٨٦). ويشترط في هذه الحالة النفسية أن تكون "شاذة" بحيث تؤدي بوجودها إلى احتمال إقدام صاحبها على ارتكاب الجريمة.

ثانياً: خاصية الاحتمال واليقين

الاحتمال هو جوهر الخطورة، ويقوم ضابط التفرقة بينه وبين الإمكان على مقدار "انتظار" حدوث النتيجة؛ فإذا كان يغلب حدوثها فهو احتمال، وإذا كان يندر حدوثها فهو إمكان (بهنام، ١٩٧٠م، ٤٨). والقانون السوداني في تقديره للعقوبة يعتد بالاحتمال الذي يمثل الدرجات العالية من الإمكان(عازر، ١٩٦٨م، ١٨٦).

ثالثاً: الاستناد إلى ظروف واقعية لا مفترضة

يجب أن تنبع الخطورة من ظروف واقعية ملموسة تدل عليها أمارات واضحة، ولا يجوز بناؤها على مجرد التكهنات (الخاني، ١٩٨٢م، ٢٠٦)، ومن أهم هذه الأمارات "الجريمة السابقة" التي تدحض القول بأن المسؤولية معلقة على أمر مفترض (ثروت، ١٩٨٣م، ٢٤٥).

رابعاً: نسبية الخطورة وحضورها

الخطورة فكرة نسبية تختلف باختلاف النظام الاجتماعي والأفكار السائدة (بهنام، ١٩٧٠م، ٤٧)، كما يجب أن تكون الخطورة "حاضرة" وقت المحاكمة؛ فلا عبرة بالخطورة التي كانت لديه في الماضي وانقضت، كما لا يعتد بالخطورة المستقبلية المحتمل نشوؤها لاحقاً (عازر، ١٩٦٨م، ١٨٦).

الأسس المتصلة بالمجرم والعوامل المنشئة للخطورة

يتطلب تفريد العقوبة في القانون السوداني تحليل العوامل التي أدت لنشوء الخطورة لدى المجرم.

أولاً: جسامة الضرر المحتمل:

جسامة الخطورة تتحدد بعاملين: جسامة الاحتمال، وجسامة الضرر المحتمل ذاته، فكلما كان الضرر الناتج عن الجريمة شديداً، دل ذلك على درجة خطورة أعلى (عازر، ١٩٦٨م، ١٨٦).

ثانياً: الخلل النفسي والعاطفي:

تتوقف درجة الاحتمال على نوع الخلل النفسي؛ حيث يعتبر الخلل في "الدائرة العاطفية" (مثل انعدام الوازع الخلقي، الحقد، الجشع) أكثر تأثيراً في توليد الجريمة من الخلل في الدائرة الذهنية(عازر، ١٩٦٨م، ١٨٦) وتشتد الخطورة لدى "المجرمين بالطبع" وتقل لدى "المجرمين بالصدفة".

ثالثاً: العوامل المساعدة (الشخصية والاجتماعية):

تنشأ الخطورة نتيجة تفاعل ثلاثة أنواع من العوامل:

أ- **العوامل الشخصية (الأنثروبولوجية):** مثل السن، الجنس، والخصائص النفسية.

ب- **العوامل الطبيعية:** مثل تأثير المناخ والبيئة الجغرافية.

ج- **العوامل الاجتماعية:** مثل البيئة الأسرية، نظام التعليم، والدين(بهنام، ١٩٧٠م، ٤٧).

وتكمن القاعدة الأساسية في أنه كلما كان الإجرام راجعاً إلى عوامل "داخلية" (عضوية وشخصية) أكثر من العوامل "الخارجية" (البيئة)، كانت الخطورة الإجرامية أشد درجة وأكثر جسامة (عازر، ١٩٦٨م، ١٨٦) لذا، يوجب القانون السوداني مراعاة هذه الظروف الشخصية لتفريد العقوبة بما يحقق الإصلاح (سلامة، ١٩٧٥م، ١٠٩).

يرى الباحث أن تقدير العقوبة في القانون السوداني لا يقوم على الجانب المادي للجريمة فحسب، بل يرتكز على سيكولوجية الجاني من خلال مفهوم "الخطورة الإجرامية"؛ مما يمنح القاضي أداة تحليلية واقعية لقياس احتمال العود، وتفريد الجزاء بما يضمن حماية المجتمع وإصلاح الفرد معاً.

السياسة الجنائية في تخفيف العقوبة وتشديدها في القانون السوداني

تخفيف العقوبة في القانون السوداني:

ينقسم تخفيف العقوبة إلى أعذار قانونية ملزمة نص عليها المشرع حصراً، وظروف قضائية تقديرية متروكة لفطنة القاضي. وتعرف الظروف المخففة بأنها عناصر عرضية تضعف من جسامة الجريمة وتستتبع تخفيف العقوبة (الحمدوني، ٢٠٠٣م، ٢١٦).

أولاً: الأسباب القانونية لتخفيف العقوبة (الأعذار):

الأعذار القانونية هي حالات محددة في القانون يترتب عليها وجوباً الإعفاء من العقاب أو تخفيفه، وهي تختلف عن الظروف القضائية في أن المشرع حددها بدقة وبين أحكامها تفصيلاً (سرور، ١٩٨٦م، ٦٢٠) ومن أهم هذه الأعذار في القانون السوداني:

أ- صغر السن:

عالج المشرع السوداني أفعال الصغير واعتبر صغر السن مانعاً من موانع المسؤولية أو عذراً معفياً أو مخففاً بحسب المراحل التالية:

١- مرحلة انعدام المسؤولية: من الولادة حتى سن السابعة، حيث لا يسأل الصبي جنائياً ولا تأديبياً، ولا يحد ولا يقتص منه (الشواربي، ٢٠٠٣م، ٣٩) ويشترط القانون التكليف والاختيار للمسؤولية (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ٢/١/٨).

٢- مرحلة المسؤولية الناقصة: من سن السابعة حتى البلوغ، وفيها لا يحد الصبي ولا يقتص منه، وإنما يؤدب. وقد أرست المحكمة العليا مبدأ المسؤولية الناقصة التي تعدل وصف الجريمة من القتل العمد إلى القتل الجنائي وفق المادة ٦/٢/٤٩ (مجلة الأحكام القضائية، ١٩٨٥م، ١٢١).

٣- التدابير الإصلاحية: نصت المادة (٤٧) من القانون الجنائي السوداني على تدابير للحدث (بين ١٧ و١٨ سنة) تشمل: التوبيخ، الجلد التأديبي (بما لا يجاوز ٢٠ جلدة لمن بلغ العاشرة)، التسليم للولي، أو الإيداع بمؤسسات الإصلاح (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ٤٧).

٤- أحكام قانون الطفل ٢٠١٠م: الطفل بين (١٥-١٨ سنة) إذا ارتكب جريمة عقوبتها الإعدام أو السجن المؤبد، يعاقب بوضعه في دار التربية مدة لا تتجاوز عشر سنوات (قانون الطفل السوداني، ٢٠١٠م، مادة ١٢/١/٦٨)

ب- الاستفزاز:

عرف المشرع السوداني الاستفزاز بأنه "السبب الفعلي الشديد الذي يمنع من كمال التثبت والتروي ويخرج عن حال الاعتدال" (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ٣). وقد جعل المشرع الاستفزاز عذراً يعدل وصف الجريمة في المادة ١/١٣١/و، حيث يعد القتل "شبه عمد" إذا ارتكبه الجاني أثناء فقدانه السيطرة على نفسه لاستفزاز شديد مفاجئ (القانون الجنائي السوداني، ١٩٩١م، مادة ١/١٣١).

ثانياً: الأسباب القضائية (الظروف المخففة التقديرية)

هي أسباب يراها القاضي موجبة للرأفة وفق ملابسات القضية، وهي غير محددة حصراً في القانون (القهوجي، ١٩٩٧م، ٢٣٧)

تشديد العقوبة في حالة العود

أولاً: تعريف العود وشروطه:

العود في القانون هو ارتكاب جريمة أو أكثر بعد الحكم على الجاني حكماً باتاً بالإدانة في جريمة سابقة (نصار، ٢٠١١م، ٢١٠) ولا يعتبر الشخص عائداً إلا بتوفر شرطين جوهريين:

أ- صدور حكم سابق بالإدانة: يجب أن يكون الحكم نهائياً وباتاً استنفد كافة طرق الطعن، لأن علة التشديد هي أن الحكم السابق لم يكن كافياً لردع الجاني (خليل، ٢٠٠١م، ١٦).

ب- ارتكاب جريمة جديدة: يجب أن تقع الجريمة الثانية بعد صيرورة الحكم الأول نهائياً، وأن تكون الجريمة الثانية مستقلة عن الأولى (عودة، ٢٠١٠م، ٣٥٢)، فمن يهرب للتخلص من تنفيذ حكم سابق لا يعد عائداً لعدم استقلال الجريمة الثانية.

ثانياً: السياسة الجنائية في مواجهة العود

يهدف التشديد في حالة العود إلى تحقيق الردع الخاص، حيث يكشف العود عن خطورة إجرامية في شخص الجاني. وفي مواد الجنح، قد يشترط المشرع وقوع الجريمة الجديدة خلال فترة زمنية محددة (مثل ٥ أو ١٠ سنوات) من تاريخ قضاء العقوبة السابقة (بوسقيعة، ٢٠٠٩م، ١٥٠).

كما قد يشترط القانون أحياناً "التماثل" بين الجريمة السابقة واللاحقة للقول بقيام حالة العود. ومع ذلك، يظل تطبيق أحكام العود في كثير من الأحيان أمراً جوازياً متروكاً لتقدير القضاء بما يحقق غايات السياسة الجنائية (بوسقيعة، ٢٠٠٩م، ١٥١).

يرى الباحث أن المشرع السوداني وازن ببراعة بين الرحمة والحزم؛ ففتح باب التخفيف عبر الأعذار القانونية كصغر السن والاستفزاز مراعاةً للطبيعة البشرية، وفي المقابل شدد العقاب في حالة "العود" لردع الجناة المتماديين.

وقف تنفيذ العقوبة في القانون السوداني

ماهية وقف التنفيذ وشروطه في القانون السوداني

يعني وقف التنفيذ قيام مسؤولية المتهم الجنائية واستحقاقه للعقوبة، إلا أن القاضي يرى في ظروف الدعوى ما يكشف عن كون الجاني جديراً بمنحه الفرصة المناسبة لإصلاح سلوكه. ويعتبر هذا النظام من أفضل وسائل التقدير القضائي لأنه يؤمن حماية لمن أجرم لأول مرة من الأثر السلبي لمخالطة المسجونين (جوادي، د.ت، ١٠١).

وقد حدد المشرع السوداني شروطاً دقيقة لإعمال هذا النظام وتتمثل في:

أولاً: نوع الجريمة:

يجوز للمحكمة وقف التنفيذ في غير جرائم الحدود والقصاص، والجرائم المعاقب عليها بالإعدام والسجن لأكثر من خمس سنوات (قانون الإجراءات الجنائية السوداني، ١٩٩١م، مادة ١٧٠) وهذا يعني أن الجريمة يجب أن تكون من الجرائم التعزيرية البسيطة (يوسف، ١٩٩٦م، ٢٣٠).

ثانياً: ظروف الجاني:

يجوز للمحكمة عند إصدار عقوبة في غير جرائم الحدود والقصاص والجرائم المعاقب عليها بالإعدام أو السجن لأكثر من خمس سنوات أن تأمر بوقف تنفيذ العقوبة والإفراج عن المحكوم عليه لمدة اختبار تحددها لا تتجاوز خمس سنوات بالشروط التي تقدر أنها مناسبة لحسن السيرة والسلوك وذلك مراعاة لسن المحكوم عليه وخلقه وسوابقه وطبيعة الجريمة وظروفها (قانون الإجراءات الجنائية السوداني، ١٩٩١م، مادة ١٧٠).

ثالثاً: سلطة النيابة في الوعد بالوقف:

يجوز لوكيل النيابة الأعلى في سبيل الحصول على شهادة شخص متهم مع غيره في جريمة ذات عقوبة تعزيرية لا يكون له فيها الدور الأكبر أن يتخذ قراراً مسبباً قبل المحاكمة يعد فيه المتهم المعنى بوقف تنفيذ أي عقوبة قد توقع عليه شريطة أن يفشى المتهم بكل ما يعلمه عن الوقائع والظروف المتعلقة بتلك الجريمة وعن أي شخص آخر له علاقة بها (قانون الإجراءات الجنائية السوداني، ١٩٩١م، مادة ١/٥٩).

السلطة التقديرية في وقف التنفيذ و آثار الإخلال به

تتمتع المحكمة بسلطة تقديرية واسعة في تقرير منح وقف التنفيذ، وهي سلطة جوازية تباشرها تلقائياً سواء طلبها المتهم أو لم يطلبها (جوادي، د.ت، ١٠٥). وتتجلى هذه السلطة عبر الآتي:

أولاً: مدة الاختبار:

تحدد المحكمة مدة الاختبار بما لا يتجاوز خمس سنوات، وتبدأ هذه الفترة من اليوم الذي يصبح فيه الحكم نهائياً، وليس للقاضي أن يعدل فيها بالتقصير أو الزيادة خارج النطاق القانوني (جوادي، د.ت، ١٠٦).

ثانياً: أثر الإخلال بالشروط:

في حالة إخلال المحكوم عليه بالشروط أثناء مدة الاختبار تأمر المحكمة بالقبض عليه وتنفيذ العقوبة المحكوم بها عليه (قانون الإجراءات الجنائية السوداني، ١٩٩١م، مادة ٢/١٧٠).

وتعتبر المحكمة هذا الإخلال بمثابة عودة إلى الإجرام وتنفذ العقوبة دون إبطاء.

ثالثاً: سلطة رئيس الجمهورية:

يكون لرئيس الجمهورية سلطة إسقاط الإدانة أو العقوبة في غير جرائم الحدود (قانون الإجراءات الجنائية السوداني، ١٩٩١م، مادة ١/٢٠٨). ويكون إسقاط الإدانة أو العقوبة بقرار من رئيس الجمهورية يصدر بشروط أو بدونها بعد مشاورة وزير العدل ويتم ذلك بقرار يصدر بشروط أو بدونها بعد مشاورة وزير العدل (قانون الإجراءات الجنائية السوداني، ١٩٩١م، مادة ١/٢٠٩/أ).

يرى الباحث أن نظام وقف التنفيذ يمثل قمة التطور في السياسة القضائية السودانية؛ كونه يمنح الفرصة لغير معتادي الإجرام لإصلاح أنفسهم بعيداً عن مساوئ السجون، مع إبقاء العقوبة سيفاً مسلطاً يضمن الانضباط خلال مدة الاختبار، وهو ما يحقق جوهر العدالة النفعية والإصلاحية.

السياسة العقابية في إصلاح الجاني وتأهيله

تعتبر سياسة الإصلاح والتأهيل جوهر السياسة الجنائية الحديثة، حيث لم تعد العقوبة مجرد إيلام للمجرم، بل أصبحت وسيلة لتقويمه وإعادته للمجتمع كفرد منتج.

مفهوم سياسة التأهيل وإصلاح المحكوم عليهم وأهدافها

يعد إصلاح الجاني أحد المقاصد الجوهرية التي تسعى العقوبة لتحقيقها؛ فالعقوبة إذا أدت إلى صلاح الشخص الذي نزل به العقاب بحيث ابتعد عن الجريمة ولم يعاودها، فقد أدت مقصدها الأسمى وهو إعادة الجاني، مهما بلغ به الإجرام، إلى المجتمع عضواً صالحاً (أبو الفتوح، ١٩٧٦م، ١٤٩).

مفهوم التأهيل والإصلاح:

تنطلق النظريات التي ترى في العقوبة وظيفة الإصلاح من منطلق أن العقوبة، وإن كانت شراً لابد منه، إلا أن لها غاية نفعية للمجتمع تتمثل في تهذيب الجاني وإزالة الأسباب الدافعة للإجرام.

لذا فإن إصلاح الجاني وتهذيبه يمثلان الوظيفة الرئيسية للعقوبة، وذلك باستعادة شعوره بالندم (سلامة، ١٩٧٩م، ٣٠٩).

ويقصد بالإصلاح تحويل المجرم أثناء تنفيذ العقوبة إلى رجل شريف، سواء عن طريق تذوق ألم العقوبة أو عن طريق التثقيف وتنمية الإرادة لديه لاحترام القانون (المرصفاوي، ١٩٩١م، ٩).

أرسى القانون المبادئ الأساسية لهذه السياسة، حيث نصت المادة (٥) على: "يراعى في معاملة النزلاء الآتي مبدأ أن السجن إصلاح وتهذيب وتأهيل وفقاً للقوانين والمواثيق والاتفاقيات الدولية المتعلقة بمعاملة النزلاء، ويجب تهيئة السجون بما يتناسب مع كرامة الإنسان وآدميته، واحترام المعتقدات الدينية والمبادئ الثقافية للنزلاء، وتوظيف كل الطاقات والوسائل الصحية والتربوية والاجتماعية والدينية والتعليمية لتأهيل وإصلاح وتقويم النزلاء"(قانون تنظيم السجون السوداني، ٢٠١٠م، مادة ٥).

الأهداف المرجوة من عملية التأهيل:

أولاً: الأهداف الخاصة بالنزيل:

تهدف إلى تقويمه وتهذيبه بإزالة الأفكار الإجرامية والقيم الفاسدة، وإرشاده للسلوك القويم مع الحفاظ على كرامته الإنسانية ليشعر بقيمته داخل المجتمع، وتنمية احترامه للقوانين ليعتمد على نفسه في تحصيل الرزق بطرق مشروعة بعد الإفراج (شريك، ٢٠١١م، ١٥).

ثانياً: أهداف خاصة بالمؤسسة العقابية:

تسعى المؤسسة من خلال التأهيل إلى فرض النظام والهدوء داخلها عبر تدريب النزلاء على احترام اللوائح، وملء فراغهم بتعليمهم مهناً وحرفاً تمكنهم من إيجاد فرص عمل مستقبلاً (شريك، ٢٠١١م، ١٥).

ثالثاً: أهداف خاصة بالمجتمع:

إن تأهيل السجين يساهم في اندماجه بصفة طبيعية في المجتمع بعد خروجه، ويقلل من خطورته الإجرامية، مما يحقق أهدافاً تربوية ووقائية تعزز أمن المجتمع واستقراره (علي، ٢٠٠٣م، ٤٢).

يرى الباحث أن فلسفة العقاب في التشريع السوداني انتقلت من مفهوم الانتقام إلى "النفعية الإصلاحية"، حيث أصبحت المؤسسة العقابية مركزاً لتقويم السلوك، مما يضمن كرامة النزيل ويحول دون عودته للإجرام كعضو نافع بمجتمعه.

التأهيل والإصلاح عبر التهذيب والتعليم

إن التعليم وحده لا يكفي لإعادة تأهيل المحكوم عليه، بل لا بد من التأثير في نفسه وعقله كي تستقيم شخصيته وتتصل بينه وبين المجتمع أواصر الوئام، ويتحقق ذلك من خلال التهذيب (الديني والخلقي) والتعليم العام والمهني.

الإصلاح والتأهيل عبر التهذيب

ينقسم التهذيب داخل المؤسسات العقابية إلى جانبين متكاملين:

أولاً: التهذيب الديني:

يقصد به غرس القيم والمبادئ الدينية في نفس السجين لتنفر من الجريمة، والإرشاد الديني هو أكبر عامل لاستصلاح السجين وتأديبه، خاصة وأن كثيراً من المحكوم عليهم يرجع إجرامهم إلى نقص في الوازع الديني (حسني، ١٩٧٣م، ٣٧١). ونصت المادة (١٩) على: "تعمل إدارة السجن على تهذيب النزلاء دينياً وخلقياً وتقوم بإنشاء دور للعبادة لأداء الشعائر الدينية وتحدد اللوائح طرق ووسائل التهذيب" (قانون تنظيم السجون السوداني، ٢٠١٠م، مادة ١٩).

ثانياً: التهذيب الأخلاقي:

يقصد به غرس القيم الأخلاقية الاجتماعية في نفوس المحكوم عليهم لتباعد بينهم وبين طريق الإجرام (عقيدة، ٢٠٠٢م، ٣٦١). وهو يهدف إلى إبراز القيم الأخلاقية وإقناع السجين بها ليلتزم بمعايير السلوك القويم، وهو يخاطب الوازع الخلقي لدى السجناء الذين قد لا يحتل الدين في نفوسهم مكانة كبيرة (الوادعي، ٢٠٠٤م، ٧٨).

التأهيل والإصلاح عبر التعليم والتدريب

يحتل التعليم دوراً رئيساً في النظام العقابي الحديث كونه وسيلة لحفظ النظام وتنمية الثقة بالذات، وينقسم إلى عدة صور في القانون السوداني:

أولاً: التعليم العام ومحو الأمية:

يشمل التعليم القراءة والكتابة وهو إلزامي في أغلب النظم، وصولاً إلى تمكين المحبوسين من متابعة الدراسات الجامعية (كنزة، ٢٠١٦م، ٤٧) وقد نصت المادة (١٨) على حق النزيل في التعليم(قانون تنظيم السجون السوداني، ٢٠١٠م، مادة ١٨).

ثانياً: التثقيف والاطلاع:

تعد المكتبة وسيلة أساسية للتعليم داخل السجن، حيث يُسمح للنزلاء بالاطلاع على الصحف والكتب لتنمية مداركهم وتجنب تفكيرهم في الجريمة (علي وعثمان، ١٩٧١م، ٢٢٩).

وقد كفل ذلك حيث نصت المادة (٣٢) على: "يسمح للنزلاء بالاطلاع على الصحف اليومية أو الدورية والكتب والاستماع إلى الإذاعات المسموعة والمرئية" (قانون تنظيم السجون السوداني، ٢٠١٠م، مادة ٣٢).

ثالثاً: حفظ القرآن الكريم كحافز للإفراج:

تميز القانون السوداني بجعل التفوق في الجانب الديني سبباً لتخفيف العقوبة، حيث نصت المادة (٣٤) على: "يجوز للوزير بناءً على توصية من المدير العام الإفراج عن أي نزيل محكوم عليه بالسجن كعقوبة أصلية إذا حفظ القرآن إن كان مسلماً أو ثبت أنه وصل لمستوى رفيع ومتقدم في تقيده بمعتقده إن كان من غير مسلم" (قانون تنظيم السجون السوداني، ٢٠١٠م، مادة ٣٤).

رابعاً: التدريب المهني:

يهدف إلى تعليم المحبوسين مهنة أو حرفة تدعم ثقتهم بأنفسهم وتفتح لهم مجالاً للكسب الشريف بعد الإفراج (الرفاعي، ١٩٩٩م، ١٥٤). وهو ما أكدته المادة (١٨) من القانون السوداني بجعل التدريب المهني حقاً للنزيل (قانون تنظيم السجون السوداني، ٢٠١٠م، مادة ١٨).

يرى الباحث أن المشرع السوداني وفق في جعل "التعليم والوازع الديني" حجر الزاوية في العملية الإصلاحية؛ فالجمع بين محو الأمية وحفظ القرآن الكريم يعيد صياغة عقل ووجدان النزيل، مما يمنحه حصانة فكرية وأخلاقية ضد الدوافع الإجرامية مستقبلاً.

الإصلاح والتأهيل عبر العمل العقابي والرعاية الاجتماعية والنفسية

الإصلاح والتأهيل عبر العمل العقابي

تطور مفهوم العمل العقابي من كونه عقوبة إضافية تهدف إلى الإيلام، ليصبح في النظم الحديثة حقاً للنزيل ووسيلة أساسية لإعادة تأهيله (رضوان، ٢٠٠٢م، ٧٩).

وقد نظم القانون السوداني إجراءات العمل العقابي وفق الضوابط التالية:

أولاً: إلزامية التشغيل مقابل أجر:

نصت المادة (١/٢٥) من قانون تنظيم السجون ومعاملة النزلاء السوداني على أن: "كل نزيل محكوم عليه يجب تشغيله في عمل منتج ويمكن أن يكون ذلك مقابل أجر مناسب" (قانون تنظيم السجون السوداني، ٢٠١٠م، مادة ١/٢٥). ويُعد هذا الأجر حافزاً معنوياً ومادياً يُشعر النزيل بجدوى عمله (الوريكات، ٢٠٠٩م، ٤١٨).

ثانياً: مراعاة الحالة الصحية:

استثنى المشرع السوداني النزلاء الذين يعانون من عجز أو مرض من واجب العمل، لضمان عدم إرهاقهم بدنياً (قانون تنظيم السجون السوداني، ٢٠١٠م، مادة ١/٢٥).

ثالثاً: الحماية القانونية (التعويض):

أوجب القانون معاملة النزيل كعامل حر في حالة الإصابة، "ففي حالة إصابة أي نزيل أثناء العمل يطبق عليه قانون العمل وقانون التعويض عن إصابات العمل" (قانون تنظيم السجون السوداني، ٢٠١٠م، مادة ٣/٢٥).

الإصلاح والتأهيل عبر الرعاية الاجتماعية

تهدف الرعاية الاجتماعية إلى مساعدة السجين على التكيف مع قيود الحياة داخل السجن وحل مشاكله الأسرية التي قد تسبب له اضطرابات نفسية (علي وعبد الرحيم، ١٩٧٠م، ٢٦٢-٢٦٣).

وتتمثل مهام الرعاية الاجتماعية في مساعدة النزيل على مواجهة صدمة سلب الحرية في الأيام الأولى (مهنا، ٢٠٠٨م، ٢٠٧). وتنظيم صلات النزيل بالعالم الخارجي وإعداده لمرحلة ما بعد الإفراج (عبد الخالق، ٢٠٠١م، ١٦٣).

وقد أقر القانون السوداني هذه الرعاية في المادة (٢٣) التي ألزمت إدارة السجن بتوفير الرعاية والمراقبة الاجتماعية للنزلاء (قانون تنظيم السجون السوداني، ٢٠١٠م، مادة ٢٣).

الإصلاح والتأهيل عبر الرعاية النفسية:

تعد الرعاية النفسية ضرورة لتقدير حالة المحبوس ورسم طريق علاجه، خاصة من يعجزون عن التكيف الاجتماعي (جعفر، ٢٠٠٤م، ١٠).

وقد تضمن القانون السوداني نصوصاً صريحة للتعامل مع الحالات النفسية، حيث أوجبت المادة (١٦) وضع النزلاء المصابين بأمراض أو ظواهر شذوذ عقلي أو نفسي تحت المراقبة والعلاج في مصحات متخصصة حتى يتم شفاؤهم (قانون تنظيم السجون السوداني، ٢٠١٠م، مادة ١٦).

يتعاون القسم النفسي مع القسم الاجتماعي لإعداد النزلاء نفسياً للمجتمع الخارجي ودراسة أسباب عدم تكيف بعضهم (عبد الخالق، ٢٠٠١م، ١٥٦).

يرى الباحث أن تحويل العمل داخل السجون إلى حق مأجور يمثل ذروة السياسة التأهيلية الحديثة، إذ يربط الإصلاح بالتمكين الاقتصادي والنفسي، ويضمن للمفرج عنه حياة كريمة عبر التدريب المهني والرعاية اللاحقة، مما يسهل اندماجه السلس في النسيج الاجتماعي.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه تُنال الغايات، والصلاة والسلام على مبعوث العناية الإلهية ومعلم البشرية، وبعد: فقد كان الإبحار في موضوع "**السياسة الجنائية المعاصرة: دراسة في مفاهيم التجريم والعقاب**" رحلة علمية سعينا من خلالها إلى سبر أغوار هذا العلم المتجدد، الذي لا يقف عند حدود النص القانوني الجامد، بل يمتد ليشمل كافة التدابير التي يتخذها المجتمع لمواجهة الظاهرة الإجرامية.

أولاً: النتائج:

١- تُعد السياسة الجنائية حراكاً مرناً يجمع بين النصوص والوسائل العلمية، وتتكامل فيها سياسات التجريم مع الوقاية الاستباقية لمعالجة الظاهرة الإجرامية.

٢- يرتكز النظام القانوني السوداني على تدرج تشريعي يحمي الحقوق الفردية والمصالح العامة، عبر تفعيل الدور الوقائي للأجهزة النظامية.

٣- تتبنى السياسة الجنائية مبدأ "تفريد العقوبة" بدراسة الخطورة الإجرامية للجاني، مع تفعيل البدائل القضائية كوقف التنفيذ لحماية المجرمين بالصدفة.

٤- تقوم السياسة العقابية الحديثة على "الإصلاح والتهذيب" كغاية أسمى للعقوبة، عبر برامج التأهيل الديني والمهني لضمان إعادة دمج النزيل في المجتمع.

ثانياً: التوصيات:

١- أوصي بضرورة المراجعة الدورية لنصوص التجريم وتحديث تشريعات الأمن القومي والاقتصادي، بما يواكب المستجدات التقنية والسيبرانية.

٢- أوصي بتعزيز سياسات الوقاية وتكثيف تدريب منسوبي الشرطة لتحقيق للتوازن الدقيق بين مكافحة الجريمة وصون الحريات الدستورية من التعسف.

٣- أوصي بتفعيل دور "مراقب السلوك" لتقديم تقارير دقيقة للقضاة حول الخطورة الإجرامية، والتوسع الحذر في منح "وقف التنفيذ" للشباب منعاً للوصمة الجنائية.

٤- أوصي بتطوير الورش المهنية بالسجون لملائمة سوق العمل، وإنشاء "صناديق دعم المفرج عنهم" لتوفير الرعاية اللاحقة والتمكين الاقتصادي.

المصادروالمراجع

١. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ٢٠٠٤م، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفاء، القاهرة.

٢. إمام محمد، حميد، ٢٠٠٩م، السياسة الجنائية لقضاء الأحداث في السودان، مركز شريح القاضي للتدريب، الخرطوم.

٣. بهاء الدين، أسامة صلاح محمد، ٢٠١٦م، "مكانة الإصلاح وإعادة التأهيل في السياسة الجنائية المعاصرة"، مجلة الدراسات العليا، جامعة النيلين، المجلد الرابع، العدد ١٦، السودان.

٤. بهنام، رمسيس، ١٩٧٠م، علم الإجرام، منشأة المعارف، الإسكندرية.

٥. بهنام، رمسيس، د.ت، المجرم تكويناً وتقويماً، منشأة المعارف، الإسكندرية.

٦. بوادي، حسنين المحمدي، د.ت، الخطر الجنائي ومواجهته تأثيماً وتجريماً، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية.

٧. بوسقيعة، أحسن، ٢٠٠٩م، الوجيز في القانون الجزائي العام، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر.

٨. البيهي، الحسن، د.ت، مفهوم السياسة الجنائية في ضوء قانون المسطرة الجنائية، منشورات وزارة العدل والحريات، الرباط.

٩. ثروت، جلال، ١٩٨٣م، "الظاهرة الإجرامية"، مجلة جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المجلد الثاني، العدد الثالث، الرياض.

١٠. جعفر، علي محمد، ٢٠٠٤م، حماية الأحداث المخالفين للقانون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.

١١. حبيب، محمد شلال، ١٩٨٠م، الخطورة الإجرامية – دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، كلية القانون والسياسة بجامعة بغداد، العراق.

١٢. حسني، محمود نجيب، ١٩٦٧م، علم العقاب، دار النهضة العربية، القاهرة.

١٣. حسني، محمود نجيب، ١٩٧٣م، علم العقاب، دار النهضة العربية، القاهرة. (طبعة ثانية وردت في بياناتك).

١٤. الحمدوني، حسن حسن، ٢٠٠٣م، تخصص القضاء الجنائي، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية.

١٥. حمو، أحمد علي إبراهيم، ٢٠١٢م، القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م معلقاً عليها، منشورات كلية القانون بجامعة النيلين، الخرطوم.

١٦. الخاني، رياض، ١٩٨٢م، مبادئ علمي الإجرام والعقاب، مطبوعات جامعة دمشق، دمشق.

١٧. الخلف والشاوي، علي حسين وسلطان، ١٩٦٨م، الوسيط في شرح قانون العقوبات - النظرية العامة، مطبعة الزهراء، بغداد.

١٨. خليل، عدلي، ٢٠٠١م، العود ورد الاعتبار، دار الكتب القانونية، القاهرة.

١٩. رضوان، بودور، ٢٠٠٢م، الجزاء الجنائي، رسالة ماجستير، كلية الحقوق بجامعة الجزائر، الجزائر.

٢٠. الرفاعي، طاهر فلوس، ١٩٩٩م، النظم الإدارية الحديثة للإصلاحيات، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

٢١. السراج، عبود، ١٩٩٠م، علم الإجرام وعلم العقاب، دار السلاسل، الكويت.

٢٢. سرور، أحمد فتحي، ١٩٦٤م، "نظرية الخطورة الإجرامية"، مجلة القانون والاقتصاد، كلية الحقوق بجامعة القاهرة، العدد الثاني، المجلد الرابع والثلاثون، القاهرة.

٢٣. سرور، أحمد فتحي، ١٩٧٢م، أصول السياسة الجنائية، دار النهضة العربية، القاهرة.

٢٤. سرور، أحمد فتحي، ١٩٨٦م، الوسيط في شرح قانون العقوبات، دار النهضة العربية، القاهرة.

٢٥. سلامة، مأمون محمد، ١٩٧٥م، حدود سلطة القاضي الجنائي في تطبيق العقوبة، دار الفكر العربي، القاهرة.

٢٦. سلامة، مأمون محمد، ١٩٧٩م، أصول علم الإجرام والعقاب، دار الفكر العربي، القاهرة.

٢٧. شريك، مصطفى، ٢٠١١م، نظام السجون في الجزائر، رسالة دكتوراه، جامعة باجي مختار، الجزائر.

٢٨. الشواربي، عبد الحميد، ٢٠٠٣م، جرائم الأحداث، دار المطبوعات الجامعية، القاهرة.

٢٩. عازر، عادل، ١٩٦٨م، "طبيعة حالة الخطورة وآثارها الجزائية"، المجلة الجنائية القومية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلد ١١، العدد الأول، الجزائر.

٣٠. عبد البر، فاروق، ٢٠٠٤م، دور المحكمة الدستورية المصرية في حماية الحقوق والحريات، دار النهضة العربية، القاهرة.

٣١. عبد الخالق، جلال الدين، ٢٠٠١م، الجريمة والانحراف من منظور الخدمة الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
٣٢. عبد الله، سناء فؤاد، ١٩٩٧م، آليات التغيير الديمقراطي في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
٣٣. عقيدة، محمد أبو العلا، ٢٠٠٢م، أصول علم العقاب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان.
٣٤. علي وعبد الرحيم، يسر أنور وآمال، ١٩٧٠م، علم الإجرام والعقاب، دار النهضة العربية، القاهرة.
٣٥. علي وعثمان، يسر أنور وآمال عبد الرحيم، ١٩٧١م، علم العقاب، دار النهضة العربية، القاهرة.
٣٦. علي، بن عبد الرشيدي، ٢٠٠٣م، دور إدارة السجون في تأهيل السجناء من وجهة العاملين بها، رسالة ماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
٣٧. العوجي، مصطفى، ١٩٨٠م، السياسة الجنائية والتصدي للجريمة، مؤسسة نوفل، بيروت.
٣٨. عودة، عبد القادر، ٢٠١٠م، مبادئ قانون العقوبات الجزائري - القسم العام، دار هومة، الجزائر.
٣٩. القهوجي، علي عبد القادر، ١٩٩٧م، شرح قانون العقوبات - القسم العام، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية.
٤٠. كنزة، بسالم، ٢٠١٦م، دور عقوبة السجن وإصلاح المحكوم عليه، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، الجزائر.
٤١. المرصفاوي، فتحي، ١٩٩١م، القانون الجنائي والقيم الخلقية، منشأة المعارف، الإسكندرية.
٤٢. مهنا، عطية، ٢٠٠٨م، حقوق المسجون في الاتفاقيات الدولية والنظام العقابي في مصر، دار النهضة العربية، القاهرة.
٤٣. نصار، عبد الكريم، ٢٠١١م، أساسيات علم الإجرام والعقاب، دار زين الحقوقية، إربيل.
٤٤. الوادعي، سعود بن مسفر، ٢٠٠٤م، فقه السجن والسجناء، دار الفضيلة، الرياض.
٤٥. الوريكات، محمد عبد الله، ٢٠٠٩م، أصول علمي الإجرام والعقاب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان.
٤٦. ياسين، السيد، ١٩٧٣م، السياسة الجنائية المعاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة.
٤٧. يوسف، يس عمر، ١٩٩٦م، النظرية العامة للقانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م، مطبوعات جامعة النيلين،
٤٨. الدستور الانتقالي لجمهورية السودان لسنة ٢٠٠٥م.الخرطوم.
٤٩. قانون الإجراءات الجنائية السوداني لسنة ١٩٩١م.
٥٠. القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م.
٥١. قانون الطفل السوداني لسنة ٢٠١٠م.
٥٢. قانون المعاملات المدنية السوداني لسنة ١٩٨٤م.

٥٣. قانون شرطة السودان لسنة ٢٠٠٨م.
٥٤. قانون تنظيم السجون ومعاملة النزلاء القومي (السودان) لسنة ٢٠١٠م.
٥٥. الوثيقة الدستورية الانتقالية السودانية لسنة ٢٠١٩م.
٥٦. مجلة الأحكام القضائية السودانية لسنة ١٩٨٥م.

واقع التنمية الاقتصادية بدولة غانا، المعوقات والحلول (٢٠٠٣م-٢٠٢٣)

د. أمل مكي عبد الرحمن بابكر(•)
د. أسمهان عبدالله محمد محمود

المستخلص:
يهدف هذا البحث: لدراسة مقومات التنمية الاقتصادية بغانا، التعرف على معوقات المشروعات التنموية، واستقصاء الجهود المبذولة للتقليل من تلك المعوقات. وتكمن أهمية البحث في الدور المحوري للتنمية الاقتصادية في الارتقاء بمستوى الفرد، وتقدم الدول، وتمكينها من مكانة اقتصادية وسياسية مرموقة. وتمثلت مشكلة البحث في التساؤل الرئيس: ما هو واقع التنمية الاقتصادية بدولة غانا؟ وما مقوماتها ومعوقاتها والجهود المبذولة للحد منها؟ اعتمد الدراسة على عدة مناهج: المنهج الاستقرائي لفحص واقع الظاهرة، ومنهج الظاهرة لدراسة تطور التنمية، والمنهج الوصفي لوصف الظاهرة، والمنهج التاريخي لتتبع النواحي التاريخية للتنمية في غانا. أثبتت الدراسة توفر مقومات طبيعية وبشرية بغانا تساهم في التنمية الاقتصادية، كالموقع الاستراتيجي، والثروات المعدنية والزراعية، وتنوع الموارد البشرية. كما أكدت وجود معوقات أثرت سلباً على التنمية تمثلت في: مشكلة الديون، انخفاض مستويات التعليم والرعاية الصحية، انتشار الفساد، ارتفاع نسب البطالة، وضعف البنية التحتية. وأظهرت النتائج أن الجهات المختصة بذلت جهوداً واضحة للتقليل من هذه المعوقات عبر مطالبات إعفاء الديون، والتفاوض مع صندوق النقد الدولي، والتوجه نحو تصنيع وتصدير السلع التكنولوجية والموارد المعدنية.

الكلمات المفتاحية: التنمية - غانا - الاقتصادية، معوقات – حلول.

المقدمة:

تعرّف التنمية الاقتصادية بأنها العملية الهادفة إلى تعزيز نمو اقتصاد الدول وذلك بتطبيق العديد من الخطط التطويرية التي تجعلها أكثر تقدُماً وتطوراً، مما يؤثر على المجتمع تأثيراً إيجابياً، عن طريق تنفيذ مجموعة من الاستراتيجيات الاقتصادية الناجحة، وتعرف أيضاً بأنها سعي المجتمعات إلى زيادة قدرتها الاقتصادية؛ للاستفادة من الثروات المتاحة في بيئاتها وتحديداً في المناطق التي تعاني غياب التنوع الاقتصادي المؤثر سلباً على البيئة المحلية عامةً.

التفكير الحقيقيّ في التّنمية الاقتصاديّة يعود إلى فترة ما بعد الحرب العالميّة الثانية؛ وخصوصاً بعد خضوع العديد من الدّول للاحتلال الأوروبيّ، إذ أثّر كثيراً على مجتمعاتها؛ بسبب استغلاله الموارِدَ الطبيعيّة فيها، وبعد إنهاء الاحتلال الأوروبيّ لهذه الدّول، بقيت تعاني انخفاضاً في معدّل المستوى

(•) أستاذ الجغر افيا المشارك، كلية التربية، جامعة البطانة، السودان
* أستاذ الجغر افيا المشارك، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجزيرة، السودان

المعيشيّ، مع انتشارٍ ملحوظٍ للمجتمعات الفقيرة، المعروفة في الأدبيّات الاقتصاديّة بمصطلح الدُّول النّامية.

اهتمّ البنك الدوليّ في عام ١٩٨٥م بمتابعة التنمية الاقتصادية في الدول الّامية، خاصةً ذات الدخل المنخفض نسبياً إذ تمّت الإشارة إلى أن الدولة النامية هي التي تحتاج دعماً في تنميتها الاقتصادية، ومعدل الدخل الخاص للفرد الواحد فيها أقل من ٤٠٠ دولار أمريكيّ، وهكذا أصبح للتنمية الاقتصادية دور محوري ومهم في الواقع الاقتصادي للدول، وتحديداً تلك التي تعاني صعوبةً كبيرةً في التعامل مع قطاع الاقتصاد الخاص بها، مما يدفعها إلى تطبيق خطة استراتيجية وتنموية بهدف دعم التّنمية الاقتصادية فيها (أبو فرحة، ٢٠٢١).

تتفاوت مؤشرات التنمية بين قارات العالم المعاصر حيث تحتل قارة أفريقيا ذيل القائمة في معظم المؤشرات وتصنف وفقاً لتقرير التنمية البشرية الصادر عن الأمم المتحدة باعتبارها دول صاحبة معدلات منخفضة وفقاً لمؤشرات التنمية البشرية (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ٢٠١٥). تعاني معظم الدول الأفريقية من الديكتاتوريات العسكرية والفساد والاضطرابات المدنية والحرب والتخلف والفقر وتقع غالبية الدول التي صنفتها الأمم المتحدة على أنها أقل البلدان نمواً في إفريقيا (أبو فرحة، ٢٠٢١).

استطاعت غانا بعد حصولها على الاستقلال البدء في إنشاء عدد من الشركات في مجال الصناعة والزراعة، وعمدت الحكومة إلى تشجيع الاستثمارات لدعم هذه المشاريع، إلّا أنّها ما زالت حتى اليوم تواجه العديد من التحديات والصعوبات الاقتصادية (أبو فرحة، ٢٠٢١).

تحاول الدراسة التعرف على واقع التنمية الاقتصادية بدولة غانا من خلال دراسة المعوقات التي تواجهها ودور الجهات المختصة في التقليل من تلك المعوقات مع وضع بعض الحلول.

مشكلة الدراسة:

تمثلت مشكلة الدراسة في السؤال المحوري الآتي: **ما هو واقع التنمية الاقتصادية بدولة غانا؟** وتندرج من هذا السؤال الأسئلة التالية:

١. ما هي مقومات التنمية الاقتصادية بمنطقة الدراسة؟
٢. ما هي أهم المعوقات التي تعاني منها المشروعات التنموية بمنطقة الدراسة؟
٣. ما هي الجهود المبذولة للتقليل من حجم معوقات التنمية الاقتصادية بمنطقة الدراسة؟

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في الآتي:

١. أهمية الدور الذي تلعبه التنمية الاقتصادية في الارتقاء بمستوي الفرد وتوفير مقومات الحياة الكريمة.
٢. تساهم التنمية الاقتصادية في تقدم ورقي الدول.
٣. تحتل الدول التي حققت تنمية اقتصادية مكانة اقتصادية وسياسية بين الدول.

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى الآتي:

١. دراسة مقومات التنمية الاقتصادية بمنطقة الدراسة.

٢. التعرف على أهم المعوقات التي تعاني منها المشروعات التنموية بمنطقة الدراسة.

٣. التقصي الجهود المبذولة للتقليل من حجم معوقات التنمية الاقتصادية بمنطقة الدراسة.

فرضيات الدراسة:

تتمثل فرضيات الدراسة في الآتي:

١. تتوفر بمنطقة الدراسة مقومات طبيعية تساهم في التنمية الاقتصادية.

٢. المقومات البشرية بمنطقة الدراسة لها دور ملموس في التنمية الاقتصادية.

٣. تعاني المشروعات التنموية بمنطقة الدراسة من معوقات أثرت سلباً على التنمية الاقتصادية.

٤. ليس للجهات ذات الصلة دور واضح للتقليل من حجم معوقات التنمية الاقتصادية بمنطقة الدراسة.

المنهج المتبع في الدراسة وطرق جمع المعلومات:

لتحقيق الأهداف اتبعت لدراسة المناهج التالية حسب الخصوصية:

١. المنهج الاستقرائي: ويعنى استقراء الأشياء عن طريق فحص واقع الظاهرة المبحوثة في مكان واحد أو أكثر وتحديد تشابهاتها في الأمكنة. وقد استخدمت الدراسة هذا المنهج للتعرف على معوقات التنمية الاقتصادية في غانا.

٢. منهج الظاهرة: يدرس الظاهرة كتجريب إنساني، ويوضح أفكاراً جديدة عن السلوك الحياتي. وتم استخدام هذا المنهج في دراسة التطور والتوسع في التنمية الاقتصادية في منطقة الدراسة.

٣. المنهج الوصفي الذي تم استخدامه في وصف الظاهرة موضوع الدراسة.

٤. المنهج التاريخي لتتبع النواحي التاريخية للتنمية الاقتصادية في منطقة الدراسة.

أما طرق جمع المعلومات فتمثلت في الكتب والمراجع والبحوث التي تناولت الموضوع، والتقارير والدوريات، وورش العمل، والشبكة العنكبوتية (internet).

حدود الدراسة:

١. الحدود المكانية: دولة غانا بحدودها الجغرافية. الصورة (١) تبين الموقع.

٢. الحدود الزمانية: أجريت الدراسة في الفترة الزمنية بين عامي (٢٠٠٣- ٢٠٢٣)

صورة (١) الموقع الجغرافي لدولة غانا

مفاهيم الدراسة:

١/ مفهوم التنمية:

يعرفها (أحمد،١٩٨١م) (أن التنمية في المجتمع البشري عملية ذات جوانب متعددة فعن مستوي الفرد تعني التنمية في مضمونها ارتفاع في مستوي المهارة والمقدرة، التمتع بالحرية الكافية، الانضباط، المسئولية والرفاهية المادية). أما (عبد البارئ،١٩٨٢م) فيعرفها (بأنها مفهوم معنوي يعبر عن عملية ديناميكية تتكون من سلسلة من المتغيرات الوظيفية والهيكلية في المجتمع تحدث نتيجة التداخل الإداري المقصود لتوجيه التفاعل بين الطاقات البشرية في المجتمع وعوامل البيئة بهدف زيادة قدرة المجتمع علي الإنتاج والنمو).

يعرف (الفاتح،٢٠٠١م) التنمية بأنها: (هي عملية تشمل جميع جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والصحية والسياسية والثقافية، وهي تعالج جميع جوانب الحياة للسكان في تكاملها مع البيئة بهدف إدامتها)، والإنسان هو محور التنمية ولا تتم التنمية إلا به وأشار إلي أن التنمية في مفهوما الشامل تعني الارتقاء بمستوي الفرد وتوفير مقومات الحياة الكريمة له، وإشباع حاجاته الأساسية من غذاء ومأوى وكساء بالإضافة لتلبية احتياجات المجتمع في شتي المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والصحية.

التنمية هي مجموعة أنشطة مبرمجة يقوم بها الإنسان ويسخر بها كل موارده المالية وطاقاته البشرية لتحسين أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية (قسم السيد، ١٩٩٨م).

٢/ مفهوم التنمية الشاملة:

تعني الجهود التي تبذل من أجل النهوض بالمجتمع وتقدم رفاهيته وتوفير كافة الخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية وغير ذلك من الخدمات، وحيث أن الإنسان هو العنصر البشري المكون من الذكور والإناث فإن مشاركته في عملية التنمية الشاملة تتضمن المشاركة والاستفادة الكاملة من

المرأة والرجل وإشراكهما في جميع جوانب عملية التنمية التي تستهدف كافة الحاجات البشرية (القدال وعبد الله، ١٩٩٥م).

٣/ التنمية المستدامة:

يُعرف المفهوم وفقالما عُرض في مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة والتنمية لعام ١٩٩٢م والمعروفة باسم "قمة الأرض" بأنه "التنمية التي تلبي احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال المقبلة في تلبية احتياجاتها الخاصة.

٤/ مفهوم التنمية البشرية:

عرفت بأنها توسيع نطاق الخيارات أمام الناس وأهم هذه الخيارات هي العيش حياة طويلة في صحة جيدة. والتعليم والتمتع بمستوى لائق، وهناك خيارات إضافية تشمل الحرية السياسية وحقوق الإنسان. وهناك من يرى أفضلية استخدام مصطلح التنمية الإنسانية كبديل لمصطلح التنمية البشرية Human Development لان الأول يشير إلى حالة راقية من الوجود البشري (حافظ، ٢٠٠٧)

٥/ مفهوم التنمية الاجتماعية:

عملية استثمار إنساني تتم في المجالات أو القطاعات التي تمس حياة البشر مثل التعليم، الصحة، الإسكان، والرعاية الاجتماعية، بحيث يوجه عائد تلك العملية إلي النشاط الاقتصادي الذي يبذل في المجتمع (عبد الله، ١٩٢٠م)

٦/ مفهوم التنمية الاقتصادية:

إن مفهوم التنمية الاقتصادية مرتبط بالرفاه الاجتماعي وبرفع مستوى المعيشة، وذلك من خلال رفع مستوى ونوعية حاجات الإنسان الأساسية والثانوية في المدى البعيد (الكردي، ١٩٧٧م).

يعرفها (جلال الدين، ١٩٧٩م): (أنها القوة المتزايدة للسكان في السيطرة على محيطهم وفي العمل المتواصل في فهم ومواجهة وتذليل الصعاب والتحديات والقيود التي تشل من القدرة على الحركة أو تعيق المسيرة).

والتنمية الاقتصادية بهذا المفهوم المبسط تعني: (قدرة المجتمع علي صنع مصيره وعلى التخطيط العلمي في مقابل أقل نضوب للموارد الاقتصادية النادرة)، أي أن التنمية تعني من الزاوية الاقتصادية زيادة الطاقة الإنتاجية للسكان على مر السنين أو نمو القوة العاملة (السكان) والموارد الأخرى الطبيعية والصناعية كماً ونوعاً.

يقصد بالتنمية الاقتصادية جميع التطورات البشرية والاقتصادية التي تؤثر في التنمية الاقتصادية لأي إقليم أو اقتصاد معين فهي تشمل الزيادة والتوزيع للمنتجات والتغيرات في الإدارة والتنظيم التقني التي من خلالها يتم الإنتاج والتوزيع، ومن هنا نجد أن مصطلح التنمية الاقتصادية أشمل من مصطلح النمو الاقتصادي، حيث أن النمو الاقتصادي هو جزء من التنمية الاقتصادية، وتختلف تطبيقات التنمية الاقتصادية من دولة إلى أُخرى بناءً علي التركيبة الاقتصادية أو تركيبة القطاعات الاقتصادية في كل دولة ومدى علاقتها ببقية القطاعات الأُخرى (القاضي،٢٠٠٣م).

الإطار النظري:

التنمية هي الأسلوب العلمي لتحقيق التقدم في المجالات المختلفة. وهي عملية إنسانية واعية ومقصودة تعبر عن رقي العقل البشري وتستعمل أساليب مختلفة بهدف تحقيق توازن الإنسان وإشباع حاجاته المادية والمعنوية، متغلبة أحيانا على ندرة الموارد الطبيعية وان وجدت الأخيرة فالتنمية تهدف إلى تعظيم وتنظيم فائدتها ومثالية استغلالها ضامنة بذلك حقوق الأجيال القادمة والمحافظة على البيئة والعدالة في توزيع العائدات فضلاً عن المشاركة الجماهيرية في صنع القرارات والخطط التنموية في مناخ تسوده الحرية والديمقراطية. ومن الخطأ حصر التنمية وتضييق مفهومها لتشمل الجوانب الاقتصادية بمعزل عن الجوانب الأخرى فالتنمية عملية شاملة ومتكاملة لكل نواحي الحياة (الزيادي، ٢٠١٣).

شهد النصف الثاني من القرن العشرين محاولات عديدة لحصر معنى التنمية وتحديد مفهومها، فقد يكون الاتجاه اقتصادياً صرفاً ويشير إلى (التقدم المادي والتقدم الاقتصادي والتحديث). وقد يكون الاتجاه اجتماعياً حيث تعرف التنمية الاجتماعية بكونها (الظاهرة التي يمكن أن تحدث حراكاً مؤثراً في النسيج السياسي والاجتماعي والحضاري للمجتمع الإنساني). ومن دون الترابط بين الثقافة كمنظومة شاملة والتنمية كعملية اقتصادية واجتماعية تفقد التنمية حيويتها وتصبح بلا روح (الهنداوي، ٢٠٠٦).

انتقل مفهوم التنمية إلى حقل السياسة منذ ستينيات القرن العشرين، حيث ظهر كحقل منفرد يهتم بتطوير عملية تغيير متعدد الجوانب غايته الوصول إلى مستوى الدول الصناعية من حيث المشاركة الانتخابية والمنافسة السياسية وترسيخ القيم الوطنية والسيادة. والسياسة مهمة للتنمية لرغبة الناس في كل مكان أن يكونوا أحراراً Free في تقرير مصيرهم وان يعبروا عن آراءهم Views ويشاركوا في القرارات Decisions. وهذه القدرات لا تقل أهمية عن التعليم أو التمتع بصحة جيدة. أما التنمية الثقافية فهي تسعى لرفع مستوى الثقافة في المجتمع وترقية الإنسان وتعزيز قدراته الثقافية بالشكل الذي يؤهله لمجابهة الغزو الثقافي والفكري (الزيادي، ٢٠١٣).

على الرغم من تفاوت مؤشرات التنمية بين قارات العالم المعاصر إلا أنها أيضاً تتفاوت داخل كل قارة علي حدة، وتحتل القارة الأفريقية ذيل القائمة في معظم تلك المؤشرات وإن كان هناك مساحات من التفاوت بين دولها، حيث يقسم تقرير التنمية البشرية دول العالم إلى أربعة فئات أولها فئة التنمية البشرية المرتفعة جداً وتشمل دول أمريكا الشمالية ومعظم دول أوروبا وبعض دول أسيا وقلة من الشرق الأوسط وهي إسرائيل وقطر، المملكة العربية السعودية، والإمارات العربية المتحدة، ولا يوجد بها أية دولة أفريقية. ثم فئة الدول صاحبة تصنيف "تنمية بشرية مرتفعة" لا يوجد بها سوي دولتي موريشيوس وسيشل جنوب الصحراء الأفريقية، وليبيا وتونس في منطقة الشمال الأفريقي، في حين أن فئة "التنمية البشرية المتوسطة" فتشمل دول بوتسوانا ومصر والجابون وجنوب أفريقيا والمغرب وناميبيا والكونغو وغينيا الاستوائية وزامبيا، وغانا، أما فئة "الدول صاحبة تنمية بشرية منخفضة" فتشمل باقي دول أفريقيا، وعليه يتضح أن معظم دول القارة الأفريقية تُصنف وفقاً لتقرير التنمية

البشرية الصادر عن الأمم المتحدة باعتبارها دول صاحبة معدلات منخفضة وفقاً لمؤشرات التنمية البشرية (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ٢٠١٥).

تتمتع قارة أفريقيا بموارد طبيعية وبشرية هائلة بالإضافة إلى تنوع ثقافي وإيكولوجي واقتصادي كبير. تعاني معظم الدول الأفريقية من الديكتاتوريات العسكرية والفساد والاضطرابات المدنية والحرب والتخلف والفقر وتقع غالبية الدول التي صنفتها الأمم المتحدة على أنها أقل البلدان نمواً في إفريقيا. فشلت العديد من استراتيجيات التنمية في تحقيق النتائج المتوقعة على الرغم من أن البعض يعتقد أن القارة محكوم عليها بالفقر الدائم والعبودية الاقتصادية، فإن أفريقيا لديها إمكانات هائلة (أبو فرحة، ٢٠٢١).

استطاعت غانا مع حصولها على الاستقلال البدء بمرحلة اقتصادية جديدة من خلال إنشاء عدد كبير من الشركات في مجاليّ الصناعة والزراعة، ومع الحاجة للأموال عمدت الحكومة إلى تشجيع الاستثمارات الخارجية في البلاد والاقتراض من الخارج لدعم هذه المشاريع، إلّا أنّها ما زالت حتى اليوم تواجه العديد من التحديات والصعوبات الاقتصادية (أبو فرحة، ٢٠٢١).

تحاول الدراسة التعرف على واقع التنمية الاقتصادية بدولة غانا من خلال دراسة المعوقات التي تواجهها ودور الجهات المختصة في التقليل من تلك المعوقات مع وضع بعض الحلول.

الدراسات السابقة:

١/ دراسة أبو فرحة (٢٠٢١) بعنوان: تحليل واقع التنمية في أفريقيا. هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع التنمية في أفريقيا وتحليل الوضع الاقتصادي. خلصت هذه الدراسة إلى أن تحقيق التنمية الاقتصادية يقوم على معطيات داخلية بحتة، سواء من حيث الاستثمار أو التوعية أو تنمية القدرات، وترجمة تلك المعطيات إلى سياسات فعالة تفيد كافة دول القارة الأفريقية. حيث إن التنمية الاقتصادية تقوم على احترام الخصوصيات الداخلية وبناء استراتيجيات فعالة يكون من خلال معايشة الأوضاع السائدة وليس عن طريق محاكاة التجارب التي تظل غريبة عن واقع البيئة الأفريقية. وفي ذات الوقت، يمثل عدم وجود دولة قوية بمعناها الحقيقي عقبة رئيسة وراء غياب التنمية الاقتصادية في أفريقيا. أوصت الدراسة بضرورة التخلص من فخ التبعية والمشاركة في الاقتصاد العالمي ومنافسة الدول الكبرى،على النخب السياسية مراعاة المصلحة العامة بدلاً عن جمع الأموال وخدمة الدول التي تدعمها، اغتنام الفرص وتحدي القيود لتحقيق الأهداف المرجوة.

٢/ دراسة خوجلي (2018) بعنوان: التنمية المستدامة وإشكاليات نجاحها في قارة أفريقيا- دراسة تقييمية. هدفت الدراسة إلى كشف تلك الإشكاليات وتحديد ماهيتها وتوضيح العلاقة الجدلية ما بين التنمية المستدامة والفواعل والمسببات والإشكاليات التي تقف عائقا إمام نجاح التنمية المستدامة في تحقيق أهدافها المنشودة واستخدمت الدراسة عدد من المناهج منها المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الإقليمي والمنهج الاستقرائي والمنهج الاستدلالي كما استعانت الدراسة بعدد من الدراسات ذات الصلة بموضوع الدراسة من مصادرها المنشورة وغير المنشورة وتوصلت الدراسة إلي عدد من النتائج مفادها: تختلف التصنيفات والعوامل والإشكاليات التي تهدد مسارات وتطبيق أهداف التنمية

المستدامة التي ألقيت بظلالها علي حياة الإنسان الإفريقي. أوصت الدراسة بعدد من التوصيات وهي: لابد من تحرير قرار التنمية من قبضة سلطة الدولة وكذلك عدم ارتهانها للقرار الخارجي ذا الاملاءات والاشتراطات علي الدول الإفريقية، توطنين النجاحات والدروس المستفادة والممارسات العالمية في التنمية الإفريقية داخل القارة الإفريقية.

نبذة تاريخية عن منطقة الدراسة:

يعود تاريخ غانا إلى أكثر من عشرة آلاف سنة قبل الميلاد، واعتُبرت مركزًا تجاريًا في العصور الوسطى خاصةً التجارة البحرية مع الدول الأوروبية التي تركت تأثيرًا على ثقافة السكان بالإضافة لبنائها القلاع والحصون بغرض حماية تجارتها المعتمدة بشكل أساسي على استخراج الذهب، واعتُبرت غانا فيما بعد مستعمرة بريطانية وسُمّيت بساحل الذهب (Gold Coast)، ثم تحوّلت في القرن السابع عشر وحتى نهاية القرن التاسع عشر كمركز لتجارة الرقيق وزراعة الكاكاو. استطاعت دولة غانا الحصول على استقلالها التام في تاريخ ٦ آذار ١٩٥٧م، لتصبح بذلك أوّل مستعمرة إفريقية تُحقّق الاستقلال من بين دول جنوب الصحراء الإفريقية (جودة، ١٩٩٦).

جغرافية منطقة الدراسة:

١/ الموقع والمساحة:

تقع دولة غانا في غرب القارة الإفريقية على ساحل خليج غينيا والمحيط الأطلسي، وهي دولة محورية في غرب أفريقيا وتُشارك حدودها مع كل من توغو من جهة الشرق، وساحل العاج من جهة الغرب، وبوركينا فاسو من جهة الشمال والشمال الغربي، والمحيط الأطلسي من الجنوب. جمهورية غانا هي دولة صغيرة من حيث المساحة حيث تبلغ مساحتها ٢٣٩٠٠٠ كيلومتراً مربعاً أي ما يعادل ٩١٨٤٣ ميل مربع (جودة، ١٩٩٦).

خريطة (١) موقع دولة غانا بالنسبة للقارة الأفريقية

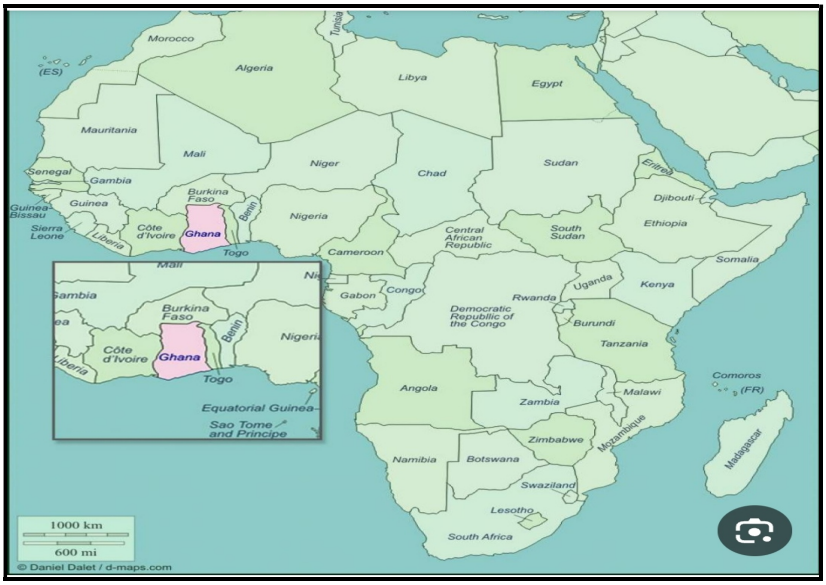

٢/ البنية والتضاريس والتربة:

أرض غانا يغلب عليها المظهر السهلي، حيث تنتشر السهول في الجنوب والشمال، أما الوسط فهضبة من الحجر الرملي ترتفع في بعض مناطقها إلى ستمائة متر وترتفع في الشرق، وأبرز أنهارها فولتا الأبيض وفولتا الأسود وأواتى ، وأقيم سد فولتا وهو أبرز مشروعات التنمية بغانا.

للقاعدة الأفريقية المتبلورة أثر بارز في صياغة التضاريس تركيباً وارتفاعاً، إذ تسود في المظهر التضاريسي البساطة وقلة الارتفاع، فالشواطئ البحرية قوسية قليلة التعرج، رملية حصوية تلفها بحيرات اللاغون المالحة فاصلة إياها عن ماء البحر، والجزء الأعظم من البلاد سهلي تلالي المظهر، متواضع علواً ١٥٠-٣٠٠م، تطل في جنوب غربي البلاد هضبة أشانتي (٢٠٠-٥٠٠م) على الساحل المنخفض (٢٥-٥٠م)، وفي أجزاء من هذه المنطقة المحاذية لجمهورية توغو ترتفع الصخور القاعدية إلى (٥٠٠-٦٠٠م) وسطياً ممثلة بمرتفعات أكوابيم . توغو وأعلاها ٩٠٠م. الشمال سهلي منبسط منخفض (٢٥٠-٣٠٠م) ممثلاً في سهلي وا Wa ومامبروسي Mambrocy (جودة، ١٩٩٦). الخريطة (٢) تبين تضاريس منطقة الدراسة.

تربة البلاد مدارية حديدية بنية وبنية محمرة في الشمال والوسط، وتربة حمراء وحمراء مصفرة في الإقليم الغابي الجنوبي، وهي قليلة الخصوبة لشدة استثمارها ولغزارة المطر الذي يعمل على غسل التربة، وتنتشر في المجاري النهرية التربتان اللحقية البنية والبنية المحمرة، وفي الساحل التربة مرجية مائية مملحة بدرجات مختلفة (جودة، ١٩٩٦).

الخريطة (٢) تضاريس منطقة الدراسة

٣/ الحياة النباتية والحيوانية:

تقسم البلاد نباتياً إلى عدد من الأقاليم (جودة، ١٩٩٦).:

١- الإقليم الجنوبي الغابي: جزؤه الجنوبي استوائي الملامح دائم الخضرة، أما الشمالي منه فهو مداري انتقالي تمتزج فيه الأشجار دائمة الخضرة والأشجار المتساقطة الأوراق في فترة الجفاف، وفي ظل الأشجار الغابية ترعرع أشجار الحمضيات والكولا والمطاط وأشجار النخيل بأنواعها المثمرة والزيتية، إضافة إلى أشجار البن والموز والأناناس.

٢- السافانا الغابية: وهي حشائش كثيفة وطويلة تتخللها أشجار السافانا الجافة مثل الأكاسيا والباؤباب والدوم والصمغ العربي، وفي مجاري الأودية تصادف بقايا الغابات النهرية.

٣- السافانا العادية: في الجزء الشمالي من وسط البلاد وفي شماليها، حيث الحشائش أقل كثافة والأشجار أكثر تباعداً وتسود فيها أشجار الطلح (الأكاسيا).

عند سواحل غانا تُرى غابات المانغروف متجاورة مع نباتات البحيرات المالحة (لاغون) ومع السبخات الرملية الطينية.

العالم الحيواني متنوع كثيراً، ففي الغابات تكثر الزواحف والطيور والقردة والتماسيح، بينما تزداد الحيوانات المفترسة في السافانا والغابات المتساقطة الأوراق ممثلة بالأسود والفهود والنمور إضافة للضباع والكلاب المتوحشة والخنازير البرية. ومن الحيوانات العاشبة الأيائل والغزلان والأبقار والحمر المتوحشة، وكثير من القوارض والزواحف ونمل التيرميت الأبيض والطيور الجارحة، والفيلة. قلَّت كثيراً أعداد الحيوانات وأوجدت الدولة نظام المحميات لمنع انقراض الحيوانات، ولجعلها مركز جذب سياحي.

٤/ موارد المياه:

شبكة المياه كثيفة نسبياً بسبب الهطل الجيد، وأهم أنهارها الفولتا وطوله ١٦٠٠كم، الذي يغطي بروافده الكثيرة نسبة ٧٥٪ من أرض البلاد، ويعد الفولتا نهراً غزير المياه، يتكون من فرعين أساسيين: فولتا الأبيض ويرد من شمال شرقي البلاد، وفولتا الأسود المنطلق من المرتفعات الغربية، ويندمج الفرعان في بحيرة سد فولتا، ويعبران أراضي صخرية قاسية، وإلى الجنوب من هذا السد يتسع مجرى نهر فولتا إلى أن ينتهي في خليج غينيا مكوناً دلتا صغيرة. ويعتبر سد الفولتا العظيم من أكبر السدود في العالم إذ يزيد طول بحيرته على٤٠٠كم وبمساحة ٨٤٨٠كم٢، وتقدر مياهها بنحو ١٤٨كم٣، وهو مصدر مهم للصيد والطاقة الكهربائية، وعقدة مواصلات مائية رئيسة ومصدر لإرواء ملايين الهكتارات من الأراضي (جودة، ١٩٩٦). الخريطة رقم (٣) توضح موارد المياه بدولة غانا.

خريطة (٣) موارد المياه بدولة غانا

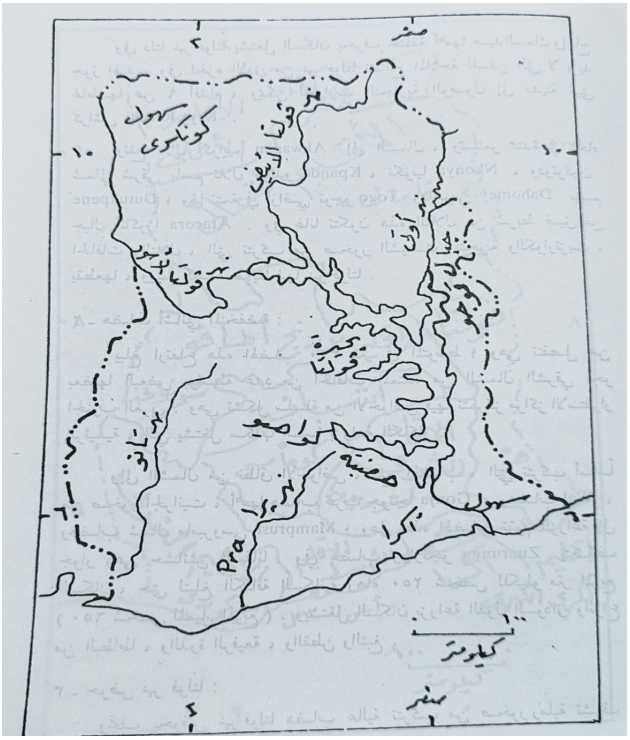

المصدر: (جودة، ١٩٩٦)

٥/ المناخ:

مناخ غانا شبه استوائي جنوباً وسافاني موسمي السمات في الوسط والشمال، متوسط الحرارة السنوي ٢٤، ٢٥، في الجنوب و٢٦، ٢٧، في الوسط و٢٧، ٢٨، في الشمال، وأكثر الأشهر حرارة آذار (الشمس عامودية).

الهطل جيد في كل أرجاء البلاد، مع تباين في قيم توزعه لتباين ارتفاع التضاريس والموقع من المحيط الأطلسي وطريق المنخفض الهطلي الاستوائي، وعليه يبلغ الهطل السنوي (١٥٠٠.٢٠٠٠) ملم في غربي البلاد، وفي هضبة أشانتي، ويتدنى إلى ٦٥٠.٧٥٠مم في الشرق، ثم يرتفع إلى ١٠٠٠.١٢٠٠ملم في الوسط والشمال. موسمية الهطل واضحة جيداً في الوسط والشمال، إذ تمتد فترة الهطل الأساسية فيما بين آذار وتشرين الأول، بينما يسيطر الجفاف من تشرين الثاني إلى شباط، أما في الجنوب فتصادف فترتي هطل (آذار . تموز . ثم أيلول . تشرين الأول) وبينهما فترتا جفاف (٣ . ٤ أشهر) وتتعرض مناطق شمالي غانا ووسطها لرياح الهرمتان الجافة الحارة القادمة من الصحراء الكبرى (أبو فرحة، ٢٠٢١).

٦/ السكان:

تعتبر دولة غانا من الدول الصغيرة من حيث عدد السكّان حيث بلغ عدد سكانها ٢٩٧٦٧١٠٨ نسمة (تقديرات الأمم المتحدة، ٢٠١٨م). بعد أن كان ٢٥٧٥٨١٠٨ نسمة بنسبة نمو بلغت ٢,١٩٪ في العام ٢٠١٤ (تقديرات الأمم المتحدة، ٢٠١٤).

أما عن التوزيع العرقي تنتمي القبائل في غالبيتها إلى السلالة الزنجية فقد كان نسبة ٤٧٪ الآكان، ونسبة ١٦,٦٪ مول داغبون، نسبة ١٤٪ إيوي، نسبة ٧,٤٪ دانجمي، نسبة ٥,٧٪ غورما، نسبة ٢,٦٪ كروزي، نسبة ٤٪ جوان، ونسبة ١٪ ماند بوسونجا، والبقية قبائل أخرى (Ghana Facts, 2018).

يتركز السكان بصورة أكبر في الجنوب وتزداد الكثافة في مركز أكرا لتصل إلى ٢٢٥ شخص في الكيلو متر المربع وتقل الكثافة في الثلث الأوسط من غانا فلا تتعدى عشرة أشخاص في الكيلو متر المربع. وما تزال نسبة الجهل عالية خاصة عند كبار السن، وينمو السكان بنسبة ٣٪ (جودة، ١٩٩٦).

٧/ النشاطات الاقتصادية

ساعد الموقع الجغرافي لغانا وسط سواحل الذهب الأفريقية بالإضافة لتوفّر العديد من الموارد الطبيعية في تنمية اقتصاد الدولة وتنوع نشاطاتها الاقتصادية والتي من أهمها:

الزراعة:

يعمل بالزراعة حوالي ٤٤,٧٪ من حجم السكان، اعتمد سكان غانا على العمل الزراعة لتوفير دخلهم الخاص عبر زراعة نبات الكاكاو وتصديره للخارج فهي ثاني أكبر مصدر للكاكاو (بعد ساحل العاج)، وساهم تغيير السياسات الحكومية التي دعمت تجّار القطاع الخاص برفع حصّتهم من الإنتاج في السوق العالمية من ٢٥٪ إلى ٦٠٪ لتصبح بذلك إحدى أكبر الدول والمصدرة لأفضل أنواع حبوب الكاكاو في العالم، واستطاعت غانا تحقيق اكتفاءٍ ذاتيّ غذائي ودعم الاقتصاد من خلال زراعة محاصيل أخرى كالحبوب وأشجار الفاكهة والنخيل وجوز الهند. ساعدت الطبيعة الساحلية للدولة على توفّر الثروة

السمكية واستهلاكها داخليًا وتصدير جزء منها للخارج مثل سمك التونا والرنجة والدينيس وغيرها من الأنواع. يساهم قطاع الزراعة بنسبة تصل إلى٣٥,٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي للدولة، وكما يعمل بها أكثر من ٦٥٪ من القوى العاملة، وتزرع غانا الذرة، والكاكاو، والموز، والأرز، ومكسرات الشيا، والكسافا، والفول السوداني وغيرها (Donna, 2018).

الصناعة:

تعتبر غانا من أكثر دول أفريقيا المدارية تصنيعاً وقد بدأت نهضتها الصناعية منذ بداية الخمسينات من القرن الماضي ومنذ ذلك التاريخ تسير خططها الصناعية بخطى ثابتة وتستخدم عدداً متزايداً من العمال (جودة، ١٩٩٦).

يعمل بها حوالي ١٤,٤ % من السكان، وتتمثل الصناعات الرئيسية في التعدين والصناعات الخفيفة وصهر الألومنيوم، معالجة الأغذية، الاسمنت، بناء السفن التجارية الصغيرة والنفط. لا يزال التطور الصناعي في غانا أساسياً وغالباً ما يرتبط باللدائن (مثل الكراسي والأكياس البلاستيكية وشفرات الحلاقة وغيرها). تساهم قطاع الصناعة بنحو ٢٥,٦٪، إذ تعمل المصانع في الدولة على إنتاج الأخشاب، والمنسوجات، والمركبات، والأسمنت، والورق وغيرها (Ghana, 2021).

تُعدّ غانا من الدول الغنية بالذهب فهي ثاني أكبر منتج للذهب في أفريقيا (بعد جنوب أفريقيا) كما أنها غنية بالماس وخام المنجنيز والبوكسيت والنفط والألمنيوم وخام الحديد وغيرها (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ٢٠١٥).

٨/ الخدمات:

يساهم قطاع الخدمات بنسبة تصل إلى ٣٩٪ من الدخل، كما تعدّ السياحة ثالث أكبر مصدر للعملة الأجنبية في البلاد. تتمثل المناطق السياحية في عدد من المواقع من أهمها (جودة، ١٩٩٦):

مدينة أكرا هي العاصمة السياسية لدولة غانا، والتي تُعتبر واحدة من أكبر مدن هذه الدولة، تحتوي المدينة على العديد من مرافق المواصلات أهمّها سكة الحديد والمطار الدولي، كما تضمّ جامعة غانا. توجد بالمدينة المعالم السياحيّة وتتمثل في المتحف الوطني، وأكاديميّة غانا للفنون والعلوم، والمكتبة المركزية، وقلعة مريستيانبورج، ومبنى الأرشيف القومي، والمقر الحكومي، والمسرح القومي، ومركز أكرا للثقافة الوطنية، ومركز أكرا الدولي لعقد المؤتمرات وغيرها.

مدينة كوماسي تقع في الجهة الجنوبية الوسطى للدولة، تتميّز هذه المدينة بالغابات ويُطلق عليها اسم "جاردن سيتي"، وذلك لكثرة النباتات والزهور والورود فيها، ممّا يعطي منظراً يتمتع به الزائر للمدينة، كما تتميّز بكثرة الجبال المغطاة بالأشجار.

قلعة كيب كوست من أهم المحطات لهجرة العبيد عندما كانت الدولّة من المستعمرات البريطانية، تحتوي على آثار السلاسل التي كانوا يربطون بها العبيد تمهيداً لترحيلهم، كما تحتوي على زنزانات ضيقة، و تُطل على ساحل المحيط الأطلسي.

الحديقة الوطنية تقع شمال قلعة كيب كوست، تُحيط بها المزارع خاصة مزارع الكاكاو، وتحتوي على العديد من الأشجار والحيوانات البرية، ويوجد فيها جسر يستخدمه السياح للتجوّل في الحديقة.

التنمية الاقتصادية بمنطقة الدراسة:

نص دستور غانا الصادر عام ١٩٩٢م المعدل عام ١٩٩٦م على: (يتعين على الدولة اتخاذ كافة الإجراءات اللازمة لضمان إدارة الاقتصاد الوطني بشكل يرفع معدل التنمية الاقتصادية إلى أقصى حد ويوفر أقصى قدر من الرفاه والحرية لكل شخص في غانا، ويوفر وسائل العيش وفرص العمل المناسبة والمساعدات العامة للمحتاجين، يتعين على الدولة اتخاذ كافة الخطوات اللازمة لإقامة اقتصاد سليم يكون مبنياً على مبادئ أساسية تشمل ضمان أجور عادلة وواقعية للإنتاج والإنتاجية بهدف تشجيع استمرار الإنتاج وزيادة الإنتاجية، كما ينص الدستور على الحرص على أن يتحمل الأفراد والقطاع الخاص نصيباً عادلاً من المسؤولية الاجتماعية والوطنية بما في ذلك المسؤولية التي من شأنها أن تساهم في التنمية الشاملة للبلاد وتوفير تنمية متوازنة ومتساوية لكافة الأقاليم).

ساعد الموقع الجغرافي لغانا الواقع وسط سواحل الذهب الأفريقية بالإضافة لتوفّر العديد من الموارد الطبيعية في تنمية اقتصاد الدولة، إذ تضمّ غانا الشواطئ الرملية ومساحة واسعة من الغابات التي تمتاز بمناخها الاستوائي وهطول كميات كبيرة من الأمطار سنويًا، وتعتبر غانا المصدر الأول لحبوب الكاكاو في العالم، ويعتمد سكانها على النشاط الزراعي للحصول على دخلهم بالإضافة لتوفّر احتياطي كبير من الثروات الطبيعية كالمعادن والنفط والأخشاب.

تطور الاقتصاد في غانا واستطاعت مع حصولها على الاستقلال البدء بمرحلة اقتصادية جديدة من خلال إنشاء الدولة لعدد كبير من الشركات في مجاليّ الصناعة والزراعة، ومع الحاجة للأموال عمدت الحكومة إلى تشجيع الاستثمارات الخارجية في البلاد والاقتراض من الخارج لدعم هذه المشاريع، واستطاعت غانا تحقيق نموّ اقتصادي سريع بالمقارنة مع الدول الإفريقية الأخرى.

مقومات التنمية الاقتصادية:

١/ الموقع الجغرافي: تحتل دولة غانا موقع استراتيجي في غرب القارة الإفريقية وعلى ساحل خليج غينيا والمحيط الأطلسي ساعد هذا الموقع الساحلي على توفّر الثروة السمكية واستهلاكها داخليًا وتصدير جزء منها للخارج مما يمكن أن يسهم في التنمية الاقتصادية، وأيضاً موقعها وسط سواحل الذهب الأفريقية وتوفّر العديد من الموارد الطبيعية الأخرى يمكن أن يسهم في تنمية اقتصاد الدولة. موقعها على ساحل خليج غينيا والمحيط الأطلسي جعلها تطل على العالم الخارجي "التجارة" كما أن موقعها وامتدادها جعلها تربط المناطق الاستوائية بالسافانا ما يؤدي لتعدد مناخاتها وثرواتها الزراعية.

٢/ المناخ: يعتبر مناخ غانا شبه الاستوائية والسافاني الموسمي مع الهطل الجيد في كل أرجاء البلاد وتباين قيم توزعه لتباين ارتفاع التضاريس والموقع من المحيط الأطلسي من العوامل التي ساعدت على ممارسة حرفة الزراعة والتي يعمل بها حوالي ٤٤,٧٪ من السكان حيث احتلت غانا موقعاً مميزاً في إنتاج وتصدير المحاصيل الاستوائية والمدارية فكانت إحدى أكبر الدول المنتجة والمصدرة للكاكاو في العالم، كما ساعد مناخ غانا على الزراعة وتحقيق اكتفاءٍ ذاتيّ غذائي ودعم الاقتصاد من خلال زراعة محاصيل أخرى كالحبوب وأشجار الفاكهة والنخيل وجوز الهند.

٣/ موارد المياه: شبكة المياه الكثيفة نسبياً يمكن أن تستخدم في زراعة المحاصيل وزيادة الإنتاج لتسهم في التنمية الزراعية، كما يعتبر سد الفولتا العظيم أبرز مشروعات التنمية بغانا ومصدر مهم للصيد والطاقة الكهربائية، وعقدة مواصلات مائية رئيسة ومصدر لإرواء ملايين الهكتارات من الأراضي.

٤/ الحياة النباتية والحيوانية: وجود عدد من الأقاليم النباتية أدى لتنوع في الغطاء الشجري من نباتات كثيفة دائمة الخضرة إلى نباتات سافانا جافة ذلك التنوع من الممكن أن يؤدي إلى تنوع في النشاطات الاقتصادية التي تعتمد على الأشجار. كما أن هنالك تنوع في الأشجار المثمرة والنباتات الزيتية والعطرية، كل ذلك يمكن أن يدفع بعجلة التنمية الاقتصادية بالبلاد. أتاح تنوع المناخات بدولة غانا فرصة تنوع المحاصيل الزراعية وأوجد بيئات مختلفة للحيوانات.

٥/ الموارد المعدنية: تُعدّ غانا من الدول الغنية بالذهب وبالماس وخام المنجنيز والبوكسيت والنفط والألمنيوم وخام الحديد وغيرها، والتي قامت عليها العديد من المشروعات التنموية والتي من الممكن أن تؤدي إلى تنمية اقتصادية بالدولة.

٦/ الموارد البشرية: تعتبر دولة غانا من الدول الصغيرة من حيث عدد السكّان، وهنا ننظر للموارد البشرية من حيث الكم والنوع وكقوي متاحة من أيدي عاملة وغير عاملة. فسكان دولة غانا بالرغم من عددهم القليل إلا أنهم يتوزعون على مساحات تتوفر فيها إمكانيات النشاط الاقتصادي، كما أنهم ينقسمون لعدة قبائل وأجناس ما يؤدي لتنوع هذه الموارد وتنوع إمكانياتها ومقدراتها.

ساعد الموقع الجغرافي لغانا بالإضافة لتوفّر العديد من الموارد الطبيعية في تنمية اقتصاد الدولة، إذ تضمّ غانا الشواطئ الرملية ومساحة واسعة من الغابات التي تمتاز بمناخها الاستوائي وهطول كميات كبيرة من الأمطار سنويًا، وتعتبر غانا المصدر الأول لحبوب الكاكاو في العالم، ويعتمد سكانها على النشاط الزراعي للحصول على دخلهم بالإضافة لتوفّر احتياطي كبير من الثروات الطبيعية كالمعادن والنفط والأخشاب، كل ذلك يمكن أن يساهم في التنمية الاقتصادية للبلاد.

معوقات التنمية الاقتصادية:

بالرغم من وجود مقومات التنمية الاقتصادية بدولة غانا إلا أن هنالك عدد من المعوقات التي يمكن أن تؤثر سلبا على هذه التنمية، تمثلت هذه المعوقات في:

١/ مشكلة الديون والتي تعد أحد أهم الأزمات التي تُعيق التنمية في غانا، فعلي الرغم من الجهود الدولية الإقليمية المبذولة لتخفيف عبء تلك الأزمة على واقع ومستقبل التنمية إلا أنها لا تزال تمثل أحد أهم المشكلات التي تعيق التنمية بغانا.

٢/ انخفاض مستويات التعليم والرعاية الصحية في غانا، وهو الانخفاض المرشح للتزايد في ظل اهتمام الدولة بزيادة إنفاقها العسكري في مقابل إنفاقها على تلك القطاعات التي لا غنى عنها لتحقيق التنمية.

٣/ انتشار الفساد الإداري والمالي أخّر من النموّ الاقتصادي بالتزامن مع ظهور مشكلة التضخم حيث بلغت نسبته ٩,٧٪ في العام ٢٠٢٠م، وتراكم الديون الداخلية والخارجية حيث بلغت نسبة الديون الخارجية ٢٢,١٤ بليون دولار حسب تقديرات ٢٠١٧م.

٤/ انخفاض حصّة الفرد من الإنتاج المحلي.

٥/ ارتفاع نسب البطالة حيث بلغت ٥,٧٪ حسب تقديرات ٢٠١٦م، بعد أن كانت ١١,٩ في العام ٢٠١٥م.

٦/ ارتفاع معدل الدين نسبةً لمعدل الإنتاج حيث يعيش ٣٠,٥٪ تحت خط الفقر حسب تقديرات ٢٠١٦م.

٧/ ضعف دور الحكومة في دعم المشاريع المحلية.

٨/ ضعف البنية التحتيّة، وعدم توفر إمدادات كافية من الوقود والطاقة.

٩/ عدم توفر وسائل حديثة لتحسين الزراعة.

١٠/ أنّ المشاكل السياسية وسوء إدارة الدولة أعاق عمليات التنمية والتقدّم في البلاد

الجهود المبذولة للتقليل من حجم معوقات التنمية الاقتصادية:

١/ مطالبات بالإعفاء أو إعادة الجدولة، أو التفكير في التوسع في الاقتراض من الخارج عبر استصدار سندات حكومية لمعالجة أزماتها الخارجية. وقد تم إلغاء معظم ديون الدولة في عام ٢٠٠٥.

٢/ الأزمة الاقتصادية التي نتجت عن انخفاض أسعار النفط أجبرت الحكومة على التفاوض بشأن تسهيل ائتماني ممتد بقيمة ٩٢٠ مليون دولار من صندوق النقد الدولي في أبريل ٢٠١٥.

٣/ هنالك بعض النجاحات الجزئية في تخفيف عبء ديون عدد من الدول الأفريقية من بينها غانا ضمن مبادرة الدول الفقيرة الأكثر مديونية التي طرحها الصندوق والبنك الدوليان وذلك بإعفاء جزء من الديون.

٤/ الاتجاه لتصنيع وتصدير سلع التكنولوجيا الرقمية، وبناء وتصدير السيارات والسفن، وتصدير الموارد المتنوعة والغنية مثل الهيدروكربونات والصناعية المعدنية.

سادساً: النتائج والتوصيات:

١/ تحقيق الفرضيات على ضوء النتائج:

الفرضية الأولى: تتوفر بمنطقة الدراسة مقومات طبيعية تساهم في التنمية الاقتصادية. أثبتت الدراسة أن الموقع الساحلي أسهم في توفّر الثروة السمكية للاستهلاك والتصدير وربطها بالعالم الخارجي ووفّر العديد من الموارد الطبيعية الأخرى، كما أن موقعها وامتدادها جعلها تربط المناطق الاستوائية بالسافانا ما أدي لتعدد مناخاتها وثرواتها الزراعية فكانت إحدى أكبر الدول المنتجة والمصدرة للكاكاو في العالم كل ذلك يمكن أن يسهم في التنمية الاقتصادية. كما لعبت موارد المياه والثروات النباتية والحيوانية والخامات المعدنية دوراً ملموساً في التنمية الاقتصادية.

الفرضية الثانية: المقومات البشرية بمنطقة الدراسة لها دور ملموس في التنمية الاقتصادية. أثبتت الدراسة صحة الفرضية حيث أنه بالرغم من انخفاض أعداد سكان الدولة بالنسبة للموارد إلا أنهم يتوزعون على مساحات تتوفر فيها إمكانيات النشاط الاقتصادي، كما أنهم ينقسمون لعدة قبائل وأجناس ما يؤدي لتنوع الموارد البشرية وتنوع إمكانياتها ومقدراتها لاستغلال الموارد الطبيعية مما يسهم في التنمية الاقتصادية.

الفرضية الثالثة: تعاني المشروعات التنموية بمنطقة الدراسة من معوقات أثرت سلباً على التنمية الاقتصادية. أثبتت الدراسة صحة الفرضية حيث أن هنالك عدد من المعوقات التي أثرت على التنمية الاقتصادية، وقد تمثلت هذه المعوقات في مشكلة الديون وانخفاض مستويات التعليم والرعاية الصحية، وانتشار الفساد الإداري والمالي، إضافة إلى انخفاض حصّة الفرد من الإنتاج المحلي وارتفاع نسب البطالة، وضعف البنية التحتيّة مع عدم توفر وسائل حديثة لتحسين الزراعة، كما أن المشاكل السياسية وسوء إدارة الدولة أعاق عمليات التنمية والتقدّم في البلاد.

الفرضية الرابعة: ليس للجهات ذات الصلة دور واضح للتقليل من حجم معوقات التنمية الاقتصادية بمنطقة الدراسة. أثبتت الدراسة عدم صحة الفرضية، حيث بذلت الجهات ذات الصلة دوراً واضحاً في التقليل من حجم معوقات التنمية الاقتصادية حيث قامت بتقديم المطالبات بإعفاء الديون أو إعادة جدولتها، كما سعت للتوسع في الاقتراض من الخارج وقد تم إلغاء معظم ديون الدولة في عام ٢٠٠٥، كما أن الأزمة الاقتصادية التي نتجت عن انخفاض أسعار النفط أجبرت الحكومة على التفاوض بشأن تسهيل ائتماني من صندوق النقد الدولي في أبريل ٢٠١٥، وهنالك بعض النجاحات الجزئية في تخفيف عبء الديون ضمن مبادرة الدول الفقيرة الأكثر مديونية، أيضاً اتجهت الحكومة لتصنيع وتصدير سلع التكنولوجيا الرقمية، وبناء وتصدير السيارات والسفن، وتصدير الموارد المتنوعة والغنية مثل الهيدروكربونات والصناعية المعدنية.

٢/ النتائج:

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج منها:

١/ تتمتع دولة غانا بموارد طبيعية متنوعة تمثلت في الموقع الساحلي وامتداد موقعها الذي يربط المناطق الاستوائية بالسافانا وتعدد مناخاتها وثرواتها الزراعية والمعدنية، جميع تلك الموارد أسهمت في التنمية الاقتصادية بمنطقة الدراسة.

٢/ يتوزع سكان غانا على مساحات تتوفر فيها إمكانيات النشاط الاقتصادي، كما أن تنوع الموارد البشرية وتنوع إمكانياتها ومقدراتها لاستغلال الموارد الطبيعية أسهم في التنمية الاقتصادية.

٣/ هنالك عدد من المعوقات التي أثرت على التنمية الاقتصادية من أهمها مشكلة الديون وانخفاض مستويات التعليم والرعاية الصحية، وانتشار الفساد الإداري والمالي وسوء إدارة الدولة.

٤/ قامت الحكومة بعدد من الإجراءات للتقليل من حجم معوقات التنمية منها تقديم المطالبات بإعفاء الديون والتوسع في الاقتراض من الخارج، وتخفيف عبء الديون ضمن مبادرة الدول الفقيرة الأكثر مديونية، أيضاً اتجهت الحكومة للتصنيع والتصدير.

٣/ التوصيــات:

خرجت الدراسة بتوصيات منها:

١/ الاهتمام بالموارد الطبيعية وحسن إدارتها.

٢/ الاهتمام بالعنصر البشري وتطوير خدمات التعليم والتدريب والصحة.

٣/ السعي لحل مشكلة الديون وتفعيل القوانين واللوائح التي تحد من انتشار الفساد الإداري.

٤/ تشجيع المستثمرين ورؤوس الأموال المحلية في الدخول في المشاريع التنموية وتقديم التسهيلات اللازمة لهم.

المصادروالمراجع:

١. أبو فرحة، السيد علي (٢٠٢١): تحليل واقع التنمية في أفريقيا، مجلة كلية السياسة والاقتصاد جامعة بني سويف، العدد العاشر، المجلد التاسع.

٢. أبو فرحة، السيد علي (٢٠١٢): مستقبل الدولة الأفريقية بين السطوة والعسكرية وجدوى الديمقراطية، مجلة قراءات أفريقية، العدد ١٣ سبتمبر ٢٠١٢.

٣. أحمد، محمد عبد الغفار (١٩٨١م) : دراسات في قضايا التنمية في السودان، الخرطوم.

٤. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (٢٠١٥): تقرير التنمية البشرية، واشنطن.

٥. برنامج الأمم المتحدة (٢٠١٤): تقرير التنمية البشرية، واشنطن.

٦. دستور غانا الصادر عام ١٩٩٢م المعدل عام ١٩٩٦م

٧. شبكة الجزيرة الإخبارية (٢٠٠٤): المشكلات التنموية في أفريقيا، متاح على الرابط: **goo.gl/6NpkNm**

٨. عبد الباري، إسماعيل حسن (١٩٨٢م): أبعاد التنمية، غير منشورة، مصر.

٩. جودة، حسنين جودة (١٩٩٦): جغرافية أفريقيا الإقليمية، منشأة المعارف، الاسكندرية.

١٠. حافظ، ناهده عبد الكريم (٢٠٠٧): التنمية البشرية المستدامة- المفهوم- الأدلة، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد، العدد (٧٩).

١١. خوجلي، إبراهيم عبد اللطيف عبد المطلب (٢٠١٩): التنمية المستدامة واشكاليات نجاحها في قارة أفريقيا- دراسة تقييمية، غير منشورة

١٢. الفاتح، هاله محمد (٢٠٠١م): أثر تدخل المنظمات الطوعية في تنمية المرأة اقتصادياً واجتماعياً، غير منشور، مصر، القاهرة

١٣. القاضي، غيداء (٢٠٠٣): وعي الشباب في محافظة بيت لحم- دمج المعاقين في المجتمع، منشورات بانوراما رام الله، فلسطين.

١٤. القدال، محاسن أيوب وعبد الله، سكينة محمد الحسن (١٩٩٥): العوامل الاقتصادية والاجتماعية وأثرها على سلامة الام، ورقة عمل مقدمة في المؤتمر القومي الأول للأمة الام (٢٧/ ٣٠ مارس)، قاعة الصداقة الخرطوم.

١٥. قسم السيد، عبد الرحمن (١٩٩٨): المرأة العاملة في السودان، بالتعاون مع فريدريش ايبرت الألمانية، مطبعة التمدن الخرطوم.

١٦. عبد الله الصالح ناصر (١٩٢٠م) أهمية الطرق الكمية في تحديد الاختلافات المكانية لمؤشرات التنمية في المملكة العربية السعودية، الكويت

١٧. الكردي، أحمد السيد (١٩٧٧م): التخطيط للتنمية الاجتماعية، دار المعارف، القاهرة.

١٨. الأمم المتحدة (١٩٩٢م): مؤتمر البيئة والتنمية والمعروفة باسم "قمة الأرض"، مدينة ريو دي جانيرو، البرازيل.

١٩. الهنداوي، فوزي هادي (٢٠٠٦): منظومة الثقافة والتنمية المستدامة - دور وسائل الإعلام كأدوات ثقافية في التنمية المستدامة، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد (٧٤).

↑ Donna J. Maier, Oliver Davies, Ernest Boateng, and others, "Ghana" ، www.britannica.com, Retrieved 2018-8-21. Edited. ↑
"Ghana", www.encyclopedia.com, Retrieved 11-4-2021. Edited. ↑
"Ghana Facts", www.worldatlas.com, Retrieved 2018-8-21. Edited.

فقه البيئة ومقاصد الشريعة في حفظ الموارد الطبيعية
دراسة فقهية مقاصدية

أحمد محمود حمدي حسوني(•)

المستخلص

يتناول البحث رؤية متكاملة لتطبيق مقاصد الشريعة في صون النظم البيئية وضمان استدامة الموارد الطبيعية، مع التركيز على الأوقاف كآلية فقهية لتمويل المشروعات الخضراء. يبدأ البحث بمعالجة الأُصول الفقهية لفقه البيئة، وتتمثل أهمية البحث في كونه دلالة على استدامة مقاصد الشريعة الإسلامية ومطابقتها بواقع الحال، وأهدافه هي الدلالة على كون مقاصد الشريعة الإسلامية داعية إلى حفظ الموارد واستدامة بيئة الإسلام والمسلمين، ومشكلته الأساس هي معالجة وحصر المقاصد الإسلامية الرئيسة الداعية للاستدامة البيئية، ومنهاجها تحليلي تطبيقي استدلالي، وتوصلت إلى ان الشريعة السمحاء بمقاصدها حرصت على مقصد معاصر كاستدامة الموارد والحفاظ عليها، وتُوضح المصطلحات الأساسية؛ فـ"فقه البيئة" و" حفظ الموارد الطبيعية" يُعرَّفان من منظور لغوي واصطلاحي، مع استجلاء الاشتقاق اللغوي لكلمة "بيئة" ومفارقتها في القرآن والسنة، ثم ينتقل البحث إلى استنباط مقاصد الشريعة في حفظ الموارد الطبيعية، مع ترتيبها اصطلاحياً وبيان ارتباطها بمقاصد حفظ المال والنفس والنسل، مستنداً إلى أحاديث الغرس وصون النعم القرآنية. ويستعرض الباحث الآليات التطبيقية لمشاريع الأوقاف الخضراء والطاقة المتجددة، يحدد الضوابط الفقهية؛ منها التمسك بغرض الوقف الأصلي، وضمان الانتفاع الدائم، والعدل في توزيع المنافع. ثم يؤصل المشروع فقهاً ويعرض آليات التطبيق؛ بدءاً من تشكيل هيئات شرعية فنية، وصياغة عقود المضاربة الوقفية والإجارة الوقفية، ومروراً بالتقييم البيئي الشرعي واختيار تقنيات الطاقة النظيفة، وصولاً إلى التوعية المجتمعية بأهمية استدامة الموارد. استند البحث إلى النصوص الشرعية والأدلة الأصولية، وخلص إلى توصيات عملية تشمل تبني نماذج فقهية مرنة للأوقاف الخضراء، ووضع أطر عقدية موحدة للطاقة المتجددة الوقفية، وتفعيل لجان مراجعة شرعية وبيئية، وبرامج تدريبية لإشراك المجتمعات المحلية في مشاريع الاستدامة.

الكلمات المفتاحية: البيئة، الموارد، مقاصد الشريعة، الطاقة، المتجددة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلاةٌ وسلامٌ دائمٌ مستمران على أكرم المرسلين نبينا محمدٍ خيرَ من عبَّر عن مقاصد الشريعة ورسالَها.

وبعد..

(•) ديوان الوقف السني / مديرية أوقاف نينوى، العراق

فقد فتحت الحاجةُ الراهنةُ إلى إعمال مقاصدِ الشريعة في حفظ الكون والإنسان نوافذَ جديدةً أمام الفقه الإسلامي، لا سيما في ظلِّ التحديات البيئية المتسارعة التي يواجهها عالمنا، من شحٍّ في المياه وتلوّثٍ جوي وتدهورٍ للتربة.

إنّ مراعاةَ ضوابط الشريعة في صونِ الموارد الطبيعية ليست رفاهيةً فكريةً أو محضَ تراكمٍ نظري، بل واجبٌ شرعيّ ومسؤولية إنسانية تتطلب بلورةَ إطارٍ فقهيّ متكامل، وينطلق هذا البحثُ من استعراض الأُصول الفقهية لقواعدِ حفظِ المال والنفس والنسل، ثم ينتقل إلى استخراجِ المقاصدِ المتعلقةِ بصونِ المياه والتربة والهواء والطاقة والنباتات، مستندًا إلى الأدلّة القرآنية والحديثية وقواعد الأصول.

وتُعرّفُ المفاهيمُ الرئيسة؛ فـ"فقه البيئة" يستقرئ أبعادَ النصوص الشرعية في علاقتها بالأرض ومصادرها، و"حفظ الموارد الطبيعية" يوضّح الأهدافَ العقدية والشرعية من رعاية هذه المصادر، مع تبيانِ دلالاتِ كلمةِ "بيئة" في القرآن والسنة وكيفية اشتقاقها اللغوي.

ثم يستنبط المقاصدَ العمليّة لصون الموارد الطبيعية، مُقسمًا إلى مقاصد حفظ المال والنفس والنسل، مع استشهادٍ بأحاديث الغرس وبيان أثر تنزل المطر على الحياة النباتية والحيوانية.

وينتقل البحث إلى الآليات التطبيقية لمشاريع الأوقاف البيئية والطاقة المتجددة، وتُحدد الضوابطُ الفقهيةُ للاستثمار الوقفيّ الأخضر، كإثبات غرض الوقف الأصلي، وضمان الانتفاع الدائم، وتحقيق العدالة في توزيع المنافع، وضوابط الشفافية والرقابة.

ثم يؤصل المشروعَ فقهيًّا، ويعرض آلياتِ التطبيق من تشكيل هيئاتٍ شرعيةٍ فنية، وصياغة عقودٍ كالْمُضاربة الوقفية والإجارة الوقفية، وإجراء التقييم البيئي الشرعي لاختيار أفضل التقنيات النظيفة، فضلاً عن برامج التوعية المجتمعية لضمان التفاعل البناء مع هذه المشاريع.

نسأل الله جلّ وعلا أن يوفّقنا لصياغة اجتهادٍ فقهيٍّ جادٍّ يخدم ديننا وأمتنا، وأن يجعل هذا الجهد فاتحةَ خيرٍ في ميدان الفقه البيئي والمقاصد الفقهية الإسلامية الجامعة، إنه على كلِّ شيءٍ قدير، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

يمثّل فقهُ البيئة والاستدامة المستدامة حقلَ اجتهادٍ فقهيٍّ معاصرٍ ضروري، فقد شهد العالمُ في العقود الأخيرة تحدياتٍ بيئيةً متسارعةً على صعيد ندرة المياه وتلوُّث الهواء وتصحّر التربة واستنزاف الطاقة، ما استدعى بلورةَ ضوابطٍ شرعيةٍ واضحة لحفظ مواردِ الله وصونها لصالح الأجيال الحاضرة والمقبلة.

ومن هنا تنبعُ أهميةُ هذا البحث في تقديم رؤيةٍ فقهيةٍ، ترتكز على مقاصد الشريعة في حفظ المال والنفس والنسل، وتستثمر آليات الوقف الأخضر والطاقة المتجددة كأدواتٍ عمليةٍ لتحقيق التنمية المستدامة.

يتناول البحث أولاً في البداية تُعرف الأصولَ الفقهيةَ لفقه البيئة، حيث يُعرَّفُ مفهومُ "فقه البيئة" و"حفظ الموارد الطبيعية" لغويًّا واصطلاحيًّا، مستعرضًا دلالاتِ كلمةِ "بيئة" في القرآن والسنة، ثم

يستنبط مقاصد الشريعة المتعلقة بحماية الماء والهواء والتربة والطاقة والحياة النباتية والحيوانية، ويرتّبها اصطلاحياً تحت مقاصد حفظ المال والنفس والنسل.

وينتقل البحث إلى الآليات التطبيقية؛ ويحدِّد الإطارُ الفقهيّ للاستثمار الوقفيّ الأخضر، عبر ضوابطِ الغرض الأصلي للوقف، وضمان الانتفاع الدائم من الموارد دون استنزافها، وتحقيق العدل في توزيع المنافع، مع اشتراط الشفافية والرقابة الشرعية.

وبعدها يؤصلُ المشروعَ فقهيًّا ويبيّنُ آليات التطبيق، بدءًا من تشكيل هيئاتٍ شرعيةٍ وفنية، ومرورًا بالتقييم البيئي الشرعي لاختيار أفضل تقنيات الطاقة النظيفة، وصولًا إلى برامج التوعية المجتمعية بأهمية استدامة الموارد.

ينطلق هذا التمهيدُ من تساؤلاتٍ رئيسيةٍ يجيب عنها البحث:

- كيف تستند الأُصول الفقهية إلى ضمان حفظ الموارد الطبيعية؟
- ما دور مقاصد الشريعة في رسم ضوابط الاستثمار الوقفيّ الأخضر؟
- كيف يمكن للآليات التطبيقية أن تُحقّق التنمية المستدامة في إطار شرعي؟

ويبني البحثُ جسرًا بين الفقه الأصوليّ والتقنيات المعاصرة، مؤكدًا على ضرورةِ تعاون الفقهاء والمتخصصين في البيئة والطاقة، ليواكب الاجتهادُ الفقهيّ مستجداتِ العصر، ويصونَ مقاصدَ الشريعة في عالمٍ بيئيّ ينشدُ التوازنَ بين الإنسان والطبيعة.

الأُصول الفقهية لحفظ الموارد الطبيعية.

تعريف "فقه البيئة" و" مقاصد حفظ الموارد الطبيعية".

أولًا: تعريف فقه البيئة:

تعود كلمة "البيئة" في أصلها اللغوي إلى المادة "بوأ"، وهي مشتقة من "باء" و"أباء" بمعنى الاستقرار والتمركز في المكان؛ فتقول العرب: "تبوَّأ فلان الدار" أي استقرَّ بها وأقام فيها. (شفيقة، ٢٠١٩، ٢٣٢)

وفي استعمالات القرآن الكريم وردت كالتالي:

وردت مشتقات "تَبَوَّأَ" في القرآن الكريم للدلالة على الاستقرار والانتفاع بالمكان، كما في الآيات التالية: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ﴾. (الحشر: ٩) وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ (يوسف: ٥٦) وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٨٧) وقوله تعالى: ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾. (الزمر: ٧٤)

التعريفات الاصطلاحية: عُرفه بانه "المكان بعالمه الطبيعي وملامحه دون التدخل البشري". (تعالبي، ٢٠١٥، ٧)

وعرفه آخرون بأنه "الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويستمد منه أغذيتَه وكسوه ودواءه ومأواه، ويمارس فيه علاقاته الاجتماعية". (نجم، ٢٠٢٠، ٨٣)

وفي مؤتمر ستوكهولم للبيئة البشرية (١٩٧٢م) عُرّف بِ"كل ما يحيط بالإنسان من عناصر حية وغير حية تؤثّر في حياته وسلوكياته" (بشير، ٢٠١١، ٢٠٣).

ثانيًا: مقاصد حفظ الموارد الطبيعية:

مقاصد: جمع "مقصد"، ومأخوذ من الفعل "قصد" بمعنى العزم والاتجاه إلى الشيء (الموسوعة الفقهية، ١٩٨٦، ٨٨)، وحفظ: مصدر يُراد به الوقاية من التلف والضياع والإتلاف؛ فالحفظ لغةً هو الصون والصيانة. (فوال، ٢٠١٧، ١٠٩٦)، والموارد: جمع "مورد"، وهو اسم فاعل من "ورد" بمعنى مكان قدوم الشيء إليه؛ ولذا يُقال: "المورِدُ"— بفتح الواو—أي المنهل أو المنبع الذي يستقَى منه الماء أو العطاء. (بديع، ١٩٩٦، ١٣/ ٩٩).

والتعريف الاصطلاحي: "مقاصد حفظ الموارد الطبيعية" لدى فقه البيئة يقصد به: "الغايات والمرامي الشرعية التي تصبُّ فيها النصوص الفقهية والتنظيمية، وتهدف إلى صيانة النعم الإلهية ومقوّمات الحياة في البيئة من التلف والندرة والإضرار بها، دعماً لاستدامة البقاء البشري والحياة الأحيائية على السواء".(فاضلي، ٢٠٠٩، ١/ ٢٧).

تعليق: تندرج هذه المقاصد ضمن أبعاد مقاصد الشريعة الخمسة، وبالأخص:

حفظ المال (النعم المادية والموارد) بما يشمل الأرض والأنهار والثروات الحيوانية والنباتية.

حفظ النفس من مخاطر الجفاف والتلوث والإجهاد البيئي، حفظ النسل عبر ضمان بيئة صالحة للأجيال القادمة.

وبهذا نكون قد استوفينا اشتقاق المصطلح، ونقلنا مدلولاته القرآنية والحديثية، ثم عرضنا أهم التعريفات الاصطلاحية والعلمية لـ"البيئة" تمهيدًا لاستجلاء أُسس فقه البيئة في الشريعة الإسلامية.

مقاصد الشريعة في حفظ الموارد الطبيعية

ومقاصد الشريعة في حفظ الموارد الطبيعية تفصيليًّا، مقسَّمةً إلى ثلاثة مقاصد رئيسة، مع شرح الأبعاد العقدية والأخلاقية والفقهية لكل مقصد، والاستشهاد بالنصوص القرآنية والحديثية.

١. مقصد حفظ المال

تعريفه: حفظ المال في مقاصد الشريعة يشمل صيانة جميع الثروات والموارد التي تستنبط منها المنافع المادية للأفراد والأمم، ويُعدُّ ضمان استمرار هذه الثروات دون تلفٍ أو استنزافٍ غير مشروع من الأهداف الجوهرية للفقه الإسلامي (سعد، ١٩٩٩، ٨٣).

الأدلّة الشرعية:

حديث الغرس فقد ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " ما من مسلمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أو يَزْرَعُ زَرْعًا فيَأْكُلُ منه طيرٌ ولا إنسانٌ إلا كان له به صدقةً" (صحيح البخاري، ٢٣٢٠، صحيح مسلم، ١٥٥٣).

يُستنتج من هذا الحديث تشجيعٌ صريحٌ على الاستثمار في الأرض من خلال الغرس والزراعة؛ إذ إن مستفلح الأرض لا يحقق منفعة فحسب للإنسان (القرضاوي، ٢٠١٠، ١/ ٧٣)، بل يشمل جميع الكائنات، ويعود بالأجر على فاعله ما دام العطاء مستمراً، وهو تأكيدٌ على اعتبار الموارد الطبيعية حقّاً عاماً يتقاسمه الإنسان والحيوان والجماد (موسى، ٢٠١٧، ١/ ١٤٥).

حديث إماطة الأذي فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " لقد أُرِيتُ رجلًا يتقلَّبُ في الجنَّةِ في شَجَرةٍ قطعَها مِنْ ظَهْرِ الطريقِ، كانت تُؤذِي المسلِمينَ" (البخاري، ٦٥٢ ومسلم، ١٩١٤).

تعليق: أثر هذا الأثر الفقهي والتطبيقي:

أولًا: تنظيم استثمار الأوقاف والأراضي الزراعية بآليات فقهية تحدد نسب العوائد ومواضع الري والتسميد، لضمان استمرار الإنتاج.

ثانيًا: إقرار مبدأ المنفعة العامة للموارد، فيُمنع تخصيصها لمصلحة ضيقة تضرّ بالمجتمع أو تحرم الأجيال القادمة من حقها.

ثالثًا: وضع ضوابط شرعية لمشروعات الطاقة المتجددة والأوقاف الخضراء، بحيث لا تحوَّل هذه المشاريع إلى تجارة بحتة تهدم المقصد الأصلي من حفظ الثروات (أحمد، ٢٠١٠، ٢/ ١٩٣).

٢. مقصد حفظ النفس

تعريفه: حفظ النفس يشتمل على حماية صحة الإنسان وسلامته من الأخطار البيئية التي تهدّد حياته ورفاهيته، فهو يربط بين مراعاة الإنسان لحقوق الكائنات الأخرى وواجبه في المحافظة على صحته النفسية والجسدية (عطية، ٢٠٠٨، ١/ ٢٤).

الأدلّة الشرعية:

آية الربط بين الفساد وسخط السماء والأرض وفيها يقول الله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ (الدخان، ٢٢) وتستمر الآيات إلى قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ (الدخان، ٢٩) فتُحذّر هذه الآية من الفساد والإجرام بأنّه لا يمرّ دون حساب؛ فالسماء والأرض، وهما مستودع عطايا الله وهما البيئة المحيطة بالإنسان يتفاعلان مع أمر الله ومع العباد المطيعين بالدعاء والبكاء لفراقهم عكس المجرمين المفسدين.

وكذلك آية مدح عباد الرحمن في التواضع في الأرض وحسن عمارتها ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (الفرقان: ٦٣) وهذا الوصف الإلهي يقرن بين سلوك الفرد في التنقل في أرض الله وحسن عمارتها واحترامه لمقدراتها.

أثر الآيات القرآنية الفقهي والتطبيقي:

أولًا: حظر الممارسات الملوّثة للهواء والماء (كالحرق العشوائي للنفايات أو التصريف غير المعالج للمياه الصرف).

ثانيًا: إلزام المنشآت الصناعية والزراعية باتباع معايير صحية وبيئية (مثل استخدام تقنيات تنقية المياه وإعادة التدوير).

ثالثًا: تعزيز تعليم الإنسان أخلاقيات البيئة وربط السلوك البيئي بمكاسب في الدنيا والآخرة، بما يرفع من قيمة الوعي البيئي كجزء من العبادة.

٣. مقصد حفظ النسل

تعريفه: حفظ النسل يعني ضمان أن ينعم الأجيال القادمة ببيئة صالحة توفر لهم حاجاتهم الأساسية من موارد طبيعية وزراعية ومائية، ويجنّبهم مشاق الجفاف والتلوث والتصحّر (عودة، ٢٠١٢، ١/ ٧٣).

الأدلّة الشرعية:

آية إنزال الماء وإحياء الأرض: ﴿أَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (سبأ: ١٠) والربط هنا بين رحمة الله وإنبات الأرض يذكّر الإنسان بأنّ دوره في حفظ الموارد يتعدّى حاجاته الذاتية إلى رعاية نعمة تتجدد للأجيال، فلا يحصر انتفاعه في اللحظة الآنية.

وكذلك حديث شهادة الكائنات لصوت المؤذن فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "لا يسمع صوت المؤذن جنٌّ ولا إنسٌ ولا حجرٌ ولا شجرٌ إلا شهد له يوم القيامة" (البخاري، ٨٧٠) وإن كانت المناسبة أصلاً عن التكريم لصوت الأذان، فإنّ ذكر الحجر والشجر يدلّ أنّ جميع الكائنات حيةٌ في سجلّ الكون لها حقٌ في أن تُحفظ مواردها وتُراعى حقوقها، وفي هذه إشارة إلى أن للأجيال القادمة حقّاً تطالبهم به في صيانة بيئتهم.

تعليق: أثره النصوص الفقهي والتطبيقي:

أولًا: وضع خطط عمرانية وزراعية طويلة الأمد تأخذ في الاعتبار تجدد المياه والتربة، وتمنع الإسراف في السدود والحفر العشوائي.

ثانيًا: تشجيع مشاريع الوقف الأخضر التي تضمن استمرار النقد والاستثمار البيئي لخدمة المجتمع المستدام.

ثالثًا: ترسيخ مبدأ العهد للأجيال القادمة في الفتاوى والقوانين، باعتباره من أصول الشريعة التي لا تُخالف الأصل في حق الورثة والأنساب.

خلاصة: بهذه التقسيمات المقاصدية الثلاثة – حفظ المال، وحفظ النفس، وحفظ النسل – يتجلّى عمق اهتمام الشريعة بحفظ الموارد الطبيعية عبر النصوص التشريعية والتوجيهية، وقد أسهمت الأحاديث والآيات في بناء فلسفة فقهية متكاملة تُغنّي السلوك البشري بالبعد العقدي والأخلاقي والتطبيقي، لتكون "فقه البيئة" منهجًا عمرانيًّا وروحيًّا يربط بين الإنسان وخالقه.

الآليات التطبيقية لمشاريع الأوقاف البيئية والطاقة المتجددة

الضو ابط الفقهية لمشاريع الأوقاف البيئية

تقوم المشاريع الوقفية البيئية على مبدأ انتفاع الأوقاف بنفع دائم مستقرّ، دون الإخلال بجوهر الوقف وثوابته الشرعية، ولذلك يجب استيفاء مجموعة من الضوابط الفقهية قبل الإقدام على إنشائها أو اعتمادها:

أولًا: تحقيق مقصود الوقف الأصلي

لا يجوز أن يغلب الجانب البيئي أو الاقتصادي على الغاية الأصلية التي أنشئ الوقف من أجلها، فإذا كان الوقف قد وُجد لغرض عبادي أو اجتماعي – كالمدارس أو المستشفيات – فينبغي ربط المشروع

البيئي بضمان استمرار هذه الخدمة، فإذا أُنشئ وقفٌ لتوزيع المياه على القرى، فيجوز تركيب طاقة شمسية لتشغيل مضخاتها، لكن بشرط ألا يحول ذلك دون وصول المياه إلى المستحقين دون زيادة سعر أو استقطاع من قيمة الوقف. (صبحي، ٢٠٠٨، ١٤٢)

ثانيًا: الانتفاع الدائم وعدم الاستنزاف

يشترط في الاستثمار الوقفي البيئي أن يكون معدولاً مستداماً، فلا يجمّع الإيرادات دفعة واحدة تُستنزف في سنوات قصيرة، بل يُراعى تركيب أنظمة إنتاجية (كالأشجار المثمرة أو الألواح الشمسية) تدرّ دخلاً ثابتاً طوال عمر أصل الوقف، ويستمد هذا المعيار من القاعدة الأصولية الثابتة "لا ضرر ولا ضرار"، فلا يجوز شطب أصل الوقف أو التصرف في أصوله إلى حد يُعرض بقاءه للخطر (الأفندي، ٢٠٢٠، ١/ ١٧٨).

ثالثًا: العدالة في توزيع المنافع

تعريف الوقف يرتبط بالعدالة بين جميع المستفيدين، فلا يجوز توجيه الجزء الأكبر من عوائد المشروع إلى جهة دون أخرى، فمثلاً إن أُنشئ وقفٌ بيئي لتوليد الكهرباء وإيراد بيعها لحساب الوقف، فيُراعى أن تُخصَّص نسبة من هذه العوائد لخدمة الجيران المتضررين أو للمشاريع الاجتماعية الموازية، تحقيقاً للقاعدة الأصولية "المصلحة المرسلة" (المغربي، ٢٠١٩، ١٢١).

تعليق: يستند الفقه الوقفي المعاصر إلى مقاصد الشريعة في حفظ المال والنفس والنسل، فتبرز أهمية توظيف الابتكار ما دام يتفق مع الضوابط الشرعية، ويسهم في خفض استنزاف الموارد وتأمين مستقبل الأجيال بالبيئة السليمة، وبهذه الضوابط الفقهية تكتمل الآليات التطبيقية لمشروعات الأوقاف البيئية، بحيث تكون مُسخَّرة لخدمة الإنسان دون الإخلال بأصول الوقف وأهدافه الشرعية، مع ضمان دوام المنافع وحفظ الموارد لخدمة الأجيال الحاضرة والمقبلة

التأصيل الفقهي وآليات تطبيقه في مشاريع الطاقة المتجددة

تنطلق آليات تطبيق مشاريع الأوقاف البيئية والطاقة المتجددة من الرؤية الفقهية الشاملة التي استعرضناها في مباحثنا السابقة؛ فبعد أن بينا مقاصد الشريعة في حفظ المال والنفس والنسل، وبيَّنا الضرورة العقدية والأخلاقية لـ"عمارة الأرض" مع مراعاة "المصلحة المرسلة"، يتجلّى التطبيق العملي لهذه المقاصد في خطوات متكاملة:

أولاً: التأصيل الفقهي للمشروع

يبدأ بإقرار هيئة استشارية تضم فقهاء متخصصين في أصول الفقه والاقتصاد الإسلامي وخبراء بيئة وتقني طاقة، وهذه الهيئة هي الجهة المخول لها دراسة أصول الوقف الأصلي؛ فتُحدد ما إذا كان الوقف قائمًا على غرض عبادي أو اجتماعي، ثم تضع ضوابطٍ لضمان تحقيق هذا الغرض.

فإذا كان الوقف موجّهًا لبناء مستشفى أو مدرسة، فيُراعى أن عوائد الوقف من بيع الكهرباء الناتجة عن الألواح الشمسية تظلُّ مخصصةً لدعم هذه الخدمات دون تغيير جوهري في مقتضى الوقف (الأسرج، ٢٠١٩)

ثانياً: صياغة العقود الاستثمارية

يجب أن ترجح مبدأ المحافظة على أصل الوقف وتوزيع عوائده بما يتناسب مع أحكام الفقه الإسلامي، وقد يقترن ذلك بصيغٍ مثل "المضاربة الوقفية"، حيث يمول الوقف تركيب الألواح أو التوربينات، ويتقاسم الشريك التقني الربح مع إدارة الوقف بنسبة محددة مسبقًا، مع الحفاظ على رأس المال الوقفي وعدم التصرف فيه، ويستلهم هذا التوزيع الصيغة النبوية التي تربط بين استثمار الزارع ورغيف الخبز الذي يأكله إنسان أو طير أو بهيمة ليكون صدقةً مستمرةً على فاعله.

ثالثاً: التقييم الوقفي الشرعي

قبل التنفيذ يعتبر ركيزةً أساسيةً؛ فيُجرى مسح للأرض لتحديد ملاءمتها للطاقة الشمسية أو الريحية، مع مراعاة ألا تُقام التوربينات أو الألواح في مواقع تُعيق حركة الناس أو تؤذيهم. هذا المبدأ تحفّزه سنّة النبي ﷺ التي حرّمت قطع الشجرة في ظهر الطريق لما فيه من ضرر بالمارة، فيتجنّب المستثمرون أي موقع يضرُّ بالسكان أو الحياة الفطرية (الخصاف، ١٩٩٩، ١٨).

وأخيرًا لا يكمل مشروع الطاقة المتجددة دون عنصر التوعية المجتمعية، إذ يُنظّم الوقف ورش عمل ومحاضرات للتعريف بمقاصد الشريعة في حفظ المال والنفس والنسل، وبأثر الطاقة النظيفة على مكافحة التلوث وضمان مستقبلٍ أفضل للأجيال القادمة عملًا بمقصد حفظ النسل الإسلامي الفقهي الأصيل (الخالدي، ٢٠١٢، ١/ ٩٢).

فيما يلي جدول يُلخِّص "التأصيل الفقهي وآليات التطبيق في مشاريع الطاقة المتجددة":

البند	المحاور الفرعية	الوصف
١. الأدلة والقواعد الفقهية	قاعدة عمارة الأرض قاعدة لا ضرر ولا ضرار قاعدة المصلحة المرسلة	استدلال بحديث "إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فليغرسها" لعمارة الأرض تجنّب تلوّث الموارد عبر الطاقة النظيفة، ودعم المشروع إذا جلب مصلحة عامة دون تعارض شرعي
٢. آليات الفتوى والتخطيط الشرعي	تشكيل هيئة شرعية استشارية، وصياغة عقود "مضاربة وقفية"	فقهاء ومتخصصون يفحصون عقود الشراكة ويضمنون خلوها من الربا والغرر. تمويل الوقف واحتساب نسب الشريك التقني مع حفظ أصل الوقف.
٣. آليات التطبيق الميداني	التقييم البيئي الشرعي التقنية والتشغيل التوزيع والإنفاق	تجنّب إقامة المحطات في مواقع ضارة بيئيًا. اختيار أنظمة عالية الكفاءة وشبكات بطاريات ملائمة لحجم الوقف. توجيه الإيرادات لأغراض الوقف الأصلية دون انحراف.
٤. ضمان الاستدامة والرقابة	التجديد الدوري للعقد الرقابة الشرعية والمالية	لجنة مختصة تتابع الدفاتر والعقود وتقارير سنوية للوقف. ورش وجلسات لرفع الوعي بأهمية الطاقة المتجددة.

الاستنتاجات

- يتبيّن من هذه الدراسة أنّ التخصّص الفقهي في قضايا البيئة والاستدامة يتطلّب اجتهادات جديدة، لتؤسّس لقواعد فقهية صالحة لحفظ الموارد الطبيعية في ضوء مقاصد الشريعة، كالسياسة الوقفية الخضراء التي تراعى عمر الوقف وأصوله، ويبقى من الضروري قيام هيئة فقهية متخصصة تجمع فقهاء الأصول والفقهاء البيئيين وخبراء الموارد الطبيعية.
- أظهرت الدراسة أنّ توظيف التقنيات البيئية كشبكات الريّ الذكية وأنظمة تخزين الطاقة وعمليات إعادة التدوير يمثل أدوات فقهية تطبيقية قادرة على صون الموارد المائية والتربة وتقليل الانبعاثات الضارة، ومع إنشاء حلقات مراقبة فقهية–فنية دورية لتقييم الأداء البيئي يمكن ضمان استمرارية المنافع ودرء المفاسد قبل وقوعها.
- لا يكفي اعتماد الفتاوى والضوابط الفقهية فحسب؛ بل ينبغي وضع برامج تدريبية دورية للقائمين على الأوقاف والمستثمرين والشرائح المجتمعية، بالإضافة إلى إصدار دليل إرشادي معتمد يضمّ نماذج عقود "مضاربة وقفية بيئية" وعقود "إجارة تقنيات متجددة"، يوضّح حالات الاستثمار المباحة والمحظورة، وكيفية الرجوع إلى النصّ الشرعي عند مواجهة مستجدّات تقنية أو بيئية جديدة.

التوصيات

- تأسيس هيئة فقهية بيئية متخصصة تضم فقهاء الأصول والفروع وخبراء البيئة والطاقة.
- إعداد دليل إرشادي موحد لمشاريع الأوقاف البيئية والطاقة المتجددة يتضمن نماذج عقود واستدلالات شرعية.
- وضع إطار تشريعي وقانوني داعم بالتنسيق مع الجهات الحكومية لتسهيل إصدار الرخص البيئية والفنية.
- تبني آليات مراقبة وتقييم دورية عبر لجنة رقابية شرعية–فنية مع إعداد تقارير شفافة كل خمس سنوات.
- دمج مفاهيم "فقه البيئة" في المناهج الشرعية والفقهية في الكليات ومراكز التدريب.
- إطلاق برامج تأهيل وتدريب للأئمة والقائمين على الأوقاف حول ضوابط "الأوقاف الخضراء".
- تعزيز التعاون الأكاديمي–التقني–المجتمعي عبر عقد مؤتمرات وندوات دورية مشتركة.
- تشجيع الابتكار والتمويل الإسلامي المستدام من خلال صكوك خضراء وصناديق استثمارية وقف.
- إقامة مشاريع نموذجية وقفية–بيئية (زراعية شمسية وريحية) كنماذج تعليمية ومرجعية.

الخاتمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياءِ والمرسلين نبينا محمدٍ الأمين، وفي ختام هذا البحث الذي تناول فقهَ البيئة ومقاصد الشريعة في حفظ الموارد الطبيعية، تجلّت مكانة مقاصد

الشريعة الخمسة في رسم خارطةٍ شاملة لحفظ المال والنفس والنسل والعقل والدين عبر صون النعم الإلهية وصيانتها من الإتلاف والإسراف.

لقد انطلقنا من الأصول الفقهية للبيئة، مستعرضين الدلالات اللغوية والشرعية لمصطلح "البيئة" ومقاصد حفظ الموارد الطبيعية، مستندين في ذلك إلى نصوص القرآن والسنة التي تحذّر من الفساد والإفساد وتثني على من يعمر الأرض ويغرس الغراس من أجل الصدقة المستمرة.

ثم انتقلنا إلى الآليات التطبيقية، حيث حددنا ضوابطٍ فقهية واضحة لمشاريع الأوقاف البيئية، تُراعي أصالة الوقف واستدامة أصوله، وتضمن عدالة توزيع المنافع واستمرارية الدخل، قبل أن نؤصّل مبادرات الطاقة المتجددة في ضوء قواعد "عمارة الأرض" و "لا ضرر ولا ضرار" و"المصلحة المرسلة".

ويظهر من هذا المسار التكامُلُ بين البعد العقدي والأخلاقي، الذي يحضّ على الحرص في التعامل مع الطبيعة، وبين البعد التشريعي، الذي يضع ضوابط للاستثمار والتصرف في الموارد، وبين البعد التقني، الذي يستفيد من الابتكارات الخضراء لضمان استدامة المنافع.

ومن هنا تبرز الحاجةُ الملحّة إلى تأسيس هيئةٍ فقهيةٍ متخصصةٍ بفقه البيئة والاستدامة، تضمُّ فقهاء الأصول والفروع وخبراء البيئة والطاقة، ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا البحث نقطةَ انطلاقٍ لسلسلةٍ من الدراسات المستقبلية التي تعمّق مفهوم "فقه البيئة" وتبتكر مساراتٍ جديدة لترشيد استثمار الموارد، وتحفظ للأجيال القيمَ والنعَم التي وهبها سبحانه، وترسّخ فينا روحَ الإحسان إلى خلقه وحمايةَ الكون من حولنا.

المصادروالمراجع:

١. احمد، عاشور، ٢٠١٠، البيئة في الاسلام تراث ومعاصرة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
٢. الاسرج، حسين، ٢٠١٩، نحو تفعيل دور الوقف الإسلامي لإعمال حقوق الإنسان الاقتصادية والاجتماعية، دار العلا للنشر والتوزيع، القاهرة.
٣. الافندي، محمد، ٢٠٢٠، مقدمة في اقتصاد الوقف الاسلامي، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان.
٤. بديع، اميل، ١٩٩٦، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥. بشير، هشام، ٢٠١١، حماية البيئة في ضوء أحكام القانون الدولي الإنساني، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة.
٦. تعالبي، نوال، ٢٠١٥، الحوكمة البيئية العالمية، مركز الكتاب الأكاديمي، القاهرة.
٧. الخالدي، محمد خليل، ٢٠١٢، التنظيم الاجتماعي في الإسلام: دراسة اجتماعية تحليلية في قواعده البنائية والتنظيمية، دار غيداء للنشر والتوزيع.
٨. الخصاف، احمد، ١٩٩٩، أحكام الأوقاف، دار الكتب العلمية، بيروت.
٩. سعد، محمد، ١٩٩٩، مقاصد الشريعة الإسلامية في حفظ المال وتنميته: دراسة فقهية موازنة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الشرعية.
١٠. شفيقة، مهري، ٢٠١٩، قضايا ورهانات بحثية راهنة، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان.

١١. صبحي، عبد المنعم، ٢٠٠٨، نظام الوقف في الإسلام وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، دار الجامعة الجديدة، القاهرة.

١٢. صحيح الإمام البخاري، د.ت، المطبعة الميمنية، ج١٢، القاهرة.

١٣. صحيح مسلم، ٢٠١٧، باب فضل ازالة الاذى عن الطريق، دار الكتب العلمية، لبنان.

١٤. عطية، جمال الدين، ٢٠٠٨، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، واشنطن.

١٥. عودة، جاسر، ٢٠١٢، مقاصد الشرعية كفلسفة للتشريع الإسلامي رؤية منظومية، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، واشنطن.

١٦. فاضلي، أبو نصر الله، ٢٠٠٩، البيئة من المنظور الشرعي وسبل حمايتها في الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧. فوال، عزيزة، ٢٠١٧، المعجم المفصل في النحو العربي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨. القرضاوي، يوسف، ٢٠١٠، مقاصد الشريعة المتعلقة بالمال، دار الشروق، القاهرة.

١٩. المغربي، محمد الفاتح، ٢٠١٩، اقتصاديات الوقف، دار حميثرا للنشر والترجمة.

٢٠. الموسوعة الفقهية، ١٩٨٦، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، دولة الكويت.

٢١. موسى، محمد، ٢٠١٧، قراءة في الحضارة الإسلامية، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة.

٢٢. نجم، سعدالله، ٢٠٢٠، تلوث بيئة الانسان بالمعادن الثقيلة وطرق المعالجة، دار الكتب العلمية، بيروت.

نشأة وتطور المدن في السودان القديم ٢٥٠٠ق.م- ٣٥٠م: دراسة أثرية لمدن كرمة، نبتة، ومروي

د. فائز حسن عثمان أحمد(•)

المستخلص:

تهتم هذه الدراسة بتقديم تحليل شامل ومنهجي على تطور ثلاث مدن رئيسة في السودان القديم: كرمة (حوالي ٢٥٠٠-١٥٠٠ قبل الميلاد)، ونبتة (حوالي القرن التاسع-القرن الرابع قبل الميلاد)، ومروي (القرن الثالث قبل الميلاد - القرن الرابع الميلادي). تبرز أهمية الدراسة في دراسة التحضر في وادي النيل الأوسط، أن هذه المدن هي نماذج لا بدَّ من معرفة أسباب نشؤها وتطورها. تتمثل مشكلة البحث في السعي لاستيعاب كيفية نشوء وتطور الحواضر في السودان القديم والآليات والعوامل التي أدت إلى ظهور المدن في هذه الفترات، ومدى ارتباطها بالتحولات السياسية، والاقتصادية، والدينية، والبيئية. يعتمد هذا البحث على المنهج الأثري التحليلي المقارن، الذي يجمع بين التحليل الوصفي بوصف البقايا الأثرية المعمارية المكتشفة في مدن كرمة، نبتة، ومروي. والتحليل المقارن: لمقارنة تطور المدن الثلاث في ضوء الفروق الزمنية والسياسية والاقتصادية بينها. خَلُصَ البحث إلى أن ظهور وتطور المدن الثلاثة لم يكن نتيجةً لتقاليد حضرية خارجية، بل نتيجة تفاعل طويل الأمد بين الناس والبيئة المحلية. حيث تطورت كرمة من مستوطنة زراعية إلى عاصمة حضرية بشكل منظم. كانت نبتة بمثابة مدينة دينية ورمزية للسلطة بجانب أنها عاصمة إدارية وممر تجاري من الدرجة الأولى. ارتبط انتقال العاصمة إلى مروي بظروف مناخية مواتية وموارد معدنية وزراعية استثنائية، مما أتاح تنمية صناعية واقتصادية مستقلة. إضافة إلى موقعها الجغرافي في ملتقي الطرق التجارية.

الكلمات المفتاحية: مدن - قديمة - كرمة - نبتة - مروي

المقدمة:

تُمثل المدن القديمة تحولاً نوعياً في التاريخ البشري. فهي ظاهرة اجتماعية واقتصادية انبثقت من فائض زراعي، وارتبطت بطبيعة الموقع الجغرافي واستغلال الموارد، ثم نضجت من خلال دور التنظيم السياسي والديني. وقد أدى تحول القرى المتفرقة إلى مجتمعات حضرية إلى خلق كيانات اجتماعية مترابطة ذات هياكل سياسية مكّنت اقتصادياً من تجاوز الإنتاج الزراعي.

تهتم هذه الدراسة بتقديم تحليل شامل ومنهجي للنمو الحضري للمدن الثلاث المتعلقة بحضارة كوش المبكرة، عبر التركيز على: العلاقة بين الموقع الجغرافي والبيئة الطبيعية. تطور التخطيط العمراني والوظائف المعمارية. النظام الاقتصادي، خاصة النشاط الزراعي والتجاري والصناعي. ظهور البنية الاجتماعية والطبقية والسياسية الداعمة للنمو الحضري.

(•) أستاذ مساعد/ برنامج الآثار- قسم العلوم الاجتماعية بكلية الفنون والعلوم الإنسانية - جامعة جازان

المشكلة البحثية:

تتمثل مشكلة البحث في السعي لاستيعاب كيفية نشوء وتطور الحواضر في السودان القديم من خلال دراسة النماذج الأثرية الممثلة في كرمة، نبتة، ومروي. فعلى الرغم من غزارة الشواهد الأثرية في وادي النيل الأوسط، ما زال هناك غموض حول المؤثرات التي أسهمت في تحول المجتمعات المحلية من تجمعات زراعية أو قبلية إلى مراكز حضرية ذات تنظيم سياسي واقتصادي واضح.

وتبرز الإشكالية في التساؤل عن الآليات والعوامل التي أدت إلى ظهور المدن في هذه الفترات، ومدى ارتباطها بالتحولات السياسية، والاقتصادية، والدينية، والبيئية.

أسئلة البحث:

١. ما المسببات الجغرافية والاقتصادية والسياسية التي أسهمت في نشأة الحواضر في السودان القديم؟

٢. ما مظاهر الترتيب العمراني والإداري التي تميزت بها مدن كرمة، نبتة، ومروي؟

٣. كيف تطورت هذه المدن عبر الفترات الزمنية المختلفة من منتصف الألف الثاني ق.م حتى القرن الرابع الميلادي؟

٤. ما أوجه التشابه والاختلاف بين كرمة ونبتة ومروي من حيث البنية المادية والوظيفة الحضارية؟

٥. ما مدى تأثير العلاقات الإقليمية (خاصة المناطق القريبة) في نشأة وتطور هذه المدن؟

أهداف البحث:

١. تحديد العوامل والعلاقات التي ساهمت في ظهور المراكز الحضرية في السودان القديم.

٢. تحديد التطور العمراني والإداري والاقتصادي لمدن كرمة ونبتة ومروي في فترات زمنية مختلفة.

٣. إبراز دور البيئة والنظام السياسي في تطور الأنماط الحضرية.

٤. توضيح الخصائص المشتركة والمتميزة في المدن الثلاث.

٥. إلقاء المزيد من الضوء لتاريخ التحضر في وادي النيل الأوسط من منظور أثري.

فرضيات البحث:

١. نشأة المدن في السودان القديم كانت نتيجة تفاعل بين عوامل بيئية (موقع النيل وخصوبة الأراضي) وعوامل سياسية (قيام الممالك المحلية)، وعوامل محلية تتمثل في دور المحيط المحلي حولها والعلاقة بينها وبين المدن القديمة.

٢. شهدت المدن الثلاث مراحل متباينة من النمو تعكس تطور التنظيم السياسي والاقتصادي في المنطقة.

٣. العلاقات مع المراكز الحضرية المجاورة كان لها أثر مباشر في تطور العمارة والنظام الإداري في المدن القديمة.

منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الأثري التحليلي المقارن، الذي يجمع بين التحليل الوصفي بوصف البقايا الأثرية المعمارية المكتشفة في مدن كرمة، نبتة، ومروي. والتحليل المقارن: لمقارنة تطور المدن الثلاث في ضوء الفروق الزمنية والسياسية والاقتصادية بينها.

مفهوم المدينة القديمة وسماتها الأساسية:

شكّلت المدينة في العصور القديمة ركيزة أساسية في تشكّل الحضارة الإنسانية، إذ نشأت كنتيجة مباشرة لتراكمات اقتصادية وتنظيمية وثقافية. من هذا المنطلق، فإن دراسة المدن القديمة بعمق تتيح لنا فهمًا أعمق لتحوّلات المجتمعات الحديثة وبُنى مؤسساتها.

لم تكن المدينة القديمة مجرد موقع جغرافي أو تجمّع سكني تقليدي، بل كانت انعكاسًا لحضارات متجذّرة، ونسيجًا حيًّا من القيم والعادات الاجتماعية والمعمارية التي ترسّخت عبر الزمن. لذا، تُعدّ هذه المدن بمثابة ذاكرة نابضة للتاريخ الإنساني، تعكس أنماط العيش والعمل والتنظيم المجتمعي في الأزمنة الغابرة.

وقد تعددت تعريفات المدينة القديمة حسب الخلفيات الأكاديمية. فعلى سبيل المثال، يعرّف المعماري حسن فتحي المدينة القديمة بأنها "تركيبة عمرانية نشأت بشكل عضوي، نتاج تفاعل الإنسان مع محيطه البيئي والاجتماعي عبر الزمن" (فتحي، ١٩٨٤. ٤٢).

أما Trigger فيميّز المدينة القديمة عن القرى والمستوطنات بأنها "كيان يحتوي على عدد كبير من الوحدات المتخصصة التي تنسجم مع بنية مجتمعية معقدة، تشمل المعابد، المراكز الإدارية، مساكن النخبة، ورش الحرفيين، والمرافق الدفاعية" (Trigger,2003.92-93). أي أن المدينة القديمة لا تُعَد كذلك إلا عندما تتكامل فيها وظائف متعددة في موقع واحد، مما يميزها عن التجمّعات الأصغر.

فيما يرى Mumford أن المدينة القديمة كانت في بداياتها مركزًا روحانيًا واجتماعيًا جذب البشر لأداء طقوسهم ومراسمهم، ثم تطوّرت إلى كيان معماري دائم يحتوي على مؤسسات تعكس نُظم المجتمع وقيمه (Mumford,1961.64). وهذا يعني أن المدينة القديمة تتجاوز حدود البناء المادي لتصبح تجسيدًا لفكرة رمزية وثقافية شاملة.

ويشير Mumford إلى أربعة دوافع رئيسية أدّت إلى نشوء المدن (Mumford,1961.12-23):

١. الدافع الديني والطقوسي: تأسست بعض المدن حول مواقع مقدسة وقبور ومعالم دينية مثل كهوف الدفن والتلال الرمزية.

٢. الزراعة وتخزين الموارد: مكّنت أدوات التخزين مثل السلال والفخار من استقرار المجتمعات وزيادة إنتاجيتها.

٣. ظهور السلطة السياسية والعسكرية: تحوّل دور الحامي إلى زعامة سياسية ودينية، ما رسّخ مركزية الحكم داخل المدن المحصّنة.

٤. الدواعي الأمنية والاقتصادية والدينية: اجتمع الناس للحماية من الأعداء، ولأداء الطقوس، وللتبادل التجاري.

أما أبرز مميزات المدن القديمة فتشمل (Mumford,1961.34-97):

١. التخصص الطبقي والوظيفي: حيث ضمّت المدينة شرائح مختلفة مثل الكهنة، الجنود، الحرفيين، التجار، وعامة الناس.

٢. المدينة كمركز روحي: بدأت كأماكن ذات طابع روحاني، ثم تطوّرت لتصبح مراكز تنظيمية ومجتمعية.

٣. مركزية السلطة والدين: كانت المعابد والقصور غالبًا في مركز المدينة، ما يدل على أهمية الدين والسياسة.

٤. الانسجام مع الطبيعة: اعتمدت المدن على الموارد المحلية، وبُنيت بما يتوافق مع البيئة والمناخ.

وعليه فإن المدينة القديمة ليست مجرد تجمع عمراني، بل هي بنية معقدة تعكس تنظيماً اجتماعياً ودينياً واقتصادياً، شهدت نشأتها دوافع دينية، دفاعية، زراعية، وتجارية، وتتصف بتعدد الوظائف، والطبقات، والتنظيم الداخلي.

المدينة القديمة في كرمة:

تقع مدينة كرمة في إقليم النيل الأوسط، شمال السودان، على الضفة اليمنى للنيل وعلى بعد ٣٠ كلم جنوب الشلال الثالث وشمال مدينة دنقلا الحالية. نشأت كرمة وازدهرت كعاصمة لدولة كوش الأولى بين عامي ٢٥٠٠ و١٥٠٠ ق.م. وكانت قوة سياسية وثقافية موازية لمصر المعاصرة من حيث التعقيد والحجم، وتمتاز المنطقة بتضاريس سهلية متموجة تحيط بها مرتفعات صخرية، ما وفّر بيئة طبيعية مستقرة شجّعت على الاستقرار البشري منذ عصور ما قبل التاريخ (Welsby,1996.23). ويبدو أن اختيار موقع كرمة للاستيطان جاء بشكل مدروس، حيث اتخذت موقعاً استراتيجياً بين نهر النيل ومناطق المرتفعات، مما أتاح لها حماية طبيعية وسهولة في التحكم بالموارد. وقد أشار بونيه إلى أن هذا التمركز لم يكن عشوائياً، بل يعكس فهماً جيومورفولوجياً متقدماً لدى سكانها الأوائل، الذين استغلوا القنوات المائية القديمة والمصاطب النهرية لتأسيس مستوطناتهم (Bonnet,2006.53).

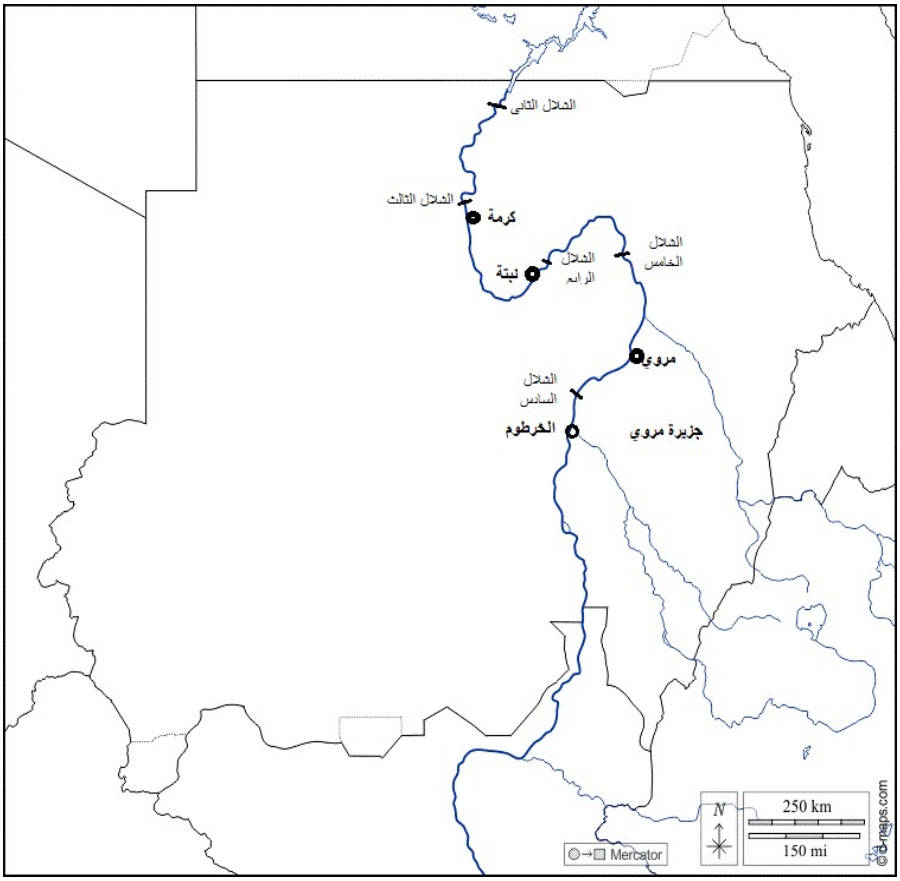

خريطة رقم (١) مو اقع مدن الدراسة عن (google.com) بتصرف

شكّل نهر النيل العنصر الحاسم في نشأة كرمة، فقد وفّرت دورته السنوية فيضانًا خصبًا أسهم في تطوير الزراعة المروية، وكان في الوقت ذاته شرياناً للحركة التجارية والنقل. استغلت المجتمعات الأولى من السكان هذا النمط الهيدرولوجي لإنشاء أنظمة ري بدائية دعمت استقراراً طويل الأمد للسكان (Trigger,1965.37). ولم يكن النيل مجرد مورد بيئي، بل كان قناة حيوية لتبادل السلع والأفكار، الأمر الذي مكّن كرمة من أن تصبح حلقة وصل استراتيجية في التجارة بين مصر وإفريقيا الاستوائية. ونتيجة لذلك، تطوّر اقتصاد تبادلي شمل الذهب والعاج والنحاس، ما عزز مكانة كرمة كعاصمة سياسية وثقافية ذات ثقل إقليمي (O'Connor,1993.58).

ومن حيث الموارد الطبيعية، تتميز المنطقة بتربة طينية غنية بالمواد العضوية بفعل الرواسب النيلية، ما وفّر أساساً مناسباً لزراعة الحبوب مثل الدخن والقمح. ورغم أن المناخ شبه صحراوي وجاف، إلا أن تعاقب الفصول وتوفر المياه كانا من العوامل المساعدة في تأسيس نمط زراعي موسمي ناجح، (Honegger,2004.32).

كما ساعدت الموارد المحلية في تطوير البنية التحتية للمدينة، حيث استُخدم الطين اللبن في البناء، وتم جلب لأخشاب من ضفاف النيل، بالإضافة إلى استغلال الصخور من المرتفعات المجاورة. يُعتقد

أن هذه المواد استُخدمت في تشييد مبنى الدفوفة، والمعابد، والمقابر، ما أتاح بناء منظومة معمارية متطورة (Bonnet,2000.16). كذلك أسهمت هذه الموارد في ازدهار الصناعات المحلية، لاسيما صناعة الفخار التي تميّزت بها كرمة.

بدأت الاستيطان في كرمة منذ فترة ما قبل كرمة (٣٥٠٠-٢٥٠٠ قبل الميلاد)، ثم تطورت من مستوطنة إلى مدينة كبيرة محصنة بحلول العام ٢٠٠٠ قبل الميلاد. احتوت على قصراً ومعابد ومخازن حبوب وورش لتصنيع الفخار وصهر واستخدام النحاس، يغلب عليها طابع التخطيط الحضري الواضح (Bonnet,2006.14). قام على توزيع المساكن حول مركز ديني/إداري رئيسي تمثل في "الدفوفة الغربية". كما يُعتقد أن نهر النيل لعب دورًا في توجيه أنماط البناء وتنظيم طرق المواصلات الداخلية. أما المقابر، فقد وُضعت في مناطق مرتفعة تجنّباً لخطر المياه في فصل الخريف وفيضان النيل (Reisner,1923.177).

وتشير الأدلة الأثرية إلى أن سكان ما قبل كرمة تمكنوا من التأقلم مع بيئتهم تدريجياً، بتطوير نمط حياة زراعي-رعوي ثابت. أظهرت فحوص التربة والكربون المشع أن مراحل الاستيطان تزامنت مع استقرار نسبي في المناخ (Honegger,2010.4). كما ساعد استقرار المناخ في تحقيق فائض غذائي أسهم في بناء هياكل مجتمعية وظهور سلطة محلية، مهد بدوره لنشوء حضارة كرمة. فالمدينة لم تظهر فجأة، بل جاءت نتيجة تفاعل طويل الأمد بين الإنسان وبيئته ضمن نظام بيئي مستقر نسبياً (Edwards,2004.94).

كانت بداية الاستيطان في المدينة القديمة بكرمة تتمثل في البناء بالأخشاب، وكانت المباني الباكرة في شكل أكواخ دائريه أو مستطيله معروفه منذ فترات ما قبل التاريخ وفي الفترات التاريخية، ثم لاحقاً تم استخدام الطوب اللبن والطوب الأحمر، وكانت المباني الموجودة داخل المدينة صغيرة

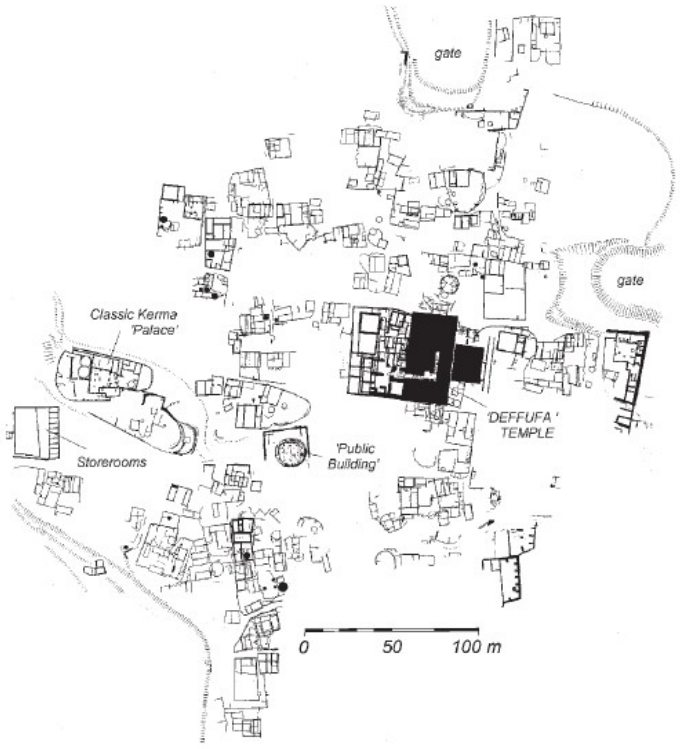

خريطة لمدينة كرمة القديمة عن (Edwards,٢٠٠٤)

والشوارع غير مخططة تأخذ شكل أزقه متعرجة، كما وجدت أيضاً مباني خشبيه مدعمه بالطوب اللبن في شكل أكواخ مستديره أهمها الكوخ الجنوبي الغربي. وقد استمر البناء بالأخشاب حتى نهاية فترة كرمة الكلاسيكية مما يشير الى استمرارية (Bonnet,1982.44).

خلال فترة كرمة القديمة (٢٥٠٠- ٢٠٥٠ قبل الميلاد) تشكلت النواة الأولى لمدينة كرمة أسفل الدفوفة الغربية، حيث بنيت المنازل بالطوب اللبن بشكل غير منتظم، ويبلغ كل جانب ما بين ثلاثة الى أربعة أمتار، وسمك الحائط يصل الى ١٨سم وله دعامات جانبية لتقويته، ولا يتعدى ارتفاع الحائط المترين ونصف. ويتألف السقف من جذوع النخيل وجريدة وسعفه، ولقد تم استنتاج بعض النشاطات التي كانت تجري داخل هذه المنازل، وتوجد تعريشة أمامية "راكوبة" ومحل للنار وأماكن لتخزين الطعام في صوامع لها قاعدة صلبة دائرية.

مع مرور الوقت توسعت المدينة وتوسعت معها مساحة الوحدة السكنية وظهور الفناء أو الحوش واستبدال حفر التخزين بالشونة أو " القسيبة" بديلاً للصومعة، وتخصيص مكان لحظيرة المواشي ويحاط الكل بسور متعرج، وتتكون الوحدة السكنية من غرفتين مستطيلتين، أولاهم مخصصة للاستقبال والأخرى محجوبة عن الأنظار وتمثل سكناً للأسرة، وفي بعض الأحيان يشيد سور حاجز

الأبواب ليحجب ما بالداخل، مع استمرار الراكوبة، ومكان تحضير الطعام في الخارج قريباً من فرن صغير مقام في أحد أركان الحوش. (الحاكم، وبونيه، ١٩٩٧. ١٢٤-١٢٧).

كذلك خلال هذه الفترة كان المركز الحضري الأول في كرمة محاطاً بسور للحماية، حيث تم الكشف عن أسوار ضخمة مبنية من الطوب اللبن يحيط بها خندق يصل عمقه الي ٦ أمتار تحت سطح الأرض (Bonnet,1990.88).

في فترة كرمة الوسيطة (٢٠٥٠- ١٧٥٠ قبل الميلاد) توسعت الوحدات السكنية، حيث أصبحت الغرفتان منفصلتان تماماً، بينهما فناء داخلي يحدده سور محيط، وظهرت دعائم الإسناد السقف "الشعب" على جنبات المداخل. في الفناء الخارجي (الحوش) كانت تمارس نشاطات تحضير الطعام، وممارسة بعض الحرف، وجود مزيرة للمياه في الفناء الخارجي، وأماكن النار حتى داخل الغرف. وكانت الغرف تعطر باستعمال المباخر لحرق اخشاب البخور بالإضافة الى استخدام الزخارف الملونة (Bonnet,1984.7).

عسكرياً، اتخذت المدينة أبعاداً هامة. فقد امتدت الخنادق على طول السور بشكل غير منتظم وتوجد به أبراج نصف دائرية قطرها يتراوح ما بين ٣٠ الى ٥٠ متراً، وكان عمق الخنادق يتراوح ما بين ٣ – ٥ أمتار ويبلغ عرضها ١٠ أمتار (Bonnet,1992.614-615).

شهدت فترة كرمة الكلاسيكية (١٧٥٠- ١٥٨٠ قبل الميلاد) قيام مجتمع طبقي مركب يعيش في مدينة لها كل مقومات المركز، وبشكل عام ظلت بعض المظاهر السكنية قائمة وأضيفت اليها أخرى، فقد عم استخدام الطوب المحروق حيث شيدت به أبراج دائرية غطت جدران مباني أخرى هامة، وشهد المنزل الحلزوني التقليدي تطورا جزريا فغدا الجزءان واسعان وزادت مساحتهما وأدخلت دعائم على السقف من الداخل وانتشرت الأزقة والممرات الطويلة الضيفة وتزايدت أحجام الشونة وقسمت الى جزئين بحائط عريض ووجدت حظائر الحيوانات بين الأحياء وهي من الشوك، ولقد تم تشييد سور شمالي المدينة ربما كان حظيرة لقطعان البهائم أو مزرعة (بونيه والحاكم، ١٩٩٧م).

حدثت تطورات متعددة في تقنية المنشآت العسكرية في هذه الفترة، حيث تم الاهتمام بالمداخل التي تقود الى وسط المبنى وتركت مساحات واسعة كفضاء لحماية الممرات العديدة التي تقود إلى الأبواب الرئيسة، وتم زيادة ارتفاع الأسوار بحيث يسهل مراقبة الدخول والخروج، ونمت الأحياء الجديدة بينما كانت الخنادق القديمة تتلاشي من جراء مخلفات المباني، وشيدت التحصينات العسكرية في الفترة الكلاسيكية ببناء سور بُني أساسه من الحجر الرملي النوبي في الطريق الذي يقود الى الأحياء الشرقية، وفي وقت لاحق بني حائط أمام الاستحكامات بارتفاع أكثر من ثلاثة أمتار مما يوحى بالجهد الذي بذله سكان كرمة في تدعيم مدينتهم وحمايتها. (Bonnet:1993. ii-iii).

كذلك تم العثور على بعد ١٨ كيلومتر من المدينة على موقع عسكري وهو عبارة عن شكل بيضاوي طوله ١٠٦ متر وعرضه ٧٥ متر مبني من الحجر الرملي وسمك حائطه متر، وربما يكون هذا نموذج لأنظمة حماية المنطقة الشرقية (Kendall,1997.51).

استمر الاستيطان في كرمة خلال الفترات اللاحقة حيث تم الكشف عن العديد من المباني ترجع لفترة نبتة (١٠٥٠ – ٥٥٠ قبل الميلاد) مثل منزل وقصر، وورشة لتصنيع الفخار ومعبد في دوكي قيل (Salah Eddien,1999.39-41)، وتقع هذه المواقع في منتصف مدينة كرمة البلد، حوالي ٧٠٠ متر إلى الغرب من الدفوفة الغربية، وأقل من ٢ كلم من ضفة النيل.

مما سبق يتضح أن مدينة كرمة القديمة من حيث الموقع والبيئة: تقع في منطقة خصيبة محمية طبيعيًا، أدى نهر النيل دورًا هامًا في نشأتها اقتصادياً واستيطانياً. اعتمد اقتصادها على الزراعة الدائمة والموسمية، التخزين، التبادل التجاري مع مصر ووسط إفريقيا، وصناعات محلية مثل الفخار والبرونز. وتطورت المدينة عمرانياً من الأكواخ إلى مدينة محصنة مصممة تحتوي على معابد ومخازن وقصور، مع وجود أسوار وخنادق وأبراج تؤكد الطابع العسكري المتقدم للمدينة.

مدينة نبتة القديمة:

تقع نبتة عند سفح جبل البركل جنوبي مدينة كريمة الحالية أسفل الشلال الرابع ضمن ما يُعرف بسهل دنقلا. إن طبوغرافيا سهل دنقلا أو الإقليم الواقع بين الشلالين الرابع والثالث تتلخص في أن المنطقة من الشلال الرابع وحتى نوري مناطق وعرة يصعب الترحال فيها سواء بالبر أو النيل، نسبة لانتشار الصخور والكثبان الرملية، مع ضيق الشريط النيلي الصالح للزراعة.

بعد نوري يجري النيل في منطقة سهلية تعرف جيولوجيا باسم الحجر الرملي النوبي مكوناً سهل دنقلا ذو الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة، والذي به ثلاثة أحواض رئيسية: حوض لتي، حوض السليم، وحوض كرمة. وعند تمبس التي تقع شمال كرمة بحوالي ٣٠ كلم تشكل الصخور الجرانيتية خانقاً آخر للنيل مكونة الشلال الثالث.

أولى الإشارات لوجود مدينة تسمى نبتة عند جبل البركل كان في فترة الأسرة المصرية الثامنة عشر(١٥٥٠ - ١٢٩٢ ق.م) حيث ذكر أمنحوتب الثاني أنه شنق أميراً سورياً وعلقه علي حيطان مدينة نبتة (Riesner,1921.64) كما ورد اسم مدينة نبتة أيضاً في نقوش تخص الملك أمينوفيس الثاني (Dixon,1964.121) وعلى الرغم من ذلك اختلفت آراء الباحثين حول نبتة وموقعها وما إذا كانت مدينة أو إقليم، فرايزنر يرى أن نبتة هي مدينة تقع على إحدى ضفتي النيل في المنطقة الواقعة بين نوري والكرو، وأن الضفة اليمنى هي المكان الأفضل لإطلاق اسم نبتة عليه عند جبل البركل (Reisner,1917a.25). ويرى "دنهام" أن نبتة التي قامت في بداية مملكة كوش ارتبطت بالمركز الديني العظيم المختص بعبادة آمون أسفل جبل البركل، بالقرب من الامتداد الحديث المدينة كريمة (Dunham,1950.5).

ويرى أركل أن نبتة تقع في نهاية سهل دنقلا من الجنوب أسفل الشلال الرابع، وهي إقليم أكثر من كونها مدينة، ويشمل هذا الإقليم جبل البركل، نوري، الكرو، وصنم (Arlell,1961.110). كما وصفها Welsby نبتة بأنها "مركز ديني وطقوسي، لا كمدينة مدنية مكتظة بالسكان، بل كموقع يحتضن المعابد الملكية" " (Welsby,1996.70)، بينما يصف Török نبتة بأنها لا تقتصر على الموقع العمراني، بل تشير إلى كيان سياسي-ثقافي واسع خلال الفترة ٧٥٠–٢٧٠ ق.م (Török, 1997.61). يرى أن

استخدام مصطلح "Napata" في المؤلفات الحديثة يتطلب الحذر لأنه يشير إلى ثلاثة مستويات مختلفة: المدينة، الإقليم السياسي، والفترة الثقافية. (Ibid.59-60).

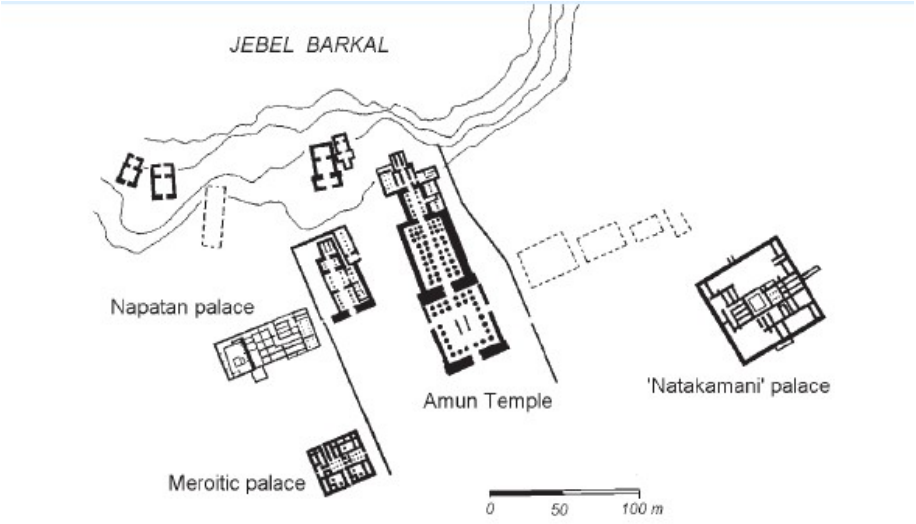

خريطة لمعابد مدينة نبتة عن (Edwards,٢٠٠٤)

يرجع تاريخ الاستيطان البشري في نبتة وجبل البركل إلى فترة حضارة كرمة الكلاسيكية (١٧٥٠- ١٥٨٠ قبل الميلاد) حيث عثر على فخار هذه الفترة متناثراً على سطح الموقع، كما تم العثور على فخار يعود تاريخه إلى العصر الحجري الحديث وفترة ما قبل كرمة، وفترة كرمة قد تمَّ الكشف عنه في سطح الموقع، مما يشير إلى أن الموقع لا بدَّ وانه كان مأهولاً على الأقل منذ الألفية الرابعة قبل الميلاد (Kendall,1990.1). كما تمّ الكشف في قمة جبل البركل عن الآلاف من الرقائق الحجرية المهشمة، والمصنوعة من نوع حجارة لا يمكن الحصول عليها إلا من سطح الصحراء، مما يشير إلى أن هناك أناساً جلبوا الحجارة إلى القمة لتصنيعها، وهو نشاط قد يحتوي على دافع ديني. بالمثل فإن التشابه بين المعابد في البركل في المرحلتين المصرية والكوشية، قد يشير إلى وجود علاقة طقسية في الفترة التي سبقت وصول المصريين إلى جبل البركل.

وخلال فترة المملكة الحديثة اكتسبت نبتة وجبل البركل أهمية خاصة، حيث بدأت قدسية الموقع تتضح، حيث سجلت نصوص الملكين تحتمس الأول وتحتمس الثاني أول اسم لجبل البركل وهو ٣Wpt-t، وبحلول فترة تحتمس الثالث (1490 - 1436 ق.م تقريباً) حضر المصريون للإقامة في الجبل رسمياً وسموه الجبل المقدس وقد أطلق عليه تحتمس الثالث (مقر الإله آمون عرشي الأرضيين) (Reisner,1931.76-100)، وأضاف سيتي الأول شكل الكوبرا لهذا الاسم. وقد شكلت مجتمعات المعابد والمراكز الإدارية التي شكلتها المملكة الحديثة مراكز سياسية حيث أنشئت في المناطق المأهولة بالسكان، وبمجرد إنشائها تجمع السكان المحليين والمصريين حولها مما أفرز نمطاً استيطانياً جديداً في النوبة وهو ما يعرف بمدن المعبد Temple-Towns.

من الثابت أن نبته وظفت لتكون موقع حماية الحدود الجنوبية، وفي نفس الوقت معبراً رئيساً لنقل البضائع من وإلى أواسط السودان، وفي نفس الوقت اكتسبت أهميتها الحقيقية من جبل البركل الذي ارتبط بعرش الأرضيين وكمقر للإله آمون، ومع ذلك فانه ليس لدينا الكثير من المعلومات عن مدينة نبته خلال فترة الأسرة XVIII ، لكن من الواضح انه بحلول فترة الأسرة XX بدأت نبته تزدهر على حساب بقية المدن الأخرى، حيث تمت توسعة معبد آمون الكبير ونقلت له العديد من التماثيل من معابد أخرى خاصة معبد أمنحتب الثالث في صولب (Reisner,1917b.221-227).

خلال فترة مملكة نبتة نجد أن أولى النشاطات المعمارية النبتية هي بناء معبد ثانوي في جبل البركل أو المجمع الذي يطلق عليه B.800 و B.900 الذي بناه كاشتا ثم استمر العمل فيه خلال الفترات اللاحقة وقد بنى من الطوب الأخضر، كما شهدت فترة الأسرة XXV بناء العديد من المعابد في النوبة أهمها معبد آمون الكبير في جبل البركل B.500 الذي يعد بمثابة المعبد الديني الرئيس لمملكة نبتة.

وعليه نجد أن مدينة نبتة القديمة كانت مركزاً سياسياً ودينياً لأداء الشعائر والطقوس ارتبطت بجبل البركل وعبادة آمون، منذ فترة الاحتلال المصري في عهد المملكة المصرية الحديثة واستمرت حتى نهاية مملكة مروي. يعتقد بعض الباحثون في كونها مدينة، وآخرون يعدونها إقليماً سياسياً ودينياً متعدد المدن، رغم ورود كلمة مدينة في عدد من النصوص القديمة المكتوبة. ضمت معابد كبرى مثل معبد آمون B.500 ومجموعة B.800-B.900، وكان تمركزًا لنقل السلطة والشرعية الدينية.

كشفت الأبحاث الأثرية الحديثة عن طريق الرادار المخترق للأرض عن وجود مركز سكني يتميز بالكثافة في المنطقة الواقعة بين القصر النبتي ومنطقة المعابد أمكن تأريخها للفترة من ٧٠٠-٦٠٠ قبل الميلاد، (Emberling,et.al.2024.73-74). بالإضافة أدلة استيطانية ترجع للفترة المروية ترجع للفترة من ٢٥٠قبل الميلاد إلى ١٠٠ م.

مدينة مروي القديمة:

تقع مروي على الضفة الشرقية لنهر النيل، على بعد حوالي ٢٠٠ كيلومتر شمال الخرطوم، وحوالي ٩٠ كيلومتر من ملتقى نهري عطبرة والنيل (Welsby,1996.21). هذا الموقع وفّر لمروي ميزة التحكم في الطرق التجارية البرية والنهرية، ما ساهم في ازدهارها الاقتصادي والعسكري. لعبت دورًا رئيساً في تاريخ مملكة كوش، خاصةً خلال العصر المروي الذي استمر لحولي سبعة قرون (من القرن الثالث ق.م حتى القرن الرابع م) حيث كانت العاصمة السياسية والدينية لمملكة كوش بعد نبتة، وتمثل ذروة تطور الحضارة الكوشية، حيث ظهرت فيها هوية مستقلة في العمارة، اللغة، والدين (Adams, 1977.103). تظهر الآثار المكتشفة عن مركز حضري محاط بسور يضم العديد من المرافق مثل القصور الملكية، المعابد، الحمامات الملكية، مرافق مدنية متعددة، وورش لصهر وصناعة الحديد والفخار، بالإضافة إلى مدافن لمختلف طبقات المجتمع من عامة ونبلاء وتجار وملوك وأمراء (Welsby,1996.1-6). أظهرت الحفريات تخطيطاً دقيقاً للمدينة ونظام الطرق الذي يربط الأحياء السكنية بالمعابد والمقابر.

يرجع تاريخ الاستيطان في المدينة حسبما دلت عليه الاكتشافات الأثرية إلى القرن السابع قبل الميلاد حيث تم الكشف عن عدد من المدافن في الجبانة الجنوبية تم تأريخها للفترة النبتية. كما عثر على بعض المعالم المعمارية الهامة مثل القصر M٧٥٠ ومعبد حفره "قارستانج" يرجع لفترة القرن السابع قبل الميلاد (Török,1997) كما حفر شيني مباني في الجزء الشرقي من المدينة الملكية تعود أيضاً للفترة النبتية (Shinnie & Bradley.1980) ترجع لبداية الألف الأول قبل الميلاد.

تتكون المدينة من ثلاثة أجزاء: المدينة الملكية المسورة ومعبد آمون الكبير ومساكن العامة، وضم الجزء الأول القصور الملكية والحمام الملكي الذي يعرف أيضاً بالحمام الروماني (Roman Bath) (حاج الزاكي، ٢٠٠٦ .٢٢). أما الجزء الشرقي من المدينة والذي يقع خارج السور فقد برز فيه وملاصقاً للسور معبد الإله آمون، ومساكن العامة والمنطقة الصناعية حيث وجدت أفران صهر الحديد.

أما خارج حرم المدينة وإلى الشرق منها، فقد تناثرت العديد من الآثار منها المعابد وأهمها معبد الشمس، وأكوام كبيرة من نفايات الحديد ومقابر العامة والنبلاء والأمراء واهرامات البجراوية الملكية (حاج الزاكي، ٢٠٠٦م.٢٣).

ويمكن تفصيل بعض من منشآتها على النحو التالي: - (Shinnie, 1967.75-85)

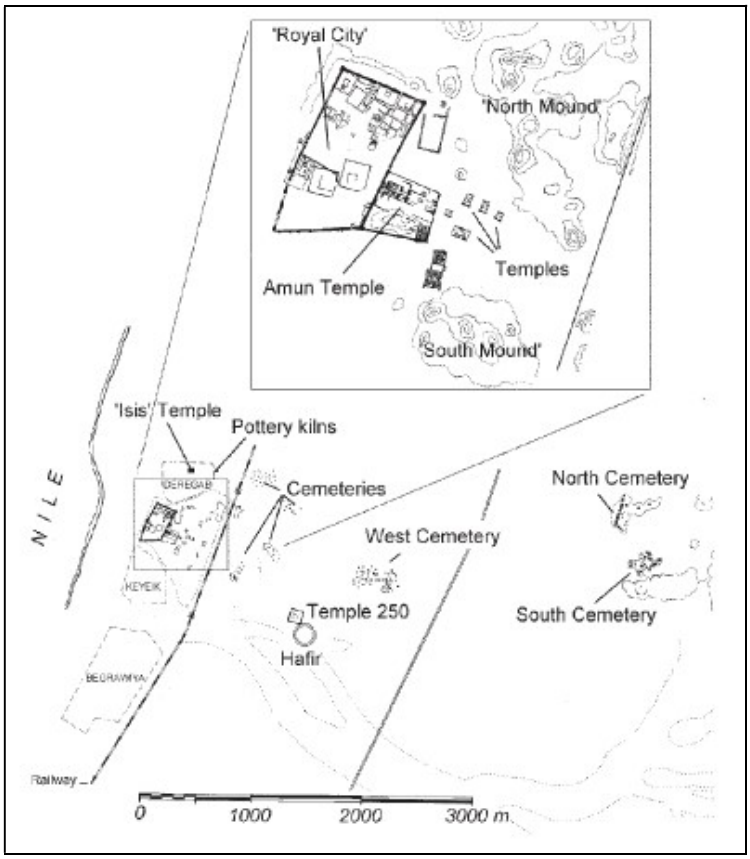

خريطة المدينة الملكية في مروي وما حولها عن (Edwards,٢٠٠٤)

١/ السور: كان قلب مروي محاطًا بسور ضخم من الطوب اللبن يضم العديد من المباني الفاخرة. من أبرزها القصور M٩٥٠ وM٩٩٠ وM٩٩٨، المبنية من الطوب الأحمر على أسس حجرية، والمزخرفة بلوحات جدارية ونقوش بارزة. كانت هذه القصور متعددة الطوابق، وتضم قاعات استقبال، وقاعات عرش، وساحات، وسلالم.

٢/ القصر **M750**: أحد أقدم المباني، يعود تاريخه إلى القرن الثامن قبل الميلاد، ومن المرجح أنه بني في الفترة النبتية ثم أُعيد استخدامه خلال العصر المروي.

٣/ معبد آمون **M٢٦٠**: يتميز هذا المعبد الضخم بطريق للمواكب، مداخل صروحية، وقاعة أعمدة ذات تيجان مطلية ونقوش جدارية بارزة. خضع لإعادة بناء خلال عهدي نتكاماني وأماني توري (حوالي القرن الأول الميلادي)، حيث دمجت فيه الزخارف المروية والفرعونية.

٤/ المعبد **M292:** بُني هذا الحرم وأُعيد بناؤه على مر القرون، ويحتوي على نقوش بارزة رائعة، منها نقوش تُظهر رأس الإمبراطور أغسطس المهزوم - رمزًا لتحدي مروي للسلطة الرومانية.

٥/ معبد إيزيس **M٦٠٠**: كان هذا الهيكل في الأصل مركزًا عباديًا لإيزيس، ثم حُوِّل لاحقًا إلى كنيسة مسيحية في العصور الوسطى. ضمّ تماثيل أرينسنوفيس وسيبيومكر، بالإضافة إلى لوحة تذكارية كبيرة تحمل اسم الملك تريتيقاس.

٦/ المرصد الفلكي **M964:** يقع هذا المرصد تحت الأرض أسفل القصر M٩٥٠، ومن المرجح أنه استُخدم للقياسات الفلكية والهيدرولوجية. ويضم حوضًا عميقًا مبطنًا بالحجر (M٩٥٤)، ومنافذ لتتبع مستوى المياه، وكتابات جدارية تصور أجهزة قياس بعجلات وشخصيات طقسية.

٧/ الحمامات الملكية **M194-M195:** يضم هذا البناء المُتقن التصميم حوضًا مربعًا بمساحة ٧ أمتار، وعمقه مترين، مُحاطًا بأعمدة، ومُزودًا بأنبوب ماء مضغوط. ويُحتمل أنه استُخدم في طقوس التطهير الملكية والاحتفالات الموسمية المرتبطة بفيضان النيل (Edwards,2000).

٨/ مرافق مرتبطة بصناعة الحديد والبنية التحتية الاقتصادية: اعتمد اقتصاد مروي على إنتاج الحديد. وقد كشفت المسوحات الأثرية عن وجود أكوام واسعة من خبث المعادن وأفران صهر، مع تواريخ بالكربون المشع تمتد إلى عام ١٠٠٠ ق.م، وأكد التحليل المعدني استخدام شجر السنط النيلي (Acacia nilotica) للحصول على الفحم وخام الحديد المستخرج من الجبال المحيطة بالمدينة. وتشير أدلة عملية صهر وتصنيع الحديد إلى سيطرة الدولة عليه، مما افرز ظهور طبقة عسكرية ونخبوية قوية.

يُرجَّح أن يكون سبب انتقال عاصمة دولة كوش من نبتة إلى مروي لعدة عوامل بيئية تتمثل في هطول الأمطار والبيئة، حيث تقع مروي ضمن منطقة سافانا تتلقى أمطارًا أكثر (حوالي ٣٠٠-٥٠٠ ملم سنويًا). وقد دعم هذا المناخ الزراعة دون الاعتماد كليًا على فيضان النيل، مما سمح بإنتاج غذائي أكثر تنوعًا واستقرارًا (Bradley,1992.104; Wenig,1995.58).

كما أن توفر خام الحديد والموارد الطبيعية اللازمة لصهره وتصنيعه في مروي التي كانت غنية بخام الحديد والأخشاب الصلبة، وهي مواد أساسية لصهر الحديد على نطاق واسع. وتشهد بقايا أكوام

خبث وأفران واسعة النطاق في جميع أنحاء المدينة على دورها كمركز صناعي (Humphris & Rehren, 2014.403). كما أن توافر الوقود (الفحم) وخام الحديد جعل مروي مصدراً هاماً لإنتاج الحديد، الذي أصبح ركيزة أساسية من ركائز الاقتصاد المروي.(Welsby,1996.107). وقد شكّلت صناعة الحديد أساس القوة العسكرية والاستقلال الاقتصادي لمروي. ويُقدّر Humphris و Rehren وجود صناعة معادن منظمة واسعة النطاق، والتي كان يُديرها مسؤولو الدولة، قد منح مروي المرونة الاقتصادية والاستغناء عن الواردات الخارجية (Humphris & Rehren,2014.400-405).

أتاح موقع مروي على طول طرق التجارة عبر الصحراء الكبرى وشرق أفريقيا الوصول إلى السلع الأفريقية الداخلية كالعاج، والأبنوس، والذهب، والرقيق. ومن مروي، امتدت طرق التجارة شرقًا نحو البحر الأحمر وغربًا إلى منطقة الساحل (Wenig,1995.118). مع زيادة هطول الأمطار وروافد الأنهار الموسمية، استخدمت مروي الحفائر (خزانات المياه الاصطناعية) للزراعة على مدار العام. وقد مكّن ذلك من تكثيف إنتاج الحبوب، وربما زراعة القطن (Bradley,1992.59; Edwards, 2004.144).

بالنسبة لمروي من الواضح أن التأثيرات البيئية والاجتماعية والاقتصادية أكسبت النخب السياسية القوة مما ادى لتطور الدولة المبكرة بشكل طبيعي. وهذا بدوره أظهر العديد من السمات التي تبدو مميزة عند مقارنتها بالدول الأخرى في مناطق مختلفة من العالم. وبالتالي يمكننا النظر إلى تطور مروي في ضوء هذه السمات نجدها الأكثر تميزًا بين دول أخرى في أفريقيا (Edwards,1998.177).

لقد كان للمراكز الحضرية المتاخمة لمروي دور كبير في نهضتها وتطورها مثل موقع الحماداب الذي يقع على بُعد حوالي ٣ كيلومترات جنوب مدينة مروي القديمة، ويعتبر تابعاً للمجال الحضري والثقافي لمروي، حيث كشفت الحفريات عن مستوطنة مروية محصنة ذات طابع حضري، إضافة إلى ارتباطات دينية وأنشطة صناعية (Ullrich&Wolf,2015.392-395). كشفت المسوحات والتنقيبات الحديثة أن الحماداب كان مستوطنة وضاحية حضرية وصناعية تابعة لمروي، تضم أحياء سكنية ونشاطات واسعة في مجال صهر الحديد وصناعة المعادن، حيث تم تحديد أفران لصهر الحديد ومكبات خبث مرتبطة بهذه الصناعة.

أما "مويس" فقد كانت مدينة مروية رئيسية قريبة من العاصمة مروي، وارتبط بها عمرانيًا وسياسيًا من خلال القصور الملكية المشابهة، مما يجعلها جزءًا من شبكة المراكز الحضرية التي تدعم العاصمة، حيث تقع مويس يقع ضمن إقليم مروي وعلى ضفاف النيل، ويُعتبر من المدن المروية المهمة التي تشكّل جزءً من الامتداد العمراني للمدينة الملكية مروي (Maillot,2016.180-181). ويعتبر امتداداً للسلطة الملكية والعمران المروي باعتبارها مركزاً إداريًا وسياسيًا مرتبطًا بمروي.

بناءً على ما سبق تقع مروي في منطقة ذات أمطار فصلية وغنية بالحديد والخشب، الأمر الذي جعلها نموذجية لصناعة الحديد والزراعة المستقرة. غدت العاصمة عقب نبتة، وتميّزت بهوية كوشية مستقلة ثقافيًا ولغوياً. تميز باحتكار الدولة لصناعة الحديد، وبالتجارة الواسعة مع إفريقيا الداخلية

والبحر الأحمر شملت المدينة الملكية، معابد (مثل آمون ٢٦٠M)، حمامات ملكية، قاعات عرش، ومنشآت فلكية.

دراسة مقارنة لنشأة وتطور كرمة ونبتة ومروي:

فيما يلي جدول يوضح مقارنة بين المدن الثلاث من حيث أسباب النشأة، الموقع الجغرافي، الموارد الاقتصادية المتاحة، الشكل العمراني، والتأثير الحضاري:

عناصر المقارنة	مدينة كرمة	مدينة نبتة	مدينة مروي
أسباب النشأة	السهول الفيضية الخصبة، والسيطرة على طرق التجارة في نهر النيل، والفائض الزراعي	تعزيز القوة الكوشية، والشرعية المقدسة في جبل البركل، والدفاع الاستراتيجي	البعد عن الأخطار من مصر، والوصول إلى موارد الحديد، والاقتصاد المتنوع
الموقع الجغرافي	على ضفة النيل اليمنى بالقرب من الشلال الثالث، وادي النيل الأوسط	على ضفة النيل اليمنى بالقرب من الشلال الرابع، عند سفح جبل البركل	على ضفة النيل اليمنى بالقرب من الشلال السادس
الموارد الاقتصادية	الزراعة والرعي وتجارة الذهب والعاج والماشية	الزراعة، الجزية، والتجارة النيلية والبرية، واستغلال الذهب	الزراعة، وخام الحديد والمعادن، والتجارة مع أفريقيا والبحر الأبيض المتوسط
الشكل العمراني	مبنى ديني مركزي (الدفوفة الغربية)، مخازن حبوب، مساكن النخبة، ورش حرفيين، مساكن العامة	المعابد والقصور والمجمعات المقدسة في جبل البركل	القصور والمعابد والأهرامات وورش صهر وصناعة الحديد الصناعية
التأثير الثقافي	الهوية المحلية المميزة، والتقاليد الجنائزية، والاستقلال عن مصر	التقاليد الكوشية المصرية الهجينة، السلطة الدينية، والسلطة السياسية	الخط المروي، والفن والعمارة المميزة، والتأثير الإقليمي الواسع

جدول رقم (١) يوضح المقارنة بين المدن الثلاث

يوضح هذا الجدول استمرارية وتحول التحضر في إقليم النيل الأوسط حيث أن كرمة كانت أول مركز مستقل، ونبتة كعاصمة دينية وسياسية تربط بين مصر وكوش، ومروي كقوة صناعية وثقافية للحضارة المحلية الأقرب إلى الافريقية.

الخلاصة والنتائج:

تناول البحث نشأة وتطور المدن القيمة في إقليم النيل الأوسط- السودان عبر دراسة ثلاثة نماذج أساسية: كرمة، نبتة، ومروي، وذلك بالعودة إلى التصورات الفكرية للمدينة القديمة وأسسها البيئية، والاجتماعية، والاقتصادية، والمعمارية. ينطلق من تعريفات علمية لمفهوم "المدينة القديمة"، ويعرض تأسيس كل مدينة على انفراد، من حيث الموقع، السمات العمرانية، النظم الاقتصادية، التسلسل الطبقي، والارتقاء الحضاري.

إن المدينة القديمة ليست مجرد تجمع عمراني سكني، بل كيان مركب يجمع بين الوظائف الدينية، السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية. وقد ظهرت نتيجة تفاعل طويل الأمد بين الإنسان والبيئة. من أبرز خصائصها: المركزية الدينية والسياسية، التخصص الطبقي والمهني، والتنظيم الداخلي الدقيق.

تُظهر الدراسة تفاعلاً معقداً بين التطور المحلي والتأثيرات الخارجية التي شكلت التحضر وتشكيل الدولة والهياكل الاجتماعية والسياسية على مدى آلاف السنين. وقد دلت نتائج الأبحاث الأثرية الميدانية استمرارية الاستيطان في المدن الثلاثة موضوع الدراسة من مجتمعات الصيد وجمع الثمار في عصور ما قبل التاريخ والعصر الحجري الحديث، مرورًا بظهور أنظمة سياسية معقدة بلغت ذروتها في ممالك كرمة ونبتة ومروي، مما يعكس هذه المراحل تطور المراكز الحضرية التي كانت بمثابة مراكز سياسية واقتصادية وثقافية، ذات موقع استراتيجي على طول نهر النيل، ومستفيدة من سهول فيضية خصبة وطرق تجارية.

تبرز العوامل البيئية والاقتصادية كعوامل حاسمة تؤثر على التنمية الحضرية والتحولات السياسية. تشير الأدلة إلى التأقلم مع التقلبات المناخية وديناميكيات الأنهار وتوافر الموارد، بما في ذلك تكثيف الزراعة النيلية والمطرية والزراعة القائمة على مياه الفيضانات، مما دعم النمو السكاني وتعقيد الدولة.

تُبرز هذه الدراسات منطقة النيل الأوسط كمشهد ثقافي وسياسي ديناميكي أسهمت الابتكارات المحلية، والتكيف البيئي، والتبادلات الثقافية المعقدة في تشكيل مسار التحضر القديم وتشكيل الدولة في المنطقة. ويمكن للأبحاث المستقبلية إلقاء المزيد من الضوء بشكل أوسع على العمليات متعددة الجوانب الكامنة وراء نشأة هذه المدن القديمة وتطورها.

تعتبر كرمة أول نموذج مدني كامل في وادي النيل الأوسط شهدت تطورًا عمرانيًا من الأكواخ إلى مدينة محصنة ذات تنظيم واضح، ومعابد ضخمة وتحصينات دفاعية، واستفادت من فيضانات النيل والموارد المحلية في الزراعة والصناعة. كانت أيضاً مركزًا تجاريًا يربط بين مصر وأفريقيا.

كانت مدينة نبتة القديمة مركزاً دينياً مثّل قلب السلطة الرمزية، تحتوي على معابد كبرى مثل معبد آمون الكبير. كما استخدمت كمركز لتثبيت الشرعية الدينية والسياسية في قلب المملكة الكوشية خلال الأسرة ٢٥. بينما مثّلت مروي أوج تطور الدولة الكوشية من حيث الاستقلال الاقتصادي والرمزي، بدأت في الظهور كمدينة ابتداء من القرن ٧ ق.م وحتى القرن ٤ م. وقد شكلت العوامل البيئية والاقتصادية الدافع الأول لبناء المدينة وتطورها، فأصبحت العاصمة بعد نبتة، عُرفت بصناعة الحديد، والزراعة، واحتوت على معابد، قصور، حمامات ملكية، وورش صناعية.

وعليه، فإن نشأة وتطور المدن القديمة في السودان تمثل تجربة حضارية متميزة في إفريقيا، نابعة من خصوصية جغرافية وثقافية، ومعتمدةً على موارد طبيعية وتقاليد اجتماعية مستقرة. وقد ساهمت هذه المدن في رسم ملامح الحضارة الكوشية التي لا تزال تثير اهتمام الباحثين حتى اليوم.

المراجع والمصادر العربية:

١-الحاكم، احمد محمد علي وبونيه، شارلس. ١٩٩٧. كرمة مملكة النوبة تراث افريقي من عهد الفراعنة. والهيئة القومية للآثار والمتاحف. الخرطوم.

٢-حاج الزاكي، عمر. ٢٠٠٦. مملكة مروي التاريخ والحضارة. سلسلة إصدارات وحدة تنفيذ السدود. الإصدارة رقم (٧). الخرطوم.

٣- فتحي، أحمد. ١٩٨٤. المدينة: نشأتها وتطورها ووظائفها. دار المعارف. القاهرة.

المراجع والمصادر الأجنبية:

- Adams, W. Y. 1977. Nubia: Corridor to Africa. Princeton University Press.
- Arkell, A.J. 1961. A History of the Sudan from Earliest Times To 1821. 2nd ed. London.
-Bonnet, C. 1982. Les fouilles archéologiques de Kerma (Soudan)', Geneva 30. Pp.29–53.
- 1984. 'Les fouilles archéologiques de Kerma (Soudan)', Geneva 32. Pp.5–20.
- 1990. Kerma, royaume de Nubie, Geneva: Museé d'Art et d'Histoire.
- 1992. 'Excavations at the Nubian royal town of Kerma: 1975–91' Antiquity 66: Pp.611–25.
- 1993. Kerma: Territoire et métropole. Geneva: Mission archéologique suisse à Kerma.
- 2000. Kerma: Territoire et métropole. Éditions Errance.
- 2004. The Nubian Pharaohs: Black Kings on the Nile. American University in Cairo Press. Pp. 18–21.
- 2006. The Kingdom of Kerma. Swiss Mission to Sudan. Pp. 53–55.
-Bradley, R. 1992. Paleoclimates and Meroitic Agriculture. Sudan & Nubia,5, Pp. 56–61.
-Dixon, D. M. 1964. "The Origin of Kingdom of Kush: Napataa Meroe" JEA Vol. 50. Pp.121-132. London.
-Dunham, D. 1950. El Kuruw . RCK Vol. I. Boston.
-Edwards, D. N. 2000. "The Royal Baths of Meroë." Sudan & Nubia, No. 4,.London. Pp. 45–50.
- 2004. The Nubian Past: An Archaeology of the Sudan. Routledge.
-Emberling,G. et.al. 2024. "Jebel Barkal 2018–2023: new research on the Napatan a Meroitic city". Sudan & Nubia. Volume 28. London. Pp.73-98.
-Honegger, M. 2004. "Early Kerma and the Pre-Kerma Period." Studies in African Archaeology. Vol. 12, Pp. 29–35
- 2010. From Foragers to Complex Societies. University of Neuchâtel Reports. Pp. 45–48.
-Humphris, J., & Rehren, T. 2014. The Iron Smelting Industry of Meroe – New Insights. Journal of African Archaeology, 12(3), Pp. 399–419.
-Kendal, T. 1997. Kerma and the Kingdom of Kush, 2500–1500 BC: The Archaeological Discovery of an Ancient Nubian Empire, University of Washington Press.
- 1990. The Gebel Barkal Temples, 1989-1990. A Progress Report on the Work

of Museum of Fine Arts, Boston, Sudan Mission.7th International Conference
for Nubian Studies. Geneva.
-Maillot, M. 2016. " The Palace of Muweis and the Early Meroitic Levels: The Contribution of Technological Analysis to the Architectural Study". Dotawo: A Journal of Nubian Studies. Vol. 3. Pp. 179-200.
-Mumford, L. 1961. The City in History. Harcourt Brace & Company.
- Reisner, G. A. 1917. "Excavations at Napata, the Capital of Ethiopia". MFAB Vol. XV.
No. 89. Boston.
- 1921. " Historical Inscriptions from Gebel Barkal." SNR. Vol. IV. No.2. Khartoum. Pp.59-75.
- 1923. Excavations at Kerma. Harvard African Studies. Pp. 170–178.
- 1931. "Inscribed Monuments from Gebel Barkal." ZÄS. Vol.66. 76-100.
-O'Connor, D. 1993. Ancient Nubia: Egypt's Rival in Africa. University of Pennsylvania
Press. Pp. 56–59.
-Salah Elddien M.Ahmed. 1999. "The Napato - Meroitic Remains at Kenna" Sudan &Nubia.
-Shinnie, P. L. 1967. Meroe: A Civilization of the Sudan. Thames & Hudson, London.
-Shinnie, P.& Bradley, R.J. 1980. "The Capital of Kush 1" Meroitica 4 . Berlin.
-Török, L. 1997a. The Kingdom of Kush: Handbook of the Napatan–Meroitic Architecture of Meroe Civilization. Brill
- 1997b. Meroe City: An Ancient African Capital. Vol. 1. Budapest: Archaeolingua.
-Trigger, B. G. 1965. History and Settlement in Lower Nubia. Yale University Press. Pp.
35–39.
- 2003. Understanding Early Civilizations: A Comparative Study. Cambridge
University Press.
-Welsby, D. A. 1996. The Kingdom of Kush: The Napatan and Meroitic Empires. British
Museum Press.
-Wenig, S. (Ed.). 1995. Africa in Antiquity: The Arts of Ancient Nubia and the Sudan. Museum of Fine Arts, Boston. Pp. 104–130.
-Wildung, D. 1997. Sudan: Ancient Kingdoms of the Nile. Flammarion.

التحليل المورفومتري لحوض وادي نيالا بولاية جنوب دارفور (السودان) باستخدام نظم المعلومات الجغرافية (Gis)

د. حافظ عبد الرحمن يوسف ابكر(•)

المستخلص:

تعد حوض وادي نيالا جنوب دارفور من الأودية المهمة في الإقليم شبه الجاف، حيث تتسم الأمطار بعدم الانتظام وبتساقط غزير في أوقات محددة، ما يؤدي إلى جريان مائي موسمي وسيول مفاجئة. ومع ذلك، يفتقر الحوض إلى قاعدة بيانات جيومورفولوجية شاملة تفسر الخصائص المورفومترية والهيدرولوجية، وهو ما شكل الدافع لإجراء هذه الدراسة. تبرز أهمية الدراسة في أن الحوض يمثل نظامًا جيومورفولوجيًا متكاملًا يعكس تأثير العوامل البنيوية والمناخية والهيدرولوجية، ويحتاج إلى فهم دقيق لدعم التخطيط المائي المستقبلي وإدارة الموارد وتنمية المشاريع مثل إنشاء السدود، وتقليل مخاطر السيول في البيئة شبه الجافة. تهدف الدراسة إلى تحليل الخصائص المورفومترية للحوض باستخدام نظم المعلومات الجغرافية ونموذج الارتفاع الرقمي(DEM)، وإنشاء قاعدة بيانات مكانية لإنتاج خرائط رقمية دقيقة. اعتمد البحث على المنهج التحليلي الكمي، عبر رسم المجاري الرئيسية وشبكات التصريف، واستخلاص القياسات المورفومترية، وتطبيق المعادلات الرياضية لحساب المتغيرات. أظهرت النتائج أن مساحة الحوض تبلغ ٣٠١٨,٣٤ كم²، بطول ١٧٧ كم ومحيط ٤٠٧,٧١ كم، مع انخفاض نسبة الاستدارة والاستطالة، وشبكة تصريف منخفضة إلى متوسطة الكثافة، ما يشير إلى حوض ممدود يؤخر زمن التركّز ويؤخر الذروة الفيضية، مع نشاط واضح للتعرية ونقل الرواسب.

الكلمات المفتاحية: دارفور- المورفومترية - نيالا، الحوض – الخصائص.

المقدمة:

تعتبر الدراسة المورفومترية من الاتجاهات الحديثة في علم الجيومورفولوجيا التطبيقية حيث انه يختص بالتحليل الكمي للخصائص المورفومترية المساحية والشكلية والتضاريسية والشبكة المائية لأحوض ومجاري الأنهار والوديان.

وتعد هذه الخصائص مقياسا مهما لما تحتويه من دلالات تساعد على فهم كيفية تطور العمليات الجيومورفولوجية لأحواض التصريف المائية. تفتقر الدراسات المورفومترية لأحوض المائية في السودان خاصة إقليم دارفور التي تحظي بكمية من الأودية لذلك يحتاج إلي دراسات تطبيقية تعتمد علي التقنيات الحديثة لدراسة خصائص التضاريس والشبكات المائية لأحوض التصريف وبناء نموذج آلي يحاكي الواقع الطبيعي علي سطح الأرض. لذلك يهدف هذه الدراسة لتوظيف الاساليب التقنية المتطورة المتمثلة في استخدام برمجيات نظم المعلومات الجغرافية ونموذج الارتفاعات الرقمة

(•) أستاذ مساعد بقسم الجغرافيا - كلية الآداب - جامعة الفاشر

(DEM) لبناء قاعدة بيانات مورفومترية رقمية لمنطقة حوض وادي نيالا ورسم شبكة التصريف المائي للحوض لظاهرة طبيعية مورفومترية. ومن ثم استخلاص العديد الخصائص المورفومترية للحوض ومدلولاتها الجيومورفولوجيا.

مشكلة الدراسة:

نتيجة لعدم وجود قاعدة بيانات جيومورفولوجيا تفسر الخصائص المورفومترية والهيدرولوجية لحوض وادي كتم الذي يعد من الاودية المهمة في إقليم درافور، ولم يحظ بدراسة شاملة لذلك اعتمدت الدراسة على تقنية Gis التي توفر الدقة والسرعة في التحليل المورفومتري للأحواض المائية مقارنة بالطرق التقليدية ومن هنا جاءت هذه الدراسة للإجابة على التساؤلات الاتية:

١. ماهي الخصائص المورفومترية والتضاريسية والهيدرلوجية لحوض وادي نيالا؟

٢. هل يمكن تحديد وحساب الخصائص المورفومترية لحوض وادي نيالا باستخدام نموذج الارتفاع الرقمي DEM وتقنية نظم المعلومات الجغرافية؟

الهدف من الدراسة:

تهدف الدراسة الي تحقيق الاهداف الاتية:

١. استخدام تقنية نظم المعلومات الجغرافية ونموذج الارتفاع الرقمي DEM لدراسة الخصائص المورفومترية لحوض وادي نيالا والمتمثلة في الخصائص المساحية والشكلية والتضاريسية والهيدرلوجية.

٢. انشاء خرائط رقمية لحوض وادي نيالا من خلال نظم المعلومات الجغرافية.

٣. بناء قاعدة بيانات جغرافية للحوض، تساعد في تنمية المشاريع المستقبلية وتحديد مواقع لإنشاء السدود التي تساعد في التنمية من قبل الجهات المختصة.

أهمية البحث:

تكتسب دراسة الخصائص المورفومترية لحوض وادي نيالا أهمية كبيرة لوقوعه في بيئة شبه جافة ذات أمطار موسمية غير منتظمة، تؤدي إلى جريان مائي موسمي وسيول مفاجئة. يمثل الحوض نظامًا جيومورفولوجيًا متكاملًا يعكس تأثير العوامل البنيوية والمناخية والهيدرولوجية على شكل السطح وشبكات التصريف. تسهم الدراسة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية ونماذج الارتفاع الرقمي في تحليل الخصائص المورفومترية بدقة، وبناء قاعدة بيانات مكانية تدعم التخطيط المائي المستقبلي. كما تساعد النتائج في تحديد مواقع السدود وإدارة الموارد المائية لتعزيز التنمية المستدامة وتقليل مخاطر السيول.

منهجية البحث:

اعتمد البحث علة المنهج التحليلي الكمي في دراسة الخصائص المورفومترية لحوض وادي نيالا ورسم مجراه الرئيسي وشبكة التصريف المائية بصورة الية، وذلك بالاعتماد علي نموذج الارتفاعات الرقمية ثم اجراء القياسات وتطبيق المعادلات الرياضية والعمليات الحسابية لحساب المتغيرات المورفومترية.

مصادر الدراسة:

١. الاعتماد على برنامج نظم المعلومات الجغرافية Arc map 10.7.

٢. نموذج الارتفاع الرقمي DEM.

٧.الدراسات السابقة

1. دراسة العوامة (٢٠٠٦) التحليل الجيومورفومتري لحوض وادي غان والتي توصل فيها الي عدة نتائج أهمها: ان حوض الوادي متوسط الاستطالة، وهو اقرب الي الشكل المثلث من الشكل الدائري او المربع، ويتميز بتضرس مرتفع، وزيادة درجة انحدار سطح الحوض، وهذا يدل علي أن الحوض مازال في مرحلة متقدمة من مراحل التعرية.

٢. دراسة أبو عاقلة (٢٠١٤) حوض الدندر وحوض الرهد بولاية القضارف بالسودان والتي توصلت الي عدة نتائج أهمها: شبكة التصريف اعلي رتبة لحوض الدندر الثامنة ولحوض الرهد السابعة وتتميز كل من حوضي الدراسة بخصائص مورفومترية مختلفة عن الاخر مثل كبر مساحة محيط حوض الدندر عن نظيره حوض الرهد.

٣. دراسة العلو اني (٢٠٠٥) بعنوان (التحليل الرياضي المورفومتري لبعض الأودية الساحلية بمنطقة الجبل الأخضر بليبيا): والتي توصلت إلى عدد من النتائج منها ما يخص أشكال الأحواض وخصائص أسطحها المورفومترية، وكذلك خصائص شبكة التصريف، بالإضافة إلى تحليل العلاقات الارتباطية، ومن بين هذه النتائج أن جميع الأحواض تتصف بعدم انتظام أشكالها، كما تتسم بقلة اندماجها وعدم تناسق محيطها مع مساحتها وابتعاد خطوط تقسيم مياهها من مراكزها، وربما يرجع ذلك إلى استطالة معظمها.

منطقة الدراسة:

تقع موقع الدراسة جغرافياً في أقصى الجزء الجنوبي الغربي من السودان، وهي إحدى المحليات الرئيسية لولاية جنوب دارفور. أما إقليمياً تمتد الحوض في محلية بليل ونيالا وشرق جبل مرة ومن الناحية الشرقية تحدها محلية مرشنق ومن الناحية الغربية محلية كاس ومن الناحية الجنوبية الغربية محلية السلام. بينما فلكيا تقع بين خطي طول ٣٠' ,٢٤° ،٢١' ,٢٥° شرقاً وبين دائرتي عرض ٤٣' ,١١° ،٤٨' ,١٢° شمالاً. ويبلغ مساحة الحوض 3018.34 كم٢ حيث يخرج من السفوح الجنوبية الشرقية لجبل مرة وعلى بعد ٩٠كم من مدينة نيالا ثم يجري بعد ذلك لمسافة ١٨٠كم حتي تنتهي في وادي قريضة جنوب ساني افندو في منطقة ملوي.

شكل (١) موقع منطقة الدراسة

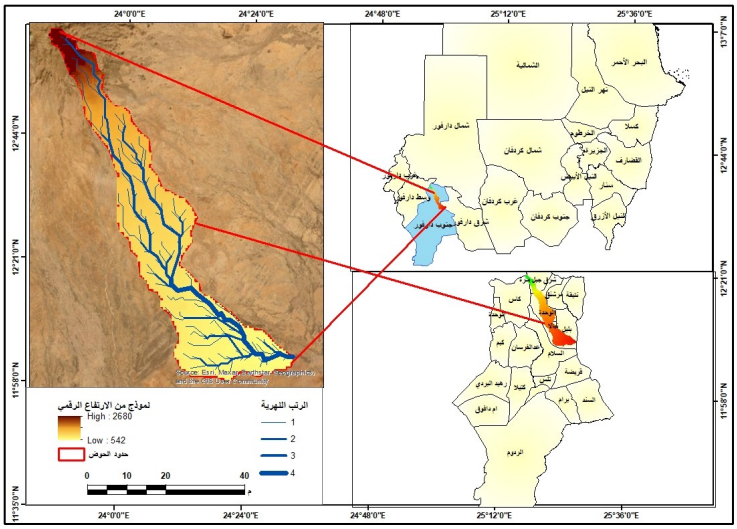

المصدر: عمل الباحث اعتماداً على برنامج ARC Gis

٩.جيولوجية حوض وادي نيالا:

تتميز منطقة الدراسة بتنوع جيولوجي حيث توجد الصخور الأساسية التي تكونت في الزمن الاركي ما قبل الكمبري وهي صخور صلبة تقاوم التعرية وتغطي مساحة كبيرة من منطقة الدراسة خاصة الاجزاء العلياء والوسطي من الحوض وتعرضت هذه الصخور الي التعرية وما بقي منها يوجد في شكل كتل متفرقة من الكوارتز وتحتوي علي كميات قليلة من المياه الجوفية، ويوجد رسوبيات حديثة يعود تاريخ تكوينها الي الزمن الجيولوجي الرابع وقد دلت بعض الدراسات بان عمليتي النحت والارساب كانت من اهم الظواهر الجيولوجية التي عمت القطر في الزمن الرابع ونتج عنها تكوينات ام روابة وتتألف من الحصي المتلاحم وغير المتلاحم والرمال الي جانب رمال طينية وارسابات طينية، والتكوينات النوبية تكونت في العصر الكريتاسي نجدها في الاجزاء الدنيا من الوادي ويضم طبقة متداخلة من رسوبيات الحجر الرملي النوبي وبعض الطبقات الحصوية نجدها اكثر كثافة في الاجزاء الوسطي والدنيا من الحوض وتتميز بالقدرة الهائلة علي تخزين المياه الجوفية.

يظهر ان وادي نيالا يجري فوق تكوينات صخور القاعدة الاساسية التي تغطيها الرسوبيات السطحية الحديثة متجه نحو تكوينات الصخر الرملي النوبي وحوض البقارة.

شكل(٢) **جيولوجية حوض وادي نيالا**

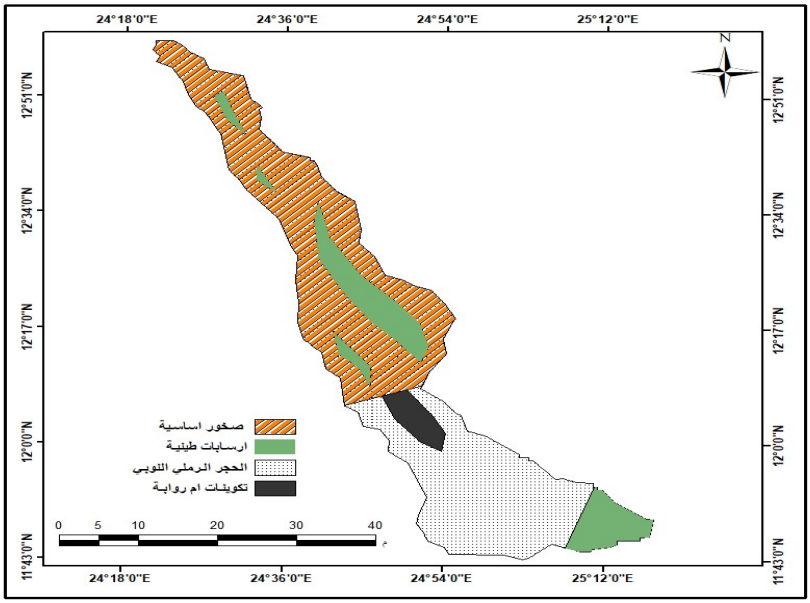

المصدر: عمل الباحث اعتماداً على برنامج ARC Gis

اولاً: الخصائص المساحية:

١.مساحة الحوض:

تتمثل أهمية مساحة الحوض النهري كمتغير في تأثيرها على حجم التصريف المائي داخل الحوض؛ إذ توجد علاقة طردية بين كل من المساحة الحوضية، وحجم التصريف المائي بشبكة التصريف النهري (محسوب، ١٩٩٧م، ٢٠٥).

إذ توجد علاقة طردية بين كل المساحة الحوضية وحجم التصريف المائي، كما أن هناك علاقة متبادلة بين مساحة الأحوض وعمليات التعرية، إذ تزداد مساحة الأحواض المائية كلما ازدادت عملية التعرية المائية، وقد قيست مساحة حوض وادي نيالا من خلال البرنامج ARC map فكانت مساحته 3018.34 كم٢ وهو بذلك يعد من أكبر الأحواض المائية في جنوب دارفور.

٢. طول الحوض:

هو مسافة محور الحوض المقاسة من المنبع إلى المصب وقد تم قياس طول الحوض ابتداء من المصب وحتى أبعد نقطة في محيطه (Gregory & Walling, 1973, p.49).

وقد تم قياس طول الحوض مباشرة من أداة القياس Measure في البرنامج ARC map الملحق ببرنامج ARC GIS 10.7 فكانت حوالي ١٧٧ كلم.

٣. محيط الحوض:

يقصد بمحيط الحوض خط تقسيم المياه الذي يفصل بين الحوض المدروس والأحواض المجاورة له أي يعبر الحدود الخارجية للحوض (Raj &Azeez 2012). وتم قياس المحيط بناء علي نموذج

الإرتفاعات الرقمية DEM من خلال البرنامج ARC map وقد وجد أن محيط حوض وادي نيالا يبلغ ٤٠٧,٧١ كم.

٤. متوسط عرض الحوض:

هو معدل عرض مجموعة من الخطوط المتعامدة علي أقصي طول الحوض، وقد تستخدم عوضاً عن معادلة قسمة مساحة الحوض علي طول الحوض كما في المعادلة التالية (Zovoianu,1985 .97)

$$w = A/Lb$$

حيث ان w = عرض الحوض(كم).

A = مساحة الحوض

Lb = أقصي طول الحوض(كم)

$$w = \frac{3018.34}{177}$$

= ١٧,٠٥

جدول (١) الخصائص المساحية لحوض وادي نيالا

المتغير المورفومتري	مساحة الحوض (كم٢)	طول الحوض كم	محيط الحوض كم	متوسط عرض الحوض كم
القيمة	٣٠١٨,٣٤	١٧٧	٤٠٧,٧١	١٧,٠٥

المصدر: الباحث بالاعتماد على بيانات الارتفاع الرقمي DEM

ثانياً: الخصائص الشكلية:

هي من الدراسات التطبيقية المورفومترية المهمة؛ لما لها من دلالات هيدرولوجية، وتأثير كبير في الصرف المائي (عاشور، ١٩٨٦، ٤٦٢) ويقصد به مقارنة شكل الحوض بأشكال هندسية مثل الدائرة، المربع، المستطيل، المثلث.

والأحواض التي تتشابه في خصائصها الشكلية يغلب عليها التشابه في خصائصها الجيومورفولوجية (العوضي، ٢٠١٦، ١٦٥).

١. نسبة الاستدارة:

تعكس نسبة الاستدارة مدي تقارب الحوض من الشكل الدائري فعند تقارب نسبة الاستدارة للواحد الصحيح، فإن شكل الحوض يقترب من الشكل الدائري. واذا تقارب نسبة الاستدارة إلي صفر، فإن شكل الحوض يبتعد من الشكل الدائري. وتعكس القيم المرتفعة القريبة من واحد إلي تقدم الدورة الحتية في الحوض مما يدل علي نشاط عمليات النحت الرأسي والأفقي لفترة زمنية طويلة وبذلك تكون الدورة الحتية قد شرفت علي الانتهاء(Abdulla, 2011, 127) وقد حدد (Miller, 1953, 39) طريقة حساب معامل استدارة الحوض من خلال المعادلة

$$RC = \frac{4\pi A}{(p)^2}$$

حيث ان

RC = نسبة الاستدارة

A = مساحة الحوض كم٢

$(p)^2$ = محيط الحوض تربيع

π = 3.1416

$$RC - \frac{37929.8}{166228.44}$$

= ٠,٢٣

ومن خلال الجدول (١) بلغت نسبة الاستدارة في حوض وادي نيالا (٠,٢٣) وهي قيمة منخفضة تشير هذه القيمة الي ان حوض وادي نيالا يتخذ شكلاً ممدوداً وغير منتظم، بعيداً عن الشكل الدائري مما يترتب عليه إطالة زمن التركّز وتأخر وصول الذروة الفيضية.

٢. معامل الاستطالة:

يعبر معامل الاستطالة عن مدي امتداد الحوض مقارنة مع الشكل المستطيل (الدليمي،٢٠٠٩، ٣٣).

تدل نسبة الاستطالة علي اقتراب الحوض أو ابتعاده عن الشكل المستطيل وتقع نسبته بين (٠ – ١) وكلما اقترب الرقم من الصفر دل هذا علي شدة استطالة الحوض، أما إذا اقتربت من الواحد الصحيح دل ذلك علي ابتعاد الحوض عن الشكل المستطيل (جبوري، ١٩٨٨، ٦١). ويتم حسابه الصيغة الرياضية التالية:

$$Re = 2\frac{\sqrt{\frac{A}{\pi}}}{L}$$

حيث

Re = معامل الاستطالة.

$\sqrt{A}$ = الجذر التربيعي لمساحة الحوض كم٢

L = اقصى طول الحوض كم

Π= ٣,١٤١٦

إن قيمة معامل الاستطالة التي تم الحصول عليها باستخدام المعادلة قد بلغ معدل الاستطالة لحوض وادي نيالا (٠,٣٥) تشير إلى أن حوض وادي نيالا ممدود الشكل بدرجة واضحة، وهو ما يتوافق مع انخفاض معامل الاستدارة. وبناءً عليه، يُصنَّف حوض وادي نيالا هيدرولوجيًا ضمن الأحواض ضعيفة الاستجابة للهطولات المطرية القصيرة والعنيفة.

٣. معامل الانبعاج:

يرمز لمعامل الانبعاج بالرمز LF ويتم الحصول عليه من حاصل قسمة مربع طول الحوض المائي على أربعة أمثال مساحة الحوض المائي وذلك بحسب معادلة المورفومترية الرياضية الاتية:

$$LF = \frac{L2}{4A}$$

LF = معامل الانبعاج

L = اقصي طول لحوض المائي كم

A = مساحة الحوض المائي كم٢

وقد بلغ معامل الانبعاج في حوض وادي نيالا 2.59 تدل على أن حوض وادي نيالا شديد الاستطالة. يشير ذلك إلى:

- تأثير واضح للبنية الجيولوجية.
- تصريف مائي ممتد زمنيًا.
- انخفاض احتمالية الفيضانات المفاجئة مقارنة بالأحواض الدائرية، مع زيادة مدة الجريان.

٤. معامل الشكل:

يعطي هذا العامل فكرة عن مدي تناسق اجزاء الحوض ومدي انتظام الشكل العام له، يوضح العلاقة بين المساحة والطول فكلما اقترب الناتج من الواحد كان شكل الحوض أكثر تناسقاً بعيد عن شكل المثلث وكلما اقترب الناتج من الصفر الي عدم التناسق واقتراب شكل الحوض من المثلث (بدر، ٢٠١٢، ٨٨).

وقد اقترح (Horton ,1932,p.13) استخراج معامل الشكل من خلال المعادلة التالية:

$$RF = A / Lb^2$$

حيث ان:

RF = معامل الشكل

A = مساحة الحوض كم٢

Lb^2 = مربع طول الحوض كم

سجل معامل الشكل لحوض وادي نيالا (٠,٠٩٦) الحوض طويل ومستطيل.

يدل على أن الحوض:

- جريان مائي تدريجي وليس مفاجئًا.
- زمن تركيز طويل، أي الوقت الذي تستغرقه مياه الأمطار للوصول إلى مجرى الوادي الرئيس أطول.
- سيطرة واضحة للبنية الجيولوجية على شكل الحوض.

جدول (٢) الخصائص الشكلية لحوض وادي نيالا

المتغير المورفومتري	نسبة الاستدارة	نسبة الاستطالة	معامل الشكل	معامل الانبعاج
القيمة	٠,٢٣	٠,٣٥	٠,٠٩٦	٢,٥٩

المصدر: الباحث بالاعتماد علي بيانات الارتفاع الرقمي DEM

ثالثاً: الخصائص التضاريسية:

١. نسبة التضرس:

هي النسبة بين أعلي واخفض نقطة في الحوض إلي الطول الحقيقي للحوض (ابورية,89،٢٠٠٧).

ويعبر عن نسبة التضرس رياضياً بالعلاقة الرياضية التالية.

$$Ra = H_{max} - H_{min} / Lb$$

حيث:

Ra = معامل التضرس

H_{max} = منسوب أعلي نقطة في الحوض

H_{min} = منسوب أدني نقطة في الحوض

Lb = طول الحوض

إن نسبة التضرس تعد من أهم الخصائص التضاريسية للحوض أو الوادي حيث انه كلما ازدادت قيمة نسبة التضرس دل هذا علي أن مجري الوادي يمر بمنطقة ذات تضاريس عالية أو منطقة متضرسة ويدل علي زيادة نقل الرواسب، أما إذا قلت نسبة التضرس فهذا يعني ان الوادي يمر بمرحلة الاخيرة أي أن التضاريس تقل في الوادي، اذا كان الناتج يتراوح من (٥ ،١٠) تضرس متوسط ، (١٠ ، ٢٠) تضرس شديد ، (٣٠ ،٣٠) تضرس شديد جداً ، ومن خلال الجدول (2) بلغ نسبة التضرس لوادي نيالا (١٢,٠٨)م/كم تشير حوض وادي نيالا طويل وممدود ذو تضرس متوسط مرتفع، ما يعكس تفاعلًا واضحًا بين البنية الجيولوجية والتعرية المائية، ويؤدي إلى جريان سطحي نشط لكن غير فجائي.

شكل (٢) نموذج الارتفاع الرقمي DEM لحوض وادي نيالا

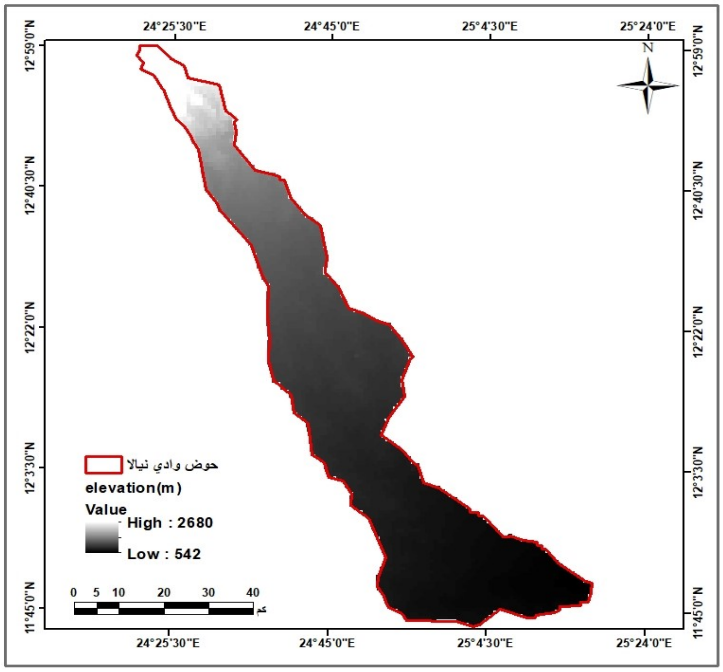

المصدر: عمل الباحث اعتماداً علي نموزج الارتفاع الرقمي DEM وبرنامج ARC Gis

٢. قيمة الوعورة:

تشير قيمة الوعورة إلي مدي تضرس الحوض، ثم مدي انحدار المجري المائي فيه، بالاعتماد علي كثافة الصرف الطولية للحوض، وارتفاع هذه القيمة يعني شدة التضرس وسيادة التعرية المائية ونقل الرواسب في المنابع العليا للأحواض إلى أسفل المنحدرات (تراب,155 ، ١٩٩٧).

$$R_n = D_d \times H + 1000$$

حيث:

R_n = قيمة الوعورة

D_d = كثافة التصريف

H = فرق الارتفاع (م)

من خلال الجدول (٣) بلغت نسبة الوعورة لحوض وادي نيالا ٠,٨٥ تشير هذه القيمة إلى أن حوض وادي نيالا يتميز بوعورة متوسطة، أي أن الحوض ليس شديد التضرس ولا مستوٍ تمامًا، بل يتسم بتباين ملحوظ في الارتفاعات مع شبكة تصريف متوسطة الكثافة، مما يؤثر على سرعة الجريان السطحي واحتمالات التعرية.

٤. المعامل الهبسومتري:

تم إعداد المنحني الهبسومتري لحوض وادي كتم اعتماداً علي بيانات نموذج الارتفاع الرقمي DEM وقد استخرج البيانات بواسطة برنامج ARC MAP، ويوضح المنحني العلاقة بين المساحة النسبية للحوض وارتفاعه علي محورين (س،ص).

يحدد هذا المعامل المرحلة التي يمر بها الحوض وقد قام (Strahler, 1952, p.913) بتقسيم المراحل حسب قيمة التكامل الهبسومتري إلي مرحلة الشيخوخة (٤٠ فأقل) ومرحلة النضج (٤٠،٦٠) ومرحلة الشباب (٦٠) ،(٧٩,٥).

يوضح المنحنى الهبسومتري لحوض وادي نيالا أن الحوض قد مر بمرحلة الشباب الجيومورفولوجي، إلا أنه تطور لاحقًا إلى مرحلة الشيخوخة، حيث يسود النحت الجانبي وتنخفض درجة التضرس، مع بقاء بعض المظاهر الشبابية في مناطق المنابع، وهو ما يعكس حالة تطورية انتقالية للحوض.

شكل (٣) منحني الهبسومتري لحوض وادي نيالا

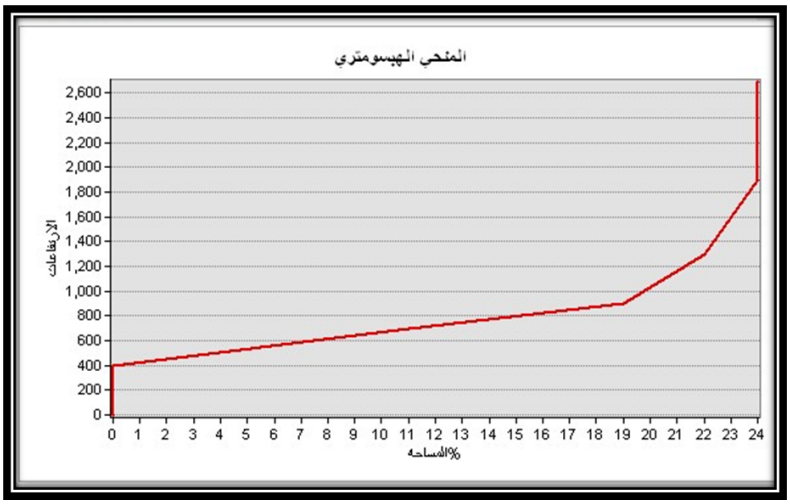

المصدر: الباحث بالاعتماد على بيانات الارتفاع الرقمي DEM

رابعاً: الخصائص المورفومترية:

تتألف الشبكة المائية للحوض المائي من الروافد الرئيسية والثانوية، فضلاً عن المجري الرئيس في الحوض المائي، ولدراسة الخصائص أهمية في الدراسات الجيمورفولوجية والهيدرلوجية ومنها"

١. رتب المجاري المائية واعدادها:

هي المجاري أو الروافد التي تتكون منها الشبكة المائية والتي تجري داخل الحوض بحسب مراتبها وحجمها وصلتها ببعض ،وقد أظهرت نتائج التحليل للبيانات الجغرافية المكانية باستخدام البرنامج ARC GIS 10.7 مراتب الشبكة المائية ومجموع أطوال كل مرتبة مبين في الجدول (٤) والشكل (٤) حيث تم تصنيف الرتب في هذه الدراسة بناء علي طريقة Strahler ١٩٥٧ (ستراهلر) التي تري أن أي رافد لا ترفده روافد أخري يعتبر من الدرجة الاولي ، وان التقاء رافدين من المرتبة الاولي يكونان رافد من المرتبة الثانية، وهكذا في باقي الرتب الأعلى، وان دخول رافد من مرتبة اقل علي رافد من مرتبة أعلي لا يؤثر على ترتيب المرتبة الأعلى.

وقد بلغ عدد الرتب في الحوض ٤ رتب بينما بلغ مجموع المجاري للمراتب كافة في حوض وادي كتم ١٩٠ مجري وكانت حصة المرتبة الأولى منها ١٤٩ مجري بنسبة ٧٨,٤٪ في حين تسجل المرتبة الثانية ٣٤

مجري بنسبة ١٨٪، ونحو ٦ مجاري في المرتبة الثالثة بنسبة ٣,١٪، أما المرتبة الرابعة فبلغت مجري واحد بنسبة ٠,٥٪.

ويلاحظ أن أعداد المجاري تتناقص بسرعة مع زيادة الرتبة وهذا ما يتوافق مع ذكره Horton ١٩٤٥،p275 في قانون المتعلق بعدد المجاري المائية (أبو العينين، ١٩٩٩م، ١٩٨).

شكل (٤) المراتب النهرية في حوض وادي نيالا

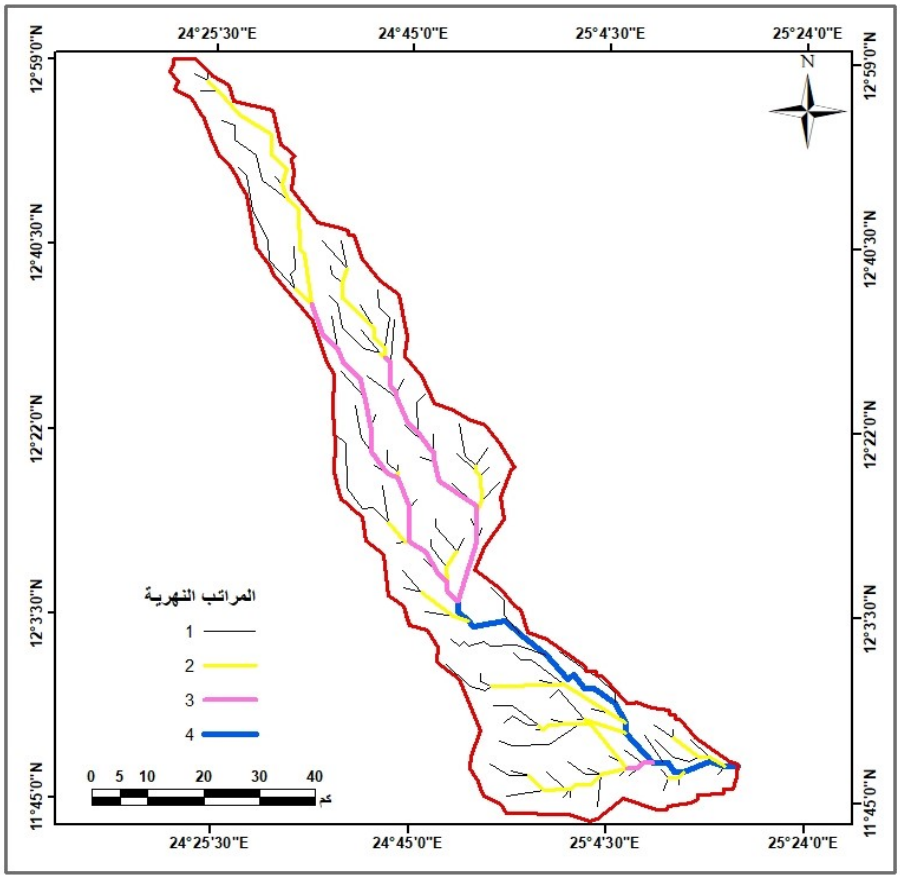

المصدر: عمل الباحث اعتماداً على نموذج الارتفاع الرقمي DEM وبرنامج ARC Gis

٢. أطوال المجاري:

يبلغ مجموع أطوال مجاري الشبكة المائية في حوض وادي نيالا ٨٩٠,٦٤ كم، وتتباين أطوالها حسب المراتب كما مبين في الجدول (٤) فتسجل أطوال المجاري في المرتبة الاولي نحو٥٠١,٥٩ كم بنسبة ٥٦,٣٣٪ في حين يصل مجموع أطوال مجاري الشبكة المائية في المرتبة الثانية ١٩٧,١٨ كم بنسبة ٢٢,١٥٪، وسجل أطوال المجاري في المرتبة الثالثة١٢٢,٧٩ مجري بنسبة ١٣,٧٩٪، اما مجموع أطوال مجاري المرتبة الرابعة فبلغ ٦٩,٠٨مجري بنسبة ٧,٧٦٪.

جدول (٤) عدد المجاري واطوالها

المراتب	عدد المجاري المائية	%	اطوال المجاري المائية	%
الاولي	٨٤	٦٩,٤٢	٥٠١,٥٩	٥٦,٣٣
الثانية	٣٢	٢٦,٤٥	١٩٧,١٨	٢٢,١٥
الثالثة	٤	٣,٣١	١٢٢,٧٩	١٣,٧٩
الرابعة	١	٠,٨٣	٦٩,٠٨	٧,٧٦
المجموع	١٢١	١٠٠	٨٩٠,٦٤	١٠٠

المصدر: الباحث بالاعتماد على بيانات الارتفاع الرقمي DEM

٣. نسبة التشعب:

هي العلاقة بين عدد المجاري في كل مرتبتين متتاليتين (الدليمي، ٢٠٠٠م، ١٨٦). وتتحكم نسبة التشعب في معدل التصريف حيث توجد علاقة عكسية بين نسبة التشعب وخطر الفيضان، إذ أنه كلما قلت نسبة التشعب في الاحواض تقل كثافة التصريف وبالتالي فإن المياه تتجمع في مجاري قليلة ومحدودة فتعطي جرياناً سطحياً سريعاً مما يسمح بحدوث خطر الفيضان، أما إذا زادت نسبة التشعب في الاحواض فإن كثافة التصريف تزيد مما يؤدي إلى توزيع المياه علي عدد أكبر من المجاري فتصل إلي المجري الرئيسي وهي متشتتة وبالتالي يقل خطر فيضانها.

وتحسب نسبة التشعب كالتالي:

$$R - N_U \div N_U + 1$$

حيث ان:

R = نسبة التشعب

N_U = عدد مجاري رتبة ماء

N_U = عدد مجاري الرتبة التي تليها.

جدول (٥) معدل التشعب للمجاري المائية

رتب المجاري	عدد المجاري	نسبة التشعب
الاولي	٨٤	٢,٦٣
الثانية	٣٢	٨،٠٠
الثالثة	٤	٤،٠٠
الرابعة	١	-
المجموع	١٢١	-

المصدر: الباحث بالاعتماد على بيانات الارتفاع الرقمي DEM

نسبة التشعب العام ٤،٨٨

إن نسبة التشعب العامة (4.88) تدل على أن حوض وادي نيالا مرتفع التشعب نسبيًا، سريع الاستجابة للأمطار، ويتميز بتركيز الجريان السطحي وارتفاع احتمالية الذروات الفيضانية، خاصة في فترات الهطول الغزير..

٤. كثافة التصريف الطولية:

وهي النسبة بين مجموع أطوال المجاري النهرية والمساحة الكلية للحوض، وتم الحصول علي قيمة الكثافة التصريفية من خلال المعادلة التالية التي وصفها(Horton ,1932 , 350).

$$Dd = L \div A$$

حيث ان:

Dd =كثافة التصريف

L = مجموع أطوال المجاري(كم).

A = مساحة الحوض(كم٢).

كثافة التصريف لحوض وادي نيالا ٠,٣٠ كم/كم^2 تشير إلى أتن حوض وادي نيالا منخفض إلى متوسط الكثافة التصريفية.

- هذا يدل على:
  - تأخر الجريان السطحي نسبيًا بعد هطول الأمطار.
  - وجود مساحات واسعة للتسرب أو التخزين على السطح.
  - نمط شائع في الأحواض شبه الجافة ذات التربة نفوذة وانحدارات معتدلة.

حسب تصنيف (Strahler, 1964, p. 39) حيث صنفها حسب قيم الكثافة التصريفية إلي ثلاث فئات: هي أقل من ١٢ منخفضة ومن (١٦,١٢) متوسطة واكبر من ١٦ مرتفعة.

٥. تكرار المجاري (كثافة التصريف العددية):

تسمي ايضاً بكثافة العددية ويعبر عنها العلاقة النسبية بين عدد المجاري النهرية ومساحة الحوض، وعليه فإن زيادة عدد المجاري يزيد من الكثافة التصريفية المائية، وبالتالي يزيد نشاط عمليات التعرية، وقد تم استخراج معامل تكرار المجاري لحوض وادي كتم بتطبيق المعادلة التي اقترحها (Horton, 1945, 275).

$$DF = N \div A$$

حيث ان

DF = تكرار المجاري

N = عدد مجاري الحوض

A = مساحة الحوض كم٢

قيمة 0.04 مجرى/كم² تعني أن حوض وادي نيالا ذو مجاري قليلة ومتفرقة، مما يؤدي إلى تركيز الجريان السطحي في المجاري الرئيسة واستجابة متوسطة للأمطار، مع فرصة أكبر لتسرب المياه أو تخزينها مؤقتًا على السطح.

جدول (٦) الخصائص الموفورمترية

المتغير المورفومتري	عدد المراتب	عدد المجاري	المجموع الكلي لأطول المجاري	معدل نسبة التشعب	كثافة التصريف
القيمة	٤	١٢١	٨٩٠،٦٤	٤،٨٨	٠،٠٤

المصدر: الباحث بالاعتماد علي بيانات الارتفاع الرقمي DEM

النتائج:

١. إنشاء قاعدة بيانات للخصائص المورفومترية لحوض وادي نيالا بواسطة نظم المعلومات الجغرافية وباستخدام بيانات نموذج الارتفاع الرقمي DEM بدقة ٣٠ متر.

٢. استخلاص القياسات المورفومترية المساحية والتضاريسية وخصائص الشبكة المائية لحوض وادي نيالا بدقة وبسرعة اعتماداً على نظم المعلومات الجغرافية.

٣. أظهرت نتائج التحليل أن مساحة حوض وادي نيالا تبلغ ٣٠١٨,٣٤ كم²، بطول ١٧٧ كم ومحيط ٤٠٧,٧١ كم، ما يجعله من الأحواض الكبيرة نسبيًا في جنوب دارفور، وهو ما يعكس قدرته على استيعاب تصريف مائي موسمي واسع النطاق.

٤. بينت المؤشرات الشكلية انخفاض نسبة الاستدارة (٠,٢٣) ونسبة الاستطالة (٠,٣٥) ومعامل الشكل (٠,٠٩٦)، مما يؤكد أن الحوض ممدود وغير دائري، وهو ما يؤدي إلى إطالة زمن التركّز وتأخر وصول الذروة الفيضية.

٥. يشير معامل الانبعاج (٢,٥٩) إلى شدة الاستطالة، بما يعكس تحكمًا بنيويًا واضحًا في اتجاه المجاري المائية وتطور الشكل العام للحوض.

٦. سجلت نسبة التضرس (١٢,٠٨ م/كم) وقيمة الوعورة (٠,٨٥) مستويات متوسطة إلى مرتفعة، مما يدل على نشاط عمليات التعرية المائية ونقل الرواسب، خاصة في المناطق العليا من الحوض.

٧. تبين أن الحوض يتكون من أربع رتب نهرية وفق تصنيف ستراهلر، بإجمالي ١٢١ مجرى مائي وطول إجمالي ٨٩٠,٦٤ كم، مع تناقص واضح في أعداد المجاري بزيادة الرتبة، بما يتوافق مع قانون هورتون.

٨. بلغت كثافة التصريف ٠,٣٠ كم/كم² وتكرار المجاري ٠,٠٤ مجرى/كم²، ما يشير إلى شبكة تصريف منخفضة إلى متوسطة الكثافة، واستجابة هيدرولوجية غير فجائية، مع إمكانية تسرب جزء من مياه الأمطار في البيئة شبه الجافة.

التوصيات:

١. يوصى بالاستمرار في تحديث قاعدة البيانات المورفومترية الرقمية لحوض وادي نيالا باستخدام بيانات ارتفاعات أكثر دقة مستقبلًا (مثل صور الأقمار الصناعية عالية الوضوح)، بما يدعم دقة النمذجة الهيدرولوجية واتخاذ القرار.

٢. نظرًا لطبيعة الحوض الممدودة وتأخر زمن التركّز، يُوصى بتحديد مواقع مناسبة لإنشاء سدود ترابية وحفائر مائية في الأجزاء الوسطى والدنيا من الحوض، للاستفادة من الجريان السطحي التدريجي وتقليل الفاقد المائي.

٣. في ضوء ارتفاع قيم التضرس والوعورة نسبيًا، يُوصى بتطبيق إجراءات حماية التربة مثل التشجير، وإقامة مصدات مائية حجرية، وتقنيات حصاد المياه الصغيرة في المنابع للحد من انجراف التربة ونقل الرواسب.

٤. بالرغم من أن الكثافة التصريفية منخفضة إلى متوسطة، إلا أن معدل التشعب يشير إلى إمكانية حدوث ذروات جريان خلال الأمطار الغزيرة؛ لذا يُوصى بتطبيق نماذج محاكاة هيدرولوجية للتنبؤ بمخاطر السيول ووضع خطط إنذار مبكر.

٥. ينبغي الاستفادة من الخصائص المورفومترية في توجيه التوسع العمراني بعيدًا عن المجاري النشطة، وتحديد المناطق الأنسب للتوسع الزراعي وفقًا لخصائص الانحدار وكثافة التصريف.

٦. يوصى بإجراء دراسات مورفومترية مماثلة للأحواض المجاورة في إقليم دارفور بهدف بناء إطار إقليمي متكامل لإدارة الموارد المائية وتحقيق التنمية المستدامة في البيئات شبه الجافة.

المصادروالمراجع:

المراجع العربية:

١. أبو العينين، حسن سيد أحمد .(1999) حوض وادي دبيا في دولة الإمارات العربية المتحدة . جامعة الكويت، الكويت .

٢. أبو رية، أحمد محمد .(2007) المنطقة الممتدة بين القصير ومرسى أم غيج: دراسة جيومورفولوجية .رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الجغرافيا ونظم المعلومات الجغرافية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية .

٣. بدر، هدى هاشم .(2012) التحليل المورفومتري الكمي لحوض وادي المر وتقييم نوعية المياه الجارية فيه .مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، مجلد ٢٨ .

٤. الدليمي، خلف حسب .(2009) التضاريس الأرضية: دراسة جيومورفولوجية علمية تطبيقية .ط١، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان .

٥. العلواني، محمد عطايا .(2005) التحليل الرياضي المورفومتري لبعض الأودية الساحلية بمنطقة الجبل الأخضر .رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة قاريونس، بنغازي – ليبيا .

٦. العوامة، أحمد صالح .(2007) التحليل الجيومورفومتري لحوض وادي غان .أكاديمية الدراسات العليا، طرابلس .

٧. العوضي، حمدينه عبد القادر .(2016) الجيومورفولوجيا: دراسة أصولية وتطبيقية لأشكال سطح الأرض .ج١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية .

٨. عزيز، محمد الخزمي .(2007) دراسات تطبيقية في نظم المعلومات الجغرافية .ط١، دار العلم، الكويت .

٩. عاشور، محمود محمد .(1986) طرق التحليل المورفومتري لشبكات الصرف المائي .حولية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد ٩، جامعة قطر .

١٠. صالح، منصف محمد، وآخرون .(2020) استخدام نموذج الارتفاع الرقمي (DEM) في تحليل المتغيرات المورفومترية لحوض وادي الملكة بالجبل الأخضر شمال شرق ليبيا .مجلة السلام الدولية للعلوم الإنسانية والتطبيقية، العدد الثاني، نوفمبر .

١١. محسوب، محمد صبري .(1997) جيومورفولوجية الأشكال الأرضية .ط١، دار الفكر العربي، القاهرة .

المراجع الاجنبية:

1. Abdulla, H. (2011). Morphometric parameters study of Lesser Zab using GIS technique. *Earth Science Department, College of Science, University of Baghdad, Iraq*, 7(2), 127–155.
2. Horton, R. E. (1945). Erosional development of streams and their drainage basins: Hydrophysical approach to quantitative morphology. *Geological Society of America Bulletin*, 56, 275–370.
3. Miller, V. C. (1953). A quantitative geomorphic study of drainage basins characteristics in the Clinch Mountain area, Virginia and Tennessee. *Columbia University, Department of Geology, Technical Report No. 3*, Contract N6 ONR 271–300.
4. Stanly, A. Schumm (1977). The fluvial system. United States: John Wiley and Sons, p. 67.
5. Strahler, A. N. (1952). Hypsometric (Area–Altitude) analysis of erosional topography. *Bulletin of the Geological Society of America*, 63, 1117–1142.
6. Strahler, A. N. (1964). Quantitative geomorphology of drainage basins and channel network. In *Handbook of Applied Hydrology* (pp. 39–76).
7. Zovoiaun, I. (1985). Morphometry of drainage basins. New York: Elsevier.
8. Gregory, K. J.,& Walling, D. E. (1973), Basin form and prossess age morphological approach, Edward Arnold
9. Zovoiaun.I.(1985) Morphometry of Drainage Basins,Elsvier,New York.

دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب (دراسة ميدانية من وجهة نظر أساتذة كلية التربية بجامعة البطانة محلية شرق الجزيرة السودان ٢٠٢٣ م ـ ٢٠٢٤م)

د. أميرة الزبير إبراهيم خوجلي(•)

د. صفاء عبد القادر علي عمر

المستخلص:

هدفت الدراسة إلى معرفة العلاقة الارتباطية بين دور الأستاذ الجامعي وقلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب، والكشف عن الفروق في هذا الدور تبعاً لمتغيرات الجنس، الدرجة العلمية، الخبرة العملية، والتدريب. تكمن أهمية الدراسة في تسليط الضوء على دور الأستاذ الجامعي كعنصر محوري في العملية التعليمية، خاصة في الظروف الحرجة كالحروب، ومعالجته لظاهرة قلق الامتحان، مما قد يساهم في إعادة النظر بتطوير أدوار الأساتذة. نشأت مشكلة الدراسة من ملاحظة الباحثتان للآثار النفسية العميقة للحرب على الطلاب، مما استدعى معرفة دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان، وتمثل السؤال الرئيس: ما دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب؟ اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي. تم اختيار عينة عشوائية بسيطة قوامها (٢٠) أستاذاً وأستاذة من كلية التربية بجامعة البطانة، وطبقت عليهم استبانة مكونة من (٣٠) مفردة، واستخدمت أساليب إحصائية مثل اختبار "ت" وتحليل التباين. أظهرت النتائج وجود علاقة ارتباطية إيجابية بين دور الأستاذ الجامعي وقلق الامتحان. كما تبين عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغيري الجنس والدرجة العلمية، في حين وجدت فروق دالة إحصائياً لصالح كل من ذوي الخبرة العملية الأطول والمدربين، مما يؤكد أهمية الخبرة والتدريب في تعزيز قدرة الأستاذ على الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب في ظروف الحرب.

الكلمات المفتاحية: الأستاذ، القلق، الجامعة، الامتحان، الحرب، السودان.

أولاً: الإطار العام للدراسة

١/ مقدمة الدراسة:

نحن نعيش في عالم يشهد تحولات تكنولوجية كبيرة بأنه أصبح السباق نحو المراكز الاجتماعية العالية، والمناصب المهنية المرموقة يقتضي من المترشح مستوى تعليمي وكفائي مرتفع وفي ظل تزايد متطلبات الحياة المعاصرة، فلا ريب أن يلعب القلق فيها دورا رئيسيا، وعليه ميز علماء النفس بين أنواع فرعية، ومجالات خاصة من المواقف التي تبرز فيها القلق بصورة واضحة مثل القلق العام، القلق الاجتماعي، قلق الموت، قلق الامتحان الذي يشكل موضوع بحثنا. وقد برز في السنوات الأخيرة توجه نحو التركيز على العوامل المؤثرة في انجاز الاطلاب ودافعيتهم للتعلم داخل حجرة الدرس، وان

(•) أستاذ علم النفس ورياض الأطفال المساعد - كلية التربية – جامعة البُطانة- السودان.

(*) أستاذ علم النفس التربوي المساعد - كلية التربية – جامعة البُطانة- السودان

الوظائف الأساسية للجامعات هي التعليم والبحث العملي وخدمة المجتمع ويرتكز دور عضو هيئة التدريس في القيام بتلك الوظائف ولكي يؤدي هذا الدور لا بد من أن يواكب التغيرات العلمية لكي ينمو ويتطور في الجوانب الاكاديمية والمهنية حيث تشير معظم الدراسات إلى الدور الكبير للتدريس في بناء شخصية المتعلم وتنميتها فضالا عن القيام المهام الأخرى التي تؤديها الجامعة (مغير وآخرون ٢٠١٥: ٣٩٢).

حيث أن قلق الامتحان، يعد من بين أكثر المتغيرات المرتبطة به والمؤثرة عليه فهو حالة نفسية انفعالية تؤثر على اتزان الطالب النفسي وقدرته على استدعاء المادة الدراسية والشعور بالخوف والارتباك والتوتر وضعف الثقة بالنفس (سائحي، ٢٠٠٤م، ٦).

صدّرت الحرب صفحات التاريخ عبر مشاهد للدمار والخراب، ولكن تأثيرها لم ينحصر في تأثيراتها على الأبدان والحياة فحسب، بل امتد ليطال كياناتنا وثقافتنا وتعليمنا. فالحروب تحلّ كعواصفٍ عاتية تُهدّد بجرف ما أسسناه من تعليم وعلم. وفي هذا السياق، تعود الأحداث لتسرد لنا مأساةً جديدة، تلك التي جاءت مع الحرب. لم يقتصر تأثير هذه الحرب على سفك الدماء وتدمير البنى التحتية فحسب، بل طال أيضًا كل جوانب الحياة والمجتمع، بما في ذلك أركان العملية التعليمية في بلادنا، فتعرضت لهجومٍ قاسٍ أخذ يهدد مستقبل الجيل القادم.(العامور،٢٠٢٤ : ١٠).

٢/ مشكلة الدراسة:

من خلال معايشة الباحثة لظروف الحرب وما نتج عنها من اضطرابات نفسية وعقلية والفجوات التعليمية التي تنشأ عن مثل هذه الاضطرابات. يكون الأثر النفسي للحرب على الطلاب كبيراً ومن هنا رأت الباحثتان ضرورة معرفة دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب وكان السؤال الرئيس التالي: **ما هو دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب وتتفرع منه الأسئلة التالية:**

١. هل توجد علاقة ارتباطية بين دور الأستاذ الجامعي وقلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب بكلية التربية بجامعة البطانة؟

٢. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات متغير دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب تعزى لمتغير الجنس؟

٣. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات متغير دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب تعزى لمتغير الدرجة العلمية؟

٤. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات متغير دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب تعزى لمتغير الخبرة العملية؟

٥. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات متغير دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب تعزى لمتغير التدريب؟

٣/ أهمية الدراسة: تتمثل أهمية الدراسة في:

تتمثل أهمية موضوع قلق الامتحان في أهمية المواقف التي يتعرض لها الفرد في المجتمع فالنجاح في سنوات الدراسة في المدرسة والالتحاق بالجامعة والنجاح فيها والحصول على الوظيفة المناسبة التي يسعى لها الفرد والترقية في مجال العمل ما هي إلا نماذج من المواقف التي يمر بها الفرد، والتي قد لا يحصل عليها إلا بعد اجتيازه الامتحانات الخاصة بها والتي يتخذ على ضوء نتائجها قرارات هامة في حياته، وتعود أهمية الدراسة في كونها تتعرض لاهم عنصر من عناصر العملية التعليمية وهو الاستاذ الجامعي.

١/ إلقاء الضوء على دور الأستاذ الجامعي وأهميته في النظام التعليمي والظروف الحرجة.

٢/ اعتبار الأستاذ الجامعي يمتلك طاقات ومهارات يمكن توظيفها لصالح المجتمع من خلال ممارسة الأستاذ لأدواره الحقيقية.

٣/ قد يساهم هذا البحث في ان تعيد النظر الجهات المختصة في التعليم العالي لتطوير أدوار الأستاذ الجامعي بطريقة شاملة.

٤/ فهي تعالج موضوعا في غاية الأهمية يتعلق في الحد من ظاهرة القلق في ظروف الحرب

٤/ أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى معرفة.

١. معرفة العلاقة الارتباطية بين دور الاستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان.

٢. معرفة وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات متغير دور الاستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان تعزى لمتغيرات (الجنس، الدرجة العلمية، سنوات الخبرة، التدريب).

٣.يمكن أن تقدم الدراسة بعض التوصيات والمقترحات.

٥/ فروض الدراسة:

١.توجد علاقة ارتباطية بين دور الأستاذ الجامعي وقلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب بكلية التربية بجامعة البطانة.

٢.توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات متغير دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب تعزى لمتغير الجنس.

٣.لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات متغير دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب تعزى لمتغير الدرجة العلمية.

٤.توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات متغير دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب تعزى لمتغير الخبرة العملية.

٥.لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات متغير دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب تعزى لمتغير التدريب.

٦/ حدود الدراسة:

الحدود الموضوعية: (دور الاستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى لطلاب المتأثرين بالحرب.

٢-الحدود الزمانية: (العام الدراسي ٢٠٢٣- ٢٠٢٤م).

٣-الحدود المكانية: (كلية التربية / جامعة البطانة).

٧/ مصطلحات الدراسة:

١. الدور: هو نمط من الدوافع والأهداف والمعتقدات والقيم والاتجاهات والسلوك الذي يتوقع أعضاء الجماعة أن بدونه فيمن يشغل وظيفة ما، أو يحتل وضعا اجتماعيا معينا كما يصنف السلوك المتوقع من شخص في موقف ما.(عدس ، ١٩٨٠ : ٦٢).

التعريف الاجرائي: أن المظهر الدينامي للمكانة ومجموع الحقوق والواجبات (فالسير على الحقوق والواجبات) معناها القيام بالدور.

٢. **الاستاذ الجامعي:** هو كل طالب نال شهادة الدكتوراه مع سنة أو سنتين من العمل في مجال الابحاث" (أحمد، ١٩٨١: ٣١).

٣ . **قلق الامتحان:** هو نوع من القلق المرتبط بمواقف الامتحان، حيث تثير هذه المواقف في الفرد شعورا بالانزعاج والانفعال، وهي حالة انفعالية وجدانية مكدرة تعتري الفرد في الموقف السابق للامتحان، أو موقف الامتحان ذاته، وتتسم هذه الحالة بالشعور بالتوتر بالخوف من الامتحان (أبو عزب، ٢٠٠٨ ،٥٨).

التعريف الاجرائي: الدرجة التي يحصل عليها التلميذ أو التلميذة من خلال إجابته على فقرات المقياس المعد لهذا الغرض.

٤. **الحرب:** استخدام العنف المسلح المنظم بٌن الجماعات الانسانية، كما تعرف بأنها الوسيلة الاكثر قسرا للدولة لتحقُّق أهدافها (عدوان ،١٩٨٠: ١١).

٥. **الطلاب:** هم الأفراد الذين يدرسون في مختلف المراحل التعليمية بهدف تحقيق الأهداف التعليمية والتربوية (عزت ،٢٠١٠: ٢٥).

٦. **جامعة البطانة:** جامعة حكومية تقع في دولة السودان ولاية الجزيرة – محلية شرق الجزيرة تمت إجازة قانونها من قبل المجلس الوطني في عام ٢٠٠٨ م وصادق عليه السيد رئيس الجمهورية وفي نفس العام ومن ثم تم تعيين مدير الجامعة في سبتمبر ٢٠٠٩م. وتم تخريج الدفعة الأُولى من الجامعة في العام٢٠١٥م (دليل جامعة البطانة - السودان، ٢٠١٧م، ١٥).

٧. **كلية التربية:** تم تأسيس الكلية في عام ٢٠٠١ م، وتقع في الجانب الشرقي لمدينة رفاعة، وهي أقدم كليات الجامعة حيث أنها كانت تتبع لجامعة الجزيرة، وتم قبول أول دفعة (الدفعة ٢٤) في تخصص الرياضيات والحاسوب وتخرجت في عام ٢٠٠٥م وأصبحت تقبل وتخرج تباعا طلاباً في تخصصات: اللغة العربية والدراسات الإسلامية واللغة الانجليزية والجغرافيا والتاريخ والفيزياء والرياضيات والكيمياء والأحياء، وفي العام الدراسي ٢٠١٨/٢٠١٧م تمت إضافة ثلاثة أقسام جديدة للكلية هي: علم النفس التربوي، والتربية الخاصة، ورياض الأطفال(دليل جامعة البطانة، السودان، م٢٠١٧: ١٥٧) .

٨.**محلية شرق الجزيرة:** تقع محلية شرق الجزيرة بين خطي عرض٦٥,٣٠.١٤,٤٥ شمالاً وخطي طول٣٣,٥ تحدها من الناحية الشمالية ولاية الخرطوم (محلية شرق النيل) وجنوب شرق محلية أم

القرى وشرقاً ولاية القضارف وغرباً النيل الأزرق الذي يفصلها من محليتي الحص حيصا والكاملين وتقدر مساحة المحلية ٨٤٤٩,٤ كيلو متر مربع وتمثل ٣١ %من ولاية الجزيرة (المحلية، ٢٠١٩).

٩.مدينة رفاعة: تقع مدينة رفاعة على الضفة الشرقية للنيل الأزرق من الناحية الشمالية يحدها مشروع سكر الجنيد، ومن الناحية الجنوبية قرية ود رحوم ومن الناحية الشرقية قرية التراجمة وبانت ومن الناحية الغربية قرية العزيبة والصقيعة (المحلية).

ثانياً: الإطار النظري والدراسات السابقة

أولاُ: الاستاذ الجامعي

١/ مقدمة : ومن المعلوم أن الجامعات تمثل محور الاتصال المعرفي والتقدم الثقافي والوعي العلمي والرقي الاجتماعي، وتقع على عاتقها مسؤولية تهيئة الكفاءات المهنية وترقية المناخ الأكاديمي ومساندة الرغبات التعليمية ودفع الكفاءات العلمية إلى درجات الإبداع والإتقان والكشف والابتكار بما يعود على المجتمعات بالنفع وعلى العالم بالآمال المنشودة. مما يستلزم عمليات التقويم المستمر والموضوعي والواقعي السليم لكل من يعمل بالجامعة ويلاحظ أن التعليم الجامعي يحدد فاعليته مهارة الأستاذ الجامعي وبراعته في تهيئة المناخ التدريسي للتعلم، وتنمية الإثارة العقلية لدى طلابه، والتواصل الإيجابي فيما بينه وبينهم، بالإضافة إلى طبيعة العلاقات التي قد تساعد في استثارة دافعيتهم وبذل قصارى ما لديهم من قدرات وشحذ هممهم في سبيل التحصيل العلمي المتميز، بدوره سوف ينعكس على مستوى عطائهم، ومدى إيجابيهم (الخثيلة، ٢٠٠٠، ١١٠).

٢/ مفهوم الاستاذ الجامعي:

١.**يعرف** جون ديوي أستاذ الجامعة بأنه "ذلك الذي يدرب طلابه على استخدام الآلة العلمية، وليس الذي يتعلم بالنيابة عنهم فهو الذي يشترك مع طلابه في تحقيق نمو ذاتي يصل إلى أعماق الشخصية ويمتد إلى أسلوب الحياة " (يونس، ٢٠٠٦م، ٣٨).

٢. هو كل شخص يحمل الإجازة العالية أو الدقيقة في مجال من مجالات المعرفة العلمية، ويعمل في مجال مهنة التدريس في مرحلة التعليم الجامعي (بدر، ٢٠٠٤م، ٣٤).

٣. خصائص الاستاذ الجامعي: (الزيات، ١٩٩٥م، ٣٠).

ومن هنا فإن الخصائص المعرفية والمهنية، والانفعالية وسمات شخصية المعلم تؤدي دوراً مهماً في فاعلية وكفاءة العملية التعليمية، فهي بالنسبة للطالب تشكل أحد المداخل التربوية المهمة التي تؤثر في الناتج التحصيلي له، وفي استمراريته، وفي مستوى مفهوم الذات الأكاديمي لديه باعتباره أهم العناصر المستهدفة في العملية التعليمية، والمستفيد الأول لما يقدمه له معلمه من معرفة وقدوة.

١/ الخصائص المهنية: وتتمثل في: التمكن العلمي، المهارة التدريسية، عدالة التقويم ودقته، الالتزام بالمواعيد، التفاعل الصفي مع الطلاب، مناقشة أخطاء الطلاب دون تأنيبهم أو إحراجهم.

٢/ الخصائص الانفعالية: وتتمثل في: الاتزان الانفعالي، حسن التصرف في المواقف الحساسة، الثقة بالنفس، الاكتفاء الذاتي، الموضوعية، الدافعية للعمل والإنجاز، المرونة التلقائية وعدم الجمود.

٣/ الخصائص الاجتماعية: وتتمثل في: النظام والدقة في الأفعال والأقوال، العلاقات الإنسانية الطيبة (التواضع – الصداقة – الروح الديموقراطية) القيادة، التعاون، التمسك بالقيم الدينية والخلقية والتقاليد الجامعية، المظهر اللائق، روح المرح والبشاشة.

٤ . وظائف ومهام الأستاذ الجامعي: من الصعوبة حصر الوظائف الأساسية للأستاذ الجامعي، إلا أنه يمكن اشتقاقها من وظائف الجامعة والمتمثلة في إعداد الإطارات والكوادر والبحث العلمي، وكذا خدمة المجتمع وتنمية هذا ما يسمى بالوظائف الأكاديمية وكذا الوظيفة الإدارية التي تتمثل في الإدارة الأكاديمية هذه الوظائف والأنشطة تتكامل فيها بنيتها لتوضح لنا وظائف الأستاذ الجامعي المتمثلة في: (غالب، ٢٠٠٨م، ١٧٨).

أ .وظيفة التدريس والفعاليات الأكاديمية المتصلة به: يعتبر "الأداء التدريسي الذي يقوم به الأستاذ من أهم المدخلات في تحقيق الأهداف التربوية، كما يعتبر المؤثر الأقوى في إحداث تغيرات مطلوبة لدى الطالب الجامعي".

وبهذا فعملية التدريس الحديثة هي عملية تقديم المعارف باستخدام تقنيات جديدة مساعدة على القيام بالأنشطة التعليمية وفق أسس علمية ومعالجة نظرية وتطبيقية وقد تشمل هذه العملية: "الخطة التدريسية خلال العام منتظمة القرارات الدراسية، وكذلك الأنشطة التي عليه القيام بها لتحسين طرق وكفاءة التدريس وفاعلية أو التحديث استخدام التقنيات والوسائل التعليمية، والتدريس هو عملية نقل معارف واتجاهات في إطار أكاديمي حيث يتم نقل المعارف واكتساب المهارات بأسلوب يمكن الطالب من الاستخدام والتطبيق، ويركز على مدى إدارات الطالب للمادة العلمية ومدى القدرة على التطبيق بهذا يجب أن يتوفر في الأستاذ الجامعي سمات يستطيع من خلالها "تحديد مخرجات التعلم والتعليم، وتحديد واستخدام الطرق المتبعة في التدريب وتحديد طرق وأساليب التقييم المتبعة وربط مخرجات المقرر من مخرجات البرنامج وتوظيف تقنيات المعلومات والاتصال في التعليم والتدريب والتقويم ومساعدة الطلبة على اكتساب مهارات أساسية تؤهله للتواصل والتعامل مع الغير، والعمل ضمن فريق والاعتماد على النفس والانضباط والأمانة".

ب. البحث العلمي: وهو الركيزة الأساسية التي يقوم عليها نشاط الأستاذ فاهتمامه بالتدريس على حساب البحث العلمي، سيؤدي لا محالة ضعف في العلمية التدريسية وبذلك يقلل من أدائه الفعال في التدريس فإن وظيفة البحث العلمي التي يقوم بها الأستاذ الجامعي تتجلى في: (قمير، ٢٠٠٦م، ٢٠١).

١/ التدريب على البحث العلمي وأساليبه وليتحقق أثناء إعداد درجتي الماجستير والدكتوراه

٢/ التأليف في مناهج البحث وتقنياته.

٣/ الاستمرار في ممارسة البحث العلمي والنشر العلمي في ميدان تخصصه.

٤/ قراءة وتطبيق موضوعات البحث العلمي للطلبة وإعطائهم توجهات وإرشادات في البحث.
٥/ حضور الملتقيات العلمية والمؤتمرات والندوات الوطنية والدولية التي تنظم في ميدان تخصصه والمشاركة فيها لان حضور مثل هذه الملتقيات والمؤتمرات يخلق نوعا من النقاش العلمي البناء الذي يساعد على التعرف على أفكار الباحثين ومن رفع المستوى الأستاذ الجامعي.

وبهذا تتضح أهمية " دور عضو هيئة التجريس في مجال البحث العلمي والإنتاج الفكري فهذه المهمة تقع على عاتقه بصفة الشخص الذي يمتلك المؤهلات العلمية والمهارات الفنية والقدرة البحثية على الإنتاج العلمي". وبهذا فلابد من الأستاذ الجامعي من امتلاك القدرة على عمل أبحاث علمية تطبيقية لخدمة الجامعة أولا والمجتمع ثانيا بالإضافة إلى استخدام كل الوسائل التكنولوجية والتقنية المساعدة على الإبداع والتطوير والبحث.

ج. خدمة المجتمع وتنمية: يساهم الأستاذ الجامعي في خدمة المجتمع سوآءا كان تكليفا أو تطوعا في مجال تخصصه وحسب إمكانياته وخبراته وهذا من خلال المساعدة في حل المشكلات الاجتماعية التي يتعرض لها المجتمع سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية، وعلى كل الآفات الأمراض المنتشرة في المجتمع وعموما فإن وظيفة الأستاذ الجامعي في خدمة المجتمع وتنمية يتم من حالتين: (زاهر، ١٩٩٥: ١٥٢).

د. خدمة الجامعة: وتتضمن المشاركة في الأنشطة الغير دراسية كالمشاركة في الأنشطة الطلابية الثقافية والفنية والرياضة، وإلقاء المحاضرات في موضوعات علمية متنوعة في مجال التخصص.

• خارج الجامعة: وتتضمن ما يلي:

١/ القيام بالبحوث التي تعالج المشكلات الاجتماعية والمساهمة في حلها.
٢/ تقديم الخبرة والمشورة بالمؤسسات والجمعيات ذات النفع العام.
٣/ تأليف الكتب في مجال التخصص وتكون موجهة للمثقف بصفة عامة.
٤/ المشاركة في الندوات العلمية التي تنظم في قطاعات غير جامعية بتقديم أعمال عملية فيها.

هـ. الإدارة الأكاديمية: تختلف اختصاصات ومسؤوليات أساتذة الجامعة في المجال الإداري، تبعا لاختلاف المناصب الإدارية التي يعتبرها الأستاذ الجامعي كما تتمثل: "ممارسات في العملية الإدارية في التخطيط والتنظيم والرقابة والإشراف والاتصال والتواصل بطريقة سليمة تري المتانة في الأسلوب القيادي كالديمقراطية واستخدام نماذج حديثة في القيادة كالإدارة بالأهداف والإدارة بالنتائج وغيرها من الأساليب التي ثبت نجاحها محليا وعالميا ومتا يترتب عنها من إقامة علاقات حسنة مع الطلاب والعاملين، والاهتمام بمشاكل الطلبة وأحوالهم، المرونة وعدم الحدة في المعاملة وإشاعة جو من الثقة والاحترام بين الطلاب، وكسب ثقة الادارة العليا والاداريين والزملاء والعمال وعليه فالأستاذ الجامعي اليوم مطالب بعدة أدوار ووظائف يمكن تلخيصها فيما يلي: (حديد ، ٢٠٠٩م، ١٤٦).

١/ تشكيل تفكير الطلاب وقياداتهم للتفكير العلمي السليم.
٢/ توجيه وإرشاد الطلاب علميا ونفسيا واجتماعيا فكرا وسلوكا.

٣/ تنفيذ السياسة التربوية من خلال تنفيذ البرامج وتنظيم النشاطات الصيفية ودراسة الأهداف التعليمية.

٤/ تجسيد قيم وثقافة المجتمع وتأدية الأنماط السلوكية المرغوب فيها.

٥/ أدوار الأستاذ الجامعي: ولكي يقوم المعلم بدوره المهم والحساس بكفاءة واقتدار، لا بد أن يتمتع بقدر كاف من القدرات والكفايات التعليمية. ذلك أن وظيفة المعلم لم تعد قاصرة على تزويد الطلاب بالمعلومات والحقائق كما كان في السابق، بل تعدتها إلى أن أصبحت عملية تربوية شاملة لجميع جوانب نمو الشخصية لدى الطالب في صورها: الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية ولأهمية دور الأستاذ الجامعي وضرورة إكسابه الكفاءات المهنية اللازمة لعمله بالتدريس أولته العديد من مؤسسات إعداد المعلم اهتماما بارزاً تمثل في دورات تدريبية على الكفاءات المهنية (الهذلي، ١٩٩٥م، ١٤٧).

ومن ادوار الاستاذ الجامعي ايضا ما يلي: (ضياف وبعلي، ٢٠٠٨م، ٥٠).

١- تشكيل التفكير العلمي للطلاب وإرشادهم إلى كيفية الحصول على المعلومات واستخدامها.

٢- تنفيذ السياسة التربوية في الجامعة من خلال الأهداف التعليمية وجودة تنفيذ المناهج.

٣- تجسيد قيم المجتمع وتأدية الأنماط السلوكية المرغوب فيها، باعتباره قدوة حسنة لطلابه.

٤- توطيد التعاون بين الجامعة والبيئة المحلية، وخاصة في مجال إعداد الدراسات والمشاريع.

٥- تنمية ثقافته العلمية والمهنية لإعلاء سمعة المهنة والمحافظة على أخلاق المهنة وتقاليدها.

خلاصة ترى الباحثتان أن للأستاذ الجامعي دور حيوي فهو بمثابة العمود الفقري في هيكل التعليم الجامعي وذلك بالرغم من التغير الوظيفي لأطراف العملية التعليمية، والاختلاف النوعي في أساليب المعرفة الحديثة، وهذا الدور اختلط وتداخل ولم يعد دوراً كما كان في القرن الماضي. هناك تصور ناقص لدور الأستاذ الجامعي، وخلط بين دوره ودور المعلم في مراحل التعليم العام، وهذا التصور والخلط سببا عاملي ضغط على الأستاذ الجامعي مما حدا به إلى أن يتوارى عن أداء دوره المفترض، وتقمص دوراً يقترب كثيراً من دور معلم في مراحل التعليم العام المتمثل بممارسة عملية التدريس بمفهومه التقليدي المنطوي على الشرح والمناقشة البسيطة، والتلقين، وحل التمارين، وتحقيق الهدف الأدنى، من أهداف التعليم العام من خلال تزويد الطلاب بأساسيات المعرفة المتخصصة.

إن دور الأستاذ الجامعي - الذي لم تسهم الظروف الحالية بأدائه على أكمل وجه - يتجاوز ذلك إلى ميادين أرحب تنطوي على تفجير طاقات الطلاب، وتوجيه قدراتهم، وتوسيع آفاقهم ومداركهم، وبناء وتطوير القدرات النقدية والتحليلية لديهم، والإسهام في تكوين شخصياتهم، وبناء وعيهم الثقافي والاجتماعي والإنساني، ودعم استقلالية تفكيرهم، ومساعدتهم في التعرف على شخصياتهم، ومجالات إبداعهم، وميادين تفوقهم وإكسابهم القدرة على التعامل بمنهجية مع مقرراتهم الدراسية، وتنمية الوعي الناقد لديهم، وتعزيز قدرتهم على الفرز والتمحيص المعلوماتي، وتزويدهم بمهارات يمكنهم من خلالها تطوير أساسيات المعرفة المتخصصة التي يمدهم بها، ويجعلهم محور العملية التعليمية ومصدرها، ويعمل على بناء ذهنيات علمية وإبداعية تتناسب مع متطلبات المرحلة الحالية والتحديات

التي تملها وللأستاذ الجامعي أيضاً دوره في توجيه سلوك الطلبة، وتعزيز نموهم الشخصي والمعرفي وتشجيعه، والأستاذ الجامعي الفاعل الرئيس في تحقيق الأهداف الكبرى التي تسعى مؤسسات التعليم العالي جاهدة إلى تحقيقها متمثلة في عملية نقل المعرفة، وتوصيلها إلى الأجيال الجديدة، ومساعدتهم على تطبيقها، واستخدامها، واستنباط الجديد منها.

ثانياً: قلق الامتحان

١/ مقدمة : تلعب الامتحانات دورا هاما في حياة الطلاب وهي أحد أساليب التقييم الضرورية، إلا أنها قد يرتبط بها ما يجعل منها مشكلة مخيفة ومقلقة، نظرا لارتباطها بتحديد مصيره ومستقبله الدراسي والعملي، ومكانته في المجتمع. في الوقت الذي قد يعد هذا القلق دافعا لجوانب راقية من سلوك الإنسان، فقد يتحول هذا القلق في احيان أخرى إلى نقمة، وينقلب من قوة دافعة إلى قوة معوقة للإنجازات، ويحدث ذلك عادة حينما يصل القلق إلى درجة من الشدة يغمر بها الفرد، فيصيبه بأعراض نفسية وجسمية متعددة، ويمثل له حينها عائقا أمام النجاح في الحياة (الريحاني، ١٩٨١م، ٥٧).

ترى الباحثتان أن القلق هو أحد العوامل النفسية والمعرفية والتي تظهر في شكل أعراض نفس جسمية، ويؤثر على المستوى التحصيلي للطالب.

٢/ مفهوم القلق:

١/ القلق هو حالة من الشعور بعدم الارتياح، وهو شعور الاضطراب والهم المتعلق بحوادث المستقبل، وتتضمن حالة القلق شعورا بالضيق وانشغال للفكر وترقب الشر، وعدم الارتياح، أي أنه استجابة انفعالية لخطر يخشى من وقوعه في أية لحظة. ويكون موجها للمكونات الأساسية للشخصية، وتحمل هذه الاستجابة معنى داخليا بالنسبة للفرد، يحاول إطلاقه على العالم الخارجي. (القمش، ٢٠٠٧م، ١٤٦).

٢/ ذكر بشير (الرشيدي وآخرون، ٢٠٠٠م، ٣٠) ينطوي القلق في كل مستوياته على حالة انفعالية مؤلمة، أو غير سارة إزاء منبهات الخطر، أو التهديد، ثم يحاولون التغلب على تلك الحالة بأية حيلة أو أسلوب، بل إن الأشخاص العاديين قد يستنفدون قدراً كبيراُ من طاقتهم النفسية في مختلف المناورات، أو الحيل الدفاعية لمواجهة تلك الحالة أو خفضها، أما في حالة الأشخاص العصابيين فقد تصبح هذه الجهود الدفاعية زائدة إلى الحد الذي يستنفد طاقاتهم كلها، وال يتبقى منها الا القليل للقيام بالسلوك البناء.

٣/ يرى فرويد (Freud) أن القلق: «عبارة عن نوع من الانفعال المؤلم يكتسبه الفرد ويكونه خلال المواقف التي يصادفها، فهو يختلف لإحباط أو الغضب أو الغيرة، لما يسببه من تغيرات جسمية داخلية يحس بها الفرد وأخرى خارجية تظهر على ملامحه بوضوح (الجلالي، ٢٠١٤م،: ٢٨٦).

٤/ سمة القلق: سمة القلق هو استعداد مكتسب للقلق ثابتة نسبيا في شخصية الفرد وتميزه عن شخصيات الآخرين. والقلق السمة هو الأكثر ارتباطا بالصحة النفسية للفرد، وهو الذي تحدث عنه العلماء كعرض للاضطرابات العصابية. (زهران، ٢٠٠٠م، ٧٣).

٣/ مفهوم القلق الامتحان:

١/ هو:« حالة نفسية انفعالية قد يمر بها الطالب، و تصاحبها ردود فعل نفسية جسمية غير معتادة نتيجة لتوقعه الفشل في الامتحان أو سوء الأداء فيه، أو الخوف من الرسوب أو ردود فعل الأهل، أو لضعف ثقته بنفسه، أو لرغبته في التفوق على الآخرين أو ربما لمعوقات صحية بحيث أن هناك حد أدنى من القلق هو أمر طبيعي ولا داعي للخوف منها، بل ينبغي تشجيع الطالب على استثماره في الدراسة و المذاكرة وجعله قوة دافعه ً للتحصيل والإنجاز، لإرضاء حاجته للنجاح والتفوق وتحقيق الطموحات أما إذا زاد عن الحد المطلوب فهو بذلك يعطل أداء المتعلم.(مجيد، ٢٠٠٥م، ٨٨).

٢/ يعد قلق الامتحان أحد أنواع القلق، وهو الآن ظاهرة منتشرة بين الطلاب في مختلف المراحل التعليمية حيث أكدت ً العديد من نتائج الدراسات انتشارها بين طلاب المدارس والجامعات، الأمر الذي يؤدي إلى هروب وتسرب الكثير من الطلاب بصورة واضحة(عطا الله ،٢٠٠١ : ٢) .

٣/ يعرف أنه: "حالة شعور بالتوتر وعدم الارتياح، نتيجة حصول اضطراب في الجوانب المعرفية والانفعالية، ويكون مصحوب بأعراض فسيولوجية، ونفسية قد تظهر عليه، أو يحس به عند مواجهته لموقف الامتحان، أو تذكره له، أو استثارة خبراته للمواقف الاختبارية". (الخالدي، ٢٠٠٩م، ١٣٠).

٤/ أعراض قلق الامتحان: (عباس، ١٩٩٥ ،٢٢)

أ / الأعراض الانفعالية:

١.ارتفاع القلق العام. ٢.عدم الاستقرار العاطفي.

٣.الانطوائية والحساسية. ٤.التوتر والرهبة والانزعاج.

٥.الشعور بالضيق النفسي الشديد قبل وأثناء وتأدية الامتحان.

٦.العصبية في التصرفات وعدم الطاعة

ب/ الأعراض الجسمية: (أبو أسعد، ٢٠٠٩م، ٢٨٤)

١.ألم البطن والغثيان وارتعاش اليدين. ٢.تسارع خفقان القلب.

٣.جفاف الحلق والشفتين. ٤.سرعة التنفس الأرق فقدان الشهية. ٥.تصبب العرق.

ج / الأعراض المعرفية: (الحربي، ٢٠١١م، ٢٩)

١.عدم الرغبة في الدراسة. ٢.تدني التحصيل. ٣ .ضعف القدرة على الإنجاز والعمل.

٤.الخوف غير المبرر من المستقبل. ٥.الإحساس بعدم الكفاءة. ٦ .ضعف الثقة بالنفس والتردد.

٧.تسلط بعض الأفكار الو سواسية قبل وأثناء وبعد الامتحان.

٨ .التركيز على توقع الفشل وعواقبه، بدل التركيز على الأداء وتحسينه.

٩ .تشتت الانتباه وضعف القدرة على التركيز.

إن هذه الأعراض والمظاهر الجسمية والفيزيولوجية والعقلية والانفعالية تمكن من تصنيف الطلاب الذين يعانون من قلق الامتحان وذلك من أجل مساعدتهم على التغلب على هذا القلق بوضع برامج

إرشادية تمكن من تشخيص المشكلة وتحديد طرق العالج المناسبة للتخفيف من حدة قلق الامتحان وتمكن الطالب من أداء الامتحان بطريقة عادية.

٥/ أنواع القلق: (الخالدي، ٢٠٠٩م، ١٢٩) تتعدد تسميات القلق حسب المواقف التي تثير القلق لدى الفرد فمنها:

القلق التحذيري: ويفسره "فرويد" بأن الأنا يستخدم القلق محذرا من المواقف الصدمية المهددة التي يوجهها الفرد، أو التي تضطره اليها مطالبه الغريزية وينشأ هذا النوع من القلق منذ الطفولة ويتعلم به الطفل أن يستبق الحوادث وأن يستجب لتوقعاته بالقلق فيحذرها ويتجنبها او يحاول السيطرة عليها.

قلق الأنا: وهو بظهر على الفرد كلما أحس بخطر يهدد أمنه واستقراره، وتستعين الأنا بالقلق مستنفرة الدفاعات التي بنتها لحمايتها ضد ما يهددها فتحذر بذلك الدخول في خبرات سبقت للفرد.

قلق الأنا الأعلى: وهو محاولة من الأنا الأعلى تتم على المستوى اللاشعوري، لتحذير الأنا وتستبق به الأنا الأعلى المواقف ذات المضمون الخلقي فيطلق عليه أحيانا بالقلق الخلقي.

القلق التلقائي: وهو الذي يقوم بالمرء، ويستبد به تلقائنا عندما لا بجد منصرفا لطاقته أو عندما تتنبه مشاعره وأحاسيسه فلا يستطيع السيطرة عليها ومدفعيتها.

القلق العادي (السوي): هو أحد الوظائف الهامة، والتي تعمل على إبقاء الإنسان وله وظيفة هامة ،وهي تجنيد كل طاقات الإنسان الجسدية والعقلية، لمواجهة الموقف المثير للقلق، وذلك عن طريق رفع التنبه الذهني في المنطقة المادية البصرية والمحيطية في الدفاع.

فالقلق في حد ذاته ظاهرة طبيعية، واحساس وشعور وتفاعل مقبول ومتوقع تحت ظروف معينة وأحيانا يكون للقلق وظائف حيوية تساعد على النشاط وكذلك على حفظ الحياة.

٦/ الأسباب والعوامل المؤدية لقلق الامتحان:

توجد مجموعة من الأسباب والعوامل التي تدفع بالطالب إلى الشعور بحالة القلق أثناء الامتحانات من أهمها ما يلي: (أبو سعد، ٢٠٠٩م، ٢٨٤).

١/ الشخصية القلقة: قد تكون شخصية الطالب من الشخصيات القلقة حيث أن هذه الشخصية عرضة لقلق الامتحان أكثر من غيرها لأنها تحمل سمة القلق، فمن المرجح أن يزيد قلق الامتحان لديها كموقف أكثر من غيره.

٢/ عدم استعداد الطالب للامتحان: يعد هذا العامل في كثير من الأحيان من أهم أسباب مرور الطالب بحالة القلق أثناء الامتحانات ويتمثل عدم استعداد الطالب لأداءالامتحانات، بعدم الاستذكار الجيد، وبعدم التهيؤ النفسي والعقلي، وبعدم تهيئة الظروف والبيئة المنزلية.

بالإضافة إلى أسباب أخرى أوردها ربيع والغول تتمثل في (ربيع والغول، ٢٠٠٧م، ٦٩).

أ / الافكار والتصورات الخاطئة عن الامتحانات: كثيراً ما يحمل الطالب تصورات خاطئة عن الامتحان وهذه التصورات تقوم على اساس أن الامتحان عبارة عن موقف تهديد للشخصية وهو المحدد للمستقبل من التصورات مما يكون سببا في كثير من الاحيان لشعوره بالقلق.

ب/ طريقة إجراء الاختبارات: تعد طريقة إجراء الامتحانات في كثير من الاحيان دافعا قويا لشعور الفرد بالقلق، فمن المعروف أن طريقة إجراء الامتحانات من حيث طبيعة الاسئلة، وما تحاط به من سرية وتكتم وانشغال الجميع به ما يبعث على الرهبة والخوف.

ج/ عمل الاسرة: قد تكون الاسرة من بين الأسباب التي تؤدي إلى الشعور بالقلق أثناء الامتحانات وذلك بفعل ما تستخدمه مع الطالب من اساليب التنشئة التقليدية كالتهديد بالعقاب أو الحرمان من أمور معينة مالم ينجح في الامتحان، مما يؤدي إلى خوفه من النتائج السيئة وبالتالي شعوره بالقلق.

د/ الاستاذ: يعد كذلك في كثير من الاحيان من اسباب الشعور بالقلق وذلك من خلال ما يبثه من خوف في نفوسهم عن الامتحانات في بعض الاحيان، واستخدامها كوسيلة للعقاب في احيان أخرى.

هـ/ مو اقف القويم ذاتها: الفرد مجرد ان يشعر بأنه موضوع تقويم في أي موقف من مواقف الحياة فإن ذلك يشعره بالقلق والطالب كذلك إذا شعر أنه موضع تقويم واختبار فإن مستوى القلق سيرتفع لديه.

٧/ لإجراءات العملية التعليمية الإرشادية لخفض قلق الامتحان: (زهران، ٢٠٠٠م، ٢٨٧).

يقترح بعض الأخصائيين النفسيين أنه هنالك بعض الإجراءات العملية التوجيهية والإرشادية لتخفيض قلق الامتحان وأهم الإجراءات وهي كالتالي:

١/ تطوير قدرة الفرد على الفهم وحل المشكلات:

٢/ مساعدة الفرد على الشعور بالأمن والثقة بالذات (أسلوب توكيد الذات)

٣/ التدرب على الاسترخاء.

٤/ الحديث الايجابي مع الذات.

٥/ تقليل الحساسية التدريجي: (Desensitization).

٦/ تقديم المساعدة في الدراسة.

٧/ تشجيع التعبير عن الانفعالات: (التفريغ الانفعالي).

٨/ تحسين عادات الدراسة السيئة:

٩/ التدريب على مهارات الامتحان: (الداهري، ٢٠٠٥م، ٢٢٠).

الامتحان موقف تعليمي لا بد من الاهتمام به وإتباع أساليب فعالة عند المذاكرة له من أجل الحصول علي مستوي مناسب من التحصيل والنجاح والتفوق، ومن هذا المنطلق يري المختصين في هذا المجال أنه لا بد من اكتساب بعض المهارات وهي المهارات اللازمة لكل طالب يتقدم إلى الامتحانات وتسمي هذه المهارات (بمهارات الامتحان) ومن هذه المهارات ما يلي:

المهارة الأولي/ مهارة المراجعة: مهارة المراجعة من أهم المهارات التي ينبغي أن يكتسبها أي طالب يمر بالامتحانات، لأنه من خلالها يسترجع الكثير من المعلومات والبيانات التي مر بها خلال العام الدراسي ومهارة المراجعة تحتاج الى التركيز والمتابعة أول بأول.

المهارة الثانية / مهارة الاستعداد للامتحان: الاستعداد للامتحان من الأمور الهامة وإن كان الطالب متقدم إلى امتحان مهم ويتوقف مستقبل الإنسان عليه، فلابد أن يستعد الطالب استعدادا جيداً لهذا الامتحان.

المهارة الثالثة مهارة أداء الامتحان: الجلوس في المكان المخصص بهدوء وكتابة البيانات الشخصية، وإتباع التعليمات التي تلقي علي الطالب من لجنة سير الامتحان.

٨/ نظريات قلق الامتحان:

١/ نظرية التحليل النفسي : يمثل القلق أحد المفاهيم الرئيسة في المدرسة التحليلية، ويعرف التحليليون القلق على أنه حالة من التوتر، تدفعنا إلى عمل شيء ما، تتطور هذه الحالة من خلال الصراع بين الهو والأنا الأعلى، في محاولة كل منهما السيطرة على الطاقة النفسية المتوترة ويمكن تصنيف القلق بحسب هذه النظرية إلى القلق الواقعي: وهو الخوف من خطر خارجي، ومستوى هذا القلق يتناسب مع درجة التهديد الخارجي و القلق العصابي والقلق الأخلاقي والذين يثاران عن طريق التهديدات الراجعة لميزان القوى داخل الفرد، حيث يبعث هذان إشارة إلى الأنا مفادها بأنه إذا لم يأخذ الأنا خطوات ضرورية فان الخطر سوف يزداد . (المرزوقي، ٢٠٠٨م، ٣٨).

٢/ النظرية السلوكية: تنظر المدرسة السلوكية إلى القلق على أنه سلوك متعلم من البيئة التي يعيش في وسطها الفرد، تحت شروط التدعيم الإيجابي والتدعيم السلبي، وهى وجهة نظر متباينة للتحليلية , فالسلوكيون ال يؤمنون بالدوافع اللاشعورية، ولا يتصورون الديناميتان النفسية، أو القوى الفاعلة في الشخصية على صوره منظمات ثلاث ،" الهو "،"الأنا"،" والانا العليا "كما فعل التحليليون، بل أنهم يفسرون القلق في ضوء الاشتراك الكلاسيكي ، وهو ارتباط مثير جديد بالمثير الأصلي، ويصبح المثير الجديد قادرا على استدعاء الاستجابة الخاصة بالمثير الأصلي وهذا يعنى أن مثيرا محايداً يمكن أن يرتبط بمثير آخر من طبيعته، أن يثير الخوف، وبذلك يكتسب المثير المحايد صفة المثير الأصلي المخيف ويصبح قادراً على استدعاء استجابة الخوف على أنه في طبيعته الأصلية لا يثير مثل هذا الشعور.

وبذلك فالمدرسة السلوكية كانت تنظر إلى القلق من منظور دافعية التعلم. وأطلقوا عليه القلق الدافع، أي أن القلق يعد دافعاً للإنجاز والتعلم والاكتساب، حيث بقدر ما يكون حجم القلق يكون حجم التعلم والانجاز لدى الفرد، ويقود هذا التيار كل من (تايلور) و(سبنس) و(سارسون)، فهم يرون أن القلق الدافع يجدي نفعاً في حالة الإعمال السهلة، ولا يجدي نفعاً مع الأعمال الصعبة. وبالتالي يتبين أن زيادة القلق ليست دافعاً وحاجزاً لقدرات الفرد على الإنجاز بل تكون معوقاً لكف قدراته، فعندما يدرك الطالب تهديداً ويتوقع خطراً فإنه يتحفز ويستنفذ كل طاقاته الجسمية والنفسية. فإذا كان بمقدوره أن يحتوي هذا الخطر ويسيطر عليه أقدم عليه بشجاعة واطمئنان،

وإذا ما شعر بالعجز فإنه يشعر بالقلق وبالتالي ينعكس ذلك على أداءه وتحصيله فالزيادة في معدل القلق ليست دائماً دافعاً للإنجاز والعمل المبدع . (الزيود، ٢٠٠٢م، ٢٥).

٣/ النظرية المعرفية: لقد حاولت كثير من النظريات الحديثة تفسير الإنجاز السيء المرتبط بالقلق العالي للامتحان، ورأت أن التأثير النسبي للقلق في الموقف الاختباري هو دخول عوامل أخرى، بحيث ينتج القلق العالي من الاستجابات الضرورية المرتبطة بالمهام المطلوبة، مثل عدم التركيز والاستجابات المركزة حول الذات التي تتنافس وتتداخل مع الاستجابات الضرورية المرتبطة بالمهام الساسة ذاتها أو التي هي ضرورية، حيث ترى أن الأفراد ذوي القلق العالي للامتحان يوزعون اتباههم على الأمور المرتبطة بالمهمة ذاتها، أما الأفراد ذوي القلق المنخفض للامتحان غالبا ما يركزون على الأمور المرتبطة بالمهام المطلوبة فقط بدرجة أكبر.(طه، ٢٠٠٧م، ٣٣٤-٣٣٣).

ثالثاً: الحرب

١/ مقدمة: يمر الفرد جراء اندلاع الحروب بأسوأ حالاته النفسية إزاء تهديد حياته وحياة أسرته بالخطر أو تدمير منزله ومحو ذكرياته، بالإضافة إلى ما يشهده من أهوال الحرب من قتلى وجرحى، وهو ما قد يفوق قدرته على التحمل. ربما لا يسع الإنسان في هذه الظروف الصعبة سوى التحلي بالصبر والإيمان والعمل على الحفاظ على صحته النفسية، أملًا في النجاة من الحرب بأقل خسائر ممكنة. (Fielding، ٢٠٢٣م، ٢٠).

٢/ مفهوم الحرب:

أ. الحرب لغة: عرّف الحرب لغة كما ورد في معجم المعاني الجامع روب: (اسم)

حُروب : جمع حُرب والحَرَبُ : الويلُ والهلاك وأنّها قتال بين فئتين، وجمعها حُروب وعكسها سِلْم، وإذا قيل استعرت الحَرْب، أي أنّها أصبحت شديدة وقوية، أمّا إذا قيل وضعت الحرب أوزارها، فهذا يعني أنّ القتال انتهى، ومصطلح الحَرْبُ بينهم سجال يعني أنّ الحرب انتهت دون فوز أو هزيمة أي من الأطراف المتحاربة للطرف الآخر، ودارُ الحَرْبِ هي بِلاد الأعداء، ورجل الحَرْبْ هو صاحب الخبرة في إدارة وتسيير المعارك الحربيّة. (معجم المعاني، ٢٠١٧م، ١).

ب . مفهوم الحرب اصطلاحا : وفي القانون الدولي العام فإن التعريف التقليدي للحرب هو أنّها عبارة عن نزاع مسلّح بين فريقين من دولتين مختلفتين؛ إذ تُدافع فيها الدول المتحاربة عن مصالحها وأهدافها وحقوقها، ولا تكون الحرب إلّا بين الدول، أمّا النّزاع الذي يقع ين جماعتين من نفس الدولة، أو النزاع الذي يقوم به مجموعة من الأشخاص ضد دولة أجنيه ما، أو ثورة مجموعة من الأشخاص ضد حكومة الدولة التي يقيمون فيها، فلا يعد حرباً ولا علاقة للقانون الدولي به وإنما يخضع للقانون الجنائي، أما التعريف الحديث للحرب فقد تم توسيعه ليشتمل على أي نزاع مسلح ولو تم تتوافر فيه عناصر التعريف التقليدي من امتلاك الجماعة المسلحة لصفة الدولة، وإن كان النزاع قائماً من قِبَل دولة لحسابها الخاص وليس لغرض جماعي، كما أصبحت النزاعات الأهلية التي تحدث في نفس الدولة تندرج تحت مسمى الحرب(Dovidka، 2023:4)

جـ وهي عبارة عن صراع بين طرفين يسعى كلٌّ منهما للتغلب على الطرف الآخر وتدمير قوته وكيانه (www.aspdkw.co، ٢٠٢١).

٣/ تاريخ الحرب : الرغم من كره جميع شعوب العالم للحرب؛ إلّا أنّها تعد ظاهرة إنسانية قديمة، فلم يخلُ أيّ عصر من العصور القديمة من اشتعال الحروب التي كانت ضحاياها عشرات الآلاف من الناس، والحرب اليوم هي وضع نتيجة حاسمة للخلافات الدولية المرتبطة بالكيانات الاقتصادية والاجتماعية للدول المشاركة في الحرب؛ وذلك عن طريق الإجبار والقتال بعد أن يتعثّر حل الخلاف بالطرق السلمية؛ الأمر الذي يدعو كل دولة مشاركة في النزاع لأن تعطي لنفسها الحق في أن تكون الحكم الأول وصاحبة السلطة العليا في أي نزاع بهدف الدفاع عن مصالحها القومية وأهدافها، إذن فإنّ كلمة حرب تشير بمعناها اللغوي إلى القتال، وليس شرطاً أن تكون عادلة وإنما قد تكون لوقوع العدوان من طرف على طرف آخر فتاريخ الحرب قديم جداً، فمنذ أن هبط آدم -عليه السلام- على الأرض والنزاعات قائمة، كما لا تخلو صفحات التاريخ من النزاعات والحروب بين الأمم وخاصة بين الإمبراطوريات والممالك القديمة، ومن الأمثلة على الحروب في العصور القديمة: (الرحيلي ،٢٠١٣: ٤٩).

٤/ اسباب الحروب و آثارها والحد منها: للحرب أسباب متعددة ومختلفة، فقد يكون سبب الحرب لتوسيع نفوذ دولة على حساب دولة أخرى، أو لتحقيق مصالح معينة لمجموعة من الأفراد المختلفين على تلك الأمور، أو للحصول على مناطق الرعي الجيدة أو الطعام، كما حصل في العصور القديمة عندما أعلنت القبائل الجائعة في آسيا الوسطى الحرب على من يجاورها للحصول على الأرض الخصبة بعد أن جفّت أراضيها ومراعيها، كما قد تكون الحرب في بعض الأحيان ضرورية لحصول دولة ما على استقلاليتها ولدفاع شعب معين عن حريته واستقلاله وتحرير نفسه من أغلال دولة أخرى تكون قد فرضت هيمنتها بقوة السلاح. أمّا آثار الحروب وأضرارها فهي كبيرة جداً ومؤثرة على المجتمعات البشرية سلباً؛ حيث تُهدِر موارد الشعوب وثرواتهم، وتودي بحياة الكثير من الأشخاص دون سبب عقلاني، كما أنّها سبب لمنع تقدم البشرية على مختلف الأصعدة سواء اقتصادياً أو اجتماعياً أو غير ذلك، كما تزيد الحروب من معدل ارتكاب الجرائم، وتزيد من نسبة البطالة في المجتمع، وتُضعِف معنويات الأفراد، وتُضعِف الأخلاق والقيم الحسنة في المجتمع. لقد بذلت شعوب الأرض جهوداً كبيرة للحد من الحروب بعد أن أصبحت واعية تماماً لما تسبّبه من تدمير وفتك وتخريب، بالإضافة إلى قدرتها على إنهاء حياة الجنس البشري؛ خاصة عندما تستخدم الأسلحة (Dovidka ,2023).

رابعاً: الدراسات السابقة

أولاً- دراسات سودانية

٤. دراسة حسن إبراهيم محمد (٢٠٢٠) دور الأستاذ الجامعي في دعم الصحة النفسية للطلاب جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، هدفت الدراسة لمعرفة دور الأستاذ الجامعي في دعم الصحة النفسية للطلاب، العينة من أعضاء هيئة التدريس، تم استخدام المنهج الوصفي.

النتائج:

١.دور الأستاذ يقلل من القلق والتوتر لدى الطلاب.

٢.وجود فروق حسب الجنس والخبرة.

٣.التدريب التربوي يزيد من كفاءة الأستاذ.

٥. دراسة الطيب عبد الرحمن (٢٠١٩) الكفايات التدريسية لأعضاء هيئة التدريس وعلاقتها بدعم الطلاب نفسياً جامعة الجزيرة، هدفت الدراسة لمعرفة الكفايات التدريسية لأعضاء هيئة التدريس وعلاقتها بدعم الطلاب نفسياً العينة هم أساتذة جامعيون ، المنهج المستخدم الوصفي.

النتائج:

١.الكفايات التدريسية (دور الأستاذ) مرتبطة بخفض القلق.

٢.وجود فروق حسب الدرجة العلمية والخبرة.

٣.التدريب عامل أساسي في تحسين الأداء.

٦. دراسة محمد أحمد عبد الله (٢٠١٨) دور عضو هيئة التدريس في الإرشاد الأكاديمي وعلاقته بالتوافق النفسي للطلاب جامعة الخرطوم، هدفت الدراسة لمعرفة دور عضو هيئة التدريس في الإرشاد الأكاديمي وعلاقته بالتوافق النفسي للطلاب، المنهج المستخدم وصفي تكونت العينة من أساتذة جامعيون.

النتائج:

١.وجود علاقة بين الإرشاد الأكاديمي (دور الأستاذ) والتوافق النفسي (ومن ضمنه القلق).

٢.وجود فروق حسب سنوات الخبرة.

٣.التدريب له أثر في تحسين أداء الأستاذ.

ثانياً: دراسات عربية

١. دراسة الحارثي، خالد بن سعد (٢٠٢١) دور عضو هيئة التدريس في خفض القلق الأكاديمي لدى طلاب الجامعة، جامعة أم القرى، هدفت الدراسة لمعرفة دور عضو هيئة التدريس في خفض القلق الأكاديمي لدى طلاب الجامعة المنهج المستخدم وصفي تكونت عينة الدراسة من أعضاء هيئة التدريس.

النتائج:

١. وجود علاقة دالة بين دور الأستاذ (التفاعل – الدعم – التوجيه) وخفض القلق الأكاديمي.

٢.وجود فروق في تقدير الدور تعزى إلى سنوات الخبرة.

٣.وجود فروق حسب الدرجة العلمية (أستاذ – أستاذ مشارك – أستاذ مساعد).

٤.التدريب التربوي للأساتذة يزيد من فاعلية دورهم في خفض القلق.

٢. دراسة العتيبي، نورة بنت محمد (٢٠٢٠) دور عضو هيئة التدريس في دعم الصحة النفسية للطلاب الجامعيين بجامعة الملك سعود، هدفت الدراسة لمعرفة دور عضو هيئة التدريس في دعم

الصحة النفسية للطلاب الجامعيين، تم استخدام وصفي تحليلي تكونت العينة من أعضاء هيئة التدريس.

النتائج:

١.الأساتذة يرون أن التوجيه والإرشاد يقلل من القلق.

٢.وجود فروق في الاستجابات تعزى إلى الجنس.

٣.وجود فروق حسب الخبرة والتدريب.

٣. دراسة بن عيسى، عبد القادر (٢٠١٩) اتجاهات أساتذة الجامعة نحو دورهم في معالجة المشكلات النفسية لدى الطلبة، هدفت الدراسة لمعرفة اتجاهات أساتذة الجامعة نحو دورهم في معالجة المشكلات النفسية لدى الطلبة جامعة الجزائر ٢ استخدم المنهج: وصفي لعينة من أساتذة جامعيون.

النتائج:

١.الأساتذة يؤكدون أن لهم دوراً مباشراً في خفض القلق لدى الطلبة.

٢.وجود فروق حسب الدرجة العلمية والخبرة.

٣.التدريب في الإرشاد النفسي يعزز هذا الدور.

ثالثاً: دراسات أجنبية (Faculty Perspective)

٧. دراسة Aydin (٢٠٢١) Teaching Anxiety and Faculty Experience Istanbul Medeniyet University هدفت الدراسة لمعرفة Teaching Anxiety and Faculty Experience تم استخدام المنهج: وصفي تكونت العينة من أعضاء هيئة التدريس.

النتائج:

١.خبرة الأستاذ تقلل من القلق الأكاديمي لدى الطلاب.

٢.التدريب المهني يؤثر إيجابياً في الأداء التدريسي.

٨. دراسة Regehr et al. (٢٠١٣) Interventions to Reduce Stress in University Students: Perspectives of Faculty، University of Toronto هدفت الدراسة لمعرفة Interventions to Reduce Stress in University Students: Perspectives of Faculty، University of Toronto تم استخدام المنهج: وصفي تكونت العينة من أعضاء هيئة التدريس.

النتائج:

١.الأساتذة يلعبون دوراً مهماً في تقليل قلق الامتحان.

٢.التدريب على الدعم النفسي يحسن نتائج الطلاب.

٩. دراسة Ramsden (٢٠٠٣) Learning to Teach in Higher Education University of London، هدفت الدراسة لمعرفة Learning to Teach in Higher Education تم استخدام المنهج: وصفي تكونت العينة من أعضاء هيئة التدريس.

النتائج:

١.جودة التدريس (دور الأستاذ) تقلل من قلق الطلاب.

٢.توجد فروق في الأداء حسب الخبرة والرتبة الأكاديمية.

التعليق على الدراسات السابقة:

استفادت الباحثة من الدراسات السابقة في أمور عدة أجرتها الدراسات السابقة مثل الأدب النظري والإجراءات وبعض أدوات الدراسة وامتازت هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات السابقة في تقصيها لمتغيرات الدراسة تحديدًا اساتذة كلية التربية بجامعة البطانة وذلك على نحو دقيق، وهكذا انفرادها بهدفها وعينتها وأداتها، مما يشكل نقطة بحثية حديثة في الجانب التربوي المتعلق بدراسة دور الاستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى طلاب الفصل الدراسي الاول، حيث لم يسبق للدراسات السابقة مناقشة أو التطرق لمثلها.

تُظهر الدراسات السابقة اتفاقاً واضحاً على أن للأستاذ الجامعي دوراً مهماً في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب من خلال ممارساته التدريسية والإرشادية. فقد أكدت معظم الدراسات وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين دور الأستاذ ومستوى القلق الأكاديمي. كما بينت النتائج وجود فروق في تقدير هذا الدور تعزى لمتغيرات الجنس، حيث اختلفت النتائج بين الدراسات في هذا الجانب. وأظهرت الدراسات أيضاً أن الخبرة المهنية للأستاذ تسهم في تعزيز قدرته على خفض القلق لدى الطلاب. كذلك تبين أن الأساتذة ذوي الدرجات العلمية الأعلى أكثر فاعلية في التعامل مع المشكلات النفسية للطلاب. وأكدت الدراسات أهمية التدريب التربوي والنفسي في تحسين أداء الأستاذ في هذا المجال. كما ركزت بعض الدراسات على دور البيئة التعليمية في التأثير على مستوى القلق. وتوافقت الدراسات العربية والأجنبية في إبراز أهمية الدعم النفسي والتغذية الراجعة. ومع ذلك، يلاحظ أن معظم الدراسات لم تتناول تأثير الظروف الاستثنائية كالحروب. ومن هنا تأتي أهمية الدراسة الحالية لسد هذه الفجوة البحثية.

ثالثاً: إجراءات الدراسة الميدانية

١-منهج الدّراسة: اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على استقراء اراء افراد المجتمع المعني للحصول على بيانات التي تتعلق بموضوع الدراسة، ثم القيام بعد ذلك بتحليل هذه البيانات ومحاولة تفسيرها للوصول الى بعض الاستنتاجات. ومن اجل تحقيق اهداف الدراسة.

٢- مجتمع الدراسة: يتكون مجتمع الدراسة من مجموعة من اساتذة واستاذات جامعة البطانة كلية التربية بوحدة مدينة رفاعة بمحلية شرق الجزيرة. بلغ العدد الكلي للمجتمع (٦٠) أستاذ واستاذة وذلك حسب احصاء الكلية.

٣- عينة الدراسة: تم اختيار العينة بالطريقة العشوائية البسيطة حيث تمكنت الباحثتان من جمع البيانات التي تسمحت لها بالحصول على معلومات دقيقة عن طبيعة المجتمع وقد بلغ عدد المبحوثين (٢٠) استاذ واستاذة.

٤. **أداة الدراسة:** تم بناء استبانة الدراسة بهدف جمع المعلومات والبيانات اللازمة من خلال الاستفادة من الدراسات السابقة ذات العلاقة بالموضوع فقامت الباحثتان بإعدادها للتعرف على آرائهم حول برنامج دور الاستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى طلاب الفصل الدراسي الأول، ويتكون هذا المقياس من (٣٠) مفردة.

٥- تطبيق أداة الدراسة: حيث تم ترميز المتغيرات النوعية وذلك بإعطاء كل وصف أو صفة وزن يقابل تلك الصفة من خيارات مقياس (ليكرث) الثلاثي حتى يسهُل التعامل مع تلك البيانات بواسطة الحاسب الآلي، وذلك كالآتي:

الخيار	او افق	محايد	لا أو افق
الوزن	١	٢	٣

تقنين أدوات القياس: يتم تقنين واختبار أدوات القياس من خلال الاستبانة كالاتي:

١. ثبات المقياس (الاستبانة): يقصد بالثبات استقرار المقياس وعدم تناقضه مع نفسه، أي أن المقياس يعطي نفس النتائج باحتمال مساوي لقيمة المعامل إذا أعيد تطبيقه على نفس العينة.

٢. صدق المقياس (الاستبانة): Validity يقصد بصدق الاستبانة أن تكون استبانة الدراسة قادرة على إنجاز وقياس ما

صدق المحكمين: تم إجراء اختبار صدق المحتوي لعبارات المقاييس من خلال تقييم صلاحية العبارات من حيث الصياغة والوضوح حيث قام الباحث بعرض الاستبانة على عدد من المحكمين الأكاديميين والمختصين في تخصص الدراسة والبالغ عددهم (٤) محكمين، لتحليل مضامين عبارات المقاييس ولتحديد مدي التوافق بين عبارات كل مقياس تم قبول وتعديل بعض العبارات، وبعد استعادة الاستبيان من المحكمين تم إجراء التعديلات التي اقترحت عليه، وبعد ذلك تم تصميم الاستبانة في صورتها النهائية وضعت لأجله وقد تم قياس صدق الاستبانة من خلال الطرق الآتية:

تم تطبيق ثبات المقياس على أفراد العينة الاستطلاعية وذلك باستخدام طريقة التجزئة النصفية ومعامل ألفا كرو نباخ وذلك على النحو الآتي:

طريقة ألفا كرو نباخ: Cronbach's Alpha استخدم الباحث طريقة ألفا كرو نباخ لقياس ثبات الاستبانة كطريقة ثانية لقياس الثبات والجدول التالي يوضح ذلك:

الجدول (٥): معاملات ألفا كرو نباخ لكل محاور التحليل الاستراتيجي

معامل ألفا كرو نباخ	الصدق الداخلي
٨٩,٧	٩٠,٦

يتضح من الجدول أن معاملات ألفا كرو نباخ جميعها فوق (٠,٦٠) وهذا يدل على أن الاستبانة تتمتع بدرجة عالية من الصدق والثبات الداخلي لعبارتها مما يمكننا من الاعتماد على هذه الاجابات في تحقيق أهداف الدراسة وتحليل نتائجها.

٦- **الأساليب الإحصائية:** تم ترميز أسئلة الاستبانة ومن ثم تفريغ البيانات التي تم جمعها من خلال الاستبانات وذلك باستخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (Statistical (SPSS Package for Social Sciences ومن ثم تحليلها من خلال مجموعة من الأساليب الإحصائية المناسبة لطبيعة البيانات ونوع متغيرات البحث لتحقيق أهداف البحث واختبار فروض البحث ولقد تم استخدام الأدوات الإحصائية التالية

١. أساليب الإحصاء الوصفي: ذلك لوصف خصائص مفردات عينة البحث من خلال عمل جداول تكرارية تشمل التكرارات والنسب المئوية لمتغيرات البحث للتعرف على الاتجاه العام لمفردات العينة والدرجة الكلية لكل مستوى على حدة، والمتوسط الحسابي لكل درجة كذلك حساب المتوسط المرجح لإجابة العينة باستخدام مقياس ليكرث الثلاثي لقياس أراء المستجيبين.

٢. أساليب الإحصاء الاستدلالية: وذلك لاختبار فروض البحث، وتمثلت هذه الأساليب في استخدام:

١- اختبار Independent t-test.

٢- تحليل التباين الأحادي One Way ANOVA.

رابعاً: عرض النتائج ومناقشة الفروض

الفرض الأول: توجد علاقة ارتباطية بين دور الأستاذ الجامعي وقلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب بكلية التربية بجامعة البطانة. جدول رقم (٣) يوضح معامل ارتباط بيرسون لمعرفة العلاقة بين دور الأستاذ الجامعي وقلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب بكلية التربية بجامعة البطانة

قيمة الارتباط	القيمة الاحتمالية	الاستنتاج الإحصائي
٠,٢٢٨	٠,٠٢٣	توجد علاقة ارتباطية إيجابية بين دور الأستاذ الجامعي وقلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب بكلية التربية بجامعة البطانة عند مستوى دلالة ٠,٠٥

يلاحظ من الجدول أعلاه يوضح معامل ارتباط بيرسون لمعرفة العلاقة بين دور الأستاذ الجامعي وقلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب بكلية التربية بجامعة البطانة، أن قيمة الارتباط (٠,٢٢٨), وان القيمة الاحتمالية (٠,٠٢٣) مما يشير الى وجود ارتباط دال إحصائياً عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين المتغيرين. اتفقت هذه الدراسة مع دراسة Regehr et al. (٢٠١٣)، دراسة الطيب عبد الرحمن (٢٠١٩) ، دراسة محمد أحمد عبد الله (٢٠١٨) ، دراسة الحارثي، خالد بن سعد (٢٠٢١) ، دراسة بن عيسى، عبد القادر (٢٠١٩).

تشير النتيجة إلى أن دور الأستاذ الجامعي يؤثر بشكل كبير على مستوى قلق الامتحان لدى الطلاب وذلك يعود إلى الدعم النفسي الذي يقدمونه الأساتذة للطلاب مما يخفف من القلق والتوتر من الامتحان.

ترى الباحثة وتؤكد على دور الأستاذ الجامعي في خلق بيئة تعليمية داعمة للطلاب ودورهم في تخفيف الضغوط النفسية.

الفرض الثاني: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات متغير دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب تعزى لمتغير الجنس. جدول رقم (٤) يوضح اختبار (ت) لعينتين مستقلتين لمعرفة الفروق بين طلاب وطالبات المرحلة الجامعية في دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب تعزى لمتغير الجنس:

المتغير	النوع	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	درجة الحرية	الدالة الإحصائية
الجنس	إناث	٥٧,٤٢	٦,٤٠١	٠,٧٥٩	٦٧	٠,٤٥٠
	ذكور	٥٨,٥٧	٤,١٠٦			

نلاحظ من الجدول رقم أن الوسط الحسابي للإناث (٥٧,٤٢) بانحراف معياري (٦,٤٠١) بينما الوسط الحسابي للذكور (٥٨,٥٧) بانحراف (٤,١٠٦) حيث بلغت قيمة(ت) (٠,٧٥٩) بدرجة حرية (٦٧) وقيمة احتمالية (٠,٤٥٠) وهي قيمة غير دالة إحصائية مقارنة بالقيمة المعنوية (٠,٠٥) مما تشير إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط الدرجات. اختلفت هذه الدراسة مع دراسة حسن إبراهيم محمد (٢٠٢٠) ودراسة العتيبي، نورة بنت محمد (٢٠٢٠) .

تشير النتيجة إلى أن جنس الأستاذ لا يؤثر على دوره في التعامل مع قلق الامتحان لدى الطلاب وقد يكون العامل الأهم هو الخبرة والتدريب والأساتذة من الجنسين يتبنون أساليب تعليمية وارشادية متشابهة في التعامل مع الطلاب.

ترى الباحثة أن هذه النتيجة تعكس مهارات وقدرات الأستاذ المهنية بغض النظر عن جنسه مما يشدد على تطوير برامج تدريبية لتعزيز قدرتهم على دعم الطلاب.

الفرض الثالث: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات متغير دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب تعزى لمتغير الدرجة العلمية. جدول رقم (٥) يوضح اختبار (ت) لعينتين مستقلتين لمعرفة الفروق بين دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب تعزى لمتغير الدرجة العلمية.

المتغير	النوع	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	درجة الحرية	الدالة الإحصائية
الدرجة العلمية	محاضر	٥٨,٢٩	٤,٧٥٣	٠,٥٣٥	٦٧	٠,٥٩٥
	أستاذ مساعد	٥٧,٦٧	٣,٧٠٦			

نلاحظ من الجدول رقم أن الوسط الحسابي للمحاضرين (٥٨,٢٩) بانحراف معياري (٤,٧٥٣) بينما الوسط الحسابي للأستاذة المساعدين (٥٧,٦٧) بانحراف (٣,٧٠٦) حيث بلغت قيمة(ت) (٠,٥٣٥) بدرجة حرية (٦٧) وقيمة احتمالية (٠,٥٩٥) وهي قيمة غير دالة إحصائية مقارنة بالقيمة المعنوية (٠,٠٥) مما تشير إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط الدرجات، اختلفت هذه

الدراسة مع دراسة Ramsden (٢٠٠٣)، دراسة الطيب عبد الرحمن (٢٠١٩)، دراسة بن عيسى، عبد القادر (٢٠١٩)، دراسة الحارثي، خالد بن سعد (٢٠٢١).

تشير النتيجة إلى أن الدرجة العلمية للأستاذ الجامعي لا تؤثر بشكل كبير ويعود ذلك لخبرة الأستاذ في التدريس وفي طريقة تعامله مع الطلاب وأيضا الاستراتيجيات التطبيقية التي يستخدمونها بغض النظر عن درجاتهم العلمية.

ترى الباحثة ضرورة الاهتمام بتدريب وتطوير مهارات جميع الأساتذة بغض النظر عن درجاتهم العلمية لتعزيز قدراتهم لدعم الطلاب بشكل فعال.

الفرض الرابع: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات متغير دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب تعزى لمتغير الخبرة العملية .جدول رقم (٥) يوضح اختبار (ت) لعينتين مستقلتين لمعرفة الفروق بين دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب تعزى لمتغير الخبرة العلمية.

المتغير	النوع	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	درجة الحرية	الدالة الإحصائية
الخبرة العلمية	خبرة جيدة	٥٨,٠٠	٤,٧٠٠	٠,٥٠١	٥٩	٠,٥٠٠
	خبرة بسيطة	٥٠,٦٧	٢,٧٠٦			

نلاحظ من الجدول رقم أن الوسط الحسابي لذوي الخبرة (٥٨,٠٠) بانحراف معياري (٤,٧٠٠) بينما الوسط الحسابي لغير المدربين (٥٠,٦٧) بانحراف (٢,٧٠٦) حيث بلغت قيمة(ت) (٠,٥٠١) بدرجة حرية (٥٧) وقيمة احتمالية (٠,٥٠٠) وهي قيمة غير دالة إحصائية مقارنة بالقيمة المعنوية (٠,٠٥) مما تشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط الدرجات لصالح ذوي الخبرة ،اتفقت هذه الدراسة مع دراسة Ramsden (٢٠٠٣)، دراسة Aydin (٢٠٢١)، دراسة الطيب عبد الرحمن (٢٠١٩)، دراسة حسن إبراهيم محمد (٢٠٢٠)، دراسة محمد أحمد عبد الله (٢٠١٨)، دراسة بن عيسى، عبد القادر (٢٠١٩)، دراسة بن عيسى، عبد القادر (٢٠١٩)، دراسة الحارثي، خالد بن سعد (٢٠٢١).

تشير النتيجة إلى أن أساتذة الجامعات أكثر خبرة وفهما لتحديد احتياجات الطلاب وتقديم الدعم المناسب لهم لان الأساتذة ذوي الخبرة الطويلة أكثر فاعلية في معالجة المواقف الت تعترض الطلاب أثناء المواقف الأكاديمية داخل وخارج الجامعة.

ترى الباحثة أن النتيجة تؤكد أهمية الخبرة العملية في تعزيز قدرة الأستاذ على التعامل مع قلق الامتحان لدى الطلاب وأن الخبرة تلعب دورا حاسما في فعالية الأستاذ مما يشدد على ضرورة الاستفادة من خبرات الأساتذة الأقدم في العمل.

الفرض الخامس: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات متغير دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب تعزى لمتغير التدريب. **جدول رقم (٦)** يوضح

اختبار (ت) لعينتين مستقلتين لمعرفة الفروق بين دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب تعزى لمتغير الخبرة العلمية

المتغير	النوع	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	درجة الحرية	الدالة الإحصائية
الخبرة العلمية	مدرب	٥٥,٠٠	٣,٧٠٠	٠,٥٠٠	٥٠	٠,٥٠٠
	غير مدرب	٥٠,٠٠	٣,٦٠٠			

نلاحظ من الجدول رقم أن الوسط الحسابي للمدربين (٥٥,٠٠) بانحراف معياري (٣,٧٠٠) بينما الوسط الحسابي لغير المدربين (٥٠,٠٠) بانحراف (٣,٦٠٠) حيث بلغت قيمة(ت) (٠,٥٠٠) بدرجة حرية (٥٠) وقيمة احتمالية (٠,٥٠٠) وهي قيمة غير دالة إحصائية مقارنة بالقيمة المعنوية (٠,٠٥) مما تشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط الدرجات لصالح المدربين ، اتفقت هذه الدراسة مع دراسة Aydin (٢٠٢١)، دراسة Regehr et al. (٢٠١٣)، دراسة الطيب عبد الرحمن (٢٠١٩)، دراسة حسن إبراهيم محمد (٢٠٢٠)، دراسة محمد أحمد عبد الله (٢٠١٨)، دراسة بن عيسى، عبد القادر (٢٠١٩)، دراسة العتيبي، نورة بنت محمد (٢٠٢٠)، دراسة الحارثي، خالد بن سعد (٢٠٢١).

تشير النتيجة إلى وجود فروق تعزى لمتغير التدريب لدى الأستاذ الجامعي ويرجع ذلك إلى اكتساب مهارات جديدة من خلال الدورات التدريبية التي يتلقونها طيلة الفترة المهنية مما يساعد على مواكبة الاحداث الاستراتيجيات في التعامل مع الضغوط التي تواجه الطلاب.

ترى الباحثة أن هذه النتيجة تؤكد ضرورة الاهتمام بالتدريب المستمر للأساتذة الجامعيين، حيث يساهم في تطوير مهاراتهم وقدراتهم على التعامل مع قلق الامتحان لدى الطلاب بشكل أكثر فاعلية.

خامساً: خاتمة الدراسة

أولاً: النتائج: توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١. توجد علاقة ارتباطية بين دور الأستاذ الجامعي وقلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب بكلية التربية بجامعة البطانة.

٢.لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات متغير دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب تعزى لمتغير الجنس.

٣.لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات متغير دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب تعزى لمتغير الدرجة العلمية.

٤.توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات متغير دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب تعزى لمتغير الخبرة العملية لصالح الخبرة الأطول.

٥.توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات متغير دور الأستاذ الجامعي في الحد من قلق الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب تعزى لمتغير التدريب لصالح المتدربين.

ثانياً: التوصيات:

١/ توفير خدمات ارشادية للطلاب المتأثرين بالحرب لمساعدتهم على التكيف مع الضغوط الاكاديمية.

٢/ نشر ثقافة الجودة في جميع الأدوار التي يؤديها الأساتذة الجامعين، وتوعيتهم بأهمية أدوارهم.

٣/ مراعاة الفروق بين الطلاب في التعامل مع قلق الامتحان.

٤/ تنظيم ورش عمل للأساتذة حول كيفيو التعامل مع الطلاب في ظروف الحرب وغيرها.

٥/ ضرورة القيام بحملات تحسيسية حول قلق الامتحان وكيفية الحد منه.

ثالثاً: المقترحات:

١/ تصور مقترح لأدوار الأستاذ الجامعي وفق معايير جودة التعلم.

٢/ برامج ارشادية للحد من قلق الامتحان داخل الكليات.

٣/ علاقة قلق الامتحان بتدني مستوى الاطلاب.

٤/ دراسة الصعوبات التي تحول دون تحقيق الأستاذ الجامعي لأدواره.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المراجع:

١. ابن عيسى، عبد القادر (٢٠١٩) اتجاهات أساتذة الجامعة نحو دورهم في معالجة المشكلات النفسية لدى الطلبة.

٢. أبو أسعد، أحمد عبد اللطيف (٢٠٠٩) الإرشاد النفسي. ط١. عمان، الأردن: دار المسيرة.

٣. أبو عزب، نائل إبراهيم (٢٠٠٨) فاعلية برنامج ارشادي مقترح لخفض قلق الاختبار (الامتحان) لدى طالب المرحلة الثانوية بمحافظة غزة. رسالة ماجستير. الجامعة الإسلامية: غزة

٤. أركان ابراهيم عدوان (١٩٨٠) المرحلة الثانية، مبادئ العالقات الدولية

٥. التل، وائل عبد الرحمن (٢٠١٢) "مدى تقبل أعضاء هيئة التدريس في جامعة جازان بالسعودية لدور طلبة الجامعات في عملية تقييم الأداء التدريسي"، المجلة التربوية، جامعة الكويت، المجلد ١٦.

٦. جابر، عبد الحميد جابر, وكفافي، علاء الدين (١٩٩٣) معجم علم النفس والطب النفسي، الجزء السادس، دار النهضة العربية، القاهرة.

٧. جمعة محمد بدر (٢٠٠٤) واقع الأساليب التدريسية في الجامعة ومبررات استخدامها، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة المرقب، الخمس– ليبيا.

٨. الحارثي، خالد بن سعد (٢٠٢١) دور عضو هيئة التدريس في خفض القلق الأكاديمي لدى طلاب الجامعة، جامعة أم القرى، هدفت الدراسة لمعرفة دور عضو هيئة التدريس في خفض القلق الأكاديمي لدى طلاب.

٩. حديد يوسف (٢٠٠٩) تقويم الأداء التدريسي للأستاذة التعليم الثانوي في ضوء أسلوب الكفايات الوظيفية، أطروحة دكتوراه في علم النفس التربوي، قسم علم النفس، جامعة منثوري قسنطينة.

١٠. الحربي، ليلى مقبل بخيت (٢٠١١) فعالية برنامج إرشادي سلوكي لخفض لدى طالب وطالبات المرحلة الثانوية بالمدينة المنورة. رسالة ماجستير. جامعة طيبة، المملكة العربية السعودية.

١١. حسن إبراهيم محمد (٢٠٢٠) دور الأستاذ الجامعي في دعم الصحة النفسية للطلاب جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.

١٢. الخالدي أديب محمد (٢٠٠٩) الصحة النفسية نظرية جديدة، (ط١) العراق، دار وائل.

١٣. الخالدي، أديب محمد (٢٠٠٩) المرجع في الصحة النفسية، نظرية جديدة، ط٣، عمان (الأردن)، دن.

١٤. الخثيلة، هند ماجد (٢٠٠٠) المهارات التدريسية الفعلية والمثالية كما يراها الطالبة في جامعة الملك

١٥. دليل جامعة البطانة – السودان- ٢٠١٩/٢٠١٧م (٢٠١٧م): مطبعة محمد علي، الخرطوم، السودان

١٦. الدهري، صالح حسن (٢٠٠٥) مبادئ الصحة النفسية، الطبعة الأولي، دار وائل، **عمان.**

١٧. الزحيلي، أ.د. وهبة (٢٠١٣)، آثار الحرب: دراسة فقهية مقارنة (الطبعة الخامسة)، دمشق، بيروت: دار الفكر، دار الفكر المعاصر.

١٨. ردمان محمد سعيد غالب، توفيق علي (٢٠٠٨) التنمية المهنية لأعضاء هيئة التدريس، مدخل للجودة الشاملة في التعليم العالي، المجلة العربية لضمان جودة التعليم العالي، المجلد١، العدد١

١٩. الرشيدي، بشير وآخرون (٢٠٠٠) سلسلة تشخيص الاضطرابات النفسية، ط١، مكتب الإنماء الاجتماعي، الكويت.

٢٠. الريحاني، سليمان (١٩٨١) أثر الاسترخاء العضلي في التحصيل وخفض قلق الامتحان. المجلة العربية للبحوث التربوية، الأردن.

٢١. زاهر ضياء الدين (١٩٩٥) تقويم أداء الأستاذ الجامعي: الأداء الحثي كنموذج، مستقبل التربية العربية، كلية التربية، مصر، المجلد الاول، العدد٣٠

٢٢. زهران، محمد حامد (٢٠٠٠) الإرشاد النفسي المصغر، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة.

٢٣. الزيات، فتحي مصطفى (١٩٩٥) الأسس المعرفية للتكوين العقلي وتجهيز المعلومات. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٤. زين الدين ضياف ومصطفى بعلي (٢٠٠٨) التعليم العالي وإدارة الجودة الشاملة. ١٧
٢٥. الزيود. (٢٠٠٢) فاعلية برنامج إرشادي جمعي لتخفيض قلق الامتحان لدى عينة من طلبة الصف الأول الثانوي (رسالة ماجستير غير منشورة) الجامعة الهاشمية، الأردن.
٢٦. سائحي، سليمة (٢٠٠٤) فاعلية برنامج إرشادي لخفض مستوى قلق الامتحان لدى تلاميذ سنة ثانية ثانوي، رسالة ماجستير(منشورة)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ورقلة.
٢٧. سعود. مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والانسانية، المجلد الثاني عشر، العدد٢.
٢٨. سعيد، د. عباس، رنا محمد (١٩٩٥) أثر قلق الامتحان في التحصيل الدراسي العام لدى طلبة الصف الثاني الثانوي في المدارس الحكومية في مدن، نابلس، طولكرم، قلقيلية، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية: فلسطين.
٢٩. سميحة يونس. (٢٠٠٦) "اتجاهات خريجي الجامعة نحو السياسة الوطنية للتشغيل"، ماجستير في علم الاجتماع. جامعة بسكرة. الجزائر.
٣٠. الشاهين، غانم عبد الله (٢٠١١م) العلاقة بين صورة عضو هيئة التدريس لدى الطلاب بين مستوى تحصيلهم الدراسي في مؤسسات إعداد المعلم بدولة الكويت، مجلة العلوم التربوية.
٣١. طه، عبد العظيم حسين (٢٠٠٧) العلاج النفسي المعرفي، ط١، دار الوفاء، الإسكندرية.
٣٢. الطيب عبد الرحمن (٢٠١٩) الكفايات التدريسية لأعضاء هيئة التدريس وعلاقتها بدعم الطلاب نفسياً جامعة الجزيرة.
٣٣. العامور، رحاب (٢٠٢٤) تأثير الحرب على التعليم (مقال مجلة القدس).
٣٤. عباس حسين مغير ونسرين حمزة السلطاني ووفاء عبد الرزاق عباس (٢٠١٥) توافر معايير الجودة في أداء تدريس أقسام العلوم العامة. كليات التربية الأساسية من وجهة نظر طلبتهم العدد ٢٠. مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والاساسية جامعة بابل
٣٥. عبد الرحيم محمد عدس (١٩٨٠) دور المعلم صفة وماهية، مجلة التربية، العدد ٤٣، نشر عن المجلة القطرية للتربية والثقافة والعلوم.
٣٦. العتيبي، نورة بنت محمد (٢٠٢٠) دور عضو هيئة التدريس في دعم الصحة النفسية للطلاب الجامعيين بجامعة الملك سعود.
٣٧. عزت، زكريا جابر (٢٠١٠) علم النفس التربوي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
٣٨. عطا الله، مصطفى خليل محمود (٢٠٠١) الخصائص السيكومترية لمهارة إدارة قلق الامتحان لدى عينة من طلاب الجامعة، كلية التربية، مجلة التربية وعلم النفس، جامعة ألمانيا.

٣٩. القمش، مصطفى نوري وخليل عبد الرحمان (٢٠٠٧) الاضطرابات السلوكية والانفعالية. عمان.
٤٠. قمير محمود (٢٠٠٦) دراسات في التعليم الجامعي، جدار الكتاب الجامعي، الأردن.
٤١. مجيد، سوسن شاكر (٢٠٠٥) مشكلات الأطفال النفسية والأساليب الإرشادية لمعالجته، ط١، عمان.
٤٢. محمد أحمد عبد الله (٢٠١٨) دور عضو هيئة التدريس في الإرشاد الأكاديمي وعلاقته بالتوافق النفسي للطلاب جامعة الخرطوم
٤٣. محمد المرزوقي جاسم محمد عبد الله (٢٠٠٨) الامراض النفسية وعلاقتها بمرض السكر (ط١) عمان، دار الميسرة.
٤٤. مشعان، ربيع الهادي والغول، إسماعيل محمد (٢٠٠٧) المرشد التربوي ودوره الفاعل في حل مشاكل الطلبة، ط١، عمان، الأردن، دار عالم الثقافة للنشر.
٤٥. مصطفى الجلالي لمعان (٢٠١٤) التحصيل الدراسي (ط١) عمان الأردن، دار الميسرة.
٤٦. المعاني الجامع -(٢٠١٧) معجم عربي "، المعاني.
٤٧. مكتب المساحة، المحلية (٢٠١٩).
٤٨. الهذلي، عبد الله محسن (١٩٩٥) مدى توفر الكفايات التعليمية لدى معلمي المواد الاجتماعية في المرحلة الابتدائية من وجهة نظر المشرفين التربويين. المجلة التربوية، العدد ٣٥، المجلد التاسع.

ثانياً: المراجع الجنبية

1.Sarah Fielding. 2023. War Trauma: The Psychological Consequences of War. Retrieved on the 22nd of October,
2.Dovidka.info 2023. Psychological support during the war. Retrieved on the 22nd of October.

3. www.aspdkw.com/12 بتصرّف

4.Aydin (2021) Teaching Anxiety and Faculty Experience Istanbul Medeniyet
5.Ramsden (2003) Learning to Teach in Higher Education University of London
6.Regehr et al (2013) Interventions to Reduce Stress in University Students: Perspect of Faculty ،University of Toronto

الصحة النفسية في القرآن الكريم "جامعة الملك فيصل أنموذجا"

د. خزامى محمد سلامه العيسى(•)

المستخلص

تبرز أهمية البحث في ارتباطه بالمكانة العلمية للتوجيهات القرآنية في مجال الصحة النفسية، وإبراز عناية القرآن الكريم بالنفس الإنسانية، ودراسة تطبيقاتها المؤسسية المعاصرة من خلال أنموذج جامعة الملك فيصل. يهدف البحث إلى إبراز التكامل بين المرجعية الدينية والممارسات التربوية في تحقيق الاستقرار النفسي، وترسيخ دور المؤسسات الجامعية في تعزيز الصحة النفسية. تتمثل المشكلة في ضعف الاهتمام بالصحة النفسية من المنظور القرآني، واقتصار بعض الدراسات الحديثة على الجوانب المادية أو السلوكية دون ربطها بالهدي الإلهي. اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال بيان النماذج القرآنية ذات الصلة بالصحة النفسية، واستنباط المفاهيم النفسية من الآيات الكريمة، ودراسة جهود جامعة الملك فيصل في هذا المجال. توصل البحث إلى أن الصحة النفسية في القرآن الكريم تقوم على نظرة شمولية متوازنة تجمع بين الجسد والروح والنفس والعقل، وأن تزكية النفس والذكر والاعتدال في المأكل والمشرب والالتزام بالقيم الأخلاقية من أهم أسس التوازن النفسي. كما أظهرت النتائج أن جامعة الملك فيصل تقدم نموذجاً رائداً في تعزيز الصحة النفسية من خلال وحدات الإرشاد النفسي، وفعاليات "مطمئنة"، والخدمات الرقمية، بما يتوافق مع القيم الإسلامية والرؤية الوطنية ٢٠٣٠.الكلمات المفتاحية: " الصحة النفسية، السكينة، الطمأنينة، القرآن الكريم، جامعة الملك فيصل".

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن تبيانًا وتفصيلًا لكل شيء، والصلاة والسلام على صفوة الله من العالمين، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، صاحب البيان، وجوامع الكلم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الصحة النفسية تُعدّ من الركائز الأساسية في بناء الإنسان المتوازن، القادر على أداء دوره في الحياة الفردية والاجتماعية بكفاءة واستقرار، وقد أولى الإسلام اهتمامًا بالغًا بهذه الجوانب، فجاء القرآن الكريم حافلًا بالتوجيهات التي تعزز السكينة، والطمأنينة، وتدفع القلق، والوسواس، وتُرسي دعائم التوازن النفسي من خلال منظومة متكاملة من القيم الإيمانية والسلوكية التي تراعي فطرة الإنسان، وتستجيب لحاجاته الجسدية، الروحية والنفسية، والعقلية.

وفي ظل التحديات المعاصرة التي تواجه البشرية قاطبة، تبرز الحاجة إلى مؤسسات تربوية، وتعليمية، واجتماعية تُعنى بتعزيز الصحة النفسية، وتُفعّل دورها في التوعية والدعم. وتُعدّ جامعة الملك فيصل في المملكة العربية السعودية أنموذجًا جديرًا بالدراسة، لما تبذله من جهود في هذا المجال، عبر برامجها التربوية، والتعليمية الأكاديمية، ومبادراتها الإرشادية، ومراكزها البحثية المتخصصة التي تنشد تحقيق

(•) أستاذ التفسيروعلوم القرآن - جامعة الملك فيصل الاحساء - المملكة العربية السعودية

التوازن النفسي لمنسوبيها من الطلبة والموظفين، بما ينسجم مع القيم الإسلامية ويستند إلى أسس علمية حديثة.

أهمية الموضوع:

تبرز أهمية موضوع البحث في الأمور الآتية:

١. المكانة العلمية المرموقة للتوجيهات القرآنية في مجال الصحة النفسية على مستوى الأفراد والمجتمعات.
٢. القيمة التربوية والمعرفية للربط بين التوجيهات القرآنية في مجال الصحة النفسية والتطبيقات المؤسسية المعاصرة، من خلال دراسة أنموذج جامعة الملك فيصل بالمملكة العربية السعودية.
٣. إبراز عناية القرآن الكريم بالنفس الإنسانية ووسائل تهذيبها وتزكيتها.
٤. ترسيخ المفهوم القرآني للصحة النفسية بوصفه مبدأ متكاملاً يشمل الجسد، والروح، والنفس، والعقل.

أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التي دعتني للكتابة في الموضوع الأمور الآتية:

١. الإسهام في تعزيز الوعي النفسي لدى منسوبي جامعة الملك فيصل من خلال قيم قرآنية.
٢. دعم الجهود الجامعية في تحقيق بيئة تربوية، وتعليمية متوازنة جسديا، روحيًا، ونفسيا، وعقليا.
٣. فتح المجال أمام دراسات علمية تربط بين العلوم النفسية والقيم الإيمانية.
٤. لم أقف على دراسية علمية جمعت بين موضوع الصحة النفسية وتطبيقه على جامعة الملك فيصل بالمملكة العربية السعودية.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري في المكتبات، والمراكز العلمية، والمواقع الالكترونية المختصة بالدراسات القرآنية وجدت عدة رسائل وبحوث علمية منشورة، تناولت موضوع الصحة النفسية في القرآن الكريم، ولم أقف على دراسة تناولت تطبيق الصحة النفسية على الجامعات السعودية "جامعة الملك فيصل أنموذجا".

ومن هذه الدراسات:

١- الصحة النفسية في القرآن الكريم، د. ليلى العقيل، بحث محكم منشور في المجلة السعودية للدراسات التربوية والنفسية، الإصدار الثالث عشر (يوليو ٢٠٢٤م).

تناول البحث كيف عالج القرآن الكريم النفس البشرية من خلال مفاهيم الطمأنينة، التزكية، الصبر، والرضا، ويُظهر دور الإيمان في تخفيف القلق والتوتر.

٢- الأمراض النفسية وطرق علاجها في ضوء القرآن الكريم، خديجة عبد السميع، بحث محكم في الدراسة القرآنية منشورة في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج، جمهورية مصر العربية.

بين البحث مصادر الغذاء الروحي، ونت أهمها الإيمان والعمل الصالح، وربط البحث بين مفاهيم تربوية قرآنية وعلاجات نفسية حديثة.

٣- الصحة النفسية في القرآن الكريم: دراسة تحليلية، حسن محمود شكر، بحث محكم منشور في مجلة الأطروحة للعلوم الإنسانية.
تناول البحث أنواع النفس في القرآن (المطمئنة، اللوامة، والأمارة) وعلاقتها بالاستقرار النفسي.
٤- الاكتئاب بين المفسرين والنفسيين في ضوء القرآن الكريم، د. عباس باوزير، بحث محكم منشورة في مجلة الجامعة الإسلامية بالمملكة العربية السعودية.
ناقش البحث الفرق بين التفسير اللغوي للاكتئاب في القرآن، والتفسير النفسي الحديث.
٥- إصلاح النفس في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، حصة حمد محمد الحواس، بحث محكم منشور في مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، العدد ٢ لعام ٢٠٢٣م.
تناول البحث موضوع إصلاح النفس وتهذيبها في ضوء القرآن الكريم، مبينة أن سعادة الإنسان وفلاحه مرتبطة بصلاح نفسه.
٦- منهج القرآن في تحقيق الصحة النفسية للإنسان دراسة موضوعية، فريد فرج سعيد زيارة، رسالة ماجستير قُدمت إلى كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بغزة، بإشراف الدكتور جمال محمود الهوبي عام ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
تناولت الرسالة دراسة المنهج القرآني في تحقيق الصحة النفسية للإنسان من خلال بيان مفهوم الصحة النفسية، وأنواع النفوس في ضوء القرآن، ثم تحديد مؤشرات الصحة النفسية كما يرسمها القرآن الكريم، وخصائص الشخصية السوية، وأساليب تقويمها، وتحقيق توازنها، إضافة إلى بيان أساليب القرآن الكريم في العناية بالجسد والروح، والنفس، والعقل، والتوجيه نحو الإيمان، والعبادة، والأخلاق، والتوافق الاجتماعي.
وبعد هذه الدراسات لم أقف على دراسة تناولت تطبيق مجال الصحة النفسية في ضوء القرآن الكريم على الجامعات السعودية عامة، وجامعة الملك فيصل خاصة، على الرغم من كون الجامعة متميزة بمبادراتها في مجال البناء النفسي، وتعزيز الصحة النفسية ومن المؤشرات على صحة ذلك:

١. مركز الإرشاد الجامعي.
٢. برامج التوعية بالصحة النفسية.
٣. وحدة التوعية الفكرية
٤. فعاليات سنوية مثل أسبوع الصحة النفسية "مطمئنة".
٥. ولأجل هذه الأمور شرعت بالكتابة في هذا الموضوع.

مصطلحات البحث:

١- الصحة النفسية: حالة من الاتزان الداخلي والسلام النفسي الناتج عن الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والرضا بقضائه، والسعي للإصلاح الذاتي.
٢-النفس: الكيان الإنساني الجامع بين الجسد، والروح، والعقل، وهو المكلّف بالعبادة والعمران.
٣-التوازن النفسي: انسجام مشاعر الإنسان وسلوكه مع قيمه الإيمانية في مختلف المواقف.

مشكلة البحث:

تظهر مشكلة البحث في ضعف الاهتمام بالصحة النفسية من المنظور القرآني، واقتصار بعض الدراسات الحديثة على الجوانب المادية، أو السلوكية دون ربطها بالهدي الإلهي، مما يستدعي بيان الأسس القرآنية للصحة النفسية وتفعيلها في واقع المؤسسات التربوية والتعليمية "جامعة الملك فيصل أنموذجا".

حدود البحث:

المكان: جامعة الملك فيصل، بالمملكة العربية السعودية، "النموذج التطبيقي.

الزمان: العام الجامعي "١٤٤٦/ ١٤٤٧هـ".

الموضوع: الصحة النفسية من المنظور القرآني مع تطبيقات تربوية واجتماعية في الجامعة.

المنهج: المنهج الوصفي التحليلي مع توظيف التفسيري للآيات القرآنية الكريمة ذات الصلة بموضوع البحث.

أهداف البحث:

يهدف البحث للتوصل إلى الأمور الآتية:

١- إبراز التكامل بين المرجعية الدينية والممارسات التربوية في تحقيق الاستقرار النفسي للفرد والمجتمع.

٢- ترسيخ دور المؤسسات التربوية والتعليمية والجامعية خاصة جامعة الملك فيصل في مجال الصحة النفسية على مستوى الفرد والمجتمع.

منهج البحث:

اتبع البحث المناهج الآتية: المنهج الوصفي والمنهج التحليلي القائم على:

١. بيان بعض النماذج القرآنية: وذلك بذكر الآيات القرآنية الكريمة ذات الصلة بالصحة النفسية.

٢. التحليل الموضوعي: وذلك باستنباط المفاهيم النفسية من الآيات القرآنية الكريمة.

٣. المنهج التطبيقي: وذلك بدراسة جهود جامعة الملك فيصل في تعزيز الصحة النفسية لدى منسوبيها.

مفهوم الصحة النفسية وأهميتها ومكانتها وتوازنها في القرآن الكريم

تعريف الصحة النفسية لغة واصطلاحا

لا بد قبل الوقوف على تعريف هذا المركب "الصحة النفسية" من تناوله أولا على سبيل المفردات.

الصحة النفسية لغة:

جرت عادة العلماء والمؤلفين من البدء بالتعريف اللغوي العام قبل الوصول إلى التعريف الاصطلاحي الخاص.

الصحة لغة مصدر من الفعل "صحح" ومعنى الصحة: السلامة والعافية، فالصحة في التعبير السلامة من اللحن، والخطأ، والصحة في البدن السلامة من العوارض المفسدة، فالصحة: حالة

طبيعية تجري معها الأفعال بشكل سليم، قال ابن فارس رحمه الله تعالى: "(صح) الصاد، والحاء، أصل يدل على البراءة من المرض والعيب، وعلى الاستواء. من ذلك الصحة: ذهاب السقم، والبراءة من كل عيب، والصحيح، والصحاح بمعنى. والمصح: الذي أهله وإبله صحاح وأصحاء، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا يوردن ذو عاهة على مصح"[1]، أي: الذي إبله صحاح، والصحصح، والصحصحان، والصحصاح: المكان المستوي"(ابن فارس، ١٩٧٩م، ٢٨١/٣).

النفس لغة: اسم من الفعل "نفس" وجمعه أنفس، وأنفاس، وتطلق على الروح، ونفس الإنسان المدركة الناطقة، جاء في المعجم الوسيط:" (النفس) الروح: ويقال: خرجت نفسه، وحاد بنفسه مات، والدم يقال دفق نفسه، وذات الشيء وعينه، يقال: جاء هو نفسه، أو بنفسه، (ج) أنفس ونفوس، ويقال: أصابته نفس عين"(مصطفى وآخرون، د.ت، ٩٤٠/٢).

الصحة النفسية اصطلاحا:

تُعرَّف بأنها حالة من الرفاه النفسي التي تمكّن الأفراد من التعامل مع ضغوط الحياة، واستثمار قدراتهم، والعمل والإسهام في مجتمعاتهم. وهي لا تعني مجرد غياب المرض، أو الاضطراب النفسي، بل تشمل التوازن الإيجابي بين الجوانب العقلية، والانفعالية، والاجتماعية للفرد، مما يحقق له التوافق والسعادة الداخلية(منظمة الصحة العالمية، ٢٠٢٣م).

كما أوضحت منظمة الصحة العالمية لإقليم شرق المتوسط أن العافية النفسية هي "حالة العافية التي يحقق فيها الفرد قدراته الذاتية، ويستطيع مواجهة ضغوط الحياة اليومية، ويعمل بإنتاجية، ويسهم في مجتمعه المحلي(منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط. (د.ت)، وهذا التعريف يربط الصحة النفسية بالقدرة على الأداء الإيجابي والمثمر في الحياة.

ومن المنظور المجتمعي، تُعرّف الصحة النفسية بأنها "حالة الفرد المستقرة والمتوافقة نفسيًا، واجتماعيًا، التي يشعر فيها بالسعادة مع ذاته والآخرين، ويستثمر مهاراته بأقصى طاقاته لتحقيق ذاته"(جمعية التنمية الأهلية، بالرس، ٢٠٢٢م) مما يوضح أن الصحة النفسية مفهوم إيجابي يركّز على النمو الشخصي لا مجرد الوقاية من الاضطراب.

ومن الجدير بالذكر أن مفهوم الصحة النفسية يتجاوز النظرة العلاجية الضيقة، ويوجّه الجهود نحو الوقاية، والتنمية البشرية، فالصحة النفسية لا تقتصر على غياب الاضطرابات، بل تمتد لتشمل تنمية القدرات الإبداعية، ودعم العلاقات الاجتماعية السوية، وتحسين جودة الحياة، كما أن هذا

---

[1] أخرجه الإمام البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت: ٢٤١هـ)، الصحيح، كتاب الطب، باب: لا هامة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: "لا يوردن ممرض على مصح"، برقم (٥٧٧١)، ١٣٨/٧. وأخرجه الإمام مسلم، أبو الحسين ابن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ)، الصحيح، كتاب السلام، باب: لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر، ولا نوء، ولا غول، ولا يورد ممرض على مصح، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: "لا يورد ممرض على مصح"، برقم (٢٢٢١)، ١٧٤٣/٤.

التعريف الشامل يربط مفهوم الصحة النفسية بالبيئة التعليمية، والعملية، والاجتماعية للفرد(منظمة الصحة العالمية، ٢٠٢٣م، منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف)، ٢٠٢٤م).

وبناء على هذا المفهوم الشامل للصحة النفسية، فإنها تقوم على منظومة من المكونات، والمرتكزات منها:

الركيزة النفسية "الانفعالية: التي تعكس قدرة الفرد على إدارة مشاعره وأفكاره بوعي واتزان.

الركيزة الاجتماعية: التي تتناول مدى نجاحه في إقامة علاقات إنسانية إيجابية ومثمرة.

الركيزة الوظيفية "الإنتاجية: التي تقيس كفاءته في العمل والتعلّم.

الركيزة البيئية المحيطية: التي يتأثر فيه الفرد بعوامل الأسرة، والمجتمع، والثقافة.

وهذه الركائز تشكّل بمجموعها وحدة متكاملة تعكس سلامة الفرد وتوازنه الداخلي والخارجي(منظمة الصحة العالمية، ٢٠٢٣م).

كما يؤخذ من التعريف التفريق بين الصحة النفسية وغياب المرض النفسي، فمن الخطأ اختزال الصحة النفسية في مجرد غياب الاضطراب، أو المرض النفسي، فالمفاهيم الحديثة تؤكد أن "الخلو من المرض لا يعني التمتع بالصحة النفسية"، إذ أن الصحة النفسية مفهوم إيجابي يتضمن الرفاه، والتكيف الفعّال، والإنتاجية الاجتماعية، فقد يكون الفرد غير مريض نفسيًا، لكنه يعاني ضعفًا في الرضا، أو فقدان التوازن الداخلي، مما يعني غياب الصحة النفسية الحقيقية(العثماني، ٢٠١٩م).

والمنظور القرآني يؤكد اتساع مدلول الصحة النفسية ليشمل معاني السكينة، والطمأنينة، والرضا، فهذه النظرة المتوازنة، والمتوافقة مع مكونات الإنسان "الجسد، والروح، والنفس، والعقل"، فقد عبّر القرآن الكريم عن هذا المعنى في قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: ٢٨]، فتؤكد الدراسات القرآنية أن مفاهيم الطمأنينة، والسكينة، والرضا، والصبر الجميل، والهجر الجميل، والصفح الجميل، والتوكل على الله سبحانه وتعالى، هي دلائل واضحة على الصحة النفسية في الهدي القرآني، حيث تتأسس على الإيمان والثقة بالله جل وعلا، مما يعزز التوازن النفسي والاجتماعي(الهادي، ٢٠١٨م؛ قرينعي، ٢٠٢٣م).

أهمية الصحة النفسية ومكانتها في القرآن الكريم

اعتنى القرآن الكريم بالإنسان من حيث مكوناته المتنوعة: الجسد، والروح، والنفس، والعقل كمنطلق للصحة النفسية، وتتمثل هذه العناية والاهتمام بالأمور الآتية:

أولا: نظر القرآن الكريم للإنسان نظرة شمولية تقوم على التوازن والتكريم.

ينظر القرآن الكريم للإنسان نظرة شاملة تجمع بين الجسد، والروح، والنفس، والعقل، لأنه مخلوق مكرم جعله الله تعالى خليفة في الأرض، ومنحه نعمة الوجود، والاستطاعة، والعقل، والإرادة، والقدرة، ووجّهه لعبادته سبحانه، وعمارة الأرض، قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}[الإسراء: ٧٠](وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١٩م).

وقد أكّد المفسرون أن القرآن الكريم لم يُعنَ بمكون واحد من الإنسان دون غيره، بل حفظ جميع مكونات كيانه توازنًا وعدلًا.

ثانيا: أمر القرآن الكريم بحفظ جسد الإنسان فأمر سبحانه وتعالى بالوقاية والتداوي.

ومن مظاهر اعتناء القرآن الكريم بجسد الإنسان، حثّه على النظافة، والاعتدال في الطعام والشراب، والنوم، ونهى عن كل ما يضرّ به. قال الله سبحانه وتعالى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}[الأعراف: ٣١]. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فإن لزوجك عليك حقا، ولزورك عليك حقا، ولجسدك عليك حقا"[(١)]، فقد عدَّ الأصوليون حفظ النفس أحد المقاصد الكلية الخمسة التي جاءت الشريعة الإسلامية لحفظها، ويشمل ذلك التداوي اتقاءً للهلاك، حيث قرر الأصوليون والمفسرون أن حفظ النفس من أهم التكاليف الشرعية، قال الإمام الماتريدي رحمه الله في فوله تعالى: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ}[البقرة: ٢٦٩]،"وقوله تعالى: (فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا)، من حفظ النفس في الدنيا عن جميع الآفات، وفي الآخرة عن دفع العقوبات"(الماتريدي، ٢٠٠٤م، ٢/ ٢٦٢).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله في قوله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }[الأعراف: ٣١]،""قوله تعالى: (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) قال ابن عباس: أحل الله في هذه الآية الأكل والشرب ما لم يكن سرفا أو مخيلة، فأما ما تدعو الحاجة إليه، وهو ما سد الجوعة، وسكن الظمأ، فمندوب إليه عقلا، وشرعا، لما فيه من حفظ النفس، وحراسة الحواس، ولذلك ورد الشرع بالنهي عن الوصال، لأنه يضعف الجسد، ويميت النفس، ويضعف عن العبادة، وذلك يمنع منه الشرع، وتدفعه العقل، وليس لمن منع نفسه قدر الحاجة حظ من بر، ولا نصيب من زهد، لأن ما حرمها من فعل الطاعة بالعجز والضعف أكثر ثوابا وأعظم أجرا"(القرطبي، ٢٠٠٦م، ٧/ ١٩١).

كما أنه من المؤكد أن مفهوم الصحة في الإسلام يشمل الوقاية قبل العلاج ويتمثل ذلك في الطهارة، والنظافة، والغذاء المتوازن.

ثالثا: أمر القرآن الكريم بتزكية النفس البشرية، وتحقيق سعادتها الروحية الداخلية.

الروح هي مركز السعادة والطمأنينة، وقد دعا القرآن الكريم إلى تزكيتها بالعبادة والذكر، فقال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا}[الشمس: ٧-١٠]، ومما لا ينقضي منه العجب أمران نبه إليهما القرآن الكريم:

[(١)] أخرجه الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، أو فوت به حقا، أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، و إفطار يوم، من حديث بد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، برقم (١١٥٩)، ٣/ ٨١٣.

الأمر الأول: أن سر تكريم هذا الكائن "الآدمي" هي النفخة العلوية السماوية المضافة إلى الرب جل وعلا تكريما وتشريفا، {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ * وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ}[الحجر: ٢٦-٢٩].

الأمر الثاني: أن أطول قسم في القرآن الكريم هو القسم الوارد في سورة الشمس، المتضمن أحد عشر قسما "المقسم به" وجواب القسم "المقسم عليه" واحد هو تسوية النفس البشرية بإلهامها الفجور والتقوى معا، "قال الله تعالى: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا}[الشمس: ١-١٠].

ومن المتفق عليه بين المفسرين، والمحدثين، والأصوليين، والفقهاء، أن التزكية تعني تنقية النفس بالطاعة وتطهيرها من المعصية، وهي أساس استقرار الإنسان النفسي.

فعلم التزكية هي مرتبة الإحسان المذكورة في حديث جبريل عليه السلام: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك"[(١)]،

رابعاً: أمر القرآن الكريم بحفظ عقل الإنسان وتكريمه.

العقل هو أساس التكليف في الإسلام، ولذلك حفظه الشارع الحكيم بتحريم ما يفسده من خمرٍ، أو مخدر، وأمر بتزكيته بالعلم، والذكر، والتفكر. قال تعالى:{فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً}[طه: ١١٤]،""وقال الله تبارك وتعالى:{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ}[آل عمران: ١٩٠-١٩٤].

ويُعدّ حفظ العقل أحد المقاصد الخمسة "الكليات الخمس"، قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى في بيان أسرار افتتاح الكتاب الكريم بجملة الحمد لله رب العالمين: "الفائدة الحادية عشرة: الحمد لله له تعلق بالماضي، وتعلق بالمستقبل، أما تعلقه بالماضي: فهو أنه يقع شكرا على النعم المتقدمة، وأما تعلقه بالمستقبل فهو أنه يوجب تجدد النعم في الزمان المستقبل، لقوله تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}[إبراهيم: ٧].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب: معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، برقم (٨)، ٣٦/٤.

"والعقل أيضا يدل عليه، وهو أن النعم السابقة توجب الإقدام على الخدمة، والقيام بالطاعة، ثم إذا اشتغل بالشكر انفتحت على العقل والقلب أبواب نعم الله تعالى، وأبواب معرفته ومحبته، وذلك من أعظم النعم، فلهذا المعنى كان الحمد بسبب تعلقه بالماضي يغلق عنك أبواب النيران، وبسبب تعلقه بالمستقبل يفتح لك أبواب الجنان، فتأثيره في الماضي سد أبواب الحجاب عن الله تعالى، وتأثيره في المستقبل فتح أبواب معرفة الله تعالى، ولما كان لا نهاية لدرجات جلال الله فكذلك لا نهاية للعبد في معارج معرفة الله، ولا مفتاح لها إلا قولنا الحمد لله، فلهذا السبب سميت سورة الحمد بسورة الفاتحة" الرازي، ١٤٢٠هـ، ١/ ١٩٥).

خامسا: نظرة القرآن الكريم التكاملية بين الجسد، والروح، والعقل في الإنسان.

جاءت الشريعة الإسلامية لحفظ المقاصد الخمسة "الكليات الخمس": النفس، والدين، والعقل، والنسل، والمال(القرافي، ١٩٧٣م، ١/ ١٦٤؛ الزركشي، ١٩٩٢م، ٣٢٩/٤)، وهي تشمل الإنسان بكل مكوناته. ومن خلال هذا التوازن يتحقق الاستقرار النفسي والاجتماعي للأفراد والمجتمعات

سادسا: نظر القرآن الكريم إلى أن الصحة النفسية أساس في بناء الفرد والمجتمع والحياة. (التكيف والرضا الذاتي).

الصحة النفسية للفرد حجر أساس في تحقيق التوازن الداخلي، إذ تمثّل قدرة الفرد على التكيف مع ضغوط الحياة، وإدراك ذاته، والعمل بفعالية ضمن قدراته، والإسهام في محيطه. فعندما يتمتع الفرد بصحة نفسية جيدة، يكون أكثر قدرة على مواجهة التحديات والتفاعل الإيجابي مع محيطه، مما يعزز جودة حياته ورضاه الذاتي(الحمدان، ٢٠٢٣م).

وتتمثل دور الصحة النفسية في بناء لمجتمع (التماسك والإنتاجية).

فلا تقتصر أهمية الصحة النفسية على الفرد فحسب، بل تمتد لتشمل المجتمع؛ إذ إن المجتمع الذي تتوفر فيه عناصر الصحة النفسية بين أفراده يكون أكثر تماسكًا، وإنتاجية، وقدرة على مواجهة الأزمات والتنمية. فالفرد السليم نفسيًا يسهم في العلاقات الاجتماعية، ويعمل ضمن منظومة اجتماعية بنّاءة، مما يعزز التكامل الاجتماعي ويخفض من الأعباء الاقتصادية والنفسية المرتبطة بالاضطرابات النفسية(شاع الدين، ٢٠٢٢م).

ويتمثل دور الصحة النفسية في جودة الحياة والأداء الوظيفي.

فتُعد الصحة النفسية عاملاً فاعلاً في تحسين جودة الحياة والوظيفة، فالإنسان الذي يتمتع بصحة نفسية جيدة يكون أكثر قدرة على الإنتاج، ويحقق أداء أفضل في العمل أو الدراسة، ويكون أقل عرضة للتغيب أو التراجع في الأداء الوظيفي، أو الانعزال الاجتماعي، كما أن ضعف الصحة النفسية يُترجم غالبًا إلى انخفاض في الإنتاجية، وتراجع في العلاقات، وزيادة في التكاليف الاجتماعية والاقتصادية(جريدة الوطن السعودية، ٢٠٢٥م).

سابعا: التأثيرات السلبية لاضطرابات الصحة النفسية.

ومما يؤكد أهمية ركيزة الصحة النفسية تلمس آثارها الكبيرة، عندما تُهمل الصحة النفسية، أو يتعرض الفرد لاضطرابات نفسية، فإن ذلك لا يؤثر عليه فقط، بل على الأسرة والمؤسسة والمجتمع،

مما يؤدي إلى زيادة في المشكلات كالطلاق، والعنف الأسري، وفقدان الوظيفة، وزيادة التكاليف الصحية. لذا، فإن الوقاية المبكرة والتحسين المستمر للصحة النفسية تُعد استثمارًا اجتماعيًا واقتصاديًا حيويًا(روان، ٢٠٢٤م)، في التنمية المستدامة؛ إذ تحقّق الأفراد بفضلها مشاركة فعّالة في التنمية، وتعمل المجتمعات على رفع كفاءتها الوقائية، وتقدّم خدمات دعم نفسي واجتماعي متقدمة. ومن ثم، فإن تعزيز الصحة النفسية يُعدّ مدخلاً رئيسًا لبناء مجتمعات قوية ومتماسكة(الزيد، د.ت).

توازن الصحة النفسية في القرآن الكريم

أولا: التوازن النفسي في الهدي القرآني (نظرة في النفس البشرية والعلم)

الدعوة إلى التفكر وتزكية النفس استناداً لقوله تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا}[الشمس: ٧-٩].

قدم القرآن الكريم للإنسان هديًا واضحًا في كيفية التعامل مع نفسه، حيث دعا إلى التفكر والتأمل في النفس البشرية، وأكد على أهمية تزكيتها. كما سبق في القول الإلهي الكريم، وهذا التوجيه القرآني يُظهر أهمية فهم الإنسان لذاته وتزكيتها لتحقيق الصحة النفسية.

١. الجسد (التسوية البيولوجية، والنفسية) {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا}[الشمس: ٧-٩].

يُشير مصطلح "التسوية" إلى الكمال في الخلق، وهو ما يتفق مع المنظور الحديث لعلم النفس الصحي (Health Psychology)، وعلم النفس البيولوجي (Biological Psychology).

٢. العلم والتفكر (الإلهام المعرفي) {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}[الشمس: ٨].

يشير مصطلح "الإلهام" هنا إلى القدرة المعرفية الفطرية على التمييز بين الصواب والخطأ، وهي عملية تتطلب التفكر وتنمية الوعي الذاتي، فالهام هو الوعي الأخلاقي والاختيار الحر (Moral Awareness and Free Choice): في علم النفس المعرفي، هذه هي القدرة على الاستدلال الأخلاقي (Moral Reasoning)، والتمييز بين البدائل السلوكية (التقوى كالسلوك التكيفي، والفجور كالسلوك الهدّام).

٣. تزكية النفس (العلاج السلوكي الروحي) {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا}[الشمس: ٩].

التزكية (Self-Purification) هي المصطلح القرآني الذي يلخص العلاج السلوكي والمعرفي الروحي، وهو شرط أساسي للنجاح النفسي (الفلاح)، فالتزكية هي العلاج السلوكي والتطهير الانفعالي: فعملية تزكية النفس تتضمن التغيير السلوكي المستمر (Behavioral Modification)، والتطهير من العيوب المعرفية (مثل الكبر، والفخر، والحسد)، فالتزكية هي جهد ذاتي واعٍ لتحسين الذات.

كما تشير كلمة "دسها" إلى معنى القمع والإهمال النفسي (Psychological Repression and Neglect): إهمال النفس وتركها للشهوات، أو دفنها في الأوهام والعيوب يؤدي إلى الاضطراب النفسي، (الخيبة، والخسران). هذا يتطابق مع مفهوم السلوك الهدام (Maladaptive Behavior).

ويؤخذ من قوله تعالى: "قَدْ أَفْلَحَ" الازدهار النفسي (Flourishing)، الفلاح هو أقصى درجات النجاح، والتوافق، وهو مصطلح يوازي في علم النفس الإيجابي الازدهار، حيث يعيش الفرد حياة ذات معنى، ويتمتع بصحة نفسية عالية، وعلاقات قوية(وتايلور ، د.ت، ١٠٠-١٣٠).

ثانياً: أالتوازن النفسي في ضوء الهدي القرآني (نظرة في النفس البشرية بين الجمالية والوقائية).

الزينة وأثرها النفسي (النظافة والاغتسال) استنادا لقوله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}[الأعراف: ٣١]، تشير الآية الكريمة إلى أهمية النظافة والاعتناء بالمظهر الشخصي. النظافة تُعتبر من العوامل الأساسية التي تسهم في تحسين الحالة النفسية للفرد، حيث تعزز من شعوره بالراحة والثقة بالنفس(موقع إسلام ويب).

إنَّ مفهوم "الزينة" في النص القرآني يتجاوز مجرد ستر العورة إلى التجمل واستعمال اللباس النظيف الحسن، خاصة عند الوقوف بين يدي الله في العبادة. وقد أشار المفسرون إلى أن هذا الأمر ليس مجرد حكم فقهي، بل هو توجيه شامل يلامس جانب الصحة النفسية والاجتماعية، إذ إن ستر العورة والتجمل يزيل عن البدن الدنس والقبح ويجعله في حالة مرضية للنفس والغير. ويُعد هذا التوجيه الرباني إشارة واضحة إلى أنَّ الاعتناء بالمظهر والنظافة الخارجية هو جزء من الإيمان، ويورث شعوراً بالرضا الذاتي والثقة، مما ينعكس إيجاباً على التوازن النفسي للفرد وتفاعله مع المجتمع (القشيري، د.ت، ١٩٥/١).

كما تدعو الآية الكريمة إلى اتخاذ الزينة (بما يشمل النظافة وستر العورة وطيب الرائحة) عند كل صلاة أو دخول للمسجد، وهو ما يمكن تحليله نفسياً وسلوكياً كالتالي:

أ. الزينة كسلوك وقائي و"صحة بيئية" (Preventive Behavior and Environmental Health):

ب. الزينة كسلوك علمي (الصحة العامة وعلم النفس البيئي): يشمل مفهوم الزينة النظافة (كالوضوء، والغسل، والتطيب). هذه الأفعال هي في جوهرها إجراءات وقائية (Preventive Measures) ضد الأمراض، والأوبئة (الصحة العامة)، كما أنها تحسن من جودة البيئة الاجتماعية (Social Environment Quality) (عبر تجنب الروائح الكريهة وإيذاء الآخرين).

فالأمر باتخاذ الزينة يجعل النظافة والجمال جزءاً من العبادة النظامية، مما يحولها من سلوك اختياري إلى عادة وقائية ثابتة، تعزز صحة الفرد والمجتمع المحيط به.

ج. أثر الزينة والنظافة على "مفهوم الذات") (علم النفس الإكلينيكي): (Self Concept)

يُعد الاهتمام بالمظهر الشخصي والنظافة مؤشراً قوياً على احترام الذات (Self Esteem) ومفهوم الذات الإيجابي (Positive Self-Concept). إهمال النظافة الشخصية والمظهر، على العكس، غالباً ما يكون عرضاً من أعراض الاكتئاب أو الاضطراب النفسي أو انخفاض قيمة الذات.

والتوجيه بأخذ الزينة يعني توجيه الفرد لتفعيل سلوكيات العناية بالذات، مما يعزز لديه الشعور بالكرامة، والقيمة، والاستحقاق، ويقلل من القلق الاجتماعي. ارتداء الزينة يمثل استعداداً نفسياً للقاء (بالله)، مما يرفع من الوعي الذاتي (Self Awareness) والتركيز.

جد. الصحة الجمالية وتأثيرها الاجتماعي، (علم النفس الاجتماعي) (Aesthetic Health and Social Impact).

يُظهر الأفراد الذين يعتنون بمظهرهم مستويات أعلى من الجاذبية الاجتماعية (Social Attractiveness) والثقة بالنفس (Self Confidence). التعامل بجمالية مع الآخرين (في المسجد أو غيره)، يسهم في نشر الألفة والود بين الجماعة.

فالزينة ليست فعلاً فردياً منعزلاً؛ بل هي فعل اجتماعي إيجابي يسهم في تحقيق البيئة الروحية والنفسية المثالية داخل الجماعة، مما يرسخ الأخلاق الجماعية (كالإيثار والتعاطف) التي تُعد أساساً للاستقرار النفسي للمجتمع(فرج، د.ت).

ثالثاً: أالتوازن النفسي في ضوء الهدي القرآني (نظرة في الصحة الجسدية الاعتدال واللياقة).

تأمر الآية الكريمة {يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}[الأعراف: ٣١]، بأهمية الحفاظ على التوازن الغذائي والابتعاد عن الإسراف في المأكل والمشرب والملبس، مما يسهم في الحفاظ على الصحة النفسية والجسدية.

قرن القرآن الكريم بين الأمر بالأكل، والشرب، واللبس والنهي عن الإسراف، وهذا يُؤسِّس لمفهوم التوازن البيولوجي الذي يحقق الاتزان النفسي، وقد أكد المفسرون أن الإسراف مذموم لأنه يضر بدن الإنسان ومعيشته، ويؤدي إلى الشَّرَه الذي يضر بالجسم، أو الزيادة على القدر الكافي، أو تجاوز الحلال إلى الحرام. هذا التوجيه القرآني يضع قاعدة جليلة للوقاية، حيث أن الاعتدال في الغذاء يحفظ الجسم من الأمراض، ويقي النفس من الاضطراب الناتج عن السمنة، أو الشره، أو العجز عن أداء الواجبات بسبب التخمة(الألوسي، ١٤١٥هـ، ٣٤٩/٤)، مما يجعل الجانب الجسدي داعماً قوياً للاستقرار النفسي.

روى المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن. بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه"[1]،

ويؤسس الحديث النبوي الشريف لمبدأ الاعتدال والتحكم في كمية الطعام، ويُعدُّ أساسًا متينًا لمفاهيم علم النفس الصحي (Health Psychology) وعلم النفس السلوكي، خاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين الأمعاء والدماغ:(Gut-Brain Axis) يُشير الحديث إلى أن الامتلاء المفرط هو "شر الأوعية"، وهو ما يتوافق مع الأبحاث الحديثة التي تؤكد الترابط الوثيق بين الجهاز الهضمي (البطن) والصحة النفسية عبر ما يُعرف بمحور الأمعاء، الدماغ.

تُظهر الدراسات أن حالة الجهاز الهضمي تؤثر مباشرة على إنتاج النواقل العصبية (مثل السيروتونين)، وأن أي اضطراب فيه نتيجة سوء التغذية أو التخمة يمكن أن يؤدي إلى تفاقم التوتر،

---

[1] أخرجه الإمام الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، السنن، ابواب الزهد، باب: ما جاء في كراهية كثرة الأكل، من حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه، برقم (٢٣٨٠)، ١٦٨/٤، قال الإمام الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

والقلق، وتقلبات المزاج.، فالتقليل من ملء البطن يحافظ على اتزان الجهاز الهضمي، وبالتالي يُسهم في استقرار الحالة النفسية والقدرة على التركيز، وهو ما أشار إليه العلماء المتقدمين بأن كثرة الغذاء توجب "ثقلًا عن الطاعات، وكثرة في الشهوات(ابن رجب، ٢٠٠١م، ٤٦٧/٢- ٤٧٩؛ حربي، ٢٠٠٧م)،

رابعاً: الصحة العقلية (نظرة في طلب العلم والهدى)، العلم وأثره في نمو النفس وتوازنها.

يُعتبر العلم من الأسس التي تُسهم في تعزيز الصحة النفسية. قال تعالى: {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً}[طه: ١١٤]،" السعي وراء العلم يُنمي الفكر ويُعزز من تقدير الذات، مما يسهم في تحسين الحالة النفسية للفرد.

يُعدُّ الأمر الإلهي للرسول صلى الله عليه وسلم بالاستزادة من العلم دلالة على القيمة العلاجية والمعززة للروح، والنفس، والعقل .وقد قال الإمام الطبري إن المعنى هو "ربّ زدني علماً إلى ما علمتني"، مما يشمل جميع فوائد العلم. إنَّ هذا التوجيه يشير إلى أنَّ النمو العقلي والمعرفي المستمر هو غذاء للنفس يقيها من الجمود ويُعزز من تقدير الذات (Self-esteem) ويزيد من اليقين. فالزيادة في العلم، (خاصة العلم النافع الذي يقترن بالهدى) تُحصِّن الفرد ضد الشكوك والجهل، وتمنحه القدرة على الفهم والتكيف الإيجابي مع تحديات الحياة، وهو ما يصب مباشرة في خانة الصحة النفسية الإيجابية(الطبري، ٢٠٠١م، ٢١٤/١٦)،

وفي قوله سبحانه وتعالى: :{ {إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً}[الكهف: ١٠]،"اقتران العلم بزيادة الهدى النفسي.

فترتبط الآية بشكل صريح بين العملية الداخلية للإيمان (آمنوا بربهم) والنتيجة النفسية والمعرفية (وزدناهم هدى) .يمكن تحليل هذا الاقتران في علم النفس من عدة زوايا:

أ. الهدى كنمو معرفي ونفسي:(Psychological and Cognitive Growth)

يشير مفهوم الهدى هنا إلى أكثر من مجرد المعرفة النظرية؛ بل يشمل الاستقامة النفسية، والثبات الانفعالي، والتوجيه السلوكي الصحيح .في علم النفس الديني، يُنظر إلى الإيمان الراسخ على أنه يوفر إطاراً معرفياً (Cognitive Framework) ثابتاً للحياة. هذا الإطار يمنح الفرد شعوراً بالمعنى (Meaning)Kوالهدف(Purpose) ، مما يعزز من المرونة النفسية (Resilience) في مواجهة تحديات الحياة (الأمر الذي تجلى في ثبات الفتية أمام الطغيان).

رتبت الآية الكريمة على الإيمان (التصديق القلبي) وهو الأساس، زيادة الهدى هي عملية النمو والتطور المستمر في هذا اليقين، مما ينتج عنه طمأنينة نفسية ووضوح في الرؤية لاتخاذ القرارات المصيرية.

ب. التثبيت كاستجابة إلهية:(Divine Support and Reinforcement)

كما يؤخذ من تفسير "وزدناهم هدى "كآلية تعزيز إيجابي (Positive Reinforcement) أو دعم نفسي من مصدر علوي. فبمجرد اتخاذ الفتية قرار الإيمان والتضحية، جاء الدعم الإلهي لتثبيتهم (Confirmation)وتقوية موقفهم الداخلي، وهو ما يتطابق مع آيات أخرى معلومة، وهذا التثبيت يقلل من التنافر المعرفي (Cognitive Dissonance) ويقوي الإرادة.

رتبت الآية القرآنية الكريم زيادة الهدى على الإيمان، فالقرار الإيماني ليس نهاية الطريق، بل بداية لعملية نمو مُتسارعة في الوعي الذاتي والثبات السلوكي.

ج. أهمية اليقين في علم النفس الإيجابي:(The Role of Certainty in Positive Psychology) ، اليقين والإحساس بالتفوق الروحي (Spiritual Transcendence) يعدان من أهم العوامل التي تسهم في جودة الحياة النفسية .(Psychological Well-being) الفتية لم يكتفوا بالإيمان، بل تضاعف "هداهم"، مما يمثل قفزة نوعية في الارتقاء الروحي والنفسي، وتحويل الإيمان من مجرد اعتقاد إلى قوة دافعة ومنقذة.

تؤسس الآية الكريمة لمبدأ أن الإيمان الراسخ هو المحرك للنمو النفسي الإيجابي، وأن هذا النمو ليس مجرد محصلة فردية، بل هو هبة إلهية تُمنح استجابة لصدق التوجه(ابن عاشور، ١٩٨٤م، ٢٧١/١٢)،

ثانيا: التوازن النفسي والروحي (علاقة النفس البشرية بالخالق)

أ. التوازن النفسي مع الله جل جلاله.

التوازن في النظرة العقدية (أركان التوازن الروحي).

أ. الدعاء والذكر: استناداً إلى قوله سبحانه وتعالى: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}[الرعد: ٢٨]، تؤسس الدعاء من أعظم وسائل التواصل مع الله، فهو يمنح الإنسان الطمأنينة والسكينة الداخلية، ويخفف من ضغوط الحياة اليومية، ويخلق حالة من الأمان الروحي والراحة النفسية. فالشخص الذي يحرص على الدعاء والذكر يعيش شعورًا بالارتباط بالخالق ويزداد توازنه النفسي.

إنَّ الآية الكريمة: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ }[الرعد: ٢٨]، تقدم الوصفة الإلهية الحصرية لعلاج القلق والاضطراب النفسي. وقد أكَّد المفسرون أنَّ الطمأنينة تعني أنَّ القلوب يزول قلقها واضطرابها، وتسكن عند ذكره وترضى به مولى ونصيراً. هذا الاطمئنان يكون باليقين والعلم المستمد من كتاب الله، وبالتسبيح والتحميد الذي يُشعر الفرد بالارتباط بحصن منيع لا تصل إليه عوامل القلق. هذا الاختصاص في جلب السكينة يدل على أنَّ العلاج الروحي ليس مجرد مُسكِّن، بل هو الركيزة الأساسية التي تُبنى عليها باقي جوانب الصحة النفسية، وتمنح الفرد شعوراً بالقوة والأمان في مواجهة ضغوط الحياة(ابن كثير، ١٤١٩هـ، ٤٥٣/٤).

ب. الخوف: الخوف من الله المؤدي إلى الطاعة والاستقامة.

الخوف من الله يعزز من تقوى الإنسان ويجعله أكثر حذرًا في أفعاله، ويحفزه على تجنب المعاصي. الإنسان المتوازن نفسيًا يدرك أهمية الخوف الإيماني الذي يحميه من الانحراف ويقوده إلى الاستقامة.

قال تعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}[السجدة: ٢٨].

ج. الرجاء: حسن الظن بالله والأمل في رحمته كمصدر قوة.

الرجاء في رحمة الله يمنح الإنسان الثقة ويشجعه على الاستمرار في الخير والعمل الصالح. هذا الشعور الإيجابي يساعد على مواجهة التحديات بحزم وهدوء، ويزيد من قدرة النفس على الصبر وتحمل المشاق.

د. الأمل: التطلع الإيجابي والتوكل على الله في مواجهة المصاعب.

الأمل في الله يمنح النفس دافعًا للاستمرار ويقوي عزيمة الإنسان على مواجهة المصاعب. هذا الأمل يحافظ على التوازن النفسي ويجعل الفرد متفائلًا ومتمسكًا بالثقة في قدرة الله على تغيير الأحوال (موقع إسلام ويب)، قال تعالى: {إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً}[الشرح: ٥]،

هـ اليأس: تجنبه والتحصن منه بالإيمان والثقة برحمة الله.

تحصين النفس ضد اليأس يساعد الإنسان على الصمود أمام التحديات ويشجعه على التوبة والإصلاح. إدراك رحمة الله الواسعة يمنح النفس التوازن والاستقرار، ويجنب الانحدار النفسي قال تعالى: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى}[النجم: ٣٢].

التوازن في النظرة التعبدية: التكليف في ضوء قاعدة الوسع والمقدرة {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا}[البقرة: ٢٨٦].

العبادات وفق قدرة الإنسان تحقق التوازن النفسي، إذ تمنع شعور الإرهاق، أو القلق. معرفة الحدود والقدرة على الوفاء بها تمنح الإنسان شعورًا بالطمأنينة والرضا عن نفسه، وتعزز استقراره النفسي، قال تعالى: {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}[البقرة: ٢٨٦].

حملت الآية الكريمة رحمة من الله وتخفيفاً، وهي تُرسّخ مبدأ التكليف المريح نفسياً .وقد فسَّرها أهل العلم بأنَّ الدين يسر لا مشقة فيه، وأنَّ التكاليف الشرعية لا تطلب من العباد ما لا يطيقونه، بل هي في حدود ما تسعه النفس وتقبله دون إجهاد أو حرج. وهذا المبدأ الإلهي يُعدُّ صمام أمان ضد القلق الدين، أو الشعور بالعجز عن أداء الواجبات، مما يمنح الفرد شعوراً بالعدل والطمأنينة بأنَّ عبادته مقبولة وأنَّ حدود جهده مُقدّرة، وهذا يُعزز من الاستقرار النفسي ويحول دون الشعور بالذنب المفرط، أو الإرهاق الروحي.

التوازن في النظرة الأخلاقية ركز القرآن الكريم تركيزا كبيرا على ترسيخ المنظومة الأخلاقية (المنظومة الأخلاقية كإطار نفسي للاستقرار).

الأخلاق الفاضلة تُعزز الانضباط الداخلي والوعي بالمسؤولية تجاه الآخرين، وتساعد على تكوين شخصية متزنة ومرنة في التعامل مع الحياة والمجتمع، قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[القلم: ٤].

عدت هذه الآية تأسيساً للمنظومة الأخلاقية كـ نظام تشغيل نفسي متكامل يضمن أعلى مستويات التكيف والانسجام الداخلي والخارجي:

أ. الأخلاق كـ "قوة شخصية" و"فضيلة" (Character Strengths and Virtues):

يركز علم النفس الإيجابي (Positive Psychology) على دراسة نقاط القوة الشخصية (Character Strengths) والفضائل التي تسهم في تحقيق الازدهار والسعادة. الخلق العظيم هو المفهوم الشامل الذي يجمع هذه الفضائل (كالعدل، الصبر، الحكمة، الكرم، التعاطف). البناء النفسي المتوازن لا يتحقق بغياب المرض فقط، بل بالحضور الفعّال للفضائل الإيجابية.

ربطات بالآية: الآية تصف النبي بأنه "على خُلُق عظيم"، وهو ما يعادل في علم النفس الحديث الوصول لأعلى مستويات التكامل النفسي والأخلاقي، حيث تصبح الفضيلة هي النظام الموجه للسلوك والانفعالات.

ب. الخُلق كعامل استقرار نفسي (Moral Framework for Psychological Stability):

توفر الأخلاق إطاراً معرفياً ثابتاً (Stable Cognitive Framework) لاتخاذ القرارات وتقييم الأحداث. عندما يمتلك الفرد منظومة أخلاقية متماسكة، يصبح أقل عرضة للتقلبات الانفعالية والأزمات الهوية. فالأخلاق تُعلِّم الفرد كيفية التعامل مع الغضب، والظلم، والنجاح، والفشل بطريقة مستقرة ومُتوقعة.

قررت الآية الكريمة ان الخلق العظيم هو الأساس الذي يضمن الاتساق السلوكي (Behavioral Consistency) والانسجام الداخلي (Internal Congruence). الشخص صاحب الخلق العظيم لا يعاني من التناقض السلوكي، مما يقلل من التوتر المعرفي (Cognitive Stress) ويعزز الصحة النفسية العامة.

ج. الأخلاق والذكاء العاطفي الاجتماعي (Emotional and Social Intelligence):

علمياً: معظم الفضائل الأخلاقية (مثل التسامح، والعدل، والرحمة) هي في جوهرها مهارات متقدمة في الذكاء العاطفي والاجتماعي. فمثلاً، القدرة على ضبط النفس عند الغضب (الحلم) هي تعبير عن تنظيم انفعالي (Emotional Regulation) عالٍ.

ربطاً بالآية: الخلق العظيم هو تتويج لهذه المهارات، حيث يمثل نموذجاً للتعامل الأمثل مع الذات والآخرين والمواقف، مما يؤدي إلى علاقات اجتماعية صحية ومستقرة (Stable Social Relationships)، وهي حجر الزاوية في الصحة النفسية.

التوازن في النظرة إلى نقاط القوة والضعف في النفس الإنسانية جذور الاضطراب النفسي (آفات الذات).

آفة الغرور، الكبر، العزة بالإثم: خطورة الإفراط في تقدير الذات على التوازن النفسي،إدراك خطورة الغرور، والكبر على النفس يساعد الفرد على محاسبة ذاته وتجنب الانحراف الأخلاقي، كما يعزز روح التواضع والاعتدال، مما يؤدي إلى توازن نفسي واجتماعي أعمق وأكثر استقرارًا، قال تعالى: {لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}[الحديد: ٢٣].

تحدد الآية سلوكين داخليين وخارجيين مذمومين: الاختيال (يتعلق بالداخل، أي نظرة الشخص المتكبر لنفسه) والفخر (يتعلق بالخارج، أي التعبير عن الكبرياء والتباهي أمام الناس). يتوافق هذا مع تشخيص جذور الاضطراب النفسي المرتبط بالذات:

أ. الاختيال كجذر نرجسي داخلي (The Narcissistic Core):

يشير الاختيال إلى حالة من العظمة المُبالغ فيها (Grandiosity) والاستحقاق (Entitlement)، وهي الصفة الأساسية في اضطراب الشخصية النرجسية (Narcissistic Personality Disorder - NPD). الشخص المختال لديه شعور متضخم بأهميته الخاصة، وهذا التضخم هو آلية دفاع نفسية ضد الشعور الداخلي العميق بالنقص، أو الهشاشة.

تحذر عن الاختيال هو نهي عن بناء قيمة الذات (Self-Worth) على أساس وهمي أو مُبالغ فيه، وهو ما يجعله عرضة للانهيار النفسي عندما يواجه الواقع أو الفشل.

ب. الفخر كـ "سلوك تعويضي" خارجي (Compensatory Behavior):

علمياً: الفخر المذموم (التباهي) هو سلوك تعويضي يقوم به النرجسي للحصول على الإمداد النرجسي (Narcissistic Supply)، أي جذب الانتباه والإعجاب والثناء من الآخرين لتغذية الذات الهشة. هذا السلوك يعتمد على المصادقة الخارجية (External Validation)، مما يجعل الفرد في حالة قلق مستمر حول صورته العامة وحكم الناس عليه.

تذم الآية الكريمة هذا السلوك لأنه يجعل الفرد يعيش حياة غير متوازنة، حيث يكون فرحه وحزنه (كما ورد في صدر الآية) مرهونين بالظروف الخارجية (المكسب والخسارة)، مما يؤدي إلى اضطراب انفعالي مزمن.

ج. الآثار النفسية الكامنة (Psychological Fallout):

ترتبط الآية بـ التوازن الانفعالي (لكي لا تأسوا... ولا تفرحوا...)، مما يؤكد أن آفات الذات هذه هي السبب في اختلال هذا التوازن.

وهو مناف لمحبة الله لهذين السلوكين هو إشارة إلى أنهما مسلكان يؤديان إلى الشقاء النفسي وعدم الاستقرار الداخلي.

أثر الدعاء في النفس (نموذج الاستغاثة)، {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَآئِكَةِ مُرْدِفِينَ}[الأنفال: ٩]، الدعاء كمصدر للقوة والدعم في أوقات الشدة.

أثر الدعاء في النفس قال تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَآئِكَةِ مُرْدِفِينَ}[الأنفال: ٩].

الدعاء في أوقات الشدة يمنح النفس شعورًا بالقوة والأمان ويعزز التوازن النفسي، إذ يشعر الإنسان بأن مع الله دعمًا وحماية، وهذا يقوي النفس ويخفف من القلق والخوف.

الاستغاثة كإجراء إسعافي: تحويل اليأس إلى يقين ودعم، تمثل الآية الكريمة قال تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَآئِكَةِ مُرْدِفِينَ}[الأنفال: ٩].

تجسيداً لآلية دفاع إيجابية في علم النفس الإيماني. ففي أشد لحظات الخطر وأقصى درجات العجز البشري (مواجهة جيش قوي بعدد قليل)، يتحول الدعاء والاستغاثة من مجرد طلب إلى فعل علاجي جذري.(Therapeutic Act)

إن الاستغاثة هي إقرار بحدود القوة الذاتية، ومن ثم إحالة الخوف والقلق إلى قوة لا محدودة (الخالق) .هذه العملية النفسية تُحدث فوراً ما يُعرف بـ"تخفيف العبء المعرفي" (Cognitive Load Reduction)، حيث تنتقل مسؤولية تدبير المصير من العقل المُرهَق إلى القدرة الإلهية المطلقة. هذا التحول ليس هروباً من الواقع، بل هو إعادة هيكلة معرفية للتعامل مع الواقع. النتيجة الفورية للإجابة الإلهية – الإمداد بالملائكة – تُرسي في النفس مبدأ "اليقين المُباشر"؛ إذ يشعر المستغيث بالدعم الفائق، مما يُعزز لديه الشعور بالأمان ويُزيل جذور القلق الوجودي .وبهذا يتحول الدعاء إلى استثمار نفسي يضمن للمؤمن صحة قلبية تحصنه ضد الهزيمة الداخلية قبل الهزيمة الخارجية.

نقاط القوة في الآية من منظور الصحة النفسية:

- الدعاء كمرساة :الاستغاثة كآلية نفسية لتثبيت الوجدان والتحول من الشعور بالعجز إلى الشعور بالقوة المُطلقة.
- الإمداد الروحي :الاستجابة الإلهية تخلق حالة من "اليقين الداخلي "الذي يمد النفس بدعم معنوي يتجاوز الإدراك المادي.
- تحويل الخطر :تحويل القلق والخوف من مصدر استهلاك للطاقة إلى محفز لـ "الاستجابة الفعالة" بالتوكل(القرطبي، ٢٠٠٦م، ٣٦٤/٧)،

ثانيا: التوازن النفسي مع المخلوقين (العلاج والتكيف الاجتماعي)

محددات التوازن مع الآخرين (الوقاية).

أ-: اجتناب آفات المجتمع (الغيبة والأذى اللفظي). قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ}[الحجرات: ١٢]، التحذير من الأذى النفسي والمعنوي.

توضح هذه الآية الكريمة أهمية الاحترام المتبادل بين الأفراد وتحذر من الأذى النفسي والمعنوي الذي قد يسببه السلوك السيئ تجاه الآخرين. الحفاظ على الكرامة الإنسانية يُسهم في بناء مجتمع متوازن نفسيًا وأخلاقيًا، ويعزز العلاقات الطيبة بين الناس.

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ}[الحجرات: ١٢].

استعملت الآية الكريمة صورة مرعبة ومُنفِّرة للغيبة، وهي تشبيه بليغ يُظهر قبح هذا السلوك في النفوس السوية. أشار المفسرون إلى أنَّ هذا التشبيه ينطوي على أبعاد نفسية عميقة، إذ أنَّ الغيبة توجب التباغض والتنافر بين الأفراد، وتُفقد الثقة، وتخلق مجتمعاً قائماً على الظنون السيئة، والتجسس. وبتعبير آخر، يوجه القرآن المؤمنين إلى أنَّ حماية الأفراد من الأذى المعنوي هي جزء لا

يتجزأ من الصحة النفسية للمجتمع، فكما تكره النفس أكل لحم الميت، يجب أن تكره ذكر الغائب بما يكره، ليتحقق بذلك التوازن الاجتماعي المستقر.

الهجر الجميل: استراتيجية نفسية قرآنية للتعامل مع الإيذاء، {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً} [المزمل: ١٠]،

الآية وارتباطها بعلم النفس: يتناول علم النفس، وخصوصًا فروع علم النفس الإيجابي وعلم النفس الإسلامي، استراتيجيات التكيف الفعال مع العلاقات المجهدة أو المؤذية. وفي هذا الإطار، تمثل الآية الكريمة: {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً}[المزمل: ١٠]،

تطبيقًا قرآنيًا لمفهوم يُعرف في علم النفس الحديث باسم "الانسحاب البنّاء" (Constructive Disengagement) أو "وضع الحدود الصحية" (Setting Healthy Boundaries). يشير مفهوم "الهجر الجميل" إلى طريقة للابتعاد أو قطع العلاقة لا تنطوي على رد فعل عدواني، أو انتقام، أو إساءة لفظية، مما يحمي الفرد من مزيد من الاستنزاف العاطفي (Emotional Exhaustion) ويقلل من التوتر (Stress). ويؤكد هذا المنهج على أن الحفاظ على السلام الداخلي والصحة النفسية يقتضي الانسحاب من مصدر الإيذاء بطريقة تحافظ على كرامة الذات، وتمنع تفاقم الصراع، وتستثمر الطاقة النفسية في التكيف الإيجابي بدلاً من الانخراط في ردود أفعال سلبية(نجاتي، د.ت، ٢٤٥-٢٥٠).

نماذج قرآنية كريمة للصحة النفسية

نماذج قرآنية للصحة النفسية (نظرة في القصص القرآني من حياة الأنبياء عليهم السلام للتكيف وتجاوز الضغوط والاضطراب)

النموذج الأول: السجن اختباروتوازن نفسي (في قصة يوسف عليه السلام).

السجن في قصة يوسف عليه السلام يمثل تجربة نفسية صعبة، لكنها علمته الصبرن والاعتماد على الله، التعامل مع المواقف الصعبة بروح إيجابية يُسهم في بناء شخصية متوازنة نفسيًا، ويعلم الصمود أمام الضغوط. قال تعالى: {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ}[يوسف: ٣٣].

تُقدِّم الآية الكريمة أنموذجاً فريداً للصحة النفسية الإيجابية التي تتجاوز مجرد التكيُّف مع الضغوط، لتصل إلى مستوى تفضيل الأذى الخارجي على الفساد الداخلي، ففي لحظة ذروة الإغراء والتهديد، لم يطلب يوسف عليه السلام النجاة من الموقف (أي الخروج من بيت عزيز مصر)، بل طلب اللجوء إلى السجن، مُعلناً أن العافية الداخلية والمبدئية أهم من الحرية الجسدية.

فهذا الموقف يكشف عن مفهوم "الحصانة الإيمانية" حيث يتحول القيد المادي (السجن) إلى قيد نفسي لحماية الروح، ولتصبح جدران السجن درعاً واقياً ضد الانهيار الأخلاقي.

إن قوله: {وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ}[يوسف: ٣٣]. ليس ضعفاً، بل هو أعلى درجات الوعي الإنساني، والصدق الذاتي، إذ يقرُّ بضعف البشرية أمام الفتن، ويُعلن التوكل الكامل على قوة إلهية خارجية (صرف الكيد) لتوفير التوازن الداخلي اللازم .(Equilibrium)هذا

التسليم يجعل من يوسف عليه السلام شخصية متزنة نفسياً حتى في محنته، لأنه اختار سلامة المبدأ على سلامة الجسد، وهو ما يُعد جوهر المنعة النفسية (Resilience) في (صرف الكيد) لتوفير التوازن الداخلي اللازم. هذا التسليم يجعل من يوسف عليه السلام شخصية متزنة نفسياً حتى في محنته، لأنه اختار سلامة المبدأ على سلامة الجسد، وهو ما يُعد جوهر المنعة النفسية في الهدي القرآني.

نقاط القوة في الموقف الذي رصدته الآية الكريمة من منظور الصحة النفسية:

- تفضيل الأقل سوءاً :(Cognitive Choice) اختيار السجن (أذى مادي مؤقت) على المعصية (أذى روحي دائم).

الوعي الذاتي :(Self-Awareness) الاعتراف بالضعف البشري والحاجة إلى العون الإلهي) .

- المرجعية الأخلاقية :(Moral Anchor) الإيمان الثابت هو مصدر القوة الداخلي الذي مكّنه من تحمل السجن بثبات نفسيّ عميق(العيسوي، ٢٠٠١م، ٢٥-٣٠؛ الخطيب، د.ت، ٤٥-٥٠؛ شكري، ٢٠٢٢م، ١٢-١٥)،

النموذج الثاني: ترك الغرور واتباع الحق (أنموذج ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام).

ترك ملكة سبأ للغرور وتحولها نحو اتباع الحق مع سليمان عليه السلام يوضح أثر التواضع والاعتدال النفسي على التوازن الداخلي. الغرور يؤدي إلى الانحراف النفسي، في حين أن الاتزان والاعتراف بالحق ينمي السلام الداخلي، قال تعالى: {قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[النمل: ٤٤].

من قمة الغرور إلى ذروة الاعتراف، التواضع كشفاء للنفس، تُمثل الآية الكريمة، التي تختتم مشهد دخول ملكة سبأ قصر سليمان عليه السلام، درساً نفسياً بليغاً في أن الصحة النفسية الحقيقية تبدأ بالاعتراف والنزول عن قمة الغرور .الملكة، التي كانت تظن مملكتها وسلطانها هما الذروة، واجهت في قصر سليمان صدمة معرفية وحسية عندما حسبت الصرح المُمَرَّد لُجّةً وكشفت عن ساقيها. هذا الخطأ البصري العلني، أمام عظمة غير متوقعة، لم يكن مجرد إحراج، بل كان محفزاً لتفكيك الإطار النفسي المتعالي الذي كانت تعيش فيه.

في لحظة التحول، لم تستجب ملكة سبأ للصدمة بالإنكار أو المقاومة، بل أعلنت الاستسلام الروحي الكامل بقولها :﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .هذا الإقرار ليس فقط إسلاماً دينياً، بل هو إصلاح جذري للذات؛ حيث تخلصت من حمولة الغرور والتعصب للرأي التي كانت تشوّه نظرتها للحياة. فقد أدركت أن الظلم الأكبر هو ظلم النفس بالكبر والشرك، وأن التوازن النفسي لا يتحقق إلا بتواضع يعترف بالحق ويقود إلى التوافق الروحي. فالإسلام هنا يصبح مرادفاً للسلام الداخلي المتحقق عبر التنازل عن الذات المتضخمة.

نقاط القوة في الموقف الذي سجلته الآية من منظور الصحة النفسية:

- الاعتراف بالظلم الذاتي :إدراك أن الكبر والعناد يشكلان ظلماً للنفس، وهي خطوة أولى نحو العلاج.

- التواضع كآلية تكيف :الاستجابة للحق بالتسليم الفوري يمثل أعلى درجات المرونة النفسية الإيجابية.

- تحقيق السلام الداخلي" :أسلمت" هنا تعني تحقيق الانسجام النهائي بين النفس والحقيقة، وهو جوهر الصحة النفسية المستقرة(العيسوي، ٢٠٠١م، ٢٥-٣٠؛ الخطيب، د.ت، ٤٥-٥٠؛ شكري، ٢٠٢٢م، ١٢-١٥).

النموذج الثالث: طلب المؤازرة والدعم الاجتماعي (أنموذج موسى وهارون عليهما السلام).

طلب موسى وهارون عليهما السلام المؤازرة يوضح أهمية الدعم النفسي والاجتماعي، حيث أن وجود المؤازرة يعزز التوازن النفسي ويخفف من التوتر عند مواجهة الصعوبات.

قال تعالى: {اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي{٤٢} اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى{٤٣} فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى{٤٤} قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى{٤٥}}[طه: ٤٢-٤٥].

الدعم المشترك في مواجهة الخطر: أنموذج موسى وهارون.

تُقدم هذه الآيات الكريمة إطاراً متكاملاً لإدارة الضغوط النفسية في مواجهة الأزمات، بدءاً من التكليف الإلهي وحتى الاستجابة البشرية. يرتكز هذا الإطار على ثلاث ركائز للصحة النفسية.

الاستناد الروحي (الإرشاد الإلهي) :الأمر الإلهي ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ هو بمثابة إدارة معرفية عاطفية (Cognitive-Emotional Regulation)، حيث يجعل الذكر مرساةً ثابتةً للنفس، تمنعها من الوهن والفتور في مواجهة أعتى المخاطر (فرعون). هذا التوجيه يؤسس لأهمية التأمل والوعي بالذات (Mindfulness) كآلية وقائية لتهدئة القلق وتعزيز القوة الداخلية.

الدعم الاجتماعي (المؤازرة) :يتجلى هنا مبدأ "الدعم الاجتماعي المُعزز "بوضوح، حيث ذهب النبي موسى مع أخيه هارون، {اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي}[طه: ٤٢].هذا الدعم لا يقتصر على المشاركة الجسدية، بل يمنح المساندة الوجدانية والنفسية، ويقسم عبء المسؤولية، مما يعزز الشعور بالكفاءة الذاتية المُشتركة (Shared Self-Efficacy) لمواجهة مهمة تثقل القدرة الفردية.

المعالجة السلوكية (الحوار الرحيم) :يمثل التوجيه ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ أعلى مستويات المرونة النفسية والمهنية .على الرغم من طغيان فرعون ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾، أُمر موسى وهارون بالقول اللين، هذا يوضح أن التوازن النفسي ليس مجرد حالة داخلية، بل هو سلوك خارجي منظم يهدف إلى التخفيف من حدة الصراع والبحث عن أقصى احتمالات التغيير الإيجابي، حتى في البيئات شديدة العداء.

إن هذه الآيات تُعلِّم أن مواجهة التحديات الكبرى تبدأ بتأمين الحصانة الروحية (الذكر)، وتفعيل شبكة الأمان النفسي (الأخوة)، واتباع استراتيجية سلوكية مرنة (القول اللين)، لتكون النفس مهيأة للقيام بواجبها دون أن يطغى عليها الخوف(الخطيب، ٢٠١٨م، ١٤٠-١٤٤)،

دور جامعة الملك فيصل في تمكين الصحة النفسية

برامج ومناشط ومبادرات تمكين الصحة النفسية

تولي جامعة الملك فيصل اهتمامًا بالغًا بتعزيز الصحة العامة لمنسوبيها من الطلاب والموظفين، حيث أطلقت برامج متعددة تشمل التثقيف الصحي، والتوعية بأساليب الحياة الصحية، والمناشط البدنية والنفسية. وتهدف هذه البرامج والمناشط إلى رفع الوعي الصحي بين منسوبي الجامعة، وتمكينهم من مواجهة الضغوط النفسية اليومية، مما يُسهم في بناء شخصية متوازنة وقادرة على الإبداع الأكاديمي والاجتماعي. وتشمل هذه البرامج محاضرات ودورات تدريبية حول التغذية الصحية، إدارة التوتر، ومهارات التكيف النفسي.

وتسعى جامعة الملك فيصل لتعزيز الصحة النفسية كجزء من برامجها الشاملة لتعزيز الصحة العامة، وذلك عبر تطبيق مؤسسي يرتكز على محوري التثقيف والمناشط الصحية. يتمثل دور الجامعة في نشر ثقافة التوازن النفسي من خلال تنظيم الندوات التوعوية والمشاركة في المناسبات العالمية كاليوم العالمي للصحة النفسية. وتُترجم المعرفة إلى تطبيق من خلال توفير خدمات إرشادية نفسية مجانية للطلاب والمنسوبين عبر وحدة التوجيه والإرشاد، ووحدة التوعية الفكرية التي تركز على غرس قيم الاعتدال والوسطية، والابتعاد عن الأفكار والتوجهات الهدامة التي تتبناها الفرق والمذاهب المتطرفة، وتنظيم مناشط سلوكية مثل مسابقات المشي وتخصيص حصص رياضية لتعزيز الصحة البدنية كدعامة أساسية للرفاه النفسي، مما يعكس نهجاً متكاملاً يتفق مع متطلبات الصحة العامة الحديثة(عمادة شؤون الطلاب، جامعة الملك فيصل، ٢٠٢٣م).

وحدات التوجيه والإرشاد النفسي والتوعية الفكرية

تقدم وحدة التوجيه والإرشاد النفسي، ووحدة التوعية الفكرية خدمات شاملة للطلاب وأعضاء هيئة التدريس، تشمل الإرشاد الفردي والجماعي، والاستشارات النفسية والاجتماعية، وكذلك التدخل المبكر في حالات الأزمات النفسية. وتوفر الوحدة بيئة سرية وآمنة، مما يساعد الطلاب على التعبير عن مشكلاتهم ومخاوفهم دون خوف أو حرج، ويُسهم في تعزيز قدرتهم على مواجهة التحديات النفسية وتحقيق التوازن النفسي. كما توفر الوحدة برامج تدريبية لأعضاء هيئة التدريس والموظفين للتعرف على علامات الضغوط النفسية وكيفية التعامل معها.

وترتكز جهود جامعة الملك فيصل في تعزيز الصحة النفسية مؤسسياً على وحدة التوجيه والإرشاد النفسي بعمادة شؤون الطلاب، التي تُعد المظلة التنفيذية لتقديم خدمات الإرشاد الفردي والجماعي للطلاب والطالبات. وتهدف هذه الوحدة إلى مساعدة الطلبة على تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي والأكاديمي، وذلك عبر تقديم استشارات علاجية ووقائية متخصصة للمشكلات النفسية الشائعة (كالقلق والاكتئاب)، إلى جانب برامج التنمية السلوكية التي تهدف إلى بناء مهارات إدارة الضغوط واتخاذ القرارات كما تعمل الوحدة كمركز دعم أكاديمي وأخلاقي يضمن للطلبة الحصول على التوجيه اللازم لمسيرتهم الجامعية، مما يرسخ بيئة تعليمية داعمة وفقاً لأهداف الجامعة(عمادة شؤون الطلاب، جامعة الملك فيصل، ٢٠٢٣م).

وتنظم هذه الوحدات مجموعة من الفعاليات التوعوية والمبادرات المجتمعية (أسبوع الصحة النفسية "مطمئنة".

١-فعالية سنويَّة بمناسبة اليوم العالمي للصحة النفسية، تحت شعار "مطمئنة"، بالتعاون مع لجان تعزيز الصحة النفسية، والكليات، والأندية الطلابية. تشمل هذه الفعاليات محاضرات، ودورات عمل، وجلسات حوارية مع خبراء في علم النفس، بهدف رفع مستوى الوعي بأهمية الصحة النفسية، وتقليل الأزمات المرتبطة بالاضطرابات النفسية. كما تركز هذه المبادرات على تشجيع الطلاب على ممارسة الرياضة، والانخراط في المناشط الثقافية والاجتماعية، وتطوير مهارات التكيف النفسي، مما يعزز من استقرارهم النفسي والاجتماعي.

تُعد مبادرة أسبوع الصحة النفسية تحت شعار "مطمئنة" التجسيد الأبرز لدور جامعة الملك فيصل في تعزيز الصحة النفسية على مستوى التوعية المجتمعية والمناشط التفاعلية، حيث تُنظم هذه الفعاليات برعاية مدير الجامعة وبالتعاون بين عمادة شؤون الطلاب ولجنة تعزيز الصحة النفسية وعدد من الكليات والأندية الطلابية تهدف هذه المبادرات إلى **نشر ثقافة التوازن النفسي ودعم الرفاه الجامعي عبر أركان علمية، وندوات متخصصة، ومناشط تفاعلية (كالتحديات الرياضية والأركان الفنية) يتم فيها ربط الصحة النفسية بالجوانب الحياتية المتنوعة مثل التغذية السليمة ودور الحيوانات الأليفة في الدعم النفسي، كما تُسهم هذه الفعاليات في رفع الوعي الجماعي، وتؤكد حرص الجامعة على تعزيز بيئة تعليمية صحية تماشياً مع مستهدفات رؤية المملكة ٢٠٣٠م(وكالةالأنباء السعودية، ٢٠٢٢م).

الأبحاث والدراسات العلمية لتمكين الصحة النفسية

تشجع جامعة الملك فيصل منسوبيها من أعضاء هيئة التدريس والطلاب على إجراء أبحاث علمية ودراسات ميدانية تتعلق بالصحة النفسية، تشمل موضوعات مثل القلق، والاكتئاب، وإدارة التوتر، وعلاج الضغوط النفسية. كما تُسهم هذه الأبحاث في تقديم حلول علمية عملية للمشكلات النفسية التي قد تواجه الطلاب والمجتمع المحلي. ويُعد قسم علم النفس بكلية التربية مركزًا رئيسيًا لإعداد الدراسات النفسية التطبيقية، ويُسهم في تطوير برامج إرشادية ونفسية قائمة على نتائج البحث العلمي، مما يدعم التوازن النفسي للأفراد داخل الجامعة وخارجها(التربية، قسم علم النفس، جامعة الملك فيصل، ٢٠٢٣م)، والرفاه"، وذلك عبر تقديم خدمات متكاملة لتمكين الصحة النفسية بشكل مجاني لمنسوبي وطلبة الجامعة. وتتمحور هذه الجهود حول ركيزتين أساسيتين:

أولاهما تقديم خدمات وقائية وعلاجية مباشرة من خلال وحدة التوجيه والإرشاد النفسي بعمادة شؤون الطلاب ولجنة تعزيز الصحة النفسية، حيث تُطلق مبادرات دورية لتقديم الاستشارات النفسية المتخصصة في مجالات الإرشاد العلاجي والأسري والتربوي، مع الحرص التام على السرية والخصوصية للطلبة..

ثانيهما، نشر الوعي المجتمعي وتطوير الحلول القائمة على البحث، ويتجلى ذلك في تنظيم الفعاليات الكبرى مثل اليوم العالمي للصحة النفسية تحت شعار "مطمئنة"، وفي دعم الأبحاث العلمية

التطبيقية والشراكات البحثية مع الجهات الوطنية لمواجهة التحديات المجتمعية كآفة المخدرات، بهدف ترسيخ بيئة جامعية آمنة نفسياً تحقق التوازن والرفاه وتسهم في مستهدفات رؤية المملكة ٢٠٣٠ م[١].

الدعم النفسي عبر التكنولوجيا والحلول الرقمية والاستشارات عن بعد.

اعتمدت الجامعة مؤخرًا على الحلول الرقمية لتقديم الدعم النفسي، من خلال تطبيقات ومواقع تفاعلية تتيح للطلاب الوصول إلى استشارات نفسية عن بُعد، ومتابعة برامج التأهيل النفسي، والتواصل مع مختصين في علم النفس. هذا التوجه الرقمي يسهم في تيسير الوصول إلى الدعم النفسي في أي وقت، ويشجع الطلاب على طلب المساعدة دون حرج، ويعزز من قدرة الجامعة على متابعة الحالات بشكل دوري وتحسين برامج الدعم النفسي. وقد تجسد ذلك في مبادرة "الاستشارات الطلابية عن بُعد"، وتنظيم اجتماعات افتراضية حول تحديات كبيرة مثل "الإرهاق الرقمي"، مع استخدام المنصات التعليمية كالبلاك بورد لتقديم الإرشاد الافتراضي (عن بعد)(وحدة الابتكار والتقنية، جامعة الملك فيصل، ٢٠٢٣م).

كما تلتزم جامعة الملك فيصل التزاماً استراتيجياً بتحقيق الهدف الثالث من أهداف التنمية المستدامة، وهو "الصحة الجيدة، فتبنت جامعة الملك فيصل التكنولوجيا لضمان استمرارية الوصول إلى خدمات الدعم النفسي والإرشادي، خاصةً في سيناريوهات التعليم عن بعد، وذلك عبر مبادرة "الاستشارات الطلابية عن بُعد". تُطلق لجنة تعزيز الصحة النفسية ووحدة التوجيه والإرشاد هذه المبادرات التي تقدم خدمات نفسية واجتماعية متخصصة للطلاب بشكل افتراضي، مع الالتزام الصارم بالسرية والخصوصية. كما يمتد الدور التقني للجامعة إلى الجانب التوعوي، حيث تنظم دورات افتراضية (عبر منصات مثل Teams والبلاك بورد) حول موضوعات مثل "الإرشاد الافتراضي" وكيفية التعامل مع تحديات العصر الرقمي مثل "الإرهاق الرقمي"، بل وتستخدم تطبيقات متطورة لتدريب الطلاب على تقنيات الاسترخاء واليقظة الذهنية، مما يضمن بيئة جامعية آمنة نفسياً وتكنولوجياً[٢].

أمثلة و اقعية تطبيقية لجهود جامعة الملك فيصل

ولتوضيح الجانب التطبيقي في البحث، يمكن استخدام الأمثلة التالية المستوحاة من برامج الجامعات السعودية المشابهة، والتي تتوافق مع الأطر العامة لجامعة الملك فيصل:

---

[١] الخدمات والدور الاستراتيجي لتعزيز الصحة النفسية في جامعة الملك فيصل، موقع الجامعة الالكتروني.

[٢] مبادرة الاستشارات الطلابية لطلبة الجامعة التي لها نسخة رقمية، موقع الجامعة.

المحور المؤسسي	أمثلة و اقعية يمكن إدراجها في البحث
١-برامج تعزيز الصحة العامة (التثقيف والأنشطة)	التثقيف: تنظيم "سلسلة الدورات التدريبية حول الـ "Mindfulness(اليقظة الذهنية) بالتعاون مع كلية الآداب لتدريب الطلبة على تقنيات الاسترخاء .النشاط :إطلاق تحدي "الخطوات الصحية "بين الكليات، حيث يتم تتبع عدد خطوات الطلبة والموظفين عبر تطبيق، مع ربط النشاط البدني بالصحة النفسية تحت شعار "حركة لراحة نفسية."
٢-وحدة التوجيه والإرشاد النفسي (الإرشاد الفردي)	التدخل المبكر: وضع نظام تحويل (Referral System) يتيح لأعضاء هيئة التدريس إحالة الطلاب الذين يلاحظون عليهم علامات التدهور الأكاديمي أو الانسحاب الاجتماعي إلى وحدة الإرشاد لتقديم جلسات دعم فردي .الخدمة الفردية :توفير "جلسات إرشاد مهني ونفسي متكاملة "للطلاب الخريجين، للتعامل مع قلق ما بعد التخرج وضغوط الانتقال إلى سوق العمل.
٣-ففعاليات توعوية (مطمئنة)	ركن تفاعلي :في أسبوع "مطمئنة"، يتم تخصيص "ركن تفريغ المشاعر بالفن "حيث يُسمح للطلبة بالرسم أو الكتابة التعبيرية (Journaling) لتفريغ التوتر بشكل سري وتحت إشراف مختصين .ندوة متخصصة :استضافة أخصائيين في ندوة بعنوان: "من الوصم إلى الدعم: كيف نغير نظرة المجتمع تجاه طلب المساعدة النفسية."
٤-الدعم النفسي عبر التكنولوجيا	الاستشارات عن بُعد :تفعيل منصة مخصصة) قد تكون جزءاً من البلاك بورد أو (Teams لتقديم "استشارة كتابية أو مرئية "مجدولة مع اختصاصي الجامعة لمنسوبي الكليات البعيدة أو في فترة الاختبارات النهائية .المحتوى الرقمي :نشر "بودكاست توعوي أسبوعي "عبر القنوات الرسمية للجامعة يناقش تحديات طلابية مثل قلق الأداء في الامتحانات، أو التنمر الإلكتروني.

الخاتمة:

أولاً: نتائج البحث (المُستخلصة من الجو انب النظرية والتطبيقية):

أ- النتائج المتعلقة بالإطار النظري (القرآني):

١. أثبت البحث أنَّ المنظور القرآني للصحة النفسية يتسم بالشمولية والتوازن، ويتجاوز مجرد غياب المرض، ليشمل تحقيق التوازن المتكامل بين الجسد، والروح، والنفس، والعقل.

٢. أكد البحث على أنَّ "ذكر الله" و"العقيدة الإسلامية" (الخوف، الرجاء، الأمل) هي المرتكزات الأساسية لتحقيق السكينة والطمأنينة النفسية.

٣. بيَّن البحث أنَّ التوجيهات القرآنية (كالزينة، الاعتدال في الطعام، وتجنب آفات الذات كالكب، والغرور) تُعدُّ أساليب وقائية مباشرة للاضطراب النفسي.

٤. أكَّد البحث أنَّ التوجيهات القرآنية الأخلاقية (كاجتناب الغيبة، وطلب المؤازرة) تمثّل علاجاً سلوكياً واجتماعياً فعالاً لتعزيز التماسك والتوازن المجتمعي.

٥. تبيَّن أن القصص القرآنية (كقصة يوسف عليه السلام وملكة سبأ وسليمان عليه السلام، وموسى عليه السلام) توفّر نماذج قرآنية تطبيقية للتكيف والصبر وتجاوز الأزمات النفسية الصعبة.

ب - النتائج المتعلقة بالجانب التطبيقي (أنموذج جامعة الملك فيصل)

١. وجود إطار مؤسسي للدعم النفسي أظهر البحث أنَّ جامعة الملك فيصل تمتلك هيكلاً مؤسسياً متكاملاً (وحدة الإرشاد، وحدة التوعية الفكرية، برامج الصحة العامة) يدعم الصحة النفسية لمنسوبيها

٢. تعدد أدوات الدعم النفسي: تبيَّن أنَّ الجامعة تعتمد على استراتيجيات متنوعة في الدعم، تشمل التوعية المباشرة (الفعاليات)، والإرشاد الشخصي، واستخدام التكنولوجيا (الدعم عن بعد)

٣. فرص التكامل: كشفت الدراسة عن وجود فرصة سانحة لتعزيز التكامل بين المرجعية الدينية والبرامج الإرشادية، من خلال دمج المفاهيم القرآنية (كالصبر، الرجاء، والسكينة) في مواد التوعية والتدريب المقدمة.

ثانياً: التوصيات:

أ- التوصيات الموجهة للجامعات والمؤسسات التعليمية:

١. تطوير برامج إرشاد إسلامي: يوصى بتطوير دليل إرشادي في وحدات التوجيه النفسي، يعتمد على الأسس والمفاهيم القرآنية (الطمأنينة، التوكل، التزكية) إلى جانب النظريات النفسية الحديثة، لتقديم دعم روحي ونفسي متكامل.

٢. تعميق الوعي بالتوازن الجسدي الروحي:: تفعيل الأنشطة الجامعية لتشمل محاضرات مكثفة تربط بين التوجيهات القرآنية (النظافة، الاعتدال في الطعام،) وبين اللياقة البدنية والصحة النفسية.

٣. توظيف القصص القرآنية إرشادياً: إعداد دورات عمل لطلبة الإرشاد النفسي تستخدم النماذج القصصية القرآنية (كقصة يوسف عليه السلام) كوسائل تعليمية وعلاجية لتطوير مهارات التكيف والصمود.(Resilience)

ب- التوصيات الموجهة للبحث العلمي:

١-توجيه الأبحاث نحو التكامل: تشجيع الأبحاث والدراسات الميدانية في قسم علم النفس بجامعة الملك فيصل على قياس أثر التطبيقات الإيمانية (كالذكر والدعاء) على خفض مستويات القلق والاكتئاب لدى الطلبة .

٢-تفعيل دور الإرشاد التكنولوجي: استثمار منصات الدعم النفسي الرقمية في الجامعة لإضافة محتوى توجيهي قرآني وأخلاقي مُصمَّم لتعزيز التوازن النفسي عن بُعد.

ت- التوصيات العامة :

٣-مكافحة آفات الذات إرشادياً: تصميم برامج توعوية متخصصة تستهدف جذور الاضطراب النفسي كآفة الغرور والكبر، مع التركيز على قيم التواضع وقبول النقد.

قائمة المصادروالمراجع

القرآن الكريم

١. ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، ٢٠٠١م، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروتن الطبعة السابعة.

٢. ابن عاشور، محمد الطاهر، ١٩٨٤م، التحرير والتنوير، الدار التونسية.

٣. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، ١٩٧٩، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، طبع بإذن رئيس المجمع العلمي العربي الإسلامي: محمد الداية، وحقوق الطبع محفوظة له.

٤. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، ١٩٩٨م، تفسير القرآن العظيم، وضع حواشيه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

٥. الألوسي، أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، ١٤١٥هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى.

٦. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ٢٠٠١م، صحيح البخاري (المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه)، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى.

٧. تايلور، شيلي، د.ت، علم النفس الصحي، ترجمة وسام بريك وآخرون، فصل السلوكيات المعززة للصحة.

٨. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى، ١٩٩٨م، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٩. جامعة الملك فيصل، ٢٠٢٣م، وحدة الابتكار والتقنية.

١٠. جريدة الوطن السعودية، ٢٠٢٥م، الصحة النفسية من وعي الفرد إلى المؤسسات، ١١ أغسطس.

١١. جمعية التنمية الأهلية، بالرس، ٢٠٢٢م، الصحة النفسية نمط حياة.

١٢. الحطيب، أحمد، ٢٠١٨م، أسس الصحة النفسية والتكيف، عمّان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الطبعة السادسة.

١٣. الحمدان، جهينة يوسف، ٢٠٢٣م، الصحة النفسية: مفهومها وأهميتها لدى الفرد والمجتمع، المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد:٢٢، كانون الأول.

١٤. الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر التيمي، ١٤٢٠هـ، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣.

١٥. الرازي، فخر الدين عمر بن محمد بن الحسين، ١٩٨٦م، مناقب الإمام الشافعي، تحقيق: الدكتور أحمد حجازى السقا، مكتبة الكليات الأزهرية, مصر، الطبعة الأولى.
١٦. روان، أحمد، ٢٠٢٤م، موقع الكتروني، أهمية الصحة النفسية في المجتمع، تحرير ٠١ أغسطس.
١٧. الزحيلي، محمد محمد، (النفس الإنسانية في القرآن الكريم)،
١٨. الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي، ١٩٩٢م، البحر المحيط في أصول الفقه، حرَّره: الشيخ عبد القادر عبد الله العاني، وراجعه: الدكتور عمر سليمان الأشقر، دار الصفوة، حقوق الطبع محفوظة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، الطبعة الثانية.
١٩. زيارة، فريد فرج سعيد، منهج القرآن في تحقيق الصحة النفسية للإنسان.
٢٠. الزيد، ريم بنت زيد بن عبد العزيز، سنة النشر، الصحة النفسية للأطفال والمراهقين، موقع الجمعية التنموية النسائية بالرس.
٢١. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، سنة النشر، قواعد المنهج القرآني في بناء الشخصية، الفصول المتعلقة بـ"تزكية النفس" و"دور العقل"،
٢٢. شجاع الدين، د نهلة، ٢٠٢٢م، الصحة النفسية للفرد أساس تنمية المجتمع، جريدة الثورة، شبكة المعلومات العالمية.
٢٣. شكري، حسن محمود، ٢٠٢٢م، الصحة النفسية في القرآن الكريم، دراسة تحليلية، مجلة الأطروحة للعلوم الإنسانية، بغداد، مؤسسة الأطروحة للعلوم، مجلد ٣، عدد ٥.
٢٤. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ٢٠٠١م، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله ابن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، الطبعة الأولى.
٢٥. العثماني، سعد الدين، التمتع بالصحة النفسية الإيجابية (٦)، مدونة منشورة على منصة أريد.
٢٦. العثماني، سعد الدين، ٢٠٢٤م، مفهوم الصحة النفسية، جامعة الملك سعود، (٢٠١٩م) ٢٧ ديسمبر.
٢٧. عمادة شؤون الطلاب، وحدة الإرشاد النفسي، جامعة الملك فيصل، ٢٠٢٣م.
٢٨. عمادة شؤون الطلاب، وحدة تعزيز الصحة العامة، جامعة الملك فيصل، ٢٠٢٣م، جامعة الملك فيصل، برنامج تعزيز الصحة العامة لمنسوبي الجامعة، ٢٠٢٣م.
٢٩. العيسوي، عبد الرحمن محمد، ٢٠٠١م، الصحة النفسية من منظور إسلامي، دار الراتب الجامعية.
٣٠. فرج، صفوت، سنة النشر. علم النفس وقياس الشخصية، مكتبة الأنجلو المصرية.

٣١. القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي، ١٩٧٣م، شرح تنقيح الفصول، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، الطبعة الأولى.

٣٢. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، ٢٠٠٦م، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، شارك في تحقيق هذا الجزء: محمد رضوان عرقسوسي, وماهر حبوش، مؤسسة الرسالة, بيروت، الطبعة الأولى.

٣٣. قرينعي، أحمد، ٢٠٢٣م، مفهوم الصحة النفسية ومرتكزاتها بين مدارس علم النفس والمنظور الإسلامي، المجلة الرستمية.

٣٤. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (د.ت)، لطائف الإشارات، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة.

٣٥. كلية التربية، قسم علم النفس، جامعة الملك فيصل، ٢٠٢٣م.

٣٦. الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد السمرقندي الحنفي، ٢٠٠٤م، تأويلات أهل السنة، تحقيق: فاطمة يوسف الخيمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى.

٣٧. مجموعة من المؤلفين، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

٣٨. مسلم، أبو الحسين ابن الحجاج القشيري النيسابوري، ٢٠٠١م، صحيح مسلم، مكتبة الرشيد.

٣٩. مكتب اليونيسف الإقليمي لدول الخليج العربي، الصحة النفسية في منطقة الخليج العربي، دبي.

٤٠. منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف)، (٢٠٢٤م).

٤١. منظمة الصحة العالمية. (٢٠٢٣م)، تعزيز الاستجابة للصحة النفسية. جنيف، صحيفة الشمال، (٢٠٢٤م)،

٤٢. منظمة الصحة العالمية، (٢٠٢٣م)، تعزيز الاستجابة للصحة النفسية، جنيف.

٤٣. منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط. (د.ت)، الصحة النفسية. جنيف، القاهرة.

٤٤. موقع إسلام ويب، مقال بعنوان: عناية الإسلام بالصحة النفسية والعضوية، شبكة المعلومات العالمية.

٤٥. موقع جامعة الملك فيصل الالكتروني، الخدمات والدور الاستراتيجي لتعزيز الصحة النفسية في جامعة الملك فيصل.

٤٦. موقع جامعة الملك فيصل الالكتروني، مبادرة الاستشارات الطلابية لطلبة الجامعة التي لها نسخة رقمية.
٤٧. نجاتي، محمد عثمان، علم النفس الإسلامي نظرة جديدة إلى الإنسان، بقية بيانات النشر.
٤٨. الهادي، صالح محمد عبد الله، ٢٠١٨م، مفهوم الصحة النفسية في القرآن الكريم وعلم النفس، جامعة النيلين.
٤٩. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مجلة دعوة الحق، العدد (٣٤٤)، (٢٠١٩م).
٥٠. وكالةالأنباء السعودية، تقرير عن فعاليات اليوم العالمي للصحة النفسية، ٢٠٢٢م.

المناسبات القرآنية عند الطبري في تفسيره (جامع البيان)

م. د صلاح صبار خربيط(•)

المستخلص

يعد علم المناسبات القرآنية من العلوم التي تأخر تدوينها واستقلالها، مما أوهم كثيرًا من الباحثين بأن المفسرين الأوائل لم يُولوه عناية تذكر، ولعل الإمام الطبري (ت ٣١٠هـ) من أكثر من طالهم هذا الحكم، إذ انصرف الدارسون إلى منهجه الأثري الروائي وأغفلوا ما قد يكون حاضرًا في تفسيره ، ومن هنا تنبثق مشكلة هذا البحث، وهي الغموض الذي يكتنف موقف الطبري من علم المناسبات، وغياب دراسة علمية منهجية تتتبع هذه الظاهرة في تفسيره وتكشف عن حقيقتها وأبعادها, وتنبع أهمية البحث من مكانة علم المناسبة بوصفه أحد وجوه الإعجاز القرآني، ومن مكانة تفسير الطبري باعتباره من أقدم التفاسير المأثورة وأكثرها ثراءً, ويهدف البحث إلى إبراز التطبيقات العملية لهذا العلم في تفسير الطبري، ودحض الرأي القائل بعدم اهتمام أصحاب التفسير الأثري به، من خلال استقراء نماذج متعددة من تفسيره, وقد اعتمد البحث المنهج التحليلي الاستقرائي، بتتبع المواضع التي يظهر فيها الربط بين الآيات المتجاورة، وبيان صور المناسبة التي تناولها الطبري، كالعلاقة داخل الآية الواحدة، وبين الآية وما قبلها أو بعدها، إضافة إلى الاستطراد والتقابل وغيرهما من أوجه الترابط السياقي, وقد خلص البحث إلى كثرة الشواهد التطبيقية الدالة على عناية الطبري بالمناسبات القرآنية وإن لم يصرح بمصطلحها، مما يؤكد حضور هذا العلم في تفسيره قبل استقراره مبحثًا مستقلاً، كما أظهر البحث محدودية اهتمامه بالمناسبات بين السور، وعدم صحة القول بإهمال مدرسة التفسير الأثري لعلم المناسبة.

الكلمات المفتاحية: الطبري – البيان – المناسبة - التفسير – جامع – الأثري.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فان علم المناسبات بين الآيات أقرب إلى الفن التطبيقي منه إلى الفن النظري، لأنه يقوم على تحليل علاقات المناسبة داخل الصورة القرآنية لذلك نجد أنَّ ابن جرير الطبري قد طبق نظريه المناسبة القرآنية من خلال تفسيره دون الإشارة إلى الفن النظري، كون علم المناسبة لم يظهر بعد كفن مستقل من الفنون، فالعلم جديد من حيث التداول سابقاً لكنه راسخ من حيث التأصيل، فقد كان حاضرا زمن الصحابة رضي الله عنهم وعملوا به وإنّ لم يكن بهذا المسمى بل كان ملكة عندهم في فهم أسرار القرآن الكريم مثل النحو والبلاغة. فهي مبادئ نظريه أجراها في تحليل العلاقات بين الآيات وفي طريقة ابن جرير رحمه الله في المناسبات من منقولة ما يدل على ذلك.

(•) وزارة التربية - مديرية تربية الأنبار- العراق

المناسبة في اللغة والاصطلاح

المناسب في اللغة:

أصل "المناسبة" في اللغة من "النسب"؛ أي القرابة، يقول الخليل بن أحمد: (النَّسَب في القرابات، فلانٌ نسيبي وهؤلاء أنسابي) (الفراهيدي، ١٩٨٠م، ٢٢١/٧) ويقول ابن منظور: (النَّسبُ: نَسَبُ القرابات، وهو واحدُ الأنساب) (ابن منظور, ١٩٩٠م، ٧٥٥/١)

والمناسبة من ناسب الذي يفيد بمبناه معنى المشاركة يقول ابن منظور: (ناسبَهُ: أي شَركهُ في نسبه) (ابن منظور, ١٩٩٠م، ٧٥٦/١)

والمناسبة تعني (اتصال شيء بشيء) (الرازي، ١٩٧٩م ,٤٢٤/٥) وتعني (المقاربة، والمشاكلة) (الفيروزآبادي, ٢٠٠٥م، ١٣٠/١).

يقول الزبيدي: (ومن المجاز: المناسبة: المشاكلة، يقال: بين الشيئين مناسبة وتناسب: أي مشاكلة وتشاكل. وكذا قولهم: لا نسبة بينهما، وبينهما نسبة قريبة) (الزبيدي، ١٣٠٦هـ، ٢٦٥/٤).

فالمناسبة في اللغة تدل على نسبة، وهي علاقة قرابة، وتعني المشاركة والمقابلة، كما تدل على المشاكلة، بحكم الاستعمال المجازي.

المناسبة في الاصطلاح:

قال السيوطي في تعريف المناسبة: (هي في اللغة المشاكلة والمقاربة ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما: عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب أو المسبب، والعلة والمعلول، والنظرين والضدين ونحوه) (السيوطي، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ٢٧٣/٣).

وقال غيره أنها تعني (بيان وجه الارتباط بين الجملة، والجملة التي في الآية الواحدة، أو بين الآية أو لآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة) (القطان، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، ٩٧؛ مصطفى مسلم، ٢٠٠٠م، ٥٨) .

فالمناسبة تبحث عن الارتباط بين الآية وما بعدها وما قبلها، وبين السورة وما بعدها وما قبلها.

فهي تنطلق من مبدأ (ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني) ، فالمناسبة إذاً بحث في الانسجام الدلالي من أجل إبراز وحدة النص القرآني بوصفه بناءً محكماً متلائم الأجزاء، وبيان الروابط التي تكوّن الصورة المثلى للمعاني.

ومعرفة المناسبات والروابط بين الآيات ليست أمراً توقيفياً، ولكنها تعتمد على اجتهاد المفسر ومبلغ تذوقه لإعجاز القرآن وأسراره البلاغية، وأوجه بيانه الفريد، فإذا كانت المناسبة دقيقة المعنى، منسجمة مع السياق، متفقة مع الأصول اللغوية في علوم العربية، كانت مقبولة لطيفة . (القطان، ٢٠٠٠م، ٩٢)

أهمية المناسبة وطريقة الطبري في التعامل معها

أهمية علم المناسبة:

من محاسن علم المناسبات، أنها تساعد على حسن التفسير، ودقة الفهم، وعدم مراعاتها يوقع المفسر في الخطأ عند تفسير الآيات، وللمناسبة أهمية كبيرة يمكن بيانها كالآتي(الخطيب و مسلم ، ٢٠٠٥م، ٦):

١. إن فهم التناسب يجعل الكلام آخذاً بعضه بأعناق بعض، ليصبح كالبناء المحكم المتلائم الأجزاء، وبه يعرف علل ترتيب أجزاء القرآن الكريم.
٢. دفع إيهام الاختلاف عن الآيات الكريمات، فقد يظن بعضهم أنَّ الآيات نزلت في أوقات متباعدة في موضوعات متعددة، فلا رابط بينها، فهذا الترابط بين الآيات والسور لون من ألوان البيان المعجز على الرغم من تباعد الزمان، واختلاف الموضوعات.
٣. إبراز وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم؛ للوصول إلى الحقيقة المطلقة، وهي أنَّ القرآن الكريم كلام الله المنزل، وليس من تأليف البشر – تصديقاً لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾(النساء: ٨٢).
٤. المناسبة دلالة لغوية قوية في التعرف على المراد من الآيات، ورفع اللبس عن مقاصدها، ومرجح قوي من مرجحات بعض المعاني على بعض عند تزاحمها، سواء منها ما جاء في آيات الأحكام، أم آيات القصص القرآني، أم آيات الوعظ والتوجيه وغيرها.
٥. تكشف عن علل ترتيب أجزاء القرآن، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال(البقاعي، ٢٠٠٦م ،٦/١).

اهتمام الطبري بالمناسبات بين الآيات:

لقد اهتم الطبري بإبراز المناسبة بين الآي الكريمة، ووجه اتصال بعضها ببعض، وإن لم يصرح بذلك كون المناسبة كعلم مستقل لم يظهر بعد في زمن الطبري، لكن تحليله للآيات القرآنية وبيان العلاقات بين الآيات المتتابعة، وتدقيق النظر في تتابع الآيات والجمل وبيان الأقرب للمعنى، يمثل تطبيقاً لمفهوم العلم.

قال الشيخ محمود شاكر: (إنه كان مفسراً إماماً سبق فقات السابقين، لم يلحقه لاحق في البصر بمعاني كتاب ربه، وفي الحرص على بيان معانيه، وفي الدقة البالغة في ضبط روابط الآيات بعضها ببعض... وأبو جعفر – رحمه الله – لم يغفل عن هذا الترابط الدقيق بين معاني الكتاب. سواء كان ذلك في آيات الأحكام، أو آيات القصص أو غيرها من نصو هذا الكتاب، فهو يأخذ المعنى في أول الآية ثم يسير معه كلمة كلمة وحرفاً حرفاً، ثم جملة جملة، غير تارك لشيء منه، أو متجاوز عن معنى يدل عليه سياقها) (الطبري، د.ت، ٥٣٧/٤).

وقد أشار أحد الباحثين إلى هذا الاهتمام عند الطبري فهو (صاحب ملكة خاصة ف يتذوق الأساليب الكلامية ومعرفة ما تؤول إليه معانيها من المقاصد والغايات من خلال مقتضى الأقوال، وربط سابق الكلام بلاحقه) (إسماعيل، ١٩٩١م، ٨٩).

وطريقته في ذلك المناسبة تقوم على نحوين اثنين:

الأول: أن تكون المناسبة منقولة عمن سبق.

الثاني: ان يذكر المناسبة مبتدأ، أي من مقول ابن جرير لا من منقوله.

فأما أمثلة القسم الأول فمنها ما ذكره عند تفسيره قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾(النساء: ١٤١). من يسع الحضرمي قال: (كنت عند علي بن ابي طالب – رضوان الله عليه – فقال رجل: يا أمير المؤمنين: أرأيت قول الله: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون؟ قال له علي: ادنه، ادنه! ثم قال: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يوم القيامة) (الطبري، ٣٢٧/٩).

فبين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أن محل إشكال السائل، محدد في الآية باليوم الآخر، فهذا التفسير للجمل في الآية يدل على ان لكل جملة منها معنى متمم للأخرى.

وعن عكرمة: أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس رضي الله عنهما: (أعمى البصر، أعمى القلب، يزعم أنَّ قوماً يخرجون من النار وقد قال الله – عز وجل: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ (المائدة: ٣٧) فقال ابن عباس: ويحك!! ، اقرأ ما فوقها!! هذه للكفار) (الطبري، ٢٩٤/١).

والآية التي فوقها – أي قبلها – هي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٦)

وهذا التفسير يبين مناسبة الآية مع ما قبلها، فالآية التي قبلها تتحدث عن الكفار وأنهم لن ينفعهم شيء مع الكفر.

وأما أمثلة القسم الثاني وهو من مقول ابن جرير لا من منقوله، فمنها ما ذكر عند تفسيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...﴾ (النساء: ٤١) قال أبو جعفر (يعني بذلك – جل ثناؤه -: إن الله لا يظلم عباده مثقال ذرة، فكيف بهم : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ يعني: بمن يشهد عليها بأعمالها، وتصديقها رسلها، أو تكذيبها) (الطبري، ٣٥٩/٨).

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ (آل عمران: ١٤٥) قال أبو جعفر: (... يبين – جل ثناؤه – عن الأمنة التي انزلها عليهم ما هي؟ فقال نعاساً بنصب النعاس، على الإبدال من الأمنة) (الطبري، ٣١٥/٧).

تبين من خلال الأمثلة السابقة من مقول ابن جرير في تفسيره للآيات الكريمة، اهتمامه ببيان مناسبات الآيات، ومدى أثر المناسبة على المعنى، فهي المعين على فهم الآية.

اعتماد الطبري للمناسبة دليلاً في الترجيح:

ومن أمثلته عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ (النساء: ٩) ، ورد عن السدي وقتادة وغيرهما أن الآية أمر لمن يحضر مريضاً عند الموت ألَّا يأمره بالإنفاق من ماله.

قال أبو جعفر: (أليس يكره أحدكم إذا كان له ولد ضعاف ان يتركهم بغير مال، فلا ينبغي أن تأمروا هذا المريض بما لا ترضون لأنفسكم وأولادكم) (الطبري، ١٩٤/٢).

وقد رجّح الطبري هذا التفسير بناءً على تفسيره الآية التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (النساء: ٨).

فسرها ابن جرير بأن المراد بالقسمة الوصية، ثم فسر الثانية بما ذكرنا بناء على تفسيره التي قبلها بأنها في الوصية، وقال: (فالواجب ان يكون قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ تأديباً منه لعبادة في أمر الوصية بما آذنهم فيه، إذ كان ذلك عقيب الآية التي قبلها في حكم الوصية) (الطبري، ١٩٤/٢)، وورد عن ابن عباس(الطبري، ١٩٤/٢)، أنه فسر الآية بأنها حث على رعاية اليتامى بتذكير ولاتهم أنه لو كان لأحدهم ذرية ضعاف يخاف عليهم الفقر والضياع من بعده، فليعتبر بذلك في اليتامى الذين تحت يده.

وهذا التفسير يترجح بأنه أقوى في مناسبة الآية مع ما قبلها وما بعدها، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: (وهو قول حسن يتأيد بما بعده من التهديد في أكل مال اليتامى ظلماً) (ابن كثير، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م. ١٤٢/٢)

يريد قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ١٠) ورجح هذا القول أغلب المفسرين كالزمخشري والرازي والبيضاوي والبقاعي(الزمخشري، ٢٠١٢م ، ٣٦٦/١؛ الرازي، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م ، ٥٠٥/٣؛ البيضاوي ،٢٠١١م، ٢٠٢/١)

ومن الأمثلة على الترجيح بالمناسبة كما في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾(البقرة: ٢٧٣) في قوله ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ قال أبو جعفر: (يقال قد ألحف السائل في مسألته، إذا ألح فهو يلحف فيها إلحافاً.

فإن قال قائل: أفكان هؤلاء القوم يسألون الناس غير إلحاف؟ قيل: غير جائز أن يكون كانوا يسألون الناس شيئاً على وجه الصدقة، إلحافاً أو غير إلحاف، وذلك أن الله – عزّ وجل – وصفهم بأنهم كانوا أهل تعفف، وأنهم إنما كانوا يعرفون بسيماهم، فلو كانت المسألة من شأنهم لم تكن صفتهم التعفف، ولم يكن بالنبي – صلى الله عليه وسلم – إلى معرفتهم بالأدلة والعلامة حاجة، وكانت المسألة الظاهرة تنبئ عن حالهم وأمرهم) (الطبري، ٣/ ٩٨ – ١٠٠).

فنفي السؤال الملحف لا يعني وجود سؤال غير ملحف؛ لأنه سبق وصفهم بأنهم يعرفون بسيماهم في قوله: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ ولو كانوا يسألون لعرفوا بالسؤال، سواء ألحفوا في السؤال أم لم يلحفوا، فيعرفون بغير السيما، وهذا الذي عليه جمهور المفسرين(القرطبي، ١٤١٣هـ، ٢٢٢/٣؛ الشوكاني، د.ت، ٢٩٣/١؛ الألوسي، ١٤١٤هـ، ٧٧/٣)

ورجحه الشيخ زاده وقال: (وهو أنسب؛ للمبالغة في وصف التعفف) (زادة، د.ت، ٥٨٥/١)

ومال الزمخشري: إلى أنهم يسألون ولا يلحون، وضعف الرازي هذا القول ورجحه ابن القيم فقال: (والنفي متسلط عليهما، أي لا يسألون ولا يلحفون) (الكشاف، ٣٩٨/١؛ الرازي، ٨٨/٧؛ ابن القيم، ١٤١٤هـ، ٤٣٤/١)، وقال باحتمالها: ابن عطية والسعدي(ابن عطية، ١٤٠٩هـ ،٣٤٠/٢ ؛ السعدي، ١٤١٧هـ، ١٠٨).

هكذا نجد شيخ المفسرين ابن جرير يعتمد على المناسبة ويعدها دليلاً يؤخذ به في الترجيح بين آراء المفسرين.

صور التناسب عن الطبري

سبق الحديث عن اهتمام الطبري بالمناسبة وطريقته في بيانها، وأثر ذلك في الدلالة على المعنى والترجيح بين الآراء، والقرآن الكريم كله متناسب مترابط، بين سوره وآياته وجمله وكلماته وحروفه.

والمناسبات بين الآيات – عند ابن جرير رحمه الله – على أنواع، وسأمثل لها في النقاط التالية:

أولاً: المناسبة في الآية الواحدة.

ثانياً: مناسبة الآية مع ما قبلها.

ثالثاً: مناسبة الآية مع ما بعدها.

رابعاً: مناسبة الآية مع ما قبلها وما بعدها.

خامساً: الاستطراد

سادساً: المقابلة

أولاً: المناسبة في الآية الواحدة:

كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٣٨).

قال رحمه الله: وقوله ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ يقول للمؤمنين: فلا تدعوهم أن يقربوا المسجد الحرام بدخولهم الحرم. وإنما عني بذلك منعهم من دخول الحرم؛ لأنهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا المسجد الحرام... وقوله ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ يقول للمؤمنين: وإن خفتم فاقة وفقراً بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام، ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ وأما قوله ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ فإن معناه: إن الله عليم بما حدثكم به أنفسكم أيها المؤمنون من خوف العيلة عليها منع المشركين من ان يقربوا المسجد الحرام، وغير ذلك من مصالح عباده، حكيم في تدبيره إمامهم وتدبير جميع خلقه(الطبري، ٣٤٨/٦)

فخوف العيلة مرتبط بمنع المشركين من دخول المسجد الحرام – مكة – ومعهم بضاعته(الطبري،٦٢٥/١).

ثانياً: مناسبة الآية مع ما قبلها:

كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٤)

قال أبو جعفر: (يقول – تعالى ذكره – للمؤمنين به المصدقين بكتابه الذين القرآن لهم هدى ورحمة: إذا قُرئ عليكم أيها المؤمنون القرآن ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ يقول: اصغوا له سمعكم؛ لتفهموا آياته، وتعتبروا بمواعظه وانصتوا اليه؛ لتعقلوه وتتدبروه، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يقول: ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه واعتباركم بعبره، واستعمالكم ما بيّنه لكم ربّكم من فرائضه في آيه) (الطبري،١٦١/٦).

فهذه الآية فيها دعوة لتحقيق رحمة القرآن للمؤمنين، التي ذكرها الله في قوله ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٣)، فمن أسباب تحقيقها: الإنصات لتلاوته في الآية – موضوع البحث – وبذلك تبدو المناسبة ظاهرة بينها وبين الآية التي قبلها (الطبري،١/٤٩١)

ثالثاً: مناسبة الآية مع ما بعدها:

ومثاله قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ٢٤٣).

قال رحمه الله: (وأما قوله (حذر الموت) فإنه يعني: أنهم خرجوا من حذر الموت فراراً منه... قال أبو جعفر: وإنّما حثّ الله – تعالى ذكره – عباده بهذه الآية على المواظبة على الجهاد في سبيله، والصبر على قتال أعداء دينه، وشجّعهم بإعلامه إياهم وتذكيره لهم ان الإماتة والإحياء بيده وغليه دون خلقه، وأن الفرار من القتال والهروب من الجهاد ولقاء الأعداء الى التحصين في الحصون الاختباء في المنازل والدور غير منجٍ أحداً من قضائه إذا حلّ بساحته، ولا دافع عنه أسباب منيّته إذ نزل يعقبه [هكذا، أي بساحته]، كما لم ينفع الهاربين من الطاعون الذين وصف الله – تعالى ذِكرهُ – صفتهم في قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ فرارهم من اوطانهم، وانتقالهم من منازلهم إلى الموضع الذي أمّلوا المصير إليه السلامة، وبالموئل النجاة من المنية، حتى أتاهم امر الله، فتركهم جميعاً خموداً وصرعى، وفي الأرض هلكى؛ ونجا مما حل بهم الذين باشروا كرب الوباء وخالطوا بأنفسهم عظيم البلاء) (الطبري، ٢/٦٠٥).

فهذا التنبيه بقصة الفارعين من الموت ولم ينفعهم فرارهم بل انزله الله عليهم؛ ليستجيب المؤمن لدعوة الله في الآية التالية وهي قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٤٤) فكان الارتباط قوياً بين الآيتين والمناسبة ظاهرة.

رابعاً: مناسبة الآية مع ما قبلها وما بعدها:

ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ * إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ (محمد: ٣٦ – ٣٧)

قال رحمه الله: (يقول – تعالى ذِكرُه -: حاضاً عباده المؤمنين على جهاد اعدائه، والنفقة في سبيله، وبذل مهجتهم في قتال أهل الكفر به: قاتلوا أيها المؤمنون أعداء الله واعدائكم منا هل الكفر، ولا تدعكم الرغبة في الحياة الى ترك قتالهم، فإنما الحياة الدنيا لعب ولهو. إلا ما كان منها لله من عمل في سبيله، وطلب رضاه، فأمّا ما عدا ذلك فإنما هو لعب ولهو، يضمحلّ فيذهب ويندرس فيمّر، أو إثم يبقى على صاحبه عاره وخزيه) (الطبري،١١/٣٢٨)

فالآيات قبل هذه الآية وبعدها في ذكر احكام الجهاد، وهنا يحث الله – عز وجل – على النفقة في الجهاد التي هي من أهم دعائمه – وبعدها قول الله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٨)

خامساً: الاستطراد:

ومثاله في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ (طه: ٥٣) ، قال – رحمه الله –وقوله ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ يقول: وأنهج لكم في الأرض طرقاً... وقوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يقول: وانزل من السماء مطراً فاخرجنا به ﴿أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ ،وهذا خبر من الله – تعالى ذكره – عن إنعامه على خلقه بما يحدث له من الغيث الذي ينزله من سمائه إلى أرضه ، بعد تناهي خبره عن جواب موسى وفرعون عمَا سأله عنه ، وثنائه على ربه بما هو أهله ، يقول – جل ثنائه- :فأخرجنا نحن – أيها الناس – بما ينزل من السماء ماء ﴿أَزْوَاجًا﴾، يعني ألواناً ﴿مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾، يعني : مختلفة الطعوم، والأراييح، والمنظر (الطبري، ٨/٤٢٤).

فالكلام منقطع عن قصة موسى وفرعون، والمقام استدعى هذا الاستطراد للمناسبة، فانقطع كلام موسى عليه السلام عند قوله: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ (طه: ٥٢) ويعود تكميل القصة بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ (طه: ٥٦).

سادسًا: المقابلة:

وأمثلته عند ابن جرير – رحمه الله – كثيرة تكون بين الكلمات والجمل.

ومنها قوله تعالى : ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ (النبأ: ٢٤ – ٢٥)، قال – رحمه الله – ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ يقول: لا يطعمون فيها برداً يبرّد حرّ السعير عنهم، إلّا الغسّاق، ولا شراباً يروِيهم من شدة العطش الذي بهم إلّا الحميم... وقوله ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ يقول – تعالى ذِكرُه -: لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وقد أغلي حتى انتهى حرّه، فهو كالمُهل يشوي الوجوه، ولا برداً إلا غساقاً... فإن قال قائل: فإنك قد قلت: إن الغسّاق: هو الزمهرير والزمهرير هو غاية البرد، فكيف يكون الزمهرير سائلاً؟ قيل: إن البرد الذي لا يستطاع ولا يطاق، يكون في صفة السائل من أجساد القوم من القيح والصديد) (الطبري،١٢/٤٠٥).

فقابل بين الغسّاق والحميم، إذ هو بارد شديد البرودة، فعلاقة المقابلة أحدثت ترابطاً معنوياً.

هذه النقاط التي ذكرتها تبين اهتمامات ابن جرير الطبري في المناسبة، عسى أن تكون واضحة من خلال الأمثلة على أنواع المناسبات على مستوى الآية الواحدة، وعلى مستوى أكثر من آية، ومناسبة الاستطراد، والمقابلة، ولم تكن المناسبة هي آخر الفوائد بل يتلوها فوائد أعظم وأهمها معرفة المعنى.

الخاتمة

من خلال دراسة موضوع المناسبات القرآنية، ومن خلال التطبيق على في تفسير جامع البيان لابن جرير الطبري – رحمه الله – ظهرت فوائد كثيرة منها:

١- اهتمام الطبري ببيان روابط الآيات القرآنية، ووجه مناسباتها على مستوى السورة الواحدة، ولم يتطرق – رحمه الله – إلى المناسبات بين السور.

٢- إن ما تعارف عليه الباحثون من أن أصحاب التفسير بالمأثور لم يكن لهم اهتمام بالمناسبة لم يكن صحيحاً، وتبين من خلال الدراسة اهتمام الطبري وابن كثير يعتمدان على المناسبة ويعدانها دليلاً يؤخذ به في الترجيح بين آراء المفسرين وحسبنا بهما حجة في هذا.

٣- إن تفسير الطبري مليء بالأمثلة التطبيقية على صور المناسبات القرآنية، غير أنه لم يذكر المصطلح العلمي لهذا الفن، فقد ظهر متأخراً على يد الجرجاني صاحب نظريات النظم القرآني، لكن شواهده كثيرة وتطبيقاته واسعة جداً في هذا التفسير.

هذا واسأل الله الكريم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ان يجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

المصادروالمراجع

القرآن الكريم

١. ابن فارس، أحمد (١٩٧٩م)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر.

٢. ابن كثير (١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م)، تفسير القرآن العظيم، دار ابن الجوزي، القاهرة.

٣. ابن منظور، محمد (١٩٩٠). لسان العرب، دار صادر، بيروت.

٤. إسماعيل، محمد (١٩٩١م) ابن جرير ومنهجه في التفسير، ط١، دار المنارة للطباعة والنشر، القاهرة.

٥. الألوسي، محمود (١٤١٤هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر.

٦. الأندلسي، عبد الحق (١٤٠٩هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق المجلس العلمي بمكناس، المغرب.

٧. البقاعي، برهان الدين (٢٠٠٦م)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨. البيضاوي، ناصر(٢٠١١م). أنوار التنزيل واسرار التأويل، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٩. الخطيب ومسلم (٢٠٠٠م)، المناسبة وأثرها في تفسير القرآن، مجلة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد الثاني، العدد الثاني، يونيو.

١٠. الرازي، فخر الدين (١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١١. زاده، أحمد (د.ت) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي، طبع دار صادر.

١٢. الزبيدي، محمد(١٣٠٦هـ). تاج العروس، طبع المطبعة الخيري.

١٣. الزمخشري، محمود (٢٠١٢م) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، ضبطه: أبي عبد الله الداني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٤. السعدي، عبد الرحمن(١٤١٧هـ) تسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة.
١٥. السيد محمد، يسري(١٤١٤ه). بدائع التفسير، الجامع لتغيير ابن القيم، دار ابن الجوزي.
١٦. السيوطي، جلال الدين (١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م). الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة.
١٧. الشوكاني، محمد (د.ت) فتح القدير الجامع في الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعرفة، بيروت.
١٨. الطبري، محمد(د.ت) جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق الثخين: احمد شاكر ومحمود شاكر، ط٢، دار المعارف المصرية، مصر.
١٩. الفراهيدي، الخليل(١٩٨٠م). كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة العراقية، بغداد.
٢٠. الفيروز آبادي، مجد الدين(٢٠٠٥م). القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢١. القرطبي، محمد (١٤١٣ه). الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٢. القطان، مناع(١٤٢١ه). مباحث في علوم القرآن، ط٣، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
٢٣. مسلم، مصطفى(٢٠٠٠م). مباحث في التفسير الموضوعي، ط٣، دار القلم، دمشق.

طرائق التدريس الحديثة ودورها في تطوير مهارات التربية لدى طلاب الثانوية في محافظة ديالى

الباحثة: همسة جاسم أحمد

المستخلص

هدف هذا البحث إلى استعراض أبعاد طرائق التدريس الحديثة (التعلم النشط، التعلم القائم على المشروع، استخدام التكنولوجيا) وتحليل دورها في تطوير مهارات التربية لدى طلاب المرحلة الثانوية في محافظة ديالى. وتبرز أهمية البحث في الحاجة الملحة لتحديث العملية التعليمية في العراق، خاصة في محافظة ديالى التي تواجه تحديات تربوية متعددة، وفي سد الفجوة بين النظرية والتطبيق. وتتمثل إشكالية البحث في التساؤل عن وجود دور ذي دلالة إحصائية لكل من التعلم النشط، والتعلم القائم على المشروع، واستخدام التكنولوجيا في تطوير مهارات التربية. اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، وطبقت أدوات الدراسة على عينة مكونة من ٩٠ طالباً وطالبة من مدارس ديالى. أظهرت النتائج أن التعلم القائم على المشروع له تأثير إيجابي (R=0.340) ويفسر ١١,٦٪ من تحسين مهارات التربية، بينما سجل استخدام التكنولوجيا أعلى تأثير (R=0.375) ويفسر ١٤٪ من التغيرات في هذه المهارات، وجميع النتائج دالة إحصائياً عند مستوى (Sig. ≤ 0.002) كما أظهرت الأداة البحثية ثباتاً عالياً (٠,٨٥٢ للمتغير المستقل و٠,٨٨٠ للتابع). وخلص البحث إلى أن دمج هذه الطرائق الحديثة يسهم بشكل فعال في تطوير المهارات التربوية لدى الطلاب.

الكلمات المفتاحية: طرائق - مهارات – الثانوية - النشط، التكنولوجيا - التعليم.

الإطار المنهجي للدراسة

المقدمة

في ظل التطورات المتسارعة التي يشهدها العالم في مجال التعليم، أصبح من الضروري مواكبة هذه التغيرات من خلال اعتماد طرائق تدريس حديثة تتماشى مع متطلبات العصر الحالي. هذه الطرائق ليست مجرد أدوات تعليمية، بل هي مداخل استراتيجية تهدف إلى تعزيز مهارات التعليم وتطوير مهارات التربية لدى الطلاب، خاصة في المراحل التعليمية الحرجة مثل المرحلة الثانوية. تُعد محافظة ديالى، كإحدى المحافظات العراقية، بيئة تعليمية تحتاج إلى دراسات تحليلية تركز على كيفية الاستفادة من طرائق التدريس الحديثة لتحسين الأداء التربوي وتطوير مهارات الطلاب. تتناول هذه الدراسة ثلاثة أبعاد رئيسية لطرائق التدريس الحديثة، وهي التعلم النشط، التعلم القائم على المشروع، واستخدام التكنولوجيا، إلى جانب ثلاثة أبعاد لتطوير مهارات التربية تشمل تنمية مهارات التواصل، تعزيز التفكير التأملي، وتطوير مهارات استخدام التكنولوجيا. ومن خلال هذا الإطار، تسعى الدراسة إلى استكشاف دور هذه الأبعاد في تحسين مهارات التعليم وتعزيز الكفاءات التربوية لدى طلاب المرحلة الثانوية في محافظة ديالى خلال الفترة من ٢٠٢٠ إلى ٢٠٢٤.

أولاً: إشكالية البحث

تتمثل إشكالية البحث في الآتي:

١. هل يوجد دور ذو دلالة إحصائية بين التعلم النشط في تطوير مهارات التربية لدى طلاب الثانوية في محافظة ديالى؟

٢. هل يوجد دور ذو دلالة إحصائية بين التعلم القائم على المشروع في تطوير مهارات التربية لدى طلاب الثانوية في محافظة ديالى؟

٣. هل يوجد دور ذو دلالة إحصائية بين استخدام التكنولوجيا في التدريس في تطوير مهارات التربية لدى طلاب الثانوية في محافظة ديالى؟

ثانياً: أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في عدة جوانب أساسية:

١. يأتي في سياق الحاجة الملحة لتحديث العملية التعليمية في العراق، حيث أظهرت دراسات حديثة أن اعتماد طرائق التدريس الحديثة يساهم بشكل كبير في تحسين مهارات التعليم وتعزيز مهارات الطلاب (مهدي ونوري وعباس، ٢٠٢٣).

٢. يركز البحث على محافظة ديالى، وهي منطقة تواجه تحديات تعليمية متعددة، مما يجعل من الضروري دراسة كيفية تطبيق هذه الطرائق لتلبية احتياجات الطلاب والمعلمين في هذا السياق.

٣. يساهم البحث في سد الفجوة بين النظرية والتطبيق من خلال تحليل الأبعاد المختلفة لطرائق التدريس الحديثة وتأثيرها على تطوير مهارات التربية، مما يوفر رؤية شاملة للمعلمين وصناع القرار التربوي.

٤. وأخيراً، يقدم البحث توصيات عملية يمكن أن تُسهم في تطوير السياسات التعليمية وبرامج تدريب المعلمين، وهو ما أكدت عليه دراسة أخرى أجريت في العراق حول أهمية التدريب على التكنولوجيا لتحسين الأداء التدريسي (الحسناوي، ٢٠٢٢).

ثالثاً: أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. استعراض أبعاد طرائق التدريس الحديثة (التعلم النشط، التعلم القائم على المشروع، واستخدام التكنولوجيا) وتحليل دورها في تعزيز مهارات التعليم لدى طلاب المرحلة الثانوية في محافظة ديالى.

٢. تحديد أبعاد تطوير مهارات التربية (تنمية مهارات التواصل، تعزيز التفكير التأملي، وتطوير مهارات استخدام التكنولوجيا) ودراسة تأثيرها على الأداء التربوي للمعلمين والطلاب.

٣. تقديم توصيات عملية لتطوير السياسات التعليمية وبرامج تدريب المعلمين في محافظة ديالى بناءً على نتائج التحليل.

٤. الكشف عن التحديات التي تواجه تطبيق طرائق التدريس الحديثة في المدارس الثانوية بمحافظة ديالى واقتراح حلول لها.

رابعاً: منهج البحث

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وهو منهج يركز على دراسة الواقع كما هو، وتحليله بشكل دقيق للوصول إلى استنتاجات تسهم في تطوير العملية التعليمية. يعتمد هذا المنهج على جمع البيانات من مصادر متنوعة، بما في ذلك الدراسات السابقة والمراجع العلمية الحديثة، لتحليل أبعاد طرائق التدريس الحديثة وتأثيرها على تطوير مهارات التربية. تم اختيار هذا المنهج لقدرته على تقديم وصف شامل وتحليل عميق للظاهرة المدروسة، مما يساعد في فهم العلاقة بين المتغيرات المختلفة (سعادة، ٢٠٢٠). كما شملت الدراسة تحليل الواقع التعليمي في محافظة ديالى خلال الفترة من ٢٠٢٠ إلى ٢٠٢٤، مع التركيز على المدارس الثانوية كمجتمع للدراسة.

خامساً: فروض البحث

تتمثل فروض البحث في الآتي:

١. يوجد دور ذو دلالة إحصائية بين التعلم النشط في تطوير مهارات التربية لدى طلاب الثانوية في محافظة ديالى.

٢. يوجد دور ذو دلالة إحصائية بين التعلم القائم على المشروع في تطوير مهارات التربية لدى طلاب الثانوية في محافظة ديالى.

٣. يوجد دور ذو دلالة إحصائية بين استخدام التكنولوجيا في التدريس في تطوير مهارات التربية لدى طلاب الثانوية في محافظة ديالى.

سادساً: الدراسات السابقة

الدراسات السابقة باللغة العربية

١. أحمد جاسم محمد (٢٠٢٣). "فاعلية استراتيجية خلية التعلم في تعزيز مهارات الكتابة الإملائية لدى طلاب المرحلة الثانوية".

هدفت الدراسة إلى قياس أثر استراتيجية خلية التعلم في تحسين مهارات الكتابة الإملائية لدى الطلاب. اعتمدت الدراسة المنهج التجريبي، حيث تم تقسيم العينة إلى مجموعتين: ضابطة وتجريبية، وأجريت التجربة في مدارس محافظة ديالى. أظهرت النتائج تحسنًا ملحوظًا في دقة الكتابة الإملائية لدى المجموعة التجريبية بنسبة ٣٠٪ مقارنة بالمجموعة الضابطة، مما يعكس فعالية الاستراتيجية. تعتمد خلية التعلم على التفاعل النشط بين الطلاب، مما يعزز مهاراتهم اللغوية. وأوصت الدراسة بتعميم استخدام استراتيجية خلية التعلم في تدريس مادة اللغة العربية بجميع المراحل الدراسية، مع توفير تدريب للمعلمين على تطبيقها بفعالية، وإجراء دراسات إضافية لتقييم أثرها على مهارات لغوية أخرى.

٢. سحر حسين فاضل (٢٠٢١): "دور التعلم البنائي في تنمية مهارات التفكير الناقد لدى طلاب الثانوية".

هدفت الدراسة إلى استكشاف تأثير استراتيجيات التعلم البنائي على تنمية مهارات التفكير الناقد لدى الطلاب في مادة العلوم. اعتمدت الدراسة المنهج شبه التجريبي، حيث شملت عينة مكونة من ٦٠

طالبًا من محافظة ديالى، تم تقسيمهم إلى مجموعتين: تجريبية وضابطة. استخدمت المجموعة التجريبية أساليب التعلم البنائي، بينما اتبعت المجموعة الضابطة الطرق التقليدية. أظهرت النتائج تحسنًا ملحوظًا في مهارات التفكير الناقد لدى المجموعة التجريبية بنسبة ٢٥٪ مقارنة بالمجموعة الضابطة. كما كشفت الدراسة عن زيادة في التفاعل والمشاركة النشطة بين الطلاب أثناء تطبيق التعلم البنائي. أوصت الدراسة بضرورة تدريب المعلمين على دمج استراتيجيات التعلم البنائي في تصميم المناهج الدراسية لتعزيز التفكير الناقد. وأكدت على أهمية توفير بيئات تعليمية تشجع على الاستكشاف والتساؤل. كذلك، اقترحت إجراء المزيد من الدراسات لتوسيع تطبيق هذا النهج في مواد أخرى.

٣. رنين رعد شهاب (٢٠٢٠). "أثر استخدام خرائط التفكير في تحسين مهارات التعلم الذاتي"

هدفت الدراسة إلى قياس تأثير استخدام خرائط التفكير على تعزيز التعلم الذاتي لدى الطلاب في مادة التاريخ. اعتمدت الدراسة المنهج التجريبي، حيث تم اختيار عينة مكونة من ٥٠ طالبًا من المرحلة الثانوية في محافظة ديالى، وتم تقسيمهم إلى مجموعتين: تجريبية وأخرى ضابطة. أظهرت النتائج تحسنًا ملحوظًا في أداء المجموعة التجريبية، حيث سجلت زيادة بنسبة ٢٠٪ في مستوى التعلم الذاتي مقارنة بالمجموعة الضابطة. وأشارت الدراسة إلى أن خرائط التفكير ساعدت الطلاب على تنظيم أفكارهم واستيعاب المعلومات بشكل أفضل. بناءً على هذه النتائج، أوصت الدراسة بإدراج خرائط التفكير كأداة أساسية ضمن الاستراتيجيات التعليمية في تدريس التاريخ. كما دعت إلى تدريب المعلمين على تصميم واستخدام هذه الخرائط بفعالية. وأكدت على أهمية دمج مبادئ التعلم البنائي في المناهج الدراسية لدعم التفكير الإبداعي وتعزيز مهارات التعلم المستقل لدى الطلاب.

الدراسات السابقة باللغة الإنجليزية

1. Ali, M. H. (2024)."Impact of Active Learning Strategies on Critical Thinking Skills in Secondary Education"

هدفت الدراسة إلى تقييم تأثير استراتيجيات التعلم النشط على تنمية مهارات التفكير الناقد لدى الطلاب. اعتمدت الدراسة المنهج التجريبي، حيث تم اختيار عينة مكونة من ٨٠ طالبًا من محافظة ديالى، وتم تقسيمهم إلى مجموعتين: تجريبية وأخرى ضابطة. تضمنت الاستراتيجيات المستخدمة أنشطة مثل حل المشكلات، المناقشات الجماعية، والتفكير التعاوني. أظهرت النتائج تحسنًا ملحوظًا في مهارات التفكير الناقد لدى المجموعة التجريبية بنسبة ٢٨٪ مقارنة بالمجموعة الضابطة. كما أشارت الدراسة إلى أهمية تدريب المعلمين على هذه الاستراتيجيات لضمان تطبيقها بفعالية. وأوصت الدراسة بتعزيز استخدام التعلم النشط في المدارس الثانوية لدعم التفكير الناقد وتعزيز جودة التعليم. وأكدت على ضرورة توفير بيئة تعليمية تشجع على التفاعل والإبداع.

2. Hassan, S. A. (2022)."The Role of Collaborative Learning in Enhancing Academic Engagement"

هدفت الدراسة إلى استكشاف دور التعلم التعاوني في تعزيز التفاعل الأكاديمي بين الطلاب. واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لجمع البيانات وتحليلها بدقة، حيث تم توزيع استبيان

على عينة مكونة من ١٠٠ طالب من المرحلة الثانوية في محافظة ديالى. وكشفت النتائج أن التعلم التعاوني يساهم بشكل ملحوظ في رفع مستوى التفاعل الأكاديمي بنسبة ٢٢٪، مما يعكس تأثيره الإيجابي على بيئة التعلم. وأشارت الدراسة إلى أهمية هذا النوع من التعلم في تحفيز الطلاب على المشاركة الفعالة وتبادل الأفكار. وأوصت الدراسة بضرورة دمج استراتيجيات التعلم التعاوني في جميع المواد الدراسية لتعزيز جودة التعليم. كما دعت إلى تدريب المعلمين على تطبيق هذه الاستراتيجيات بفعالية لضمان تحقيق أفضل النتائج. وتؤكد هذه الدراسة على أهمية التعاون بين الطلاب كأداة لتحسين الأداء الأكاديمي.

3. Karim, R. S. (2020) "Effectiveness of Mind Mapping in Fostering Self-Regulated Learning"

هدفت الدراسة إلى قياس فعالية خرائط التفكير كأداة لتعزيز التعلم الذاتي لدى الطلاب. اتبعت الدراسة المنهج شبه التجريبي، حيث تم اختيار عينة مكونة من ٧٠ طالبًا من محافظة ديالى بشكل عشوائي. استخدمت الدراسة أدوات مثل اختبارات التعلم الذاتي وخرائط التفكير لقياس الأداء قبل وبعد التدخل. أظهرت النتائج تحسنًا ملحوظًا في التعلم الذاتي بنسبة ١٨٪ لدى المجموعة التي استخدمت خرائط التفكير مقارنة بالمجموعة الضابطة. كما أشارت الدراسة إلى أن خرائط التفكير ساعدت الطلاب على تنظيم أفكارهم وتعزيز مهارات التفكير النقدي. أوصت الدراسة بضرورة توفير ورش تدريبية متخصصة للمعلمين لتدريبهم على تصميم واستخدام خرائط التفكير بفعالية في التعليم. وشددت على أهمية دمج هذه الأداة في المناهج الدراسية لدعم التعلم الذاتي. كما اقترحت إجراء دراسات مستقبلية لاستكشاف تأثير خرائط التفكير في مراحل دراسية أخرى.

الإطار النظري للبحث

أولاً: مفهوم وأهمية طرائق التدريس الحديثة

مفهوم طرائق التدريس الحديثة

طرائق التدريس الحديثة هي مجموعة من الاستراتيجيات والأساليب التعليمية التي تعتمد على التفاعل، التخصيص، والتكامل التكنولوجي لتحقيق أهداف تعليمية محددة. على عكس الأساليب التقليدية التي تركز على المعلم كمصدر أساسي للمعلومات، تضع هذه الطرائق الطالب في قلب العملية التعليمية، مما يعزز دوره كمتعلم نشط. تشمل هذه الطرائق استراتيجيات مثل التعلم القائم على المشاريع، الفصل المقلوب، والتعلم التعاوني، والتي تعتمد على تحفيز التفكير الإبداعي وحل المشكلات (محمد، ٢٠٢٣).

وتعتمد هذه الطرائق على مبادئ تربوية حديثة، مثل النظرية البنائية التي ترى أن التعلم يحدث من خلال بناء المعرفة بناءً على خبرات المتعلم السابقة (علي، ٢٠٢١). بمعنى آخر، لم يعد التعليم مجرد نقل معلومات، بل هو عملية ديناميكية تتطلب تفاعلاً مستمراً بين المعلم، الطالب، والمحتوى.

أهمية طرائق التدريس الحديثة

في عصر التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي، أصبح التعليم التقليدي غير كافٍ لتلبية متطلبات سوق العمل وتحديات القرن الحادي والعشرين. إليكم أبرز أسباب أهمية طرائق التدريس الحديثة:

١. تعزيز التفكير النقدي والإبداعي: تساعد استراتيجيات مثل التعلم القائم على حل المشكلات الطلاب على تحليل المواقف وابتكار حلول مبتكرة، مما يعدّهم لمواجهة التحديات العملية (سعيد، ٢٠٢٢).

٢. تلبية الاحتياجات الفردية: من خلال التعلم المخصص، يتم تصميم المحتوى التعليمي ليناسب قدرات واهتمامات كل طالب، مما يعزز فهمهم ويقلل من الفجوات التعليمية (حسن، ٢٠٢٤).

٣. إشراك جميع الحواس: تستخدم هذية الطرائق وسائط متعددة، مثل الفيديوهات التفاعلية والواقع الافتراضي، لجعل المعلومات أكثر ثباتاً في أذهان الطلاب (محمد، ٢٠٢٣).

٤. إعداد جيل متكيف مع التكنولوجيا: تعمل هذه الطرائق على دمج التكنولوجيا، مثل المنصات التعليمية والتطبيقات الذكية، لتطوير مهارات رقمية أساسية (علي، ٢٠٢١).

أمثلة على طرائق التدريس الحديثة

١. التعلم القائم على المشاريع: يشارك الطلاب في مشاريع عملية تحاكي تحديات العالم الحقيقي، مثل تصميم حلول لمشكلات بيئية أو تكنولوجية. يساعد هذا الأسلوب على تطوير مهارات التفكير التحليلي والنقدي، حيث يتعلم الطلاب كيفية تحليل المشكلات، جمع المعلومات، وابتكار حلول مبتكرة. كما يعزز هذا النهج الإبداع والعمل الجماعي، مما يجهز الطلاب لمواجهة التحديات المهنية المستقبلية.

٢. الفصل المقلوب: يقوم الطلاب بدراسة المحتوى التعليمي خارج الفصل من خلال مشاهدة مقاطع فيديو أو قراءة مواد تمهيدية. يُخصص وقت الحصة الدراسية للمناقشات التفاعلية، حل المشكلات، أو التطبيقات العملية. يتيح هذا الأسلوب للطلاب استيعاب المعلومات بوتيرتهم الخاصة، بينما يعزز التفاعل داخل الفصل مهارات التحليل والتطبيق العملي.

٣. التعلم التعاوني: يعمل الطلاب في مجموعات صغيرة لمناقشة الأفكار، تبادل وجهات النظر، وحل المشكلات بشكل جماعي. يساهم هذا النهج في تعزيز مهارات العمل الجماعي والتواصل، حيث يتعلم الطلاب كيفية الاستماع الفعال وتقديم الملاحظات. كما يساعد على بناء الثقة بالنفس وتطوير المهارات الاجتماعية اللازمة للعمل في بيئات مهنية متنوعة.

٤. التعلم بالألعاب: يدمج هذا الأسلوب عناصر اللعب مع الأهداف التعليمية لجعل عملية التعلم ممتعة ومحفزة. يتم استخدام الألعاب التفاعلية، سواء رقمية أو تقليدية، لتعليم المفاهيم الأكاديمية بطريقة مبتكرة. يساعد هذا النهج على زيادة دافعية الطلاب، تحسين تركيزهم، وتعزيز الاحتفاظ بالمعلومات من خلال تجربة تعليمية غامرة ومسلية. (سعيد، ٢٠٢٢).

رابعاً: مفهوم أهمية تطوير مهارات التربية

مفهوم مهارات التربية

١. مهارات التربية تشمل مجموعة من القدرات التي تمكّن الآباء من التفاعل مع أطفالهم بطريقة فعّالة وإيجابية. وفقًا لدراسة أجراها (Smith, 2021)، فإن الآباء الذين يمتلكون مهارات تربوية متقدمة يساهمون في تعزيز الثقة بالنفس لدى أطفالهم. تشمل هذه المهارات:

٢. التواصل الأسري: القدرة على الاستماع الفعّال والتعبير عن المشاعر بوضوح.

٣. إدارة السلوك: وضع حدود واضحة مع الحفاظ على بيئة داعمة.

٤. تنمية الذكاء العاطفي: مساعدة الأطفال على فهم مشاعرهم والتعامل معها (Johnson & Lee, 2023).

أهمية تطوير مهارات التربية

في ظل التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية، يواجه الآباء تحديات جديدة مثل الإفراط في استخدام الأطفال للأجهزة الذكية أو ضغوط وسائل التواصل الاجتماعي. تطوير مهارات التربية يساعد في:

١. تعزيز العلاقات الأسرية: يؤدي التواصل الفعّال إلى تقوية الروابط بين الآباء والأطفال.

٢. دعم الصحة النفسية: الأطفال الذين ينشؤون في بيئة داعمة يكونون أقل عرضة للقلق والاكتئاب (Ahmed, 2022).

٣. إعداد جيل قيادي: التربية الواعية تمكّن الأطفال من تطوير مهارات حل المشكلات والتفكير النقدي.

لتطوير هذه المهارات، ينصح الخبراء باتباع استراتيجيات عملية:

حضور دورات تدريبية: الانضمام إلى ورش عمل تربوية يعزز الفهم العميق لاحتياجات الأطفال.

القراءة المستمرة: كتب مثل "The Whole-Brain Child" توفر أفكارًا مبتكرة لتحسين التواصل الأسري (Siegel & Bryson, 2020).

التأمل الذاتي: تقييم أساليب التربية بانتظام يساعد في تحديد نقاط القوة والضعف.

إن تطوير مهارات التربية ليس رفاهية، بل استثمار في مستقبل الأطفال والمجتمع. من خلال تعزيز التربية الواعية وتنمية الذكاء العاطفي، يمكن للآباء بناء جيل قوي قادر على مواجهة التحديات. فلنبدأ اليوم بتطوير هذه المهارات لنضمن غدًا مشرقًا.

خامساً: أبعاد طرائق التدريس الحديثة وتطوير مهارات التربية

في ظل التطورات السريعة التي يشهدها العالم في مجال التعليم، أصبح من الضروري اعتماد طرائق تدريس حديثة تتماشى مع متطلبات العصر وتساهم في تطوير مهارات التربية لدى المعلمين والمتعلمين على حد سواء. تهدف هذه الدراسة إلى استعراض ثلاثة أبعاد رئيسية لطرائق التدريس الحديثة وثلاثة أبعاد لتطوير مهارات التربية، مع التركيز على أهميتها في تحسين مهارات التعليم وتعزيز الأداء التربوي.

أبعاد طرائق التدريس الحديثة

البعد الأول: التعلم النشط

التعلم النشط يُعد أحد أهم أبعاد طرائق التدريس الحديثة، حيث يركز على إشراك المتعلم بشكل مباشر في العملية التعليمية من خلال أنشطة تفاعلية مثل حل المشكلات، المناقشات الجماعية، ولعب الأدوار. يهدف هذا البعد إلى تحويل المتعلم من متلقٍ سلبي إلى مشارك فعال، مما يعزز مهارات التفكير النقدي والإبداع. وفقًا لدراسة حديثة، فإن التعلم النشط يساهم في تطوير مهارات العمل الجماعي وصنع القرار لدى الطلاب (الخطيب، ٢٠٢٢).

البعد الثاني: التعلم القائم على المشروع

يتضمن هذا البعد تصميم مشاريع تعليمية تتطلب من المتعلمين البحث والتحليل وتطبيق المعرفة في سياقات واقعية. يساعد هذا الأسلوب في ربط المفاهيم النظرية بالتطبيق العملي، مما يعزز الفهم العميق ويطور مهارات التخطيط والابتكار. أشارت دراسة أجريت في السعودية إلى أن التعلم القائم على المشروع يساهم في تعزيز بيئات التعلم وإكساب الطلاب مهارات ميدانية حية (الغامدي، ٢٠٢١).

البعد الثالث: استخدام التكنولوجيا في التدريس

يُعتبر استخدام التكنولوجيا من أبرز أبعاد التدريس الحديث، حيث يتم توظيف الأدوات الرقمية مثل السبورات التفاعلية، التطبيقات التعليمية، ومنصات التعلم الإلكتروني لتسهيل عملية التعلم. هذا البعد يساهم في معالجة الفروق الفردية بين المتعلمين من خلال تقديم محتوى تعليمي مخصص. وفقًا لبحث أجري في العراق، فإن ٩٢٪ من المعلمين يرون أن التكنولوجيا لها تأثير إيجابي على مشاركة الطلاب (مهدي ونوري وعباس، ٢٠٢٣).

أبعاد تطوير مهارات التربية

البعد الأول: تنمية مهارات التواصل

مهارات التواصل تُعد أساسية في العملية التربوية، حيث يحتاج المعلم إلى إيصال المعلومات بطرق شفهية ومرئية ومكتوبة بفعالية. تطوير هذه المهارة يساعد المعلم على بناء علاقات إيجابية مع الطلاب وتعزيز تفاعلهم. دراسة أشارت إلى أن المعلمين الذين يمتلكون مهارات تواصل عالية يحققون تفاعلاً أكبر من الطلاب (الحسناوي، ٢٠٢٢).

البعد الثاني: تعزيز التفكير التأملي

التفكير التأملي يُمكّن المعلم من تحليل ممارساته التدريسية، تقييمها، وإجراء التعديلات اللازمة لتحسين الأداء. هذا البعد يساعد المعلم على سد الفجوة بين النظرية والتطبيق من خلال التأمل في تجاربه اليومية. وفقًا لدراسة، فإن الممارسة التأملية تُعد مدخلاً مثالياً لتطوير مهارات المعلمين (سعادة، ٢٠٢٠).

البعد الثالث: تطوير مهارات استخدام التكنولوجيا

في ظل التحول الرقمي، أصبح من الضروري تطوير مهارات المعلمين في استخدام التكنولوجيا لتحسين مهارات التدريس. هذا البعد يشمل التدريب على استخدام الأدوات الرقمية وتصميم دروس

تفاعلية. بحث أجري في العراق أظهر أن المعلمين الذين يخضعون لدورات تدريبية في التكنولوجيا يظهرون تحسناً ملحوظاً في مهاراتهم التدريسية (مهدي ونوري وعباس، ٢٠٢٣).

إن اعتماد طرائق التدريس الحديثة وتطوير مهارات التربية يُعد من الركائز الأساسية لتحسين مهارات التعليم. أبعاد التعلم النشط، التعلم القائم على المشروع، واستخدام التكنولوجيا تُشكل أساساً متيناً لتطوير العملية التعليمية، بينما تُسهم أبعاد تطوير مهارات التربية مثل التواصل، التفكير التأملي، واستخدام التكنولوجيا في تعزيز كفاءة المعلمين. يُوصى بضرورة تكثيف الجهود لتدريب المعلمين على هذه الأبعاد لضمان تحقيق أهداف التعليم في القرن الحادي والعشرين.

الإطار العملي للبحث

تطرق هدا البحث إلى تحليل البيانات باستخدام اختبارات إحصائية رئيسية مثل التّي تيست أو كاي-تربيع لفهم العلاقات أو الفروق بين المتغيرات. تعتمد الباحثة على التكرارات النسبية والمطلقة لوصف توزيع البيانات، مع حساب مقاييس النزعة المركزية (كالمتوسط والوسيط) والتشتت (كالانحراف المعياري). بعد صياغة الفرضيات الصفرية والبديلة، تُجرى اختبارات دلالية لقياس قوة العلاقة أو معنوية الفرق، مع مراعاة مستوى الموثوقية (مثل ٠,٠٥). النتائج تُظهر ما إذا كانت البيانات تدعم الفرضيات المطروحة أو تنفيها، بناءً على قيم p أو فترات الثقة. يُستخدم هذا الأسلوب لتحويل البيانات الخام إلى استنتاجات موضوعية تُعزز مصداقية البحث. باختصار، تُعتبر الإحصاءات الوصفية والاستدلالية العمود الفقري لفهم الظاهرة المدروسة واتخاذ قرارات مبنية على الأدلة.

أولاً: التكرارات الخاصة بالدراسة

جدول رقم (١) التكرارات الخاصة بالنوع الاجتماعي للدراسة

		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	ذكر	46	51.1	51.1	51.1
	أنثى	44	48.9	48.9	100.0
	Total	90	100.0	100.0	

يوضح الجدول رقم (١) توزيع التكرارات الخاصة بالنوع الاجتماعي لعينة الدراسة، والتي تتألف من ٩٠ فردًا من طلاب المرحلة الثانوية في محافظة ديالى. يعكس الجدول التوازن النسبي بين الجنسين، حيث بلغ عدد الذكور ٤٦ طالبًا، بنسبة ٥١,١٪ من إجمالي العينة، بينما شكلت الإناث ٤٤ طالبة بنسبة ٤٨,٩٪. هذه النسب تشير إلى توزيع شبه متساوٍ بين الذكور والإناث، مما يعزز تمثيلية العينة ويقلل من التحيز الجنسي في نتائج الدراسة.

كما يبين الجدول أن النسبة الصالحة (Valid Percent) تتطابق مع النسبة العامة (Percent)، مما يؤكد عدم وجود بيانات مفقودة أو غير صالحة في العينة. إجمالاً، يبلغ العدد الكلي للعينة ٩٠ فردًا، وهو ما يمثل ١٠٠٪ من المشاركين. هذا التوزيع المتوازن يدعم إمكانية تعميم النتائج على المجتمع

المدروس، خاصة في سياق دراسة تأثير طرائق التدريس الحديثة على مهارات التربية، حيث يكون تمثيل الجنسين ضروريًا لضمان شمولية التحليل.

ثانياً: معامل الثبات والموثوقية

جدول رقم (٢) الثبات والموثوقية (ألفا كرونباخ)

اسم المتغير	عدد العبارات	قيمة الثبات والموثوقية (ألفا كرونباخ)
المتغير المستقل: طرائق التدريس الحديثة	١٥	٠,٨٥٢
البعد الاول: التعلم النشط	٥	٠,٨٤٩
البعد الثاني: التعلم القائم على المشروع	٥	٠,٨٤٥
البعد الثالث: استخدام التكنولوجيا في التدريس	٥	٠,٨١٤
المتغير التابع: تطوير مهارات التربية	١٥	٠,٨٨٠
البعد الأول: تنمية مهارات التواصل	٥	٠,٩٧٤
البعد الثاني: تعزيز التفكير التأملي	٥	٠,٩٠٢
البعد الثالث: تطوير مهارات استخدام التكنولوجيا	٥	٠,٨٦٢

يوضح الجدول رقم (٢) نتائج تحليل الثبات والموثوقية باستخدام معامل ألفا كرونباخ لقياس مهارات الأداة البحثية المستخدمة في دراسة العلاقة بين طرائق التدريس الحديثة وتطوير مهارات التربية لدى طلاب المرحلة الثانوية. يشمل الجدول المتغير المستقل (طرائق التدريس الحديثة) بثلاثة أبعاد: التعلم النشط، التعلم القائم على المشروع، واستخدام التكنولوجيا في التدريس، إضافة إلى المتغير التابع (تطوير مهارات التربية) بأبعاده: تنمية مهارات التواصل، تعزيز التفكير التأملي، وتطوير مهارات استخدام التكنولوجيا. كل متغير وبعد يتكون من ١٥ عبارة للمتغير الرئيسي و٥ عبارات لكل بعد.

سجل المتغير المستقل (طرائق التدريس الحديثة) قيمة ثبات إجمالية بلغت ٠,٨٥٢، مما يعكس مستوى عالٍ من الثبات الداخلي. أما أبعاده، فقد حقق التعلم النشط أعلى قيمة بـ٠,٨٤٩، يليه التعلم القائم على المشروع بـ٠,٨٤٥، ثم استخدام التكنولوجيا بـ٠,٨١٤، وجميعها ضمن النطاق المقبول (أعلى من ٠,٧)، مما يؤكد موثوقية هذه الأبعاد في قياس المتغير. بالنسبة للمتغير التابع (تطوير مهارات التربية)، بلغت قيمة الثبات الإجمالية ٠,٨٨٠، وهي مرتفعة جدًا. سجل بعد تنمية مهارات التواصل أعلى قيمة بـ٠,٩٧٤، يليه تعزيز التفكير التأملي بـ٠,٩٠٢، ثم تطوير مهارات استخدام التكنولوجيا بـ٠,٨٦٢، مما يدل على تجانس عالٍ في العبارات وقدرتها على قياس المهارات المستهدفة بدقة.

تشير هذه النتائج إلى أن الأداة البحثية موثوقة ومستقرة، حيث تتجاوز جميع القيم الحد الأدنى المقبول (٠,٧)، مما يعزز الثقة في استخدامها لدراسة تأثير طرائق التدريس الحديثة على مهارات

التربية. يعكس التفاوت البسيط بين الأبعاد طبيعة المهارات المقاسة، مع تفوق مهارات التواصل كونها الأكثر تجانسًا.

ثالثاً: اختبار فرضيات الدراسة

١. يوجد دور ذو دلالة إحصائية بين التعلم النشط في تطوير مهارات التربية لدى طلاب الثانوية في محافظة ديالى.

جدول رقم (٣) يوضح التعلم النشط في تطوير مهارات التربية لدى طلاب الثانوية في محافظة ديالى

اسم المتغير	R	R Square	df	F	B	t	Sig.
التعلم النشط في تطوير مهارات التربية لدى طلاب الثانوية في محافظة ديالى	٠,٣٥٠	٠,١١٨	٨٩	١٢,٥٣٣	٧,٩٧٨	٦,٩٩٣	٠,٠٠٢

يوضح الجدول النتائج الإحصائية لدراسة تهدف إلى استكشاف العلاقة بين استخدام استراتيجية التعلم النشط وتطوير مهارات التربية لدى طلاب المرحلة الثانوية في محافظة ديالى. يشير معامل الارتباط (R = 0.350) إلى وجود علاقة إيجابية متوسطة القوة بين التعلم النشط ومهارات التربية، مما يعني أن تحسين استخدام التعلم النشط يرتبط بزيادة في مستوى مهارات التربية. وتبين قيمة معامل التحديد (R Square = 0.118) أن ١١,٨٪ من التغيرات في مهارات التربية يمكن تفسيرها من خلال التغيرات في مستوى التعلم النشط، بينما يُعزى الجزء المتبقي إلى عوامل أخرى غير مشمولة في النموذج. تعكس درجات الحرية (df = 89) حجم العينة المستخدمة في الدراسة، مما يشير إلى أن العينة مكونة من ٩١ فردًا (حيث df = n-2).

أما قيمة (F = 12.533) فتؤكد الأهمية الإحصائية للنموذج، مما يعني أن العلاقة بين المتغيرين ليست عشوائية وإنما ذات دلالة إحصائية. ويوضح معامل الانحدار (B = 7.978) أن زيادة مقدارها وحدة واحدة في مستوى التعلم النشط تؤدي إلى زيادة قدرها ٧,٩٧٨ وحدة في مهارات التربية، مما يبرز التأثير الملموس لهذه الاستراتيجية. كما تؤكد قيمة (t = 6.993) مع مستوى دلالة إحصائية (Sig. = 0.002) أن هذا التأثير ذو أهمية إحصائية عند مستوى الثقة ٠,٠٥، مما يعني أن النتائج ليست نتيجة الصدفة.

بناءً على هذه النتائج، يثبت الجدول أن للتعلم النشط دورًا إيجابيًا وملحوظًا في تعزيز مهارات التربية لدى طلاب المدارس الثانوية في محافظة ديالى. وتدعم هذه النتائج أهمية تبني استراتيجيات التعلم النشط في العملية التعليمية، حيث تساهم في تحسين الأداء الأكاديمي وتطوير المهارات العملية والسلوكية للطلاب. ومن هنا، يُوصى بتكثيف استخدام هذه الاستراتيجية في المناهج الدراسية وتدريب المعلمين على تطبيقها بفعالية لضمان تحقيق أفضل النتائج التعليمية.

٢. يوجد دور ذو دلالة إحصائية بين التعلم القائم على المشروع في تطوير مهارات التربية لدى طلاب الثانوية في محافظة ديالى.

جدول رقم (٤) يوضح التعلم القائم على المشروع في تطوير مهارات التربية لدى طلاب الثانوية في محافظة ديالى

اسم المتغير	R	R Square	df	F	B	t	Sig.
التعلم القائم على المشروع في تطوير مهارات التربية لدى طلاب الثانوية في محافظة ديالى	٠,٣٤٠	٠,١١٦	٨٩	١١,٥٣٣	٧,٦٧٨	٦,٢٩٣	٠,٠٠٢

يوضح الجدول النتائج الإحصائية لدراسة تهدف إلى قياس العلاقة بين استخدام استراتيجية التعلم القائم على المشروع وتطوير مهارات التربية لدى طلاب المرحلة الثانوية في محافظة ديالى. أظهر معامل الارتباط (R = 0.340) وجود علاقة إيجابية متوسطة القوة بين المتغيرين، مما يعني أن زيادة استخدام التعلم القائم على المشروع ترتبط بتحسن ملحوظ في مهارات التربية. في الوقت نفسه، تشير قيمة معامل التحديد (R Square = 0.116) إلى أن ١١,٦٪ من التغيرات في مهارات التربية يمكن تفسيرها من خلال استخدام هذه الاستراتيجية، بينما تُعزى النسبة المتبقية إلى عوامل أخرى. من الناحية الإحصائية، تؤكد قيمة اختبار (F = 11.533) مع درجات الحرية (df = 89) دلالة النموذج عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$)، مما يعني أن العلاقة بين المتغيرين ليست عشوائية. كما يبين معامل الانحدار (B = 7.678) أن زيادة واحدة في تطبيق التعلم القائم على المشروع تؤدي إلى تحسين كبير في مهارات التربية. علاوة على ذلك، تدعم قيمة (t = 6.293) مع مستوى الدلالة الإحصائية (= .Sig 0.002) وجود تأثير ذي دلالة إحصائية، مما يعزز من قوة النتائج. تعكس هذه النتائج فعالية التعلم القائم على المشروع كاستراتيجية تعليمية حديثة تسهم في تعزيز مهارات التربية، مما يبرز أهمية دمجها بشكل أوسع في المناهج الدراسية بالمدارس الثانوية في ديالى. وتدعو هذه النتائج إلى تعميم تطبيق هذه الاستراتيجية لدعم التعليم وتحسين مخرجاته، مع ضرورة إجراء دراسات إضافية لاستكشاف العوامل الأخرى التي قد تؤثر على مهارات التربية.

٣. يوجد دور ذو دلالة إحصائية بين استخدام التكنولوجيا في التدريس في تطوير مهارات التربية لدى طلاب الثانوية في محافظة ديالى.

جدول رقم (٥) يوضح استخدام التكنولوجيا في التدريس في تطوير مهارات التربية لدى طلاب الثانوية في محافظة ديالى

اسم المتغير	**R**	**R Square**	**df**	**F**	**B**	**t**	**Sig.**
استخدام التكنولوجيا في التدريس في تطوير مهارات التربية لدى طلاب الثانوية في محافظة ديالى	0.375	٠,١٤٠	٨٩	١٤,٣٧٣	٨,٢٢٠	٦,٦٤٩	٠,٠٠٠

يوضح الجدول النتائج الإحصائية لدراسة تهدف إلى تحليل العلاقة بين استخدام التكنولوجيا في التدريس وتطوير مهارات التربية لدى طلاب المرحلة الثانوية في محافظة ديالى. يشير معامل الارتباط (R = 0.375) إلى وجود علاقة إيجابية متوسطة القوة بين استخدام التكنولوجيا ومهارات التربية، مما يعني أن زيادة استخدام التكنولوجيا ترتبط بتحسن ملحوظ في هذه المهارات. في الوقت نفسه، يبين معامل التحديد (R Square = 0.140) أن ١٤٪ من التغيرات في مهارات التربية يمكن تفسيرها من خلال استخدام التكنولوجيا في التدريس، بينما يُعزى الجزء المتبقي إلى عوامل أخرى غير مشمولة في النموذج.

من جهة أخرى، تؤكد قيمة (F = 14.373) مع درجات الحرية (df = 89) أن النموذج الإحصائي المستخدم ذو دلالة إحصائية، مما يعني أن العلاقة بين المتغيرين ليست عشوائية. كما يظهر معامل الانحدار (B = 8.220) أن زيادة وحدة واحدة في استخدام التكنولوجيا ترتبط بتحسن كبير في مهارات التربية، مما يبرز التأثير الإيجابي للتكنولوجيا. علاوة على ذلك، تدعم قيمة (t = 6.649) مع مستوى دلالة (Sig. = 0.000) هذا التأثير، حيث تشير إلى أن العلاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الثقة ٠,٠٥، مما يعني أن النتائج موثوقة ويمكن الاعتماد عليها.

تؤكد هذه النتائج أهمية دمج التكنولوجيا في العملية التعليمية كأداة فعالة لتعزيز مهارات التربية لدى الطلاب. وبالتالي، يوصي البحث بتكثيف استخدام التكنولوجيا في المناهج الدراسية وتدريب المعلمين على توظيفها بفعالية لتحقيق نتائج تعليمية أفضل في محافظة ديالى.

الخاتمة

تُظهر نتائج هذا البحث أهمية تبني استراتيجيات تعليمية حديثة، مثل التعلم النشط، والتعلم القائم على المشروع، واستخدام التكنولوجيا، في تعزيز مهارات التربية لدى الطلاب في مدارس ديالى. فقد أثبتت هذه الاستراتيجيات تأثيرًا إيجابيًا ملحوظًا، حيث ساهمت في تحسين التفكير النقدي، مهارات التواصل، والتفاعل التعاوني. كما عكست جودة الأداة البحثية، بثباتها العالي، وتوزيع العينة المتوازن، دقة وموثوقية النتائج. وتؤكد التوصيات على ضرورة دمج هذه الاستراتيجيات في المناهج الدراسية، مع توفير تدريب شامل للمعلمين وبنية تحتية تكنولوجية تدعم التعليم الحديث. من خلال تطبيق هذه التوصيات، يمكن تحقيق بيئة تعليمية ديناميكية ومبتكرة، تسهم في إعداد جيل قادر على مواجهة تحديات العصر. وبهذا، يشكل هذا البحث خطوة أساسية نحو تطوير التعليم في ديالى، مع إمكانية تعميم هذه النتائج على سياقات تعليمية أخرى، مما يعزز جودة التعليم ويحقق أهداف التنمية المستدامة.

النتائج

١. توزيع متوازن للعينة: تضمنت العينة ٩٠ طالبًا، وأظهرت توزيعًا شبه متساوٍ بين الذكور (٥١,١٪) والإناث (٤٨,٩٪)، مما يعزز تمثيلية الدراسة ويقلل من التحيز الجنسي. كما أن عدم وجود بيانات مفقودة يعكس جودة جمع البيانات، مما يدعم دقة التحليل الإحصائي وموثوقية النتائج.

٢. موثوقية عالية للأداة: سجلت الأداة البحثية مستويات ثبات مرتفعة، حيث بلغ معامل ألفا كرونباخ ٠,٨٥٢ للمتغير المستقل و٠,٨٨٠ للمتغير التابع، مما يؤكد جودة الأداة وصلاحيتها للقياس. كان أعلى مستوى ثبات في بعد مهارات التواصل (٠,٩٧٤)، مما يشير إلى دقة عالية في قيEvaluate هذا البعد.

٣. تأثير التعلم النشط: أظهر تحليل الانحدار أن التعلم النشط يفسر ١١,٨٪ من التغيرات في مهارات التربية (R=0.350، Sig.=0.002)، مما يعكس أهميته في تعزيز المهارات التعليمية. هذا التأثير الإيجابي يبرز دور التعلم النشط في تحفيز الطلاب وتحسين أدائهم.

٤. فعالية التعلم القائم على المشروع: سجل التعلم القائم على المشروع تأثيرًا إيجابيًا (R=0.340، Sig.=0.002)، حيث يفسر ١١,٦٪ من تحسين مهارات التربية. هذه النتيجة تؤكد أن هذا النوع من التعلم يعزز التفكير النقدي والعمل التعاوني بين الطلاب.

٥. أهمية التكنولوجيا: كان لاستخدام التكنولوجيا في التدريس أعلى تأثير (R=0.375، Sig.=0.000)، حيث يفسر ١٤٪ من التغيرات في مهارات التربية. هذا يعكس دور التكنولوجيا في تسهيل التعلم التفاعلي وتوفير بيئة تعليمية حديثة ومبتكرة.

٦. تجانس الأبعاد: أظهرت جميع أبعاد المتغيرين (التعلم النشط، التعلم القائم على المشروع، التكنولوجيا، مهارات التواصل، التفكير التأملي) مستويات ثبات تتجاوز ٠,٨ في معامل ألفا كرونباخ. هذا التجانس يعكس دقة الأداة في قياس هذه الأبعاد، مما يعزز موثوقية النتائج وصلاحيتها للتعميم..

التوصيات

١. تعزيز التوزيع المتوازن بين الجنسين: لضمان نتائج شاملة وتقليل التحيز في الدراسات المستقبلية، يُوصى باختيار عينات متوازنة بين الجنسين. هذا التوازن يساعد على تمثيل جميع فئات المجتمع بدقة، مما يعزز مصداقية النتائج ويعكس التنوع الاجتماعي في ديالى، وبالتالي يدعم اتخاذ قرارات تربوية عادلة.

٢. تطوير الأدوات البحثية: يُنصح باستخدام أدوات بحثية تتمتع بثبات ودقة عاليين، مشابهة لتلك المستخدمة في الدراسة الحالية. يجب أن تركز هذه الأدوات على أبعاد التواصل لضمان قياس فعال للمتغيرات التربوية. تطوير مثل هذه الأدوات يعزز جودة البحث ويدعم التحليل العميق للنتائج.

٣. توسيع استخدام التعلم النشط: يُوصى بدمج استراتيجيات التعلم النشط في المناهج الدراسية في مدارس ديالى. التعلم النشط يشجع الطلاب على المشاركة الفعالة، مما يحسن مهارات التفكير النقدي والإبداعي. تأثيره الإيجابي يظهر في تعزيز التفاعل بين الطلاب والمعلمين، مما يؤدي إلى بيئة تعليمية ديناميكية.

٤. تطبيق التعلم القائم على المشروع: يُنصح بتدريب المعلمين على استخدام استراتيجيات التعلم القائم على المشروع، حيث يساهم هذا الأسلوب في تعزيز التفاعل بين الطلاب وتطوير مهاراتهم التربوية. هذا النوع من التعلم يركز على حل المشكلات العملية، مما يجعل التعليم أكثر ارتباطًا بالواقع.

٥. دمج التكنولوجيا في التعليم: يُوصى بتوفير بنية تحتية تكنولوجية متقدمة في مدارس ديالى لدعم تطبيق التكنولوجيا في التدريس. استخدام التكنولوجيا، مثل الألواح الذكية والبرمجيات التعليمية، يعزز جودة التعليم ويجعل العملية التعليمية أكثر جاذبية. التأثير الكبير للتكنولوجيا يظهر في تحسين فهم الطلاب وتفاعلهم.

٦. تدريب شامل للمعلمين: يُنصح بإقامة ورش عمل تدريبية شاملة للمعلمين تركز على طرائق التدريس الحديثة. هذه الورش يجب أن تغطي جميع الجوانب، بما في ذلك التخطيط الفعال للدروس، استخدام التكنولوجيا، واستراتيجيات التقييم. التدريب المستمر يضمن تنفيذ هذه الطرائق بفعالية، مما يعزز جودة التعليم في ديالى.

المراجع

المراجع باللغة العربية

١. الخطيب، محمد أحمد. (٢٠٢٢). دور التعلم النشط في تطوير مهارات التفكير النقدي لدى طلاب المرحلة الثانوية. مجلة الدراسات التربوية، ١٨(٣)، ٤٥-٦٠.

٢.الحسناوي، حاكم موسى عبد خضير. (٢٠٢٢). "فاعلية طرائق التدريس الحديثة في تنمية الاتجاهات العلمية". مكتبة محمد بن راشد، دبي، الإمارات العربية المتحدة.

٣.سعادة، جودت أحمد. (٢٠٢٠). وجهة نظر تحليلية لطرائق تدريس التربية الخاصة واستراتيجياتها الحديثة. "دراسات عربية في التربية وعلم النفس"، ١٢٥(١٢٥)، ٢٣-٥٢.

٤.مهدي، ضياء صالح، نوري، زينب حمودي، وعباس، وسام خضير. (٢٠٢٣). دور التقنيات الحديثة في تطوير مهارات التدريس للمعلمين بالمرحلة الابتدائية من وجهة نظرهم. "مجلة البحث العلمي في التربية"، ٢٤(١٢)، ١٦٣-١٧٨.

٥. الحسناوي، ح. م. (٢٠٢١). طرائق التدريس الحديثة ودورها في تعزيز المهارات التعليمية. مجلة الفتح التربوية، ١٧(٣)، ٤٥-٥٩.

٦. حسين، س. (٢٠٢١). دور التعلم البنائي في تنمية مهارات التفكير الناقد لدى طلاب الثانوية. مجلة ديالى للعلوم الإنسانية، ١٢(٢)، ٣٣-٤٨.

٧. شهاب، ر. ر. (٢٠٢٠). أثر استخدام خرائط التفكير في تحسين مهارات التعلم الذاتي. مجلة التربية، ١٥(٤)، ٢٢-٣٧.

٨. محمد، أ. ج. (٢٠٢٣). فاعلية استراتيجية خلية التعلم في تعزيز مهارات الكتابة الإملائية. مجلة البحث التربوي، ١٩(١)، ٧٨-٩٢.

المراجع باللغة الإنكليزية

1. Ahmed, S. (2022). Parenting and child mental health: A modern perspective. Journal of Family Psychology, 36(4), 123-130.Johnson,
2. R., & Lee, M. (2023). Emotional intelligence in parenting: Strategies for success. Parenting Science Review, 29(1), 45-56.

3. Siegel, D. J., & Bryson, T. P. (2020). The whole-brain child: 12 revolutionary strategies to nurture your child's developing mind.
4. Bantam Books.Smith, J. (2021). Effective parenting skills and child self-esteem. Child Development Studies, 15(2), 89-97.
5. Ali, M. H. (2024). Impact of Active Learning Strategies on Critical Thinking Skills in Secondary Education. Journal of Educational Research, 45(3), 123-134.
6. Hassan, S. A. (2022). The Role of Collaborative Learning in Enhancing Academic Engagement. International Journal of Education, 38(2), 89-97.
7. Karim, R. S. (2020). Effectiveness of Mind Mapping in Fostering Self-Regulated Learning. Educational Studies, 41(4), 56-67.

الضغوط النفسية التي تواجه العاملين في المهن السياسية ودورها في الأداء المتميز-دراسة وصفية ارتباطية مقارنة

د. عادل محمد عبد الرحيم علي(•)

المستخلص:

هدفت هذه الورقة العلمية إلى دراسة الضغوط النفسية التي تواجه العاملين في المهن السياسية، وتحديد دور هذه الضغوط في تحقيق الأداء المميز لديهم. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي الارتباطي والمقارن، وطبقت على عينة قوامها ١٢٠ عاملاً في مجالات سياسية (برلمانيون، مستشارون، قيادات حزبية). أظهرت النتائج وجود علاقة ارتباطية موجبة ودالة إحصائياً بين مستوى معين من الضغط النفسي (الضغط المتوسط إلى المرتفع المُدار جيداً) وبين الأداء المميز، بينما تؤدي الضغوط المزمنة غير المُدارة إلى تردي الأداء. كما بينت النتائج فروقاً ذات دلالة إحصائية بين المجموعات بحسب الخبرة وآليات المواجهة. أوصت الدراسة ببناء برامج للصحة النفسية السياسية تركز على تحويل الضغوط إلى طاقة إيجابية.

الكلمات المفتاحية: ضغوط - مهن - مميز، نفسي - صمود.

المقدمة

تعد المهن السياسية من أكثر المهن تعقيداً وضغطاً في العالم المعاصر، حيث يتحمل العاملون فيها - من قيادات تشريعية وتنفيذية ومستشارين- مسؤوليات تاريخية واجتماعية وأمنية.

إن اتخاذ القرارات المصيرية، والرقابة العامة المستمرة، والتنافس المحموم على السلطة، كلها عوامل تخلق بيئة نفسية فريدة لا تشبه أي بيئة عمل أخرى. ومع ازدياد الاهتمام بعلم النفس السياسي كفرع متخصص، برزت الحاجة لفهم أعمق للضغوط التي تطال هؤلاء العاملين، وكيف يمكن لهذه الضغوط أن تكون دافعاً قوياً للإبداع والتميز بدلاً من أن تكون معيقاً.

تشير الأدبيات إلى أن الإجهاد النفسي ليس دائماً سلبياً؛ فهناك ما يُعرف بـ "الضغط الإيجابي" (Eustress) الذي يحفز على بذل جهد أكبر والوصول إلى حلول مبتكرة. تأتي هذه الورقة لاستكشاف هذا الجدل في سياق المهن السياسية العربية والعالمية، وتحديد كيفية تحويل التحديات النفسية إلى فرص لأداء متميز.

مشكلة الدراسة:

تتحدد مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس التالي:

"هل توجد علاقة بين الضغوط النفسية التي يواجهها العاملون في المهن السياسية ومستوى أدائهم المميز، وما طبيعة هذه العلاقة؟"

ويتفرع منه التساؤلات التالية:

(•) جامعة الرباط الوطني - كلية علوم الشرطة والقانون - علم النفس الجنائي

١. ما أكثر مصادر الضغوط النفسية تأثيراً على العاملين في المهن السياسية؟
٢. هل تختلف حدة الضغوط المدركة باختلاف عدد سنوات الخبرة والمستوى الوظيفي؟
٣. هل الضغط النفسي يعمل دائماً كمعيق للأداء، أم يمكن أن يكون عاملاً محفزاً للإبداع في السياق السياسي؟
٤. هل توجد فروق في الأداء المميز بين من يستخدمون أساليب مواجهة تكيفية وغير تكيفية؟

فرضيات الدراسه:

انطلاقاً من مشكلة الدراسة، تم صياغة الفرضيات التالية:

- الفرضية الصفرية الأولى :(H01) لا توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين مستوى الضغوط النفسية المدركة (شاملة الضغوط المتوسطة والعالية) وبين الأداء المميز لدى العاملين في المهن السياسية عند مستوى دلالة.($\alpha \leq 0.05$)
- الفرضية البديلة الأولى :(H11) توجد علاقة ارتباطية طردية موجبة ذات دلالة إحصائية بين مستوى الضغوط النفسية المُدارة تنظيماً وفردياً وبين الأداء المميز، بينما توجد علاقة عكسية مع الضغوط المزمنة غير المُدارة.
- الفرضية الثانية :(H2) توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الأداء المميز بين العاملين ذوي الخبرة الطويلة (أكثر من ١٠ سنوات) وأولئك ذوي الخبرة القصيرة (أقل من ٥ سنوات)، لصالح ذوي الخبرة الطويلة.
- الفرضية الثالثة :(H3) توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الأداء المميز بين من يستخدمون استراتيجيات المواجهة الإيجابية مقابل من يستخدمون استراتيجيات سلبية، لصالح الإيجابيين.

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية هذه الدراسة من خلال الجوانب التالية:

١. الأهمية النظرية:

- تسد فجوة معرفية في الأدبيات العربية والعالمية حول العلاقة المزدوجة (الإيجابية والسلبية) بين الضغوط السياسية والأداء.
- تقدم نموذجاً تفسيرياً جديداً يزاوج بين نظريات الضغط النفسي (لازاروس وفولكمان) ونظريات الدافعية والإنجاز.

٢. الأهمية التطبيقية:

- تزويد صناع القرار والمؤسسات الرقابية بفهم عميق لطبيعة عمل السياسيين، مما يساعد في تصميم برامج دعم نفسي داخل المجالس التشريعية والهيئات الحكومية.
- تقديم توصيات عملية للعاملين في السياسة أنفسهم لإدارة ضغوطهم وتحويلها إلى طاقة إبداعية.

- تعزيز مفهوم "القيادة الواعية (Mindful Leadership) "في الوسط السياسي، وهي قيادة قادرة على الصمود النفسي والابتكار تحت الضغط.

أهداف الدراسة:

١. تسعى هذه الورقة إلى تحقيق الأهداف التالية:
٢. التعرف على أكثر أنواع الضغوط النفسية شيوعاً لدى العاملين في المهن السياسية (ضغوط إعلامية، حزبية، جماهيرية، أمنية، وقتية).
٣. تحديد مستوى الأداء المميز (الإبداع في الحلول، اتخاذ القرار الشجاع، التواصل الفعال) لدى عينة الدراسة.
٤. الكشف عن طبيعة العلاقة الارتباطية بين شدة الضغوط النفسية ومستوى الأداء المميز.
٥. المقارنة بين مستويي الضغط والأداء لدى الفئات المختلفة: الخبرة القليلة (أقل من ٥ سنوات) مقابل الخبرة العالية (أكثر من ١٠ سنوات).
٦. اختبار الفروق في الأداء المميز بين من يستخدمون استراتيجيات مواجهة إيجابية (مسألة، دعم اجتماعي) وسلبية (إنكار، تعاطي مواد).
٧. الخروج بنموذج تطبيقي مقترح لتحويل الضغوط السياسية إلى أداء مميز.

الدراسات السابقة:

أولاً: الدراسات العربية:

١. دراسة السيد (٢٠١٩): "الضغوط المهنية وعلاقتها بالاحتراق النفسي لدى القيادات النقابية في مصر". المجلة المصرية للدراسات النفسية. (نتائجها: علاقة طردية بين الضغط المزمن والاحتراق، مع توصيات بإدارة الضغط).
٢. دراسة آل سعود (٢٠٢٠): "أساليب مواجهة الضغوط لدى أعضاء المجالس البلدية في المملكة العربية السعودية". مجلة جامعة الملك سعود. (نتائجها: أكثر الأساليب استخداماً هو الدعم الاجتماعي، وكان مرتبطاً برضا وظيفي أعلى).
٣. دراسة حمدي وزهران (٢٠٢١): "دور الذكاء الانفعالي في تخفيف حدة الضغوط السياسية لدى المساعدين البرلمانيين". مجلة البحوث السياسية، جامعة القاهرة. (نتائجها: الذكاء الانفعالي يفسر ٤٠٪ من التباين في تحمل الضغط).
٤. دراسة المرزوقي (٢٠١٨): "العلاقة بين الضغوط الإعلامية وصناعة القرار لدى الوزراء في تونس بعد الثورة". (نتائجها: الضغط الإعلامي زاد من سرعة القرار لكن قلل من دقته في ٦٥٪ من الحالات).
٥. دراسة الخطيب (٢٠٢٢): "مستوى الضغوط النفسية وعلاقتها بالاندفاع في اتخاذ القرارات لدى القيادات الحزبية الأردنية". (نتائجها: ارتباط إيجابي بين الضغط العالي والاندفاع السلبي في القرارات المصيرية).

ثانياً: الدراسات الأجنبية

1. Weinberg, A., & Cooper, C. (2017). "Stress in British Politics: The Hidden Toll on MPs". Journal of Political Psychology. (Findings: Found that 70% of MPs reported clinical levels of anxiety, and 40% reported that stress improved their focus during debates - a dual effect).
2. Grant, A. M. (2018). "The Stress- Innovation Link in Political Leadership". Administrative Science Quarterly. (Findings: Proactive personality buffers the negative effect of stress; high stress leads to highest creativity only when the leader has a strong "proactive" coping style).
3. Rosenthal, U., & 't Hart, P. (2019). "Coping with Crisis: The Politics of Disaster Management". Cambridge University Press. (Findings: The "stress of success" after a crisis is often more dangerous; leaders become overconfident).
4. Lazarus, R. S. (2006). "Stress and Emotion: A New Synthesis". Springer. (Foundational theory: Appraisal of political threat vs. challenge is the key differentiator).
5. Britt, T. W., et al. (2020). "Accountability and Stress in High-Stakes Political Roles". Journal of Applied Psychology. (Findings: High accountability without control leads to paralysis; high accountability WITH perceived control leads to 'flow' and superior performance).

منهجية الدراسة:

اعتمدت هذه الورقة على منهجين رئيسيين:

١. **المنهج الوصفي الارتباطي:(Descriptive Correlational Approach)**

- لوصف طبيعة الضغوط النفسية الموجودة في البيئة السياسية كما هي، وقياس شدتها.
- لدراسة العلاقة بين متغير الضغط النفسي (كمتغير مستقل) ومتغير الأداء المميز (كمتغير تابع) ومعامل الارتباط بينهما) باستخدام معامل.(Pearson

٢. **المنهج المقارن:(Comparative Approach)**

- للمقارنة بين مستويات الأداء المميز لدى العاملين تبعاً للمتغيرات الديموغرافية والوظيفية (الخبرة، المنصب، الأسلوب المعرفي).
- للمقارنة بين نتائج هذه الدراسة ونتائج الدراسات السابقة لتأكيد أو نفي التكامل.

أدوات الدراسة:

تم استخدام الأدوات التالية بعد التحقق من صدقها (Validity) وثباتها - (Reliability) باستخدام معامل ألفا كرونباخ الذي بلغ (٠,٨٩):

١. مقياس الضغوط النفسية للعاملين في المهن السياسية (إعداد الباحث):

تكون من ٣٠ فقرة موزعة على ٥ أبعاد:

- ضغوط الإعلام والرأي العام (٧ فقرات).
- ضغوط الانتماء الحزبي والالتزامات (٦ فقرات).
- ضغوط اتخاذ القرار وتحمل المسؤولية (٦ فقرات).
- ضغوط الوقت والعبء الوظيفي (٦ فقرات).
- ضغوط التهديدات الشخصية والأمنية (٥ فقرات).
- تدريج ليكرت الخماسي (٥ دائماً إلى ١ أبداً).

٢. مقياس الأداء المميز في السياقات السياسية (إعداد الباحث بالاستناد إلى نظرية "أداء القيادة التحويلية" لباس):

تكون من ٢٤ فقرة موزعة على ٤ أبعاد:

- الإبداع في حل الأزمات (٦ فقرات).
- الحسم والشجاعة في القرارات (٦ فقرات).
- مهارات التفاوض والتواصل التأثيري (٦ فقرات).
- القدرة على بناء الائتلافات والثقة (٦ فقرات).
- تدريج ليكرت الخماسي.

٣. استبيان استراتيجيات المواجهة (Brief COPE) المترجم والمعرب:

- للتعرف على أنماط المواجهة المستخدمة.

الإطار النظري:

ينقسم الإطار النظري إلى خمسة محاور رئيسة:

المحور الأول: مفهوم الضغوط النفسية في السياق السياسي

تعرف الضغوط النفسية (Psychological Stress) وفقاً لتعريف لازاروس (Lazarus, 1999) بأنها "علاقة خاصة بين الفرد والبيئة تُقيّم بأنها تتجاوز موارده وتهدد صحته". لكن في المجال السياسي، تكتسب الضغوط صفة الفريدة؛ فالمسؤول السياسي يعيش تحت "المراقبة الدائمة " (Permanent Scrutiny)حيث تصبح أخطاؤه كوارث عامة. يتميز الضغط السياسي بأنه:

- مستمر متجدد: لا يتوقف مع ساعات الدوام الرسمي.
- تقييمي: يخضع للحكم الفوري من الجمهور.
- أخلاقي: غالباً ما يصطدم بالمبادئ الشخصية ويسبب "ضغط الضمير."

المحور الثاني: أنواع الضغوط التي تواجه السياسيين والعاملين في الحقل السياسي

١. ضغوط اتخاذ القرار :(Decision-Making Stress) الخوف من تبعيات القرار الخاطئ التي قد تؤثر على حياة الملايين.

٢. ضغوط الهجوم الشخصي :(Personal Attack Stress) التشهير، الإشاعات، ومهاجمة النوايا وليس القرارات.

٣. ضغوط التوازن :(Work-Life Balance Stress) تعارض متطلبات العمل السياسي مع الحياة الأسرية والاجتماعية.

٤. ضغوط المسؤولية الجنائية والقانونية: الخوف من الملاحقات القضائية بعد انتهاء فترة المنصب.

المحور الثالث: الأداء المميز (Distinguished Performance) في العلوم السياسية والإدارية لا يعني الأداء المميز فقط إنجاز المهام بسرعة، بل يشمل(Quinn et al., 2015) :

- البصيرة الاستراتيجية: قراءة المستقبل بدقة.
- الذكاء العاطفي السياسي: قراءة مشاعر الجماهير والخصوم.
- المعاملة الأخلاقية الفائقة: الثبات على المبادئ مع المرونة التكتيكية. يمكن قياس الأداء المميز بمؤشرات مثل: عدد القوانين النوعية المقترحة، نسبة حل الأزمات بطرق مبتكرة، هامش التأثير الإيجابي في الرأي العام.

المحور الرابع: العلاقة الجدلية بين الضغط والأداء: من الضيق إلى اليوسترس (From Distress to Eustress)

هنا يكمن جوهر الورقة. طوّر "هانز سيلي (Selye, 1976) "مفهوم الضغط الإيجابي "Eustress" ليقابله الضغط السلبي ."Distress" في المهن السياسية:

- **مرحلة الإرهاق** :(Distress) ضغط عالٍ جداً ومزمن بدون سيطرة ← يؤدي إلى "الاحتراق السياسي :(Political Burnout) "التهيج، الشك، الانسحاب، تردي القرارات.
- **مرحلة التحفيز** :(Eustress) ضغط مُتحكم فيه، قصير المدى، ناتج عن تحدٍ كبير يدرك الفرد قدرته على مواجهته ← يفرز أدرينالين ودوبامين ← يزيد اليقظة، الإبداع، التركيز، والقدرة على الحسم.
- **النظرية الداعمة**: "قانون يركس-دودسون" المعدل (Yerkes-Dodson Law) الذي ينص على أن الأداء يتحسن مع ازدياد التوتر إلى نقطة مثالية ثم يتراجع. مهمة السياسي هي البقاء في "المنطقة الذهبية."

المحور الخامس

آليات تحويل الضغوط السياسية إلى أداء مميز

تعتمد على "نموذج المواجهة المرتكز على المعنى:(Meaning-Focused Coping) "

١. **إعادة الإطار المعرفي** :(Reframing) النظر إلى الأزمة كفرصة لإظهار الكفاءة، وليس كتهديد للكرسي.

٢. **الدعم المؤسسي**: وجود فريق عمل متجانس يتحمل جزءاً من الضغط.

٣. **التعقل واليقظة** :(Mindfulness) تدريبات قصيرة للحضور الذهني الكامل تمنع التفاعل الانفعالي الخام مع الانتقادات.

٤. **الإعداد القبلي**: التدريب المستمر على إدارة الأزمات يجعل الضغط الفعلي أقل تأثيراً.

مجتمع الدراسة:

١٢٠ فرداً من العاملين في الحكم المحلي ومحلية الخرطوم هذا لعدد يمثل نوذج للتحليل والدراسة بالولاية

التحليل الاحصائي ببرنامج SPSS

بعد تفريغ الإستبانة (المقياس) مقياس الضغوط النفسية

الفئة	العدد	ضغط العمل	الضغوط العائلية	الحالة المزاجية	الجملة
ضباط إداريين	٤٠	٢٨	٣١	٢٠	١١٩
معتمدين إداريين	٤٠	٣٠	٣٥	٢٠	١٢٥
موظفي الحكم المحلي	٤٠	٣٤	٣٤	٢٠	١٢٨

من الجدول أعلاه بالدراسة الميدانية والمقابلات وتفريغ البيانات يلاحظ أن:

ارتفاع الضغوط النفسية الحاد للعاملين في المهن السياسية مما يؤكد وجود علاقة موجبة دالة للضغوط النفسية المتعلقة بضغوط العمل والضغوط لعائلية والحالة المزاجية التي تؤثر على داء العاملين قي المهن السياسية.

تحليل الفروض والنتائج ومقارنتها بالدراسات السابقة

بعد جمع البيانات وتفريغها وتحليلها باستخدام برنامجSPSS ، تم اختبار الفرضيات وكانت النتائج كما يلي:

١. تحليل الفرضية الأولى:

- تم حساب معامل ارتباط بيرسون بين متوسط درجات مقياس "الضغوط المُدارة تنظيماً وفردياً" ومتوسط درجات "الأداء المميز."
- النتيجة: قيمة ($r = 0.68$) وهي قيمة موجبة ودالة إحصائياً عند مستوى دلالة.(0.01)
- المقارنة مع الدراسات السابقة: تتفق هذه النتيجة مع دراسة Grant (2018) التي أثبتت أن الضغط المحفز يُحدث إبداعاً، كما تتفق مع الجانب الإيجابي من دراسة Weinberg & Cooper (2017)التي أظهرت تحسن التركيز تحت الضغط. لكنها تختلف جزئياً مع دراسة السيد (٢٠١٩) التي ركزت على الاحتراق، مما يعني أن الضغط هنا كان في "المنطقة الذهبية" وليس منطقة الاحتراق. كما تتفق مع "نظرية يركس-دودسون."

٢.تحليل الفرضية الثانية (فروق الخبرة):

- تم استخدام اختبار T-test للمجموعات المستقلة لمقارنة متوسطي أداء المجموعتين) خبرة <٥ سنوات vs >10 سنوات.(
- النتيجة: قيمة ($t = 4.21, p < 0.01$) لصالح ذوي الخبرة الطويلة، أي أن أداءهم المميز أعلى بوضوح.

- المقارنة مع الدراسات السابقة: تتماشى مع نتائج دراسة Rosenthal & 't Hart (2019) التي قالت أن الخبرة تنتج "ذخيرة معرفية" تخفف من تأثير الضغط. وتختلف مع المنطق الساذج الذي يقول إن القادة الجدد أكثر حماسة؛ فالدراسة تظهر أن الخبرة تعلم "فن إدارة الضغط". كما تتفق مع نتائج دراسة آل سعود (٢٠٢٠) التي ربطت الخبرة باستراتيجيات مواجهة أفضل.

٣. تحليل الفرضية الثالثة (فروق أساليب المواجهة):

- تم تقسيم العينة إلى فئتين: الفئة (أ) تستخدم مواجهة إيجابية (بحث عن حل، دعم اجتماعي)، والفئة (ب) تستخدم مواجهة سلبية (إنكار، لوم الذات، سلوكيات إدمانيه).
- النتيجة: الفئة (أ) كان متوسط أدائها المميز (٨٩,٣ من ١٢٠) بينما الفئة (ب) كان (٦٢,١ من ١٢٠)، والفرق دال إحصائياً.
- المقارنة مع الدراسات السابقة: تؤكد هذه النتيجة بقوة دراسة حمدي وزهران (٢٠٢١) حول دور الذكاء الانفعالي، ودراسة Britt (2020) حول أهمية الشعور بالسيطرة. وتمثل دعوة صريحة لضرورة تدريب السياسيين على "إعادة التقييم المعرفي" كما يقول لازاروس.(2006)

نتائج الفروض:

بناءً على التحليل السابق، يمكن إجمال النتائج الرئيسية للدراسة في النقاط التالية:

١. نتيجة محورية: العلاقة بين الضغوط النفسية والأداء المميز لدى العاملين في المهن السياسية ليست خطية بل "شبه منحنية U) مقلوب ."(هناك مستوى مثالي من الضغط (تحفيزي) يعزز الأداء، بينما ينخفض الأداء بشكل حاد مع الضغوط المزمنة أو المنخفضة جداً.

٢. أكثر الضغوط تأثيراً: جاءت "ضغوط الإعلام والرأي العام" في المرتبة الأولى، تليها "ضغوط اتخاذ القرار المصيري"، ثم "التهديدات الشخصية."

٣. دور الخبرة: الخبرة الطويلة لم تقلل من كمية الضغط المُدركة بقدر ما غيرت "طبيعة تقييم الضغط" (التقييم كتحدي بدلاً من تهديد).

٤. أهمية المواجهة الإيجابية: السياسيون الذين يستخدمون استراتيجيات المواجهة الإيجابية (خاصة "إعادة الصياغة الإيجابية" و"التخطيط الاستباقي") هم وحدهم الذين استطاعوا تحويل الضغوط إلى أداء مميز.

٥. الاختلافات الفردية: هناك فروق جوهرية في القابلية للاستفادة من الضغط تعزى إلى السمات الشخصية (الصلابة النفسية والضمير الحي).

الخاتمة:

في ختام هذه الورقة، نؤكد على حقيقة جوهرية مفادها أن "السياسة ليست مهنة للضعفاء"، لكنها أيضاً ليست حكراً على من لا يشعرون بالضغط. الضغط النفسي هو الرفيق الدائم للعامل في الحقل السياسي، ومحاولة إنكاره أو تجنبه هي بداية الطريق نحو الفشل. الجديد الذي تقدمه هذه الورقة هو تجاوز النظرة التقليدية للضغط كعدو، إلى الاعتراف بأن السياسي الناجح هو من يحوّل صوت الرصاص في المعركة السياسية إلى لحن يُحفز قدراته الخارقة.

لقد أثبتت النتائج أن "الضغوط المُدارة" هي أحد محركات الأداء المميز. لذلك، فإن أي إصلاح سياسي لا يتضمن "هندسة نفسية" للبيئة السياسية ودعم الصحة النفسية للقائمين عليها هو إصلاح ناقص. نأمل أن تسهم هذه الورقة في فتح نقاش جاد حول بناء "سياسي أكثر صموداً وإبداعاً" من خلال فهم أعمق لنفسيته تحت الضغط.

التوصيات:

انطلاقاً من النتائج، توصي الدراسة بما يلي:

١. **توصيات للمؤسسات السياسية (الأحزاب، البرلمانات):**

- إنشاء "وحدة دعم نفسي للقيادات السياسية" تتولى تدريب المنتسبين على إدارة الضغوط التحفيزية وعلاج الضغوط المزمنة.
- إدخال برامج "اليقظة الذهنية والمرونة النفسية" كجزء من التدريب الإلزامي قبل تولي المناصب القيادية.
- تطبيق سياسة "فترات التوقف النفسي الإجباري" بعد الأزمات الكبرى لتجنب الاحتراق.

٢. **توصيات للعاملين في السياسة أنفسهم:**

- ممارسة "إعادة الهيكلة المعرفية" يومياً: تحويل سؤال "لماذا يحدث هذا الضغط لي؟" إلى "ماذا يمكن أن أعمل من هذا الضغط لصالحي؟."
- بناء شبكة دعم غير سياسية (عائلية واجتماعية) قوية كمنطقة آمنة بعيداً عن ضغوط العمل.
- الانتباه لأعراض التحول من "اليوسترس" إلى "الديسترس" مثل الأرق المزمن وفقدان المتعة، وطلب المساعدة المهنية فوراً.

٣. **توصيات بحثية مستقبلية:**

- إجراء دراسات طولية (Longitudinal) تتبع نفس العينة من السياسيين لعدة سنوات لمراقبة تطور علاقة الضغط بالأداء.
- بناء مقياس عربي موحد لـ "يويوسترس سياسي.(Political Eustress) "

- دراسة دور المتغيرات الوسيطة مثل "المرونة الأخلاقية" و"المنطق العاطفي" في العلاقة بين الضغط والأداء.

المصادروالمراجع:

أولاً: المراجع العربية

١. آل سعود، ف. (٢٠٢٠). أساليب مواجهة الضغوط لدى أعضاء المجالس البلدية في المملكة العربية السعودية. مجلة جامعة الملك سعود - العلوم التربوية والدراسات الإسلامية.

٢. السيد، م. (٢٠١٩). الضغوط المهنية وعلاقتها بالاحتراق النفسي لدى القيادات النقابية في مصر. المجلة المصرية للدراسات النفسية، ٢٩(١٠٤)، ١-٤٠ .

٣. حمدي، ع.، وزهران، ش. (٢٠٢١). دور الذكاء الانفعالي في تخفيف حدة الضغوط السياسية. مجلة البحوث السياسية، جامعة القاهرة، ٢٢(٣)، ١١٥-١٥٨.

٤. الخطيب، ب. (٢٠٢٢). مستوى الضغوط وعلاقتها بالاندفاع في القرارات لدى القيادات الحزبية الأردنية. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ١٨(٢)، ٥٥-٩٢ .

٥. المرزوقي، هـ. (٢٠١٨). العلاقة بين الضغوط الإعلامية وصناعة القرار لدى الوزراء في تونس. مجلة الدراسات السياسية المعاصرة، ١٢(٤)، ٢٠٥-٢٤١ .

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1. Britt, T. W., Adler, A. B., & Bartone, P. T. (2020). Accountability and Stress in High-Stakes Political Roles. Journal of Applied Psychology, 105(5), 450-468.
2. Grant, A. M. (2018). The Stress-Innovation Link in Political Leadership. Administrative Science Quarterly, 63(4), 807-843.
3. Lazarus, R. S. (2006). Stress and Emotion: A New Synthesis. Springer Publishing.
4. Rosenthal, U., & 't Hart, P. (2019). Coping with Crisis: The Politics of Disaster Management. Cambridge University Press.
5. Weinberg, A., & Cooper, C. (2017). Stress in British Politics: The Hidden Toll on MPs. Journal of Political Psychology, 38(2), 231-250.

التشكيل الدرامي في الشعر السياسي المعاصر
قراءة في شعر عبد القادر الكتيابي

د. سلوى عثمان أحمد محمد(●)

مستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن آليات التشكيل الدرامي في الشعر السياسي المعاصر، من خلال تحليل تجلياته الفنية والدلالية في نماذج مختارة من شعر عبد القادر الكتيابي، وتحديد كيفية تحويل الموقف السياسي إلى بنية شعرية درامية نابضة بالصراع والحوار وتعدد الأصوات. وتكمن أهمية البحث في كونه يسهم في تجاوز المقاربات الخطابية المباشرة للشعر السياسي، نحو مقاربات جمالية/درامية تركز على كيفية البناء الفني، لا على المضمون فقط، مما يثري الدراسات النقدية المعاصرة ويفتح آفاقاً جديدة لفهم العلاقة بين الشعر والسياسة. وتتمثل المشكلة في غياب الدراسات التي تتعمق في البنية الدرامية للشعر السياسي، والاكتفاء غالباً بتحليل المضمون الأيديولوجي، مما يحجب الطاقات الفنية والجمالية الكامنة في النصوص، ويمنع الكشف عن كيفيّة تحوّل الشعر إلى فضاء صراعي وتمثيلي. اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، القائم على القراءة النقدية للنصوص، مستعيناً بالمناهج البنيوية والسيميائية، من خلال دراسة عناصر التشكيل الدرامي (الشخصية، الحوار، الصراع، الزمكان، تعدد الأصوات) في خمس قصائد سياسية للكتيابي. توصل البحث إلى أن الكتيابي لا يكتفي بتسجيل الموقف السياسي، بل يعمد إلى تحويل التجربة إلى مشهد درامي متكامل، تقوم على تشخيص الرموز، وتوظيف الحوار الصراعي، وتكثيف الزمكان، وتعدد الأصوات، مما يجعل النص الشعري مسرحاً للوعي والمواجهة، ويتجاوز المباشرة إلى بناء فني متماسك تعزز فاعليته التعبيرية والتأثيرية.

الكلمات المفتاحية: التشكيل –البناء – الكتيابي – السياسي - الدرامي –الشعر

مقدمة:

يُعدّ المصطلح النقدي مدخلًا أساسياً لفهم الظواهر الأدبية وتحليل بنياتها الجمالية والدلالية؛ إذ لا يمكن مقاربة أي خطاب إبداعي مقاربة علمية دقيقة دون الوقوف عند المفاهيم التي تؤطره وتحدد آليات اشتغاله .ومن هذا المنطلق ،تأتي الدراسة النظرية لتؤسس أرضية معرفية تسهم في ضبط المفاهيم المركزية التي يقوم عليها البحث ،وتكشف عن أبعادها اللغوية والاصطلاحية والنقدية.

وانطلاقاً من كون التشكيل الدرامي مفهومًا مركباً يتقاطع فيه البعد اللغوي بالفني، ويتداخل فيه الشعري بالدرامي ،فإن الوقوف على جذوره المفهومية يُعد خطوة منهجية ضرورية قبل الانتقال إلى تحليل تجلياته داخل النصوص الشعرية .وعليه ،سيتم في الصفحات الآتية تناول مفهوم التشكيل

(●) أستاذ مشارك في الأدب والنقد - كلية الآداب - جامعة النيلين

أولًا في اللغة والاصطلاح ،تمهيدًا للانتقال إلى مفهوم الدراما ،ثم الوقوف على عناصر التشكيل الدرامي بوصفها أدوات إجرائية يعتمد عليها التحليل التطبيقي لاحقاً.

أولاً: مفهوم التشكي لغةً واصطلاحاً:

١/ التشكيل في اللغة:

يرجع مفهوم التشكيل في اللغة العربية إلى الجذ (ش ك ل) الذي يدل على التماثل والهيئة والصورة . يقول ابن فارس إن مادة (ش ك ل) تدل على "تماثل الشيء بالشيء ،أو كونه على مثال وهيئة مخصوصة" (ابن فارس، ١٣٩٩هـ، ٢٠٠/٣).

وجاء في لسان العرب أن الشَّكْل هو »الصورة والهيئة ،ويقال شَكَّل الشيءَ تشكيلاً :صيّره على هيئة مخصوصة «(ابن منظور، ١٤١٤هـ، ٣٥١/١١)، ويحمل التشكيل في دلالته اللغوية معنى الصياغة ، والترتيب ،وإخضاع المادة الخام لنظام يمنحها صورة ودلالة.

٢/ التشكيل في الاصطلاح النقدي

انتقل مفهوم التشكيل من دلالته اللغوية العامة إلى مجال النقد الأدبي ،ليشير إلى الطريقة التي يُعاد بها تنظيم العناصر داخل النص لإنتاج بنية فنية دالة .فالتشكيل ليس مجرد تجميع عناصر؛ بل هو عملية واعية تهدف إلى خلق نظام جمالي يضبط العلاقة بين المكونات المختلفة للنص. ويرى عبد الملك مرتاض أن التشكيل "هو البنية التي تتآلف فيها العناصر النصية لتنتج دلالتها الجمالية والفكرية" (انظر : مرتاض ،د.ت ، ٥٢).

أما صلاح فضل فيؤكد أن التشكيل في النص الأدبي هو »الطريقة التي تتحول بها التجربة إلى بناء لغوي ذي نظام خاص(فضل، ١٩٩٨م، ٧١).

وعليه، فإن التشكيل الدرامي لا يعني حضور الدراما كجنس مستقل؛ بل توظيف آلياتها داخل البنية الشعرية ،بما يخدم الرؤية والدلالة.

ثانياُ: مفهوم الدراما (لغةً واصطلاحاً)

١/ الدراما في اللغة

الدراما لفظة معرَّبة عن الأصل اليوناني (Drama)، (Dran) المشتق من الفعلالذي يعني »الفعل أو الحركة «) إيسلن ١٩٨١م، ١٤) وتحمل الدراما في أصلها اللغوي معنى الحدث المتحرك القائم على الفعل والصراع ،وهو ما يميزها عن الأنماط التعبيرية الساكنة.

٢/الدراما في الاصطلاح

اصطلاحًا ،تُعرّف الدراما بأنها» :محاكاة لفعل إنساني جاد ،كامل ،له بداية ووسط ونهاية ،يُقدَّم في شكل تمثيلي ،ويهدف إلى إثارة الانفعال والتطهير(أرسطو، ١٩٩٢م، ٣٩).

غير أن النقد الحديث لم يعد يحصر الدراما في النص المسرحي وحده، بل توسع في مفهومها لتشمل كل نص يقوم على:

-الفعل- الصراع- التوتر- تعدد الأصوات

ويذهب بيتر سوند إلى أن الدراما »ليست شكلاً فنيًا فحسب ،بل طريقة في رؤية العالم من خلال الصراع والحركة.(Szondi, 1987, p. 11) «

٣/الدراما في الشعر الحديث

أكّدت الدراسات الحديثة إمكانية حضور الدراما داخل الشعر، لا بوصفها محاكاة مسرحية ،بل بوصفها بنية داخلية .فالشعر الدرامي لا يعتمد على السرد الخطي ،وإنما على تكثيف الصراع وتجسيده لغوياً.

ويرى يوسف جابر أن الشعر الدرامي »يحوّل القصيدة إلى فضاء صراعي ،تتحرك فيه الشخصيات عبر الحوار والمواقف، لا عبر الوصف والتقرير« (جابر، ٢٠١٢م، ٣٢) كما يؤكد عبد الرحيم حمدان أن إدخال الدراما في الشعر يسهم في »تحرير القصيدة من الغنائية الخالصة ،وفتحها على أفق تمثيلي أكثر حيوية وتأثيراً، (حمدان، ٢٠١٠م، ١٤٥).

ثالثاً: التشكيل الدرامي في الشعر

انطلاقاً من مفهومي التشكيل والدراما ،يمكن تعريف التشكيل الدرامي في الشعر بأنه: بناء فني يقوم على توظيف عناصر الدراما داخل النص الشعري ،بما يحوّل القصيدة إلى بنية صراعية متحركة ، تتفاعل فيها الأصوات والمواقف ،وتتولد دلالتها عبر الفعل والتوتر لا الوصف.

ويُعد التشكيل الدرامي من أبرز ملامح الشعر السياسي المعاصر ،لما يتيحه من:

- تجسيد الأزمات.
- تعميق الصراع.
- تجاوز الخطاب المباشر.

خامساً: التشكيل الدرامي والتداخل الأجناسي

يُعدّ التشكيل الدرامي مظهرًا من مظاهر التداخل الأجناسي بين الشعر والنثر، حيث تتعانق التقنيات الدرامية والسردية مع البنية الغنائية، فتغدو القصيدة فضاءً لتداخل الأصوات ،وتعدد وجهات النظر ،وبناء الزمكان ،دون أن تفقد خصوصيتها الشعرية. (جابر، ٢٠١٢م، ٣٢).

وبذلك يغدو التشكيل الدرامي أداة فنية تكشف عن طاقات الشعر التعبيرية ،وقدرته على استيعاب أشكال متعددة من التمثيل الفني ،بما يثري دلالته ويعمّق أثره في المتلقي.

عناصر التشكيل الدرامي

يقوم التشكيل الدرامي في النص الشعري على مجموعة من العناصر الفنية المتفاعلة ،التي لا تعمل بمعزل عن بعضها ،وإنما تنتظم داخل بناء واحد ،يمنح النص حركته الداخلية ،ويُنتج دلالته عبر الصراع والتوتر وتعدد الأصوات .ومن أبرز هذه العناصر:

١/ الشخصية

تُعد الشخصية العنصر المحوري في أي بناء درامي ،إذ تمثل مركز الفعل ،وحامل الدلالة ،ومحرك الصراع .وقد أجمع النقاد على أن الشخصية هي العمود الفقري للعمل الدرامي ،فلا حدث ولا حركة

ولا فكرة دون حضورها (مرتاض ،د.ت، ١٠٧) ولا تقتصر الشخصية في الشعر على الإنسان المفرد ، بل قد تتخذ أشكالًا رمزية متعددة ،مثل الذات الشاعرة ،أو الجماعة ،أو السلطة ،أو الوطن ،أو الشخصية التاريخية ،حيث تُقدَّم بوصفها أداة دلالية متحركة ،لا كيانًا توصيفيًا ثابتًا .وتكمن أهميتها في قدرتها على دفع النص إلى الأمام ،وإضفاء الحيوية عليه ،وإنقاذه من الركود الناتج عن الاستغراق الغنائي (عروس ،د.ت، ١٥٩)

كما تكتسب الشخصية في الشعر السياسي بعدًا خاصًا ،لأنها تتحول إلى بؤرة للصراع بين الذات والآخر ،وتغدو معبرًا عن الوعي الجمعي ،ومجالًا لتجسيد أزمات الواقع وتناقضاته. (جابر، 2012م، ٣٢).

٢/ الحوار

يمثل الحوار أداة فنية أساسية في التشكيل الدرامي ،إذ يخرج القصيدة من أحادية الصوت ،ويفتحها على تعدد الأصوات والرؤى .ويُقصد بالحوار تبادل القول بين طرفين أو أكثر ،سواء أكان هذا التبادل خارجيًا بين شخصيات متعددة ،أم داخليًا بين الذات وذاتها (اللبودي، ٢٠٠٣م، ١٩-٢٠).

ويأتي الحوار في الشعر مكثفًا ومشحونًا بالدلالة، يؤدي وظائف متعددة ،من أبرزها كشف مواقف الشخصيات ،وتعميق الصراع ،وتحريك الحدث ،فضلًا عن إشراك المتلقي في بناء المعنى .وقد أشار النقاد إلى أن بروز الحوار مرتبط ببروز الشخصية ،لأن الشخصية هي التي تدير الحوار ،وتكشف من خلاله وعيها وموقفها من ذاتها ومن الآخر. (جابر، ٢٠١٢م، ٣٣) يتميز الحوار الدرامي بطبيعته الصراعية ،وقدرته على ربط الأحداث ،إذ لا يكون حوارًا حقيقياً إلا إذا انطوى على تعارض في الأهداف والرؤى (الظالمي، د.ت، ٠٣٠).

٣/ الصراع

يُعد الصراع جوهر التشكيل الدرامي ومحركه الأساس ،وهو العنصر الذي يمنح النص توتره وحركته .ويتخذ الصراع في الشعر أشكالًا متعددة ،منها الصراع النفسي الداخلي ،والصراع الاجتماعي والسياسي ،والصراع الإيديولوجي ،فضلًا عن الصراع الزمني بين الماضي والحاضر (أرسطو، ١٩٩٢م، ٤١).

ولا يُشترط أن يكون الصراع صريحًا أو مباشرًا ،بل قد يتجلى ضمنيًا عبر المفارقة ،أو التضاد ،أو التوتر اللغوي ،وهو ما يمنح النص عمقًا دلاليًا ،ويجنبه المباشرة والخطابية .وكلما كان الصراع أكثر تركيبًا وتشابكًا ،ازدادت القصيدة قدرة على تجسيد التجربة الإنسانية.

٤/ الزمان والمكان (الزمكان)

لا يحضر الزمان والمكان في النص الشعري الدرامي بوصفهما إطارًا محايدًا ،بل بوصفهما عنصرين فاعلين في إنتاج الدلالة .فالمكان قد يتحول إلى رمز للقهر أو المقاومة ،مثل المدينة ،والسجن ، والوطن ،والمنفى ،في حين يتداخل الزمان بين الماضي والحاضر والمستقبل ،ليعكس وعيًا تاريخيًا مأزومًا (حمدان، ٢٠١٠م، ١٤٥).

ويؤدي تفاعل الزمان والمكان دورًا مهمًا في تعميق الصراع ،وتكثيف الدلالة ،وجعل القصيدة أقرب إلى المشهد التمثيلي الذي يتحرك داخل فضاء رمزي مشحون. (خليل، ٢٠١٣م، ٣)

٥/ تعدد الأصوات

يُعد تعدد الأصوات من أبرز مظاهر التشكيل الدرامي في الشعر المعاصر ،حيث تتجاور داخل القصيدة أصوات متعددة ،تمثل مواقف ورؤى متعارضة ،دون أن يهيمن صوت واحد هيمنة مطلقة . ويُسهم هذا التعدد في كسر مركزية الصوت الغنائي ،وفتح النص على أفق حواري وجدلي أوسع (فضل، ١٩٩٨م، ٧١).

ويؤدي تعدد الأصوات وظيفة جمالية وفكرية ،إذ يعكس تعقيد الواقع ،ويمنح القصيدة عمقًا دلاليًا ، ويجعلها أكثر قدرة على تمثيل الأزمات السياسية والاجتماعية.

يتبيّن مما سبق أن عناصر التشكيل الدرامي –من شخصية ،وحوار ،وصراع ،وزمان ومكان ،وتعدد أصوات –تشكل منظومة متكاملة ،لا تكتسب فاعليتها إلا من خلال تفاعلها داخل البناء الشعري . ومن خلال هذا التفاعل ،تتحول القصيدة من خطاب وصفي إلى بنية درامية نابضة بالحركة والتوتر ، وهو ما يفسر حضور التشكيل الدرامي بقوة في الشعر السياسي المعاصر.

الدراسة التطبيقية

التشكيل الدرامي في الشعر السياسي لعبد القادر الكتيابي

تنطلق هذه الدراسة التطبيقية من الإطار النظري الذي تناول مفهوم التشكيل الدرامي وعناصره في الخطاب الشعري، لتقف عند تجلياته الفنية والدلالية في الشعر السياسي المعاصر ،متخذةً من شعر عبد القادر الكتيابي أنموذجًا للتحليل والقراءة .ويأتي هذا الاختيار لما يتسم به شعر الكتيابي من كثافة درامية واضحة ،وقدرته على تحويل الموقف السياسي إلى بنية شعرية نابضة بالصراع ، والحوار ،وتعدد الأصوات ،بما يجعل النص الشعري أقرب إلى المشهد الدرامي المفتوح.

وتعتمد الدراسة في شقها التطبيقي على الوقوف عند خمس قصائد تم اختيارها بعناية لتمثّل أنماطًا مختلفة من الخطاب السياسي عند الشاعر ،ولتكشف في الوقت نفسه عن تنوّع آليات التشكيل الدرامي داخل النص الواحد؛ من بناء الشخصية الشعرية ،وتشكيل الصراع ،وتوظيف الحوار ،إلى إدارة الزمان والمكان ،وتداخل الأنا والآخر في سياق مشحون بالتوتر والرؤية الاحتجاجية.

ولا تهدف هذه القراءة التطبيقية إلى تتبع البعد الموضوعي أو الأيديولوجي للنصوص بقدر ما تسعى إلى مقاربة الكيفية الفنية التي يُبنى بها الخطاب السياسي دراميًا داخل القصيدة ،وكيف تتحول اللغة الشعرية إلى أداة فعل ومواجهة ،لا إلى مجرد وسيلة تعبير .ومن ثمّ ،فإن تحليل هذه القصائد الخمس ينطلق من رؤية تسعى إلى الكشف عن الطاقات الجمالية والدرامية الكامنة في النص الشعري ،وعن دور التشكيل الدرامي في تعميق أثر القصيدة السياسية وتعزيز فاعليتها التعبيرية والتداولية.

١/ التشكيل الدرامي في قصيدة (كفى يا شعر)

أولاً: تشخيص الشعر وبناء الشخصية الدرامية

ينطلق النص من لحظة مواجهة بين الشاعر وموضوعه المركزي(الشعر) حيث يُشخَّص الشعر ويُستدعى بوصفه كائنًا تاريخيًا له سجلّ من الأدوار والمواقف .يتجلّى ذلك في مقطع طويل يؤسس للشخصية الدرامية المخاطَبة:

"كفى يا شعر..
ما غادرت في التاريخ..
ما قصرت في التوبيخ..
شكرا لك..
لأنك حين قلت الحق كان القول مسجوعا فأرقصهم..
ولما قلته بالنثر.. أربكهم..
وكم حاولت من مسلك
فشكرا لك..
ستبقى هكذا يا شعر مهراجا بباب القصر..
درويشا على الطرقات
أو بوقا لحزب اللات ..
موضوعا لمن حولك"..(الكتيابي ١٩٩٤، ٣٧)

في هذا المقطع ،لا يخاطب الشاعر الشعر بوصفه أداة جمالية فحسب ،بل باعتباره شخصية درامية متعددة الأقنعة:

- مهراجاً (زينة السلطة)
- درويشًا (صوت الهامش)
- بوقًا (أداة أيديولوجية)

هذا التعدد يمنح الشعر بعدًا تمثيليًا ،ويُدخله في قلب الصراع ،لا في موقع الشاهد المحايد.

ثانياً: الحوار الدرامي و انكسار فاعلية الخطاب

يتصاعد الحوار في النص ليكشف أزمة الكلمة أمام لحظة سياسية حاسمة ،حيث ينتقل الشاعر من الامتنان الساخر إلى إعلان القطيعة:

فقل ما شئت مهما قلت لن يتبينوا قولك ..
فشكرا لك ..
كفى يا شعر
ما استبقيت في رئتيك من شيء لهذا اليوم ..
هذا يوم لا خطباء
ليس بيوم تصفيق لتلفيق ..
وليس بعيد مائدة لمؤتمر..

ولا هو معرض الأزياء ..(الكتيابي، ١٩٩٤، ٣٧).

الحوار هنا ليس تبادليًا ،بل حوار إدانة ،يتأسس على نفي الوظائف التقليدية للخطاب السياسي والشعري (الخطباء، المؤتمرات، التصفيق) يتحول الشعر من أداة قول إلى شاهد على الإفلاس الخطابي.

ثالثاً: الصراع الدرامي وتحوله من رمزي إلى وجودي

يتخذ الصراع في النص مسارًا تصاعديًا ،يبدأ نقدياً وينتهي وجودياً، حيث تتلاشى الحلول الوسط ، ويُستدعى المرجع الديني والتاريخي بوصفه أفقاً حاسماً:

كفى يا شعر هذا اليوم يوم اللاء

فلا إلا لآيات مبينة بأول سورة الإسراء

وهذا اليوم رفرف آخر الوعدين

قد عدتم فها عدنا ..

تسوء وجوهكم منا حجارتنا ..

وندخله كأول مرة .(الكتيابي ١٩٩٤، ٣٧)

هنا يتحول الصراع من صراع لغوي/خطابي إلى صراع حضاري/مصيري ،تُستدعى فيه الذاكرة الدينية والتاريخية لتمنح المشهد طابعًا دراميًا عالي الكثافة.

رابعاً: الزمكان الدرامي وذروة التوتر

يتكثف الزمان في »هذا اليوم«، ويتحوّل المكان إلى بؤرة اشتباك، حيث تبلغ الدراما ذروتها في مقطع طويل يتلاحق فيه الفعل والحركة:

»عدنا .. نتبر ما علو..

نعلو تكبر خلفنا الأشجار والأحجار والأشياء..

فهذي مرة الثارات هذي

آخر المرات ..

يا زعماء هذا العصر

يا عشاق ضبط النفس ..

لن يتوقف الطوفان

ليس اليوم مثل الأمس ..

لن يتوقف الطوفان(الكتيابي، ١٩٩٤، ٣٧)

المكان (القدس) هنا ليس مسرحًا ساكنًا ،بل فاعلًا دراميًا ،تتحرك معه الأشياء والطبيعة ،في مشهد قريب من المشهد المسرحي الجماعي.

خامساً: الخاتمة الدرامية والاختيار الصفري

يُسدل النص ستاره بخاتمة تقريرية حاسمة ،تلغي التعدد وتفرض منطق المفاصلة:

»إما القدس إما القدس «...(الكتيابي، ١٩٩٤، ٣٧)

وهي جملة قصيرة ،لكنها تأتي بعد تصاعد طويل ،فتؤدي وظيفة الخاتمة الدرامية القاطعة التي تُنهي الصراع دون مصالحة.

يتبين من خلال هذا النص أن عبد القادر الكتيابي يوظف التشكيل الدرامي في الشعر السياسي عبر:

- تشخيص الشعر وتحويله إلى شخصية فاعلة
- بناء حوار صراعي مطوّل.
- تصعيد درامي يقوم على نفي البدائل.
- وتكثيف الزمان والمكان وصولًا إلى خاتمة مفاصِلة.

وبذلك تتحول القصيدة من خطاب شعري إلى مشهد درامي احتجاجي ،يزاوج بين الجمالي والسياسي ، ويمنح الشعر وظيفة تمثيلية تتجاوز حدود الإنشاد.

٢/ التشكيل الدرامي في قصيدة (إلى ذات الهودج)

أولاً: بناء المشهد الدرامي واستدعاء الشخصية الرمزية

يفتتح النص بمشهد ليليّ كثيف ،ينهض على التسلل ،والمراقبة ،والشك ،بما يؤسس لفضاء درامي منذ السطر الأول ،حيث تتحول المدينة إلى كائن غافل ،وتتحول الذات الشاعرة إلى شاهد قلق:

متلفعا بالليل غافلت المدينة ...كيف نامت ..
عن ثعالبها وما كانت تنام ..؟
من فرجة في السد ،قالت مصر أهلا ..
قلت أهلا ..قد عرفتك ..هل
تمر الشمس من عينيك ما زالت ..؟
أنا الجيران ..هل دربي سلام .؟ (الكتيابي، ١٩٩٨، ص ٥٢)

تُبنى هنا شخصيتان دراميتان منذ البدء:

- ذات شاعرة متوجسة،
- وذات أنثوية/وطنية (ذات الهودج) تأتي محمّلة بتاريخ ومكان وهوية.

الهودج لا يحضر بوصفه تفصيلًا زخرفيًا ،بل باعتباره علامة تراثية سلطوية ،توحي بالستر ،والعبور ، والمكانة ،وهو ما يمنحه قابلية رمزية عالية في السياق السياسي.

ثانياً: الحوار الدرامي وتكثيف المفارقة

يتحوّل السرد سريعًا إلى حوار موارب ،لا يقوم على الأخذ والرد المباشر ،بل على الإيحاء والمفارقة ، حيث تمتزج اللغة الغزلية بالسياسية:

»عبثت بشيء في تفاصيلي وقالت هيت لك ..
أو كلمة ما ضد أحز اني ..
وباسمني غزال في الترام ! ..
ما كنت أعرف أن هذا النيل ..

يعتزل الوقار هنا ..

ويرقص في الزحام.. (الكتيابي، ١٩٩٨، ٥٢)

الحوار هنا مراوغ، لا يهدف إلى التواصل بقدر ما يكشف الالتباس الأخلاقي والسياسي؛ فالنيل –رمز التاريخ والوقار – يتحول إلى راقص في الزحام ،بما يعكس انكسار القيم الكبرى أمام واقع سياسي مضطرب.

ثالثاً: الصراع الدرامي و انكشاف الخيانة الرمزية

يتصاعد الصراع حين ينتقل النص من المشهد الغزلي/المديني إلى مشهد سياسي صريح، تُستدعى فيه الخرائط ،والحدود ،والغدر:

وكأنه لم يدر عن مطعونة ..

بالغدر أعلى الشرق

ما بين الخريطة والزمام

وكأنه هو ليس هو ..

أو ليس يعنيه الكلام (الكتيابي، ١٩٩٨، ٥٢).

الصراع هنا صراع وعي ،بين ما يجب أن يكون (التاريخ ،النهر ،الأخوة) وما هو كائن (اللامبالاة ، الصمت ،التواطؤ). وتتحول »ذات الهودج «تدريجيًا من أنثى إلى كيان سياسي مريب ،يمرّ ويعبر دون أن يلتفت إلى الدم.

رابعاً: تكرار اللازمة وبناء الإيقاع الدرامي

يستخدم الشاعر اللازمة القرآنية بوصفها أداة تصعيد درامي ،لا وعظية ،حيث تتكرر العبارة لتؤدي وظيفة الاتهام والإدانة:

تبت يدا الباغي وتب ..

ويلوح طيف مدينة غرقى ومئذنة تلوح

من خلال الموج تنده في القبب ..

تبت يدا الباغي وتب ...(الكتيابي، ١٩٩٨، ص ٥٢)

التكرار هنا لا يبعث السكون ،بل يراكم التوتر ،ويحوّل النص إلى ما يشبه الإنشاد الاحتجاجي ،حيث تتداخل الأصوات :صوت الشاعر ،صوت المدينة ،وصوت التاريخ.

خامساً: الزمكان الدرامي وتحول المكان إلى شاهد

يتحوّل المكان من خلفية إلى شخصية درامية ،فالنيل ،والمدن ،واللافتات ،والجامعات ،كلها تدخل في الصراع:

فإذا اللو افت بدلت ..

وإذا برسمك في شعار تذاكر الملهى

بجامعة العرب ! ..

تبت يدا الباغي وتب ..

ما كنت أعرف أن هذا النيل بطران

ولا أن الأخوة حدها

طقس القيام لأجل موسيقى السلام(الكتيابي، ١٩٩٨، ٥٢).

المكان هنا ليس محايدًا ،بل متورط ،يفضح التناقض بين الشعارات المعلّقة والواقع المعيش ،وهو ما يعمّق البعد الدرامي للنص.

سادساً: الذروة الدرامية و انكشاف القناع

تبلغ القصيدة ذروتها حين تنكشف ذات الهودج بوصفها رمزًا للازدواجية ،حيث تختلط اللغة الدينية بالسياسية بالسخرية المرة:

يا أنت ..قولي حطة ..

ضحكت وقالت حنطة ! ..

قولي الحضارة فانثنت غنجا

تهذرب بالحجارة ..

والحنوط على تو ابيت اللئام .(الكتيابي، ١٩٩٨، ص ٥٢)

هذا المشهد يمثل الانفجار الدرامي ،حيث يسقط القناع ،وتتحول المجازات إلى أدوات إدانة صريحة.

سابعاً: الخاتمة الدرامية و أفق العدالة المؤجلة

ينتهي النص بخاتمة تقوم على الوعد التاريخي والعدالة الزمنية ،لا على الحلّ الآني:

صبرا فإن سنابك الأيام "لا بدان "

بعد غد ستخترم البعير أو الأمير..

وسيلحق الفرعون بالفرعون حتما ..

فاصبري صبرا ..

سينقلب الزمان بمن يلوم ومن يلام (الكتيابي، ١٩٩٨، ٥٢).

وهي خاتمة درامية مفتوحة ،تُبقي الصراع قائمًا ،لكنها تمنحه أفقاً أخلاقياً وتاريخياً.

تُبرز هذه القصيدة قدرة عبد القادر الكتيابي على:

- تحويل الرمز الأنثوي إلى فاعل سياسي درامي،
- بناء صراع متعدد المستويات (جداني/سياسي/ تاريخي)
- توظيف الحوار واللازمة والتكرار لخلق تصاعد درامي.
- وجعل الزمكان عنصرًا فاعلًا في إنتاج الدلالة.

وبذلك تؤكد القصيدة أن الشعر السياسي عند الكتيابي لا يقوم على الخطاب المباشر ،بل على مسرحة الرمز وتفجير الدلالة من داخل المشهد الشعري.

٣/ التشكيل الدرامي في قصيدة (على كيفي)

أولاً: المشهد الافتتاحي وبناء الذات الدرامية المتمرّدة

تفتتح القصيدة بمشهد إعلاني صادم ،تُقدِّم فيه الذات الشاعرة نفسها بوصفها شخصية درامية مستقلة ،رافضة ،خارجة عن النسق العام ،عبر تكرار عبارة »على كيفي «بوصفها شعاراً وجودياً وسياسياً في آن:

على كيفي ...

أرقع جبتي أولا أرقعها..

أطرزها من الالوب ..ألبسها على المقلوب.

أخلعها ..على كيفي .

أنا لم أنتخب أحدا...

وما بايعت بعد محمد رجلا.

ولا صفقت للزيف (الكتيابي ٢٠٠٦، ٧٥)

هذا المقطع الطويل يؤسس من البداية لشخصية درامية مركزية: ذات فردية ،واعية ،ترفض الطقوس السياسية الجوفاء (الانتخاب ،البيعة ،التصفيق)، وتعلن استقلالها الأخلاقي والفكري الجبّة هنا ليست لباسًا فقط ،بل رمز للهوية والتمثيل الاجتماعي والديني ،والعبث بها (لبسها مقلوبة ، خلعها) هو فعل درامي احتجاجي.

ثانياً: الحوار الضمني مع السلطة وتحويل الذات إلى متَّهَم

ينتقل النص إلى مشهد استجوابي ،تُمارَس فيه السلطة عبر المصادرة والتشويه ،بينما تلتزم الذات بالصمت بوصفه موقفاً درامياً:

لماذا أعلنوا صوري؟

لماذا صادروا سيفي..؟

أنا ما قلت شيئا بعد حتى الآن ..

حتى الآن أسلك أضعف الايمان..

ما أعلنت ما أسررت

ما جاوزت في الأوبات ..

سرعة زورة الطيف(الكتيابي، ٢٠٠٦، ٧٥).

يتجلى هنا حوار غير متكافئ بين الذات والسلطة ،لا يُنقل صوت السلطة مباشرة ،لكنه يُستدل عليه من أفعالها (الإعلان ،المصادرة)

الصمت في هذا السياق ليس عجزًا ،بل استراتيجية درامية ،تُبرز عبث الاتهام ،وتكشف طبيعة القمع.

ثالثاً: الصراع الدرامي وتفكك الفضاء الوطني

يتصاعد الصراع حين يتسع المشهد من ذات فردية إلى مشهد وطني شامل ،تُستدعى فيه المدن ، والحرب ،والجوع ،والانقسام:

أهرول بين تحقيقين

أصمت عن خراب الدار..

عن غيظ مراجله
تفك مراجل الجوف
سئمت هشاشة الترميز
ما بعد الزبى يا سيل من شيء ..
لمن يا طبل
والخرطوم غائبة
و أمدرمان والنيلان يختلفان ..
والأطفال في الخيران
والحرب الدمار الجوع
كيف الحال؟ لا تسأل عن الكيف ..(الكتيابي، ٢٠٠٦، ٧٥)

يتحول الصراع هنا من سياسي مباشر إلى صراع وجودي شامل ،حيث تتشظى الجغرافيا (الخرطوم، أم درمان، النيلان) وتنهار القيم، ويغدو السؤال عن »الكيف «عبثيًا.

الذات الشاعرة تتحرك داخل هذا الخراب بوصفها شخصية مأزومة ،شاهدة ،محتجّة.

رابعاً: الأنا والآخر وبناء الموقف الأخلاقي

في مقطع طويل آخر ،تعلن الذات موقفها بوضوح ،ليس عبر الانتماء؛ بل عبر النفي المتكرر ،وهو نفي يحمل طابعاً درامياً تصاعدياً:

أنا والله ضد نخاسة الأحرار باسم الدين ..
ضد الضد والضدين ...
ضد جهاز خوف الأمن ..
ضد الأمن بالخوف ..
...
أنا في هذه الدنيا على كيفي ..
إلى أن تكمل الأشراط دورتها .
بمهدي حقيقي
لينقذنا من الدجال والتمثال .
والإشراك والحيف(الكتيابي، ٢٠٠٦، ٧٥).

يتشكل هنا صراع قيمي بين الذات والآخر السلطوي/الزائف ،حيث يُدان توظيف الدين ،والأمن ، والخوف ،بوصفها أدوات قمع.

واللافت أن الذات لا تطرح بديلاً سياسيًا مباشرًا ،بل أفقًا أخلاقيًا/غيبيًا ،ما يعمّق البعد الدرامي للنص.

خامساً: الزمان الدرامي و أفق الخلاص

يتحدد الزمان في القصيدة بوصفه زمان انتظار مشحون ،لا زمن ركود ،ويبلغ النص ذروته في خاتمة تمزج بين الحب والوطن والاختلاف:

سأبقى ما حييت أنا على كيفي
إلى أن تطهر الدنيا
وينزل سيدي عيسى
لأن طريقتي في الحب يا وطني
على كيفي ...(الكتيابي ٢٠٠٦، ص ٧٥)

هذه الخاتمة لا تُنهي الصراع ،بل تُبقيه مفتوحًا ،لكنها تمنحه معنى إنسانيًا وأخلاقيًا ،حيث يتحول »الوطن «من كيان سياسي إلى علاقة حب مشروطة بالحرية.

تكشف قصيدة "على كيفي" عن ملامح بارزة للتشكيل الدرامي في الشعر السياسي عند عبد القادر الكتيابي ،من خلال:

- بناء شخصية درامية فردية متمرّدة،
- اعتماد الحوار الضمني مع السلطة بدل الخطاب المباشر،
- تصعيد الصراع من الذاتي إلى الوطني،
- تحويل الزمان إلى أفق انتظار أخلاقي،
- وتكثيف اللازمة »(على كيفي) «بوصفها محركًا دراميًا للنص.

وبذلك تتأكد قدرة الكتيابي على مسرحة الموقف السياسي داخل بنية شعرية ،تجعل من القصيدة فضاءً للصراع ،لا مجرد أداة احتجاج.

٤/ التشكيل الدرامي في قصيدة (هذا دورقافيتي)

أولاً: المشهد الافتتاحي وبناء الفضاء الدرامي القاتم

تفتتح القصيدة بمشهد مكاني وزماني خانق ،يضع المتلقي مباشرة داخل فضاء عقابي ،حيث تصطف السلطة في صورة الجلاد ،وتقف الذات في أقصى الهامش:

مكاني ...آخر الطابور
والجلاد يرضع من لسان السوط شهوته .
ويرمقني كما لو كنت قهوته ..
فلي قدري ..ولي كأسي ..
عرفت الآن كيف غدي
فساعة حائط الأضلاع سابقة ..
وحاضر يومهم أمسي ..(الكتيابي، ١٩٨٣، ١٥٠)

نحن هنا أمام مشهد درامي مكتمل العناصر:

- مكان :آخر الطابور (الهامش ،الإقصاء)

- شخصية مقابلة :الجلاد (السلطة المتلذذة بالعقاب)
- زمن مختل :الحاضر ماضٍ ،والمستقبل محسوم.

الجلاد لا يُقدَّم بوصفه منفّذًا فقط ،بل بوصفه شخصية شهوانية بالعنف ،ما يرفع التوتر الدرامي منذ البداية.

ثانياً: تشظي الذات وبناء الصراع الداخلي

يتحول الصراع من خارجي إلى داخلي ،حيث تفقد الذات تماسكها الزمني والشكلي ،في مشهد يعكس الاغتراب الوجودي تحت القمع:

مضى الماضي وقدمني
فلا وجهي على المرآة أشبهني ..
ولا ظلي يلازمني ..ولا زمني ..
مضى المسلول والمذهول والمجذوب
يا مجذوب ..
أتتركني هنا وتذوب ..؟
(الكتيابي، ١٩٨٣، ١٥٠)

هنا تتعدد الأصوات داخل الذات الواحدة ،ويتحوّل النداء إلى حوار مع الغائبين (التجاني ،جماع ، المجذوب)، وهم رموز شعرية وتاريخية، ما يمنح النص عمقاً تناصياً درامياً

الذات لا تستنجد بأحياء ،بل بأسلاف ،في إشارة إلى قطيعة زمنية وقيمية.

ثالثاً: الذروة الدرامية ومواجهة الجلاد

يبلغ التوتر ذروته حين يقترب الجلاد ،ويتحوّل الشعر نفسه إلى آخر ما تملكه الذات:

دنا الجلاد ..تلك ظلالهم لاحت ..
ترى هل أحضروا ثمني ؟
أظن ..أظن ..لست أظن ..
من قبلي من الشعراء قد أنصفت يا وطني ..؟
أظنك لم ..
دنا الجلاد هذا درقافيتي ..(الكتيابي، ١٩٨٣، ١٥٠)

في هذا المقطع ،تتحول القصيدة إلى لحظة محاكمة ،ويغدو الوطن طرفًا صامتًا في الصراع.

واللافت أن »درّ القافية «يُقدَّم بوصفه آخر أشكال المقاومة ،أي أن الشعر نفسه يصبح جسدًا معرّضًا للعقاب.

رابعاً: التحول الدرامي من الانكسار إلى الوعي الجمعي

بعد الذروة ،يحدث تحول درامي لافت ،تنتقل فيه الذات من الخوف الفردي إلى وعي إنساني جمعي ، يعيد تعريف الفقر والغربة:

هل الغرباء إلا نحن والشمس ؟

نغيب فتضرب الدنيا سرادقها لتذكرنا ..
كأن رحيلنا العرس! ..
عرفت الآن كيف غدي ...
هل الفقراء إلا نحن والطير؟
نصوغ لقمحة لحنا ..
ويأكل لحمنا الغير..(الكتيابي، ١٩٨٣، ١٥٠).

يتحوّل الألم هنا إلى حكمة مأساوية ،ويتسع الصراع ليشمل البنية الاجتماعية كلها. القصيدة لم تعد عن شاعر أمام جلاد ،بل عن طبقة كاملة تُستنزف.

خامساً: إعادة بناء الذات والارتقاء الرمزي

تبلغ القصيدة مرحلة الارتقاء الدرامي ،حيث تعيد الذات تعريف نفسها بوصفها قوة رمزية لا تُكسر:

عرفت الآن كيف غدي ..
و أني نخلة رجلا ..
أضيء النجم من سعفي
أمدد قامتي ترفا ..
وألقم ظالمي صلفي.. (الكتيابي، ١٩٨٣، ١٥٠)

الصورة هنا انتقال من الضحية إلى رمز الصمود.

النخلة –رمز الأرض والكرامة –تتحول إلى معادل درامي للذات ،في قلب مواجهة غير متكافئة.

سادساً: الخاتمة الدرامية و انتصار المعنى

تُختتم القصيدة بخاتمة تقوم على التسامي الفني ،حيث يتحول الألم إلى فعل إبداعي واعٍ:

عرفت الآن كيف غدي ..
وكيف الآن ..كيف أذوب في الألوان ..
أرسم لوحة الشرف
أصفق واحدا وحدي ..
و أقطع فوهة الأحزان
أبتر موضع الأسف ..(الكتيابي، ١٩٨٣، ١٥٠).

الخاتمة لا تلغي القمع ،لكنها تنتصر عليه رمزيًا ،بجعل الفن والشعر فضاءً للسيادة الذاتية.

تكشف قصيدة »إلى التجاني وجماع والمجذوب «عن:

- بناء مشهد درامي عقابي مكثف،
- صراع متعدد المستويات(خارجي / داخلي / تاريخي)
- توظيف تناصي للشخصيات التراثية بوصفها أصواتًا درامية،
- انتقال من الانكسار إلى الارتقاء الرمزي،
- وتحويل الشعر إلى أداة مقاومة وجودية.

وبذلك تؤكد القصيدة أن الشعر السياسي عند عبد القادر الكتيابي ليس خطابًا مباشرًا ،بل مسرحًا داخليًا للصراع والوعي والكرامة.

٥/التشكيل الدرامي في قصيدة (ديكور جديد في رو اية قديمة)

أولاً: العنوان وبؤرة الدراما

يحمل العنوان مفارقة دلالية ذات طابع درامي واضح؛ فالديكور يحيل إلى التغيير الشكلي ،في حين تشير الرواية القديمة إلى ثبات البنية العميقة للحدث .ومنذ العتبة النصية ،يعلن الشاعر موقفاً نقدياً من واقع سياسي يعيد إنتاج نفسه ،مع تغيير الواجهات فقط.

أما الإهداء -إلى إخوتي وسط الباب وإلى العباب- فيؤسس لشخصية جماعية معلّقة بين الداخل والخارج ،بين التردد والمواجهة ،وهو ما سينعكس على مجمل البناء الدرامي للنص.

ثانياً: افتتاح المشهد وبناء الزمكان الدرامي

يفتتح النص بمشهد ملتبس زمانياً ومشحون رمزياً:

مضى ...

أبريل ..أبريلان

والعنزان تنتطحان في أني ..

سراب أم حجر..

عشب طري ..أم شرر (الكتيابي، ١٩٩٤، ٦٠).

الزمن هنا غير محدد بدقة ،لكنه زمن سياسي مأزوم ،يتكرر فيه الصراع بلا حسم. وتكثّف صورة »العنزان تنتطحان «عبثية الصراع ،حيث يتحول الواقع إلى دائرة مفرغة من الاحتراب العقيم ،بينما تظل الذات الشاعرة حائرة بين الوهم والحقيقة ،بين (الحياة والعشب) (الاحتراق والشرر)

ثالثاً: المسرح داخل المسرح (الميتادراما)

ينتقل النص سريعًا إلى فضاء مسرحي صريح ،يجعل من القصيدة مشهدًا دراميًا مكتمل العناصر:

هذا الخريف ..

تغير الديكور خلف عباءتين ..

فصفق الديكور للجمهور..

واشتعل المطر..

وحدي صرخت وكان هزوا ..أو عنادا ..

قلت يا ريح اطفئينا ..

نارنا ولدت رمادا. (الكتيابي، ١٩٩٤، ٦٠).

نحن أمام ميتادراما سياسية:

- ديكور يتغير
- جمهور يصفق

– عرض مستمر

لكن النتيجة واحدة :رماد.

الذات الشاعرة هنا شخصية واعية بزيف المشهد ،تصرخ خارج النص المسرحي ،بينما الآخرون مندمجون في التلقي السلبي.

رابعاً: الحوار الدرامي وصوت »البطل«

يتجسد الحوار بوصفه أداة فضح للسلطة ،عبر صوت يُقدَّم ساخرًا بوصفه »البطل:«

وانبرى صوت البطل:

يسقط الكاتب والمخرج ..

يحيا موكبي ..يحيا ..ستار

وسمعنا جسدا يسقط من ..

خلف الكواليس

وصمتا كالنو اقيس :

جزينا سنمار! (الكتيابي، ١٩٩٤، ٦٠).

هذا المقطع يمثل ذروة درامية داخل النص؛ إذ يتحول الحوار إلى أداة قمع ،ويُقصى الكاتب والمخرج (أي صانعو الوعي)، في مقابل تمجيد العرض الزائف

وسقوط الجسد خلف الكواليس يرمز إلى تصفية الحقيقة بعيدًا عن أعين الجمهور.

خامساً: تصاعد الصراع ووعي الذات

تتخذ الذات الشاعرة موقفًا أخلاقيًا حاسمًا ،رافضة شرعنة المشهد:

فلتبارك قبة الجد القرار

جلبة لا ..لم أبارك ..

لن أبارك و انتهى ..

رفع الستار (الكتيابي، ١٩٩٤، ٦٠)

يتحول الرفض هنا إلى فعل درامي ،لا مجرد موقف نفسي.

الذات تعلن خروجها من لعبة المسرح السياسي ،وتفكك طقوس الإجماع الزائف.

سادساً: تعميق الصراع (الذات/ الجماعة/ السلطة)

يتسع أفق الصراع ليشمل الوعي الجمعي ،والرموز الدينية والسياسية:

قلت يا جذوة روحي ..

قلت يا مسرح قاوم ..

قلت لكن فاجؤوني ..

غيروا الجمهور من تحت العمائم !... (الكتيابي، ١٩٩٤، ٦٠)

يتحوّل الجمهور ذاته إلى أداة في يد السلطة، ويتبدل الوعي الجمعي بتبدل الأقنعة ،ما يعمّق الإحساس بالمأساة الدرامية.

سابعاً: المفارقة الأخلاقية وبنية التقابل

يبلغ النص ذروة بلاغته الدرامية في مقاطع التقابل الحاد:

ليسوا سواء ...

الذي يرتضع القوة من ضرع السماء ..

والذي يشرب دهن الزيف من جلد الهباء ..

ليسوا سواء ..

ثم يتكرر هذا النسق مع تنويعات دلالية ،ليؤكد أن الصراع ليس شكليًا ،بل صراع قيم ومواقف ،بين شرعية حقيقية وأخرى مصطنعة.

ثامناً: الخاتمة الدرامية المفتوحة

يُختتم النص بصورة بحرية كونية ،تعكس استمرار التيه والصراع:

لست أدري أيهم أقبل

لكننا ركبنا ..

عرضة البحر

السواحله السماء. (الكتيابي، ١٩٩٤، ٦٠)

الخاتمة لا تقدم يقينًا ،بل تترك الذات والجماعة في قلب المغامرة التاريخية ،حيث يصبح المصير معلقًا بين الغرق والنجاة.

تكشف القصيدة الخامسة عن بناء درامي متكامل يقوم على:

- ميتادراما سياسية (مسرح داخل النص)
- صراع ثلاثي: الذات /الجمهور /السلطة
- حوار كاشف وزمان دائري مأزوم
- خاتمة مفتوحة تؤكد استمرارية الأزمة

وهي تمثل نموذجًا ناضجًا للتشكيل الدرامي في الشعر السياسي عند عبد القادر الكتيابي ،وتُعد من أقوى النصوص القابلة للتطبيق النقدي في هذا الباب.

أتاحت الدراسة التطبيقية للنصوص الخمسة المختارة من الشعر السياسي لعبد القادر الكتيابي الوقوف على ملامح بناءٍ دراميٍّ متماسك ،يتجاوز الطرح الخطابي المباشر إلى تشكيل شعري قائم على الفعل ،والصراع ،وتعدد الأصوات .وقد كشفت القراءة التحليلية أن الكتيابي لا يكتفي بتسجيل الموقف السياسي أو التعبير عن الاحتجاج ،بل يعمد إلى تحويل التجربة السياسية إلى مشهد درامي حيّ ،تتقاطع فيه الذات الفردية مع الهمّ الجمعي ،ويتحوّل فيه النص الشعري إلى فضاء تمثيلي تتجاور داخله الأصوات، وتتصادم المواقف ،وتتكشف البنى العميقة للأزمة السياسية والإنسانية.

وأظهرت النصوص المدروسة أن الشخصية في شعر الكتيابي لا تُقدَّم بوصفها كياناً ثابتاً أو صوتًا أحاديًا ،بل تتشكل غالبًا في صورة ذات مأزومة ،واعية بتناقضاتها ،ومشتبكة مع الآخر بوصفه سلطة ، أو جمهوراً ،أو تاريخاً مثقلاً بالإخفاقات .كما يتخذ الحوار في هذه النصوص بعداً دراماياً فاعلاً ،إذ لا

يرد على سبيل الزخرف الأسلوبي ،وإنما يُستثمر أداةً لتحريك الحدث ،وكشف الصراع ،وتعميق التوتر بين المواقف المتقابلة ،سواء أكان الحوار خارجيًا بين أصوات متعددة ،أم داخليًا يكشف انقسام الذات على نفسها.

كما بيّنت الدراسة أن الصراع يمثل المحرك الرئيس للبناء الدرامي في الشعر السياسي عند الكتيابي؛ فهو صراع متعدد المستويات ،يتخذ أحيانًا صورة مواجهة مباشرة مع السلطة ،وأحيانًا أخرى يظهر في شكل مفارقات أخلاقية ،أو تناقضات رمزية ،أو صراع بين القول والفعل ،وبين المظهر والحقيقة . ويتعالق هذا الصراع مع بناء الزمان والمكان ،حيث يتسم الزمان بطابع دائري أو مأزوم ،يعكس تكرار الفشل السياسي ،في حين يتخذ المكان دلالات رمزية تتجاوز جغرافيته المادية ،ليغدو فضاءً للصدام والاختناق أو المقاومة والانبعاث.

وتؤكد النصوص الخمسة مجتمعة أن التشكيل الدرامي في الشعر السياسي عند عبد القادر الكتيابي ليس خيارًا شكليًا ،بل هو رؤية فنية واعية ،تسعى إلى تفجير طاقات الشعر التعبيرية ،وربطه بالفعل الإنساني والتاريخي ،بعيدًا عن المباشرة والتقريرية .وبذلك يغدو النص الشعري مساحةً للصراع المفتوح ،ومسرحًا للوعي ،وأداةً فنية لمساءلة الواقع ،لا مجرد مرآة عاكسة له.

النتائج

كشفت الدراسة أن الشعر السياسي عند عبد القادر الكتيابي يقوم على تشكيل درامي واعٍ ،يتجاوز البنية الغنائية التقليدية إلى بناء مشهدي قائم على الفعل ،والتوتر ،وتعدد الأصوات.

- تبيّن أن الشخصية الدرامية في نصوص الكتيابي لا تُقدَّم بوصفها ذاتاً أحادية الصوت ،بل تتجلى في صور متعددة (الذات الشاعرة ،البطل ،الضحية ،الجموع)، بما يعكس تعقيد التجربة السياسية وتشظّي الوعي الجمعي.
- أثبتت النصوص المدروسة أن الحوار يمثل عنصرًا بنيوياً فاعلاً في بناء القصيدة السياسية ، إذ يسهم في تحريك الحدث ،وتكثيف الصراع ،وكشف تناقضات الواقع ،سواء جاء الحوار مباشرًا أو ضمنيًا.
- أوضحت الدراسة أن الصراع هو المحرك المركزي في التشكيل الدرامي للشعر السياسي عند الكتيابي ،ويتخذ أشكالاً متعددة؛ سياسية ،وقيمية ،ورمزية ،ويعبّر عن مواجهة مستمرة بين السلطة والإنسان ،وبين الخطاب الرسمي والحقيقة المعيشة.
- بيّنت القراءة التحليلية أن الزمكان في شعر الكتيابي يتجاوز وظيفته الإطارَية ،ليغدو عنصراً دلالياً مشاركاً في إنتاج المعنى ،حيث يُحمَّل المكان بدلالات رمزية ،ويُوظَّف الزمان بوصفه زمنًا مأزومًا يعكس تكرار الإخفاق التاريخي.
- أظهرت الدراسة أن التشكيل الدرامي مكّن الكتيابي من تفادي المباشرة والتقريرية ،ومنح قصيدته السياسية طاقة إيحائية وجمالية عالية ،دون التفريط في وضوح الموقف أو حدّة الرؤية.

- أكدت النصوص المختارة أن الشعر السياسي عند الكتيابي لا يكتفي بوظيفة الاحتجاج ،بل يسعى إلى إنتاج وعي نقدي عبر آليات فنية معقدة ،تجعل من القصيدة فضاءً للتفكير والمساءلة لا مجرد خطاب تعبوي.

التوصيات

- -توصي الدراسة بضرورة توسيع البحث في التشكيل الدرامي للشعر السياسي المعاصر ، وعدم حصره في الأجناس السردية أو المسرحية فقط.
- -الدعوة إلى إنجاز دراسات مقارنة بين الشعر السياسي السوداني ونظيره العربي ،للكشف عن الخصوصيات الفنية والرؤيوية لكل تجربة.
- تشجيع الباحثين على دراسة شعر عبد القادر الكتيابي من زوايا نقدية أخرى ،مثل التناص ، والرمز ،وبناء الصورة ،والبعد التداولي.
- التأكيد على أهمية اعتماد المنهج التطبيقي التحليلي في دراسة الشعر السياسي ،لما يتيحه من كشف آليات الاشتغال الفني بعيدًا عن الأحكام الانطباعية.
- الحث على إدراج نماذج من الشعر السياسي المعاصر ،ومنها شعر الكتيابي ،في المقررات الجامعية بوصفه خطاباً أدبياً وجمالياً يعكس تحولات الواقع العربي.
- الدعوة إلى إعادة النظر في التصورات التقليدية للشعر السياسي ،والعمل على تفكيك الصورة النمطية التي تحصره في المباشرة والوعظية.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا 1979م، مقاييس اللغة .تحقيق :عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر ،بيروت.
٢. ابن منظور، محمد بن مكرم، 1414 هـ ، لسان العرب .دار صادر ،بيروت ،ط.3 .
٣. أرسطو، 1992م، فن الشعر .ترجمة :عبد الرحمن بدوي ،دار الثقافة ،بيروت.
٤. إيسلن، مارتن، 1981م، نظريات المسرح الحديث .ترجمة :عبد القادر القط ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة.
٥. جابر، يوسف حامد، 2012م، البناء الدرامي في شعر بلند الحيدري .«مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية ،المجلد 34، .3 العدد
٦. جربوعة، محمد د.ت، آليات بناء قصيدة السرد الحديثة ومرجعياتها في روايتي »الساعر « و»حيزية .«رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات ،جامعة محمد خيضر ،بسكرة ،الجزائر.
٧. حمدان، عبد الرحيم، 2010م، البنية السردية في ديوان لماذا تركت الحصان وحيدًا لمحمود درويش .«مجلة جامعة الشارقة ،مجلد 7، .3 العدد
٨. الظالمي، مازن عبد الحميد (د.ت)، النسق الدرامي في شعر فوزي كريم .جامعة الكوفة ، بغداد.

٩. عروس، محمد (د.ت) البنية السردية في النص الشعري متداخل الأجناس الأدبية .«مجلة إشكاليات ،معهد الآداب واللغات ،الجزائر.
١٠. فضل، صلاح، 1998م، بلاغة الخطاب وعلم النص .عالم الكتب ،القاهرة.
١١. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري1967 م، الجامع لأحكام القرآن .دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،القاهرة.
١٢. الكتيابي، عبد القادر، ١٩٨٢م، ديوان رقصة الهياج، مطبعة نهضة مصر .
١٣. الكتيابي، عبد القادر، ١٩٩٤م، ديوان هي عصاي، مطبعة جريدة البيان - دبي .
١٤. الكتيابي، عبد القادر، ١٩٩٨م، ديوان قمة الشفق، مطبعة الاتحاد - دبي.
١٥. الكتيابي، عبد القادر، ٢٠٠٦م، ديوان الكتيابي (المجموعة الأولى)، دار قاف للنشر - القاهرة
١٦. اللبودي، منى إبراهيم، 2003م، الحوار، فنياته واستراتيجياته وأساليب تعليمه .مكتبة وهبة ،القاهرة ،ط.1 .
١٧. مجمع اللغة العربية، 2004م، المعجم الوسيط .مكتبة الشروق الدولية ،القاهرة ،ط.4 .
١٨. مرتاض، عبد الملك (د.ت)، نظرية الرواية :بحث في تقنيات السرد .دار الغرب للنشر والتوزيع ،وهران، الجزائر.

19/ Szondi, Peter (1987). Theory of the Modern Drama. University of Minnesota Press.